أحسن الجزاء في إقامة العزاء على سيّد الشهداء عليه السلام

كتاب علمي تحقيقي يبحث فيه عن وجوب التمسّك والأخذ بقول الأئمّة الاثنى عشر، ووجوب البراءة من أعدائهم، ويبحث فيه أيضاً عن بيان إقامة المجالس والمآتم الحسينيّة من استحباب البكاء، ولطم الصدور، وضرب السلاسل على الظهور، وجرح الرؤوس، وبيان ما يترتّب عليها من الفوائد والعوائد مقرونة بأكمل الدلائل والشواهد وغير ذلك ممّا يحتاج إليه كلّ أحد من الناس

الجزء الأوّل

تأليف السيّد محمّدرضا الحسيني الأعرجي الفحّام

بسم الله الرحمن الرحيم

تقاريض الكتاب

بعدما صدر الجزء الأوّل من كتابنا هذا وردتنا جملة من التقاريض القيّمة ، والكتب الكريمة من قِبل علمائنا الأعلام ، وفضلائنا الكرام ، حرسهم الله من آفات الأيام ، غمرونا في طيّها بعواطفهم النبيلة ، وجعلوا هذا العبد رهين ألطافهم الحميدة ، فلهم منّا الشكر الجزيل ، والثناء الجميل ، وها نحن ننشر جملة منها تقديراً لأياديهم الجميلة ، ونعتذر من الأساتذة المحترمين الذين ما وسعنا نشر رسائلهم الثمينة في هذا المجلّد ، وسوف ننشرها إن شاء الله في الطبعات القادمة أو المحلّ المناسب لها ، والعذر عند كرام الناس مقبول[١] .

المؤلّف

---

(١) تحقيقاً لأُمنية العلّامة المؤلّف ﵀ قمنا بالحصول على بعض تقاريض هذا الكتاب الشريف غير المنشورة ، ووضعناها إلى ما سبق نشره .

التقريض الأوّل

لشيخ الفقهاء والمجتهدين، علم التحقيق، ومنار التدقيق،

حجّة الإسلام والمسلمين، آية الله في العالمين،

الحاج الشيخ مجتبى اللنكراني أدام الباري بركات برّ وجوده

التقريض الثاني

لشيخنا العلّامة الربّاني، صاحب المؤلّفات النفيسة، حجّة الإسلام،

آية الله الشيخ راضي النجفي التبريزي دام ظلّه العالي

التقريض الثالث

لشيخنا العلّامة حجّة الإسلام آية الله الشيخ مرتضى الأردكاني دام ظلّه العالي

صاحب حاشية المكاسب، وغيرها من المؤلّفات القيّمة

التي تكشف عن علوّ مقامه السامي، وفضله الباهر النامي

التقريض الرابع

لسماحة آية الله العظمى ، المرجع الديني ،

السيّد محمّد كاظم شريعتمداري ﰂ

التقريض الخامس

لسماحة آية الله العظمى السيّد مرتضى الفيروزآبادي قدس سره

العلّامة الأعرجي.. جهاد اليراع وصلابة الولاء

إضاءات حول حياة العلّامة المؤلّف ﷺ

بقلم تلميذه سماحة السيّد ضياء الخبّاز (دام توفيقه)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمّد وآله الطاهرين،

واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين، أبد الآبدين

١ في سنة ألف وأربعمائة وأربعة عشر من الهجرة النبويّة الشريفة، تشرّفتُ بزيارة مرقد سيّدةِ اللطف الإلهي، سليلة الأئمّة، وكريمة أهل العصمة عليهم السلام السيّدة فاطمة المعصومة عليها السلام.

وهنالكَ زرتُ ـ في جُملةِ مَن زرتُ ـ سماحةَ آيةِ الله المعظم السيّد رضا الصدر (طيب الله ثراه)، فلمّا دخلتُ إلى مجلسه العامر ـ وكان سماحة السيّد بعدُ لم يأتِ إلى المجلس ـ رأيتُ سيّداً عليه سيماء العلماء، يتكلّم بلهجة عربيّة لا تشوبها عجمة، وبمجرد أن علم أنّني من (القطيف) بدأ يتكلّم عنها كلامَ من تشدّه بها روابطُ روحيّة عميقة، تبينَ من خلالها أنّه على صلة قويّة جدّاً بشيخ القطيف الكبير، سماحة العلّامة المقدس، والحجّة المعظم، الشيخ فرج العمران (طيّب الله تربته وأعلى درجته).

ومما يجدر ذكره هنا أنّ سماحة السيّد الصدر ﷺ بعد أن دخلَ علينا واستقرَّ في مجلسه، وتشرفتُ بلثم أنامله، وعرَّفه ذلك السيّدُ الجليل بأنّني من أهل القطيف تلفّظ بكلمة أبهرتني كثيراً جدّاً، حينما قال: «القطيفُ عاصمة التشيّع».

وبعدَ جلسة ليست بالطويلة ، تشرّفتُ مرّةً أخرى بالسلام على السيّد الصدر قدس سره سلامَ المودّع ، وكذا على ذلك السيّد العربي ، الذي كان يجلس إلى جانبه ، واختلست الفرصة فسألته ـ وأنا خجل جدّاً ـ عن اسمه الشريف ، فأجابني بأنّه (السيّد محمّد رضا الأعرجي) .

٢ وبعدها بأشهرٍ معدوداتٍ رجعتُ إلى (قم المقدّسة) مرّةً اُخرى ، لاتّخذها مهجراً علميّاً ، وكنتُ في دوّامة شديدة جدّاً من التفكير بحثاً عن المدرّس الكفؤ والاُستاذ القدير ، ولا زلتُ أتذكّر جيّداً بأنّني كنتُ أسير بجانب الحرم المبارك لكريمة آل محمّد عليهم السلام ـ وأنا مشغول بالتفكير في كيفيّة السبيل إلى المُدَرِّس الذي أطمح إليه ـ ـ فتفضلت عليَّ السيّدة الكريمة بأن أثارت في نفسي صورة ذلك السيّد العربي ، الذي رأيته في مجلس السيّد الصدر قدس سره ، وماهي إلّا ثوان معدودات من انقداح صورته في ذهني حتّى رأيته ماثلاً أمامي ، فذُهلت جدّاً لغريب الاتّفاق ، وأسرعتُ للسلام عليه ، فصافحني مصافحة حارّة جدّاً ، وطلبتُ منه حينها أن يتفضّل بتدريسي ، فأجابني إلى ذلك من غير تردّد ، وكأنّ القضية كانَ مخططاً لها منذ أمد بعيد ، وكان ذلك الآن آن تطبيقها .

ولكن ذلك ـ كما أعتقد بيني وبين ربّي ـ إنّما هو بعض اللطف الخفيّ ، الذي تفيضه كريمة آل محمّد عليهم السلام على كلّ من يتشرّف بمجاورتها ، حتّى وإن أساء الجوار إليها .

٣ ومنذُ ذلك الحين بدأت علاقتي مع سيّدي الاُستاذ ، سماحة العلّامة المقدس ، الحجّة الجليل ، السيّد محمّد رضا الحسيني الحائري الأعرجي الفحام (عفى عنه الملك العلّام) حيث شرعتُ معه في دراسة شرح اللمعة ، فقرأت عنده شطراً وافياً منه ، كما قرأتُ عنده قسماً وافياً أيضاً من مباحث ألفاظ الكفاية ، وكذا أيضاً حضرتُ عنده كتاب القوانين من بدايته حتّى أواخر مبحث العامّ

والخاصّ ، وكذا بحث القطع من الرسائل ، وآخر ما قرأته على يديه الكريمتين قرأت عنده أواخر أبحاث الخيارات وما يتبعها من مباحث الشروط والقبض والنقد والنسيئة وأحكام الخيار من كتاب المكاسب .

٤ وقبلَ أن أتحدّث عن شخصيّة السيّد الأُستاذ (طيّب الله ثراه) وعن كتابه الماثل بين يديك : (أحسن الجزاء) سوف أترك الحديث لسماحته ﴿﴾ ، ليسلّط الضوء على بعض جزئيات حياته ﴿﴾ ، كما كتبَ لي ذلك بقلمه الشريف ، حينما ألححتُ عليه في طلب ذلك منه ، وإليك نصّ ما كتبه بعد البسملة والحمد والصلاة على النبيّ وآله : « **أمّا بعد : فقد طلب منّي ، بل أمرني ، السيّد السند ، والزكيّ المعتمد ، بدر سماء العلم ، وضياء المعرفة ، أن أكتب شيئاً من ترجمتي ، فامتثلت أمره ، وإن كنت أقل من الذرّة ، وأحقر من النملة .**

نسبي :

محمّد رضا ، ابن المرحوم السيّد جعفر ، ابن السيّد رضا ، ابن السيّد أحمد ، ابن السيّد حسن ، ابن السيّد عليّ ، ابن السيّد أحمد ، ابن السيّد صادق الفحام النجفي المعروف ، وكان أُستاذ السيّد بحر العلوم والشيخ جعفر كاشف الغطاء (قدّس الله تعالى أسرارهم) إلى أن ينتهي إلى مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام .

ولادتي :

ولدتُ في كربلاء المقدّسة ، سنة ١٣٦٨هـ ، ٢٣ ذي الحجّة ، يوم الأحد ، كما وجدتُ ذلك بخط المرحوم والدي على ظهر كتاب (مخزن الأدوية) .

وفي السنة السابعة من عمري دخلت مدرسة الإمام الصادق عليه السلام المؤسسة من قِبل السيّد ميرزا مهدي الشيرازي ﴿﴾ وغيره من العلماء ، لتعلّم القراءة والكتابة ، ودخلت الحوزة العلميّة ، واشتغلت بقراءة المقدّمات قبل أوان التكليف ، فقرأت جامع

المقدّمات عند بعض السادة .

والسيوطي عند المرحوم الشهيد الشيخ عبد الرضا الصافي ، مؤلّف بلاغة الإمام الحسن عليه‌السلام .

وقرأت الجزء الأوّل من اللمعة والشرائع والمعالم عند العالم الفاضل السيّد محسن الكشميري المعروف بالجلالي قدس‌سره .

وقرأت القوانين ومختصر المعاني وقسماً من الشرائع عند العلّامة الشيخ مهدي الكابلي الحائري قدس‌سره .

وقرأت المجلّد الثاني من اللمعة والرسائل والكفاية والمكاسب عند المرحوم العلّامة الشيخ محمد حسين المازندراني ، ومقداراً من طهارة الشيخ .

وقرأت طهارة الرياض عند بعض السادة قدس‌سره في الحائر .

وحضرت بحث الخارج عند جماعة منهم السيّد الروحاني قدس‌سره في الأُصول .

وحضرت بحث السيّد الگلپايگاني قدس‌سره في خارج الفقه في الحجّ .

والسيّد الشريعتمداري قدس‌سره خارج الفقه في الطهارة .

وعند العلّامة الفقيه المقدّس الشيخ مرتضى الحائري قدس‌سره في البيع .

وكانت علاقتي به وثيقة جدّاً ، وهو كان معي في غاية الشفقة والمحبة ، بحيث لم يكن يرضى بغيابي يوماً واحداً عن مجلسه الشريف . وحضرت خارج الطهارة عند الشيخ ميرزا جواد التبريزي (دام ظلّه) أيضاً .

وعند غيرهم من الأعلام كالعلّامة الميرزا هاشم الآملي قدس‌سره وغيره[١] .

---

(١) من جملة أساتذته ومشائخه ـ أيضاً ـ الآيات العظام والعلماء الأعلام : الشيخ أبو الفضل الخوانساري ، والشيخ راضي النجفي التبريزي ، والسيّد أبو القاسم الكوكبي (قدّس الله أسرارهم وأعلى في الخلد درجاتهم) ، كما أخبرني بذلك بالنسبة إلى الأوّلين فضيلة ⇦

مؤلفاتي:

١ ـ أحسن الجزاء في إقامة العزاء على سيّد الشهداء (مجلدان).

٢ ـ نجاة الأُمّة في إقامة العزاء على الحسين والأئمّة.

٣ ـ رسالة في بيان إجزاء الأغسال عن الوضوء.

٤ ـ نتائج الفكر في بيان ولاية الأب على البكر.

٥ ـ تنقيح الأدلّة في بيان حكم الحاكم بعلمه.

٦ ـ حواشي على رسالة «إرشاد العباد إلى استحباب لبس السواد على الحسين والأئمّة الأمجاد عليهم السلام».

٧ ـ رسالة في حكم الجهر في أوليتي صلاة الظهر من يوم الجمعة.

٨ ـ رسالة في حكم مفطرية الدخان للصوم.

٩ ـ رسالة في حكم تعين الجلوس في نافلة الوتيرة.

١٠ ـ أفضل الأعمال الصلاة على النبيّ والآل (صلوات الله عليهم) كتاب كبير لم يؤلّف مثله[١].

١١ ـ خير الدارين في برّ الوالدين (طبع في كربلاء المقدّسة).

١٢ ـ النجم الزاهر في بيان نذر الناذر (طبع في النجف الأشرف).

١٣ ـ المقباس الجليّ في فضل الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله (طبع في طهران).

١٤ ـ نتائج العقول في شرح كفاية الأُصول (ستّة مجلّدات كبار).

⇐ السيّد محمّد المجتهدي (دام توفيقه)، وبالنسبة للأخير أُستاذي سماحة العلّامة الشيخ عليّ المحسني الخوئي (دام توفيقه) الذي كان زميلاً للمرحوم السيّد قدس سره في درس السيّد الكوكبي قدس سره.

(١) وكلّ هذه الكتب قد طبعت في قم المقدّسة.

١٥ ـ دلائل الأحكام (في الفقه) ، خرج منه كتاب الاجتهاد والتقليد ، والصوم ، وبحث الأغسال ، والحجّ وهو ناقص .

١٦ ـ رسالة في نقل الجنائز إلى المشاهد المشرّفة .

١٧ ـ أحسن الأثر في تراجم مجتهدي القرن الرابع عشر (أربعة مجلّدات) (١) .

مشائخي في الرواية:

أروي عن :

١ ـ العلّامة السيّد محمّد مهدي الأصفهاني الكاظمي قدس سره صاحب أحسن الوديعة .

٢ ـ الشيخ آقا بزرك الطهراني قدس سره صاحب الذريعة .

٣ ـ العلّامة الشيخ محمّد رضا الأصفهاني الحائري قدس سره .

٤ ـ الشيخ يوسف الخراساني قدس سره .

٥ ـ السيّد علي التبريزي قدس سره .

٦ ـ الشيخ مجتبى اللنكراني قدس سره .

٧ ـ المرحوم الشيخ فرج آل عمران القطيفي قدس سره (٢) .

---

(١) ولا زالت هذه المؤلّفات الأربعة الأخيرة مخطوطة ، تنتظر أن ترى النور .

(٢) وإليك نصّ الإجازة كما وردت في كتاب العلّامة المجيز قدس سره المسمّى بـ (الأزهار الأرجية) : ١٧٨/١٣ :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع قدر العلماء الأعلام ، وفضّل مدادهم على دماء الشهداء الكرام ، والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين عددَ الدهور والأعوام .

وبعد : فقد استجازني العلّامة الجليل ، ثقة الإسلام ، ومروج الأحكام ، السيّد محمّد رضا ابن السيّد جعفر الحسيني الأعرجي ، فأجزته (حفظه الله) حيث رأيته أهلاً ، أن يروي عنّي جميع ما صحّت لي روايته عن مشائخي الكرام ، ذوي النقض والإبرام ، ⇦

٨ ـ الشيخ محمّد سماكة قدس سره (من علماء الحلّة) .

٩ ـ الشيخ مرتضى الأردكاني قدس سره صاحب حاشية المكاسب .

١٠ ـ الشيخ محمّد الإمامي الخوانساري قدس سره .

وغيرهم من الأعلام ، وصرّح بعضهم باجتهادي ، لكنّي بحمد الله لم أتصدّى للفتوى فإنّها أمر خطير جدّاً .

هذا ما تيسّر لي كتابته على العجالة ، وأسأل الله تعالى بحقّ وليّه صاحب الأمر ، أن يوفّقني لطاعته ، ونشر فضائل محمّد وآله ، وبثّ مثالب أعدائهم ، وخدمة الدين ، وترويج الشريعة المقدّسة ، وأن يعصمنا من الزلل في القول والعمل ، ولا أرى نفسي إلّا مقصّراً في خدمة أولياء النعم ، أئمّة الهدى ومصابيح الدجى (صلوات الله عليهم) ، وأستغفر الله من التسويف ، وصرف العمر فيما لا يرضيه تعالى ، ولا يرضي أولياءه المعصومين عليهم السلام »(١) .

وفاته:

لا زلتُ أتذكّر بأنّ آخر اتّصال كان بيني وبينه (طيّب الله تربته) في النصف من شهر

⇐ المذكورين في مدوّناتي ومسفوراتي ، جميع ما صنّفوا وألّفوا ولا سيّما الكتب الأربعة الشهيرة اشتهار الشمس في رائعة النهار ، والتي عليها المدار في الأعصار والأمصار ، وهي الكافي والفقيه والتهذيب والاستبصار ، فليروِ (حفظه الله) عنّي ما شاء متى شاء ، وليجز ذلك لمن يشاء ممّن يجده أهلاً لتحمّل هذه الأعباء ، وأُوصيه ونفسي بتقوى الله وسلوك طريق الاحتياط ، الذي ليس بناكب سالكه عن الصراط ، ورجائي أن لا ينساني من دعائه ، ولا سيما في مظانّ الإجابة ، والله لا يضيع أجر المحسنين .

حررتُ ذلك بقلمي وأنا حينئذ في كربلاء المقدّسة ، عصر نهار يوم السبت ١٣٨٩/٦/٣هـ.

(١) هذه الكتابة مؤرّخة بيوم الإثنين الموافق لتاريخ : ٢٦ شعبان المعظّم ، سنة ١٤١٧هـ.

شعبان المبارك ، حيث تحدّثتُ معه هاتفياً ـ وكنتُ حينها في القطيف ـ مهنّئاً ومباركاً له ، بمناسبة إشراقة نور مولانا صاحب العصر وسلطان الزمان (عجّل الله فرجه) .

ولكنّني فوجئت بانكسار يعلو نبرات صوته ، وصعوبة في نطقه وحديثه ، على خلاف عادته معي ، سيّما وأنّ المناسبة تقتضي مزيداً من السرور والبهجة ، وحتّى لا تطول صدمتي أخبرني (صبَّ الله على قبره شآبيب رحمته) بأنّ حالته الصحيّة ليست على ما يرام .

وقد ظننتها حالة عارضة لا تلبث أن ترتفع ، غير أنَّ الأمر كان على خلاف ما ظننته ، حيث ساءت حالته الصحيّة كثيراً ، فنُقلَ قدس سره بعدها إلى أحد مستشفيات طهران ، وهنالك بقي يعالج آلامه التي كانت تتضاعف عليه يوماً بعد آخر ، حتّى لفظ أنفاسه المباركة في اليوم التاسع أو العاشر ، من شهر رمضان المبارك ، سنة **١٤٢١**هـ.

وقد شيّع رحمه الله تشييعاً يليق بشأنه ، ووُريَ الثرى في مقبرة (البقيع) الواقعة بالقرب من مسجد جمكران ، بعد أن صلّى عليه المرجع الديني المعاصر ، سماحة السيّد موسى الشبيري الزنجاني (دام ظلّه) .

٥ وبعد أن تحدّثنا في النقطة السالفة عن جزئيات حياته قدس سره ، سوف نتحدّث في هذه النقطة عن بعض ملامح الكمال وسمات الجمال في شخصيّته ، على ضوء معاشرتي الشخصيّة له قدس سره لمدّة ستّ سنوات تقريباً ، وسوف أعرضها من خلال محاور عدّة :

المحور الأوّل : حبّ العلم .

وقد كان لسمة العلم عنده مؤشّران :

الأوّل: عشقُ التدريس ، حيث وجدته طوال فترة حضوري لديه مدرّساً جليلاً ، وأُستاذاً مربّياً ، فلم يكن يتخلّف عن التدريس يوماً ، حتّى في أحلك الظروف

وأشدّها ، فسيان عنده برد الشتاء القارص ولهيب الصيف القائض ، وإذا لم يتمكّن من تدريسي في المكان المتّفق عليه كان يأتيني بنفسه ويدرّسني في محل سكناي .

الثاني : ارتياد المجالس العلميّة ، فإنّ الحوزات العلميّة الشيعيّة تتميز ـ في جملة ما تتميّز به ـ عن غيرها ، بوجود جلسات أو مجالس علميّة تُعقد ـ بشكل يومي أو اسبوعي ـ لأجل مذاكرة العلم وإثارة المسائل العلميّة المهمّة ، وفيها يجتمع مجموعة من العلماء والفضلاء ليتداولوا ما استعصى على أحدهم من المسائل والبحوث ، وكان من بين تلك المجالس ـ في حاضرة العلم الكبرى في زماننا ـ مدينة قم المقدّسة: مجلس سماحة آية الله الشيخ مرتضى الحائري ﷺ، وكان سيّدي الأُستاذ (طيّب الله تربته) شديد الصلة بهذا المجلس الشريف ، بل يظهر أنّه كان أحد أركانه ، بحيث أنّ الشيخ الحائري ﷺ لم يكن يرضى أن يتخلّف السيّد الأستاذ عن مجلسه ولو يوماً واحداً ، وكانت من ثمار هذا المجلس الشريف العديد من الرسائل العلميّة المفيدة ، التي حرّرت على إثر الإثارات المطروحة في ذلك المجلس ، ومن جملتها رسالة فقهية لسماحة السيّد الأُستاذ (طيّب الله ثراه) بعنوان : (تنقيح الأدلّة في بيان حكم الحاكم بعلمه) حيث كتبها سماحة الأُستاذ ـ كما صرّح بذلك في أولّها [١] ـ بطلب الشيخ الحائري ﷺ نتيجة إثارة تلك المسألة في ذلك المجلس ، كما يظهر .

ولمّا توفّي الشيخ الحائري ﷺ لازمَ سيّدي الأُستاذ (طابت نفسه الشريفة) الحضور في مجلس سماحة آية الله السيّد رضا الصدر ﷺ ، وفي هذا المجلس الشريف تعرّفتُ على سماحته ، ولا زلتُ أتذكّر بأنّني لمّا تعرّفتُ عليه فيه حمّلني سلاماً لسماحة العلاّمة الكبير الحجّة الشيخ حسين العمران (دام تأييده) فلمّا رجعتُ إلى القطيف وأبلغتُ سماحة الشيخ سلامَ سيّدي الأُستاذ ، تعجّبَ وسألني : أين التقيت به ؟

---

(١) تنقيح الأدلّة : ٣.

فقلتُ له : في مجلس السيّد الصدر قدس سره ، فزال تعجّبه حينها ، وقال : نعم ، إنّ مثل هذا السيّد لا تكاد تلتقي به إلّا في المجالس العلميّة .

المحور الثاني : حبّ التأليف.

وقد نشأ (طّيب الله ثراه) على حبّ التأليف والمطالعة ، فكتبَ وطبعَ منذ حداثة سنّه قدس سره ، حيث إنّ رسالته الفقهيّة الشريفة (النجم الزاهر في بيان نذر الناذر) قد طبعها وهو في بداية العشرينات من عمره ، لأنّنا إذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ ميلاده الميمون كان في نهاية سنة ١٣٦٨هـ ، وقد قدّم هذه الرسالة لسماحة العلّامة الشيخ العمران (طيّب الله مثواه) سنة ١٣٨٩هـ ، كما تحدّث عن ذلك قدس سره في كتابه الشريف (الأزهار الأرجية) حيث قال : « وفي عصر اليوم المؤرّخ ـ أي يوم السبت الموافق لتأريخ ١٣٨٩/٦/٣٠هـ. ق ـ زارنا العلّامة السيّد محمّد رضا ابن السيّد جعفر الأعرجي ، في محلّ إقامتنا ، وقدّم لي كتابه (النجم الزاهر في بيان نذر الناذر) ، وأدخلَ علينا الأُنس الكثير والابتهاج والسرور »(١) .

فذلك يعني أنّه ألّف الرسالة المذكورة ، وهو على مشارف العشرينات من عمره الشريف .

وقد كان (نضّر الله مثواه) كثيراً ما يحثّني على التأليف ، ويقول : « اغتنم قوّة شبابك ، فإنّني عندما كنتُ بعمرك كنتُ أكتب في اليوم الواحد ما يقارب العشرين صفحة ، بينما الآن لا أقوى على كتابة أكثر من ثلاث صفحات » .

ولا زلتُ أتذكّر عندما عرضتُ عليه كتابي حول سماحة العارف الكبير ، والفقيه الخبير ، والمفسّر البصير ، سماحة آية الله العظمى ، السيّد عبد الأعلى السبزواري (أعلى الله درجته ، ورزقنا شفاعته) كيف هشَّ لذلك وابتهج به ابتهاجاً يقصر عنه

---

(١) الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية : ١٧٨/١٣ .

وصفي ، وهو الذي تفضّل وأسماه : (نفحات الباري في حياة السيّد السبزواري) وشجّعني بقوّة على طباعته .

وقد أنتج حبّه للتأليف الكثير من المؤلّفات المفيدة ، التي طُبع بعضها ، ولا زال البعض الآخر منها مخطوطاً ، وإنّ من أهمّ مؤلفاته المطبوعة كتابه : (أحسن الجزاء في إقامة العزاء على سيّد الشهداء) حيث بحثَ فيه بحثاً علميّاً استدلالياً ضافياً حول جميع مظاهر الشعائر الحسينيّة المباركة ، وأثبت أصالتها ومشروعيّتها ، كما إنّ من أهمّ مؤلّفاته المخطوطة كتابه الأُصولي : (نتائج العقول في شرح كفاية الأصول) الواقع في ستّة مجلّدات كبار ، كما رأيتها لديه ﵀ ، وقد كان يسعى في أواخر حياته إلى طباعته ، ولكن القضاء المبرم قد حال بينه وبين تحقيق أُمنيته .

المحور الثالث : عمق الولاء .

وعند هذا المحور أجدني عاجزاً عن الحديث عن سماحته ﵀ ، فقد كان الرجلُ غارقاً في محبّة أهل البيت ﵈ ، والبراءة من أعدائهم إلى أقصى درجة ، بحيث أنّ أنفاسه المباركة كانت بوحدها كافية لإثارة مشاعر الولاء والعداء في نفس الإنسان ، وهذا ما لمسته منه شخصياً .

وإنّ ما كتبه من المؤلفات ـ سيّما كتبه الثلاثة المباركة : (أحسن الجزاء) و (نجاة الأُمّة) و (أفضل الأعمال) ـ وإن كان يشفّ عن عمق ولائه وتعلّقه بأهل بيت العصمة والطهارة ﵈ ، وشدة عدائه وبغضه لأعدائهم وغاصبي حقوقهم ، ولكن المعاشرة الشخصيّة معه تكشف لك عن العلاقة الوجدانيّة المعمقة بينه وبين أجداده المعصومين ﵈ ، ولا ينبئك مثل خبير ، فإنّني عاشرته لمدّة سنوات ستّ تقريباً فوجدته عجباً ، إذ كان (طيّب الله مثواه) يحتاج إلى شرب الماء كثيراً ، بحيث كان لا يستغني عن شربه حتّى في أثناء الدرس ، ولا زلتُ أتذكّره (أعلى الله مقامه) كيف إنّه بمجرد أن يضع قدح الماء على شفتيه ، يتذكّر الكبد الحرّى لجدّه سيّد الشهداء

الحسين (عليه آلاف السلام والتحيّة) فتخنقه العبرة ، وتنهمر دموعه الحارّة الكثيرة على وجنتيه ، بالشكل الذي يسيطر فيه على كلّ مشاعرك ، فتشعر حينئذٍ بحالة من الانقلاب الروحي العجيب .

وكان كثيراً ما يرشدني (جزاه الله عنّي خير الجزاء) إلى ضرورة توجيه الناس من خلال كلمات المعصومين عليهم السلام ، حيث كان يعتقد بأن كلام المعصوم عليه السلام إذا نُقل بنصّه فإنّه ينفذ إلى أعماق القلوب ، ويؤثّر في سامعيه تأثيراً إعجازياً ، وعلى ذلك كان يحمل الرواية الرضوية الشريفة : « **فإنَّ الناس لو علموا محاسنَ كلامنا لاتّبعونا** »(١) وقد جرَّبَ ذلك بنفسه في بعض رحلاته للتبليغ فلمس له أثراً غايةً في العجب .

وقد حدّثني عن ذلك فقال : « لم أحمل معي في تلك الرحلة إلّا كتاب (تحف العقول عن آل الرسول) لابن شعبة الحراني ، فكنتُ أقرأ منه نصوص أهل البيت عليهم السلام وكلماتهم ، وأبيّن مضامينها للناس ، فوجدتُ لذلك تأثيراً قويّاً في نفوسهم ، حتّى إنّهم كانوا يقولون : لم يسبق أن جاءنا من المبلّغين من أثّرت كلماته في نفوسنا بمثل ما أثّرت كلماتك فينا » .

وقد عملتُ بوصيته (أعلى الله في درجته) منذ أوصاني ـ ولا زلتُ ـ فكان الأمر كما قال قدس سره .

المحور الرابع : شدّة التواضع .

وهذا من المحاور الشامخة في شخصيّته قدس سره فإنّه رغم ما كان عليه من المؤهّلات ، إلّا أنّه قد نأى بنفسه الشريفة عن كلّ ما يوجب الزهو والاستعلاء ، فكان قد خفض جناحه حتّى لأمثالي من أصاغر الطلبة ومبتدئيهم ، ولم يكن يتعامل معنا من موقع كونه أُستاذاً وموقعنا كتلامذة ، بل كان يتعامل معنا تعامل المربّي الذي همّه أن

(١) عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام : ٢/٢٧٥ .

يروّض نفوسنا ويهذّب أخلاقنا .

وهو بذلك كان يجبرني على تعظيمه وإجلاله ، فأنا الطالب الصغير عنده ، ولكنّه كان يأبى إلّا أن يقدّم لي حذائي عند خروجي من درسه كلّ يوم ، وأنا التلميذ المفتقر إلى علمه وإرشاده ودعائه ، ولكنّه كان يطلب منّي بعض الأحيان ـ إذا ألمَّ به ألمُ أُذْنِهِ الذي كان يباغته بين الحين والآخر ـ أن أضع كفّي الملوّثة على رأسه الشريف لأمسح عليه وأدعو له ، ثمّ ما أسرع أن يغافلني ويتناول كفي الملوّثة بأدران المعاصي ويقبّلها ، فكنتُ أبكي في داخل نفسي لما يصنعه معي .

وكلّما توسّلتُ إليه أن لا يصنع معي ذلك ، كان لا يلتفت لتوسّلاتي ، إصراراً منه على تربيتي وتهذيب نفسي بهذا الأُسلوب ، وكأنّه كان يجد ذلك من وظائفه اللازمة تجاه تلامذته والمستفيدين منه ، فلم يكن يرى وجهاً لحصر العلاقة بين الأُستاذ وتلميذه في العلاقة العلميّة ، بل كان (طيّب الله تربته ، وأعلى درجته) يرى أنّ العلاقة يجب أن تكون أسمى وأعلى من ذلك ، بأن تكون علاقة تربية للسلوك وترويض للنفس وتهذيب للأخلاق .

ومن جملة صور تواضعه التي لا زالت تحتفظ بها ذاكرتي : أتذكّر أنّه عندما كنت أحضر على يديه الكريمتين مباحث الألفاظ من الكفاية أو القوانين ، قدّم لي رسالته الفقهية : (نتائج الفكر في بيان ولاية الأب على البكر) وطلب منّي أن أُبديَ ملاحظاتي عليها ، فأخجلني بطلبه للغاية ، إذ هو الأُستاذ وأنا أحقر طلابه ، فكيف يطلب منّي أن أُبديَ ملاحظاتي على رسالة فقهيّة استدلالية ؟! ولكنّها صبغة التواضع الإلهيّة التي كان مصبوغاً بها من ناحية ، واهتمامه بتربية طلابه وصقلهم من ناحية أُخرى .

فما كان منّي إزاء ذلك إلّا أن كتبتُ مقطوعة شعريّة ، أرختُ فيها عام تأليف الكتاب ، وقدّمتها هدية متواضعة بين يديه ، وإليكها :

الحروفُ الذَهَبية

يَـا روعـةَ الإبـداعِ والسـحرِ ... في أحرفٍ صيغتْ مـن التـبرِ
قدْ أبدعتها ريشـةٌ مـا انـثنتْ ... تـجودُ بـالألماسِ والدرِ
تلكَ التي قدْ وَهـبتْ عـمرهَا ... فـي خـدمة الأئـمّةِ الغُـرِ
مـا فـتئتْ تـرسمُ أفكـارَهمْ ... في صفحاتِ القـلبِ والفكـرِ
وتـنثرُ الورودَ مـن روضـهمْ ... فـوّاحـةً تـعبقُ بـالعطرِ
و (أحسنُ الجزاء) منهم لهـا ... ضمانةُ (النجاةِ) فـي الحشـرِ
يَا حسنها مـن ريشـةٍ للـهدى ... تـزهوُ بكـفّ سـيّدٍ حـبرِ
مِـدادُهَـا كـوثرُ أجـدادهِ ... تسـبّحُ فـي عـطائهِ الثَّـرِ
فـي عـمقها روحُ ولائـيةٌ ... قد بوركتْ من صاحب العصرِ
قدْ أقبلتْ تختالُ فـي مشـيها ... وتـنثني كـالغادة البكـرِ
تـبحثُ عـن والدهـا هـلْ لهُ ... فـي شـرعها ولايـةُ الأمـرِ
فـمنْ أَجـابَ سـؤُلها نـافياً ... سَـقتْهُ كأسَ البُـعدِ والهـجرِ
حتّى رأتْ فـي دربـها سـيّداً ... طـلْعتُهُ كـطلعةِ البـدرِ
فَـهَالها فـي حسـنهِ ذوقـهُ ... ومـا أفـاضَ مـن رؤىً بكـرِ
قـالتْ: فأرخْ «نُـقحتْ كـلها ... أجـادها نـتائج الفكـر»

وبعد أن قدّمت له هذه المقطوعة (طابت نفسه الزكيّة) شكرني على ذلك كثيراً، ولكن بما أنّ الرسالة المذكورة كانت رسالة فقهيّة استدلاليّة، ولم تجرِ العادة على طباعة تأريخ شعري لها، لذلك طلب منّي ﷺ أن أكتب كلمة نثريّة لرسالته الشريفة، فاعتذرتُ منه بشدّة، وقلتُ له إنّني أقلّ من ذلك، ولكنّه أبى إلّا أن أُبدل شعري بنثري، ولعلَّ ذلك كان خوفاً منه على مشاعري النفسيّة، رغم إنّي لم أقصد بكتابة

مقطوعتي الشعرية إلّا تقدير شموخ التواضع فيه ، ولم يكن يدر في خلدي أن تطبع تلك المقطوعة كمقدّمة للرسالة الشريفة ، وحينها نزلتُ عند رغبته ، وتشرّفتُ بامتثال أمره ، فكتبتُ الكلمة التالية ، التي نُشرت مع الطبعة الثانية من رسالته المذكورة ، وإليك نصّها :

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربِّ العالمين ،

والصلاة والسلام على أشرف بريّته أجمعين ، محمّد وآله الطاهرين

أهمية الرسائل الفقهيّة في مسيرة الفقه الشيعي :

الرسالة الفقهيّة هي : عبارة عن تحقيق علمي في مسألة من مسائل الفقه الشريف ، على طبق القواعد العلميّة والروايات المعصوميّة الواردة عن أئمّة الهدى عليهم السلام .

وعادةً مَا تكون هذه المسألة المطروقة من المسائل المحوريّة ، التي تختلف فيها الأنظار ، وتتباين فيها الآراء ، انعكاساً عن تعدّد الروايات واختلاف مؤدّاها .

وتتميز (الرسالة الفقهية) عن كتب الفقه الأُخرى ـ حتّى الموسوعيّة منها ـ بالشمول والاستيعاب ، والمتابعة التحقيقيّة في الوجوه الاستدلاليّة للمسألة المبحوث عنها ، وكذلك تنقيح الروايات المتعلّقة بها سنداً ودلالة ، بالإضافة إلى تحقيق الفروع الفقهيّة المرتبطة بتلك المسألة .

ومن هنا كانت سيرة علماء الطائفة المحقّة (رضوان الله تعالى عليهم) على بحث المعضل من المسائل والفروع ـ تحقيقاً وتدقيقاً ـ بنحو استقلالي ، تُعورفَ عليه عندهم بـ (الرسالة الفقهيّة) .

فكتب الشيخ البهائي قدس سره مثلاً رسالة في (ذبائح أهل الكتاب) ، وكتب الشيخ الأعظم الأنصاري قدس سره رسالة في (العدالة) ، وأُخرى في (التقية) ، وثالثة في (القضاء عن الميّت) .

وكتبَ السيّد الفشاركي ﷺ رسالة في (تقوي السافل بالعالي)، وثانية في (الخلل)، وثالثة في (الدماء الثلاثة).

وكتبَ المقدّس الأردبيلي ﷺ أيضاً رسالة في (جواز تقليد الميّت)، وأُخرى في (كفاية بسملة الجنب بقصد سورة العزيمة في التذكية).

وعلى هذا المنوال جاءت الخراجيات الثلاث للمحقّقين الثلاثة: الكركي والقطيفي والأردبيلي (قدس الله أسرارهم).

وامتداداً لهذه المسيرة الحافلة بالعطاء، انكفأ سيّدنا الأُستاذ العلّامة الجليل السيّد محمّد رضا الحائري الأعرجي الفحّام (دام ظلّه) على تحقيق مهمات المسائل المستعصية، جامعاً بين عمق المطالب وسلاسة العبارات.

فكان ممّا جادَ به يراعه الشريف رسالة في حكم الحاكم بعلمه، أسماها بـ(تنقيح الأدلّة) وقد كتبها (دام ظلّه) نزولاً عند رغبة أستاذه الفقيه آية الله الشيخ مرتضى الحائري ﷺ، ورسالة ثانية أسماها بـ(النجم الزاهر في بيان نذر الناذر)، وقد طبعت مرّتين في النجف الأشرف، وثالثة عنونها بـ(خير الدارين في برّ الوالدين).

ومن رسائله أيضاً رسالة في (نقل الجنائز إلى المشاهد المشرّفة)، ورسالة مبسوطة في (إجزاء الأغسال عن الوضوء)، ورسالة في (حكم الجهر في أوليتي صلاة الظهر من يوم الجمعة)، وكذلك رسالة في (حكم مفطرية الدخان للصوم)، ورسالة في (تعين الجلوس في نافلة الوتيرة)، ومن آخر الرسائل التي كتبها (دامت فوائده) هذه الرسالة الشريفة المسمّاة بـ(نتائج الفكر في بيان ولاية الأب على البكر).

رسالة (نتائج الفكر) في سطور:

الأوّل: كان اختيار سيّدنا الأُستاذ (دام موفّقاً) لهذه الرسالة، موفّقاً غاية التوفيق، نظراً لما تشتمل عليه من الأهمّية البالغة، سواء في موقعها العلمي، أم في جذورها

العمليّة المرتبطة بالعمل التطبيقي عند أتباع المدرسة المحقّة (زادهم الله شرفاً) .

الثاني : جاءت هذه الرسالة دقيقة في فقهها القواعدي ، وذوقية سلسة في فقهها الروائي ، وقد صيغت بمنهجيّة علميّة لطيفة ، حيث بدأ السيّد الأُستاذ (دام تأييده) بتنقيح موضوع المسألة ، محدّداً ما هو المراد من عنوان البكر ؟ ثمّ قام بعرض الآراء المطروحة ـ والتي تناهت إلى التسعة ـ مع بيان أدلّتها والملاحظات الواردة عليها ، وبعد خوضه في معركة الآراء ومناقشتها مناقشة موضوعيّة ، حدّدَ مختاره في المسألة مع بيان وجه الأرجحيّة ، ولإتمام الرسالة من جميع جوانبها قام ـ رابعاً ـ بعرض الفروع الفقهيّة المرتبطة بالمسألة ـ والتي تناهت إلى اثني عشر فرعاً ـ ودرسها دراسة استدلاليّة وافية ، ثمّ ختم الرسالة أخيراً بخاتمة في بيان أولياء العقد وما يوجب سقوط ولايتهم .

الثالث : إنّ النتيجة التي توصّل إليها السيّد الأُستاذ (أيّده الله) هي القول باستقلال الأب في الولاية على البكر البالغة الرشيدة ، وهي مغايرة لما استنتجه في الطبعة الأُولى للرسالة ، حيث ذهب فيها إلى جواز عقد الأب ونفوذه بدون إذن البنت ، ونفوذ عقدها بدون إذن أبيها ، مع التزامه بجواز نقض العقد للأب حالة وجود أمر منه ، والعكس بالعكس .

وليس هذا التغاير في الاستنتاج ناشئاً إلّا عن عمق التفكير ، والمتابعة الفقهيّة المتواصلة ، التي يعيشها السيّد الأُستاذ ، صان الله مهجته ونفع به ، وجزاه عن الفقه وأهله خير جزاء المحسنين ، بحقّ السادة الميامين محمّد والعترة المعصومين ، والحمد لله رب العالمين .

أقل تلامذة المؤلّف

ضياء الخباز

الخميس ١٤١٩/٥/١١هـ

قم المقدسة

٦ وقبل أن أختم الحديث حول حياة سيّدي الأُستاذ (عطّر الله مرقده) يطيب لي ـ إحياءً لفكره، وإشادةً بقدرته العلميّة ـ أن أُشير إلى بعض آرائه العلميّة الشريفة على نحو الإجمال:

١ ـ فمن آرائه الشريفة: أنّه كان يرى حجّيّة كلٍّ من أقوال وأفعال وتقرير الصدّيقة الصغرى السيّدة زينب (عليها آلاف التحيّة والسلام)، حيث يقول قدس سره في تعليقه على كلمة الإمام زين العابدين عليه السلام لعمّته الصدّيقة: «**فأنت بحمد الله عالمة غير معلّمة، وفهمة غير مفهمة**»(١): «هذه الجمل الذهبيّة الصادرة عن الإمام المعصوم عليه السلام في حقّ عمّته (سلام الله عليها) من أعظم جمل الثناء والمدح، الدالّة على أن علمها بالأحكام الإلهيّة يُفاض عليها بنحو ما يفاض على المعصوم عليه السلام، وأنّه لدني غير اكتسابي، ويكون نتيجة ذلك حجّيّة فعلها وقولها بل وتقريرها عليها السلام»(٢).

٢ ـ ومن آرائه الفقهية: القول بوجوب الجهر في أُولتي صلاة الظهر من يوم الجمعة على المنفرد، وقد كتب في إثبات ذلك رسالة استدلالية لطيفة، طبعها في نهاية كتابه الشريف: (نجاة الأُمّة في إقامة العزاء على الحسين والأئمّة).

٣ ـ وكذا من آرائه في الفقه أيضاً: القول بعدم مفطرية شرب الدخان في نهار شهر رمضان، وقد أثبت ذلك في رسالة خاصة كتبها حول الموضوع، حيث عرض فيها جميع ما استدل به على المفطرية، وناقشه مناقشة علميّة، وبذلك انتهى إلى عدم نهوض دليل على المفطرية، وقد طبعت رسالته هذه بمعيّة كتابه المتقدّم (نجاة الأُمّة).

---

(١) الاحتجاج: ٣١/٢.

(٢) إرشاد العباد: ٣٧.

٤ ـ ومن آرائه الشريفة أيضاً : أنّه كان يرى رجحان إحياء الشعائر الحسينيّة المقدّسة ، وإن أدّى إحياؤها إلى الضرر والهلكة ، كما لو أدّى البكاء إلى إتلاف العين مثلاً ، أو أدّى إدماءُ الجسد إلى إتلاف حاسّة من الحواسّ أو عضو من الأعضاء ، بل وحتّى زهاق النفس ، حيث كان يرى حكومة أدلّة إحياء الشعائر الحسينيّة على أدلّة نفي الضرر وحرمة التهلكة ، حالها حال أدلّة الزكاة والجهاد والحجّ والقصاص والديات التي هي بطبيعتها أحكام ضررية ، حيث يستفيد (أعلى الله درجته) من روايات البكاء ، وكذا من روايات زيارة الحسين عليه السلام أنّ طبيعتها طبيعة ضررية ، ثمّ تعدّى من الموردين المذكورين إلى سائر الشعائر الحسينيّة بدلالة تنقيح المناط القطعي ، وقد صرّح بذلك في مواضع عديدة من كتابيه الشريفين : (أحسن الجزاء) و (نجاة الأُمّة) ، فراجع[١].

٥ ـ ومن آرائه الفقهيّة أيضاً : التزامه بوجوب الصلاة على النبيّ وآله (صلوات الله عليهم) ، كلّما ذكر رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله مستفيداً ذلك في من صحيح زرارة ، عن الباقر عليه السلام ، حيث ورد عنه : « **وصلِّ على النبيّ كلّما ذكرته ، أو ذكره ذاكر ، في أذان أو غيره** »[٢] ، حيث علّق عليه بقوله : « والصحيح صريح في وجوب الصلاة على النبيّ وآله صلى الله عليه وآله ، كلّما ذُكر في أذان كان أو في غيره ، ولا إشكال فيه من حيث الدلالة والسند »[٣].

وقد تعرّض قدس سره للإشكالات المثارة حول القول بالوجوب وردّها ، إلّا إشكالاً واحداً بقي مستحكماً لديه ، ولكنّه مع ذلك لم ترجّح كفّته على القول بالوجوب ، وقد تحدّث عن ذلك ، فقال : « والعمدة في الإشكال على القول بالوجوب هو ما

---

(١) نجاة الأُمّة : ٦٥ و ١٠٠ .

(٢) الكافي : ٣/٣٠٣ ، الحديث ٧ ، دار الكتب الإسلاميّة .

(٣) أفضل الأعمال : ٣١٧ .

ذكرناه ، من خلوّ كثير من الأدعية والخطب المنقولة عن الأئمّة الطاهرين (صلوات الله عليهم) عنها عقيب ذكره الشريف ونعته المنيف ، وإن لم تكن تخلو عنها كلّيّة ، كما لا يخفى .

نعم ، لكن مع ذلك لم يحصل ما يوجب سكون النفس للقول بعدم الوجوب ، بعد وجود الصحيح المتقدّم من غير معارض له ، ولهذا لا ينبغي ترك الاحتياط ، وحرمان النفس من الثواب العظيم ، والفضل الجسيم المترتّب على الصلاة عليه وآله صلى الله عليه وآله(١) .

٦ - ومن آرائه الأُصولية (طابت نفسه الزكيّة) : أنّه كان يرى جريان صناعة الإطلاق والتقييد في المستحبات ، من غير فرق بينها وبين الواجبات ، ولم يستثنِ من ذلك إلّا حالة استفادة أخذ المستحبّات على نحو تعدّد المطلوب من بعض القرائن الداخليّة أو الخارجيّة ، خلافاً لما يكاد أن يكون مسلماً عند الأُصوليّين ، وقد صرّح بذلك في بعض كتبه(٢) .

هذا بعض ما اطّلعتُ عليه من آرائه الشريفة ، وله غير ذلك من الآراء العلميّة المبثوثة في سائر كتبه ومصنّفاته .

٧ وأمّا عن كتابه الماثل بين يديك : (أحسن الجزاء في إقامة العزاء على سيّد الشهداء) فهو من خيرة ما كُتب في موضوعه ، ولقد أتعب فيه المؤلّف نفسه الشريفة جدّاً ، فأبلى بلاءً حسناً في تتبّع المصادر ، وتحقيق المطالب ، حتّى جاء كتابه هذا متصدّراً قائمة الكتب التي كتبت في موضوعه(٣) .

---

(١) أفضل الأعمال: ٣٢٣.

(٢) نجاة الأُمّة : ١٦٤ .

(٣) كان قدس سره من المهتمين باقتناء الكتب العلميّة المفيدة ، فكانت له مكتبة عامرة تجمع نفائس الكتب بشتّى أنواعها ، وقد ظهر أثرُ ذلك على كتابه هذا حيث جمع فيه بين التتبع

ولو أطلقتُ ليراعي العنان لأسهب كثيراً في الحديث حول خصوصيّات هذا الكتاب الشريف ومميزاته ، ولكنّني لا أُريد له ذلك ، بل سأترك الكتاب بين يدي القارئ الكريم ، ليجول في حقوله بنفسه ، ويطّلع على بديع صوره ، وجمال معانيه ، ويكون في النهاية هو الحاكم بما لم أشأ أن أسبقه إليه .

وكم تمنّيت أن يكون سيّدي الأُستاذ موجوداً ، لتقرَّ عينه برؤية كتابه في حلّته الجديدة ، ولكن مفردة (لكن) تقطع الأُمنيات ، ويكفيني أن أكون مشمولاً لأدعية روحه المباركة وهي تحلّق في عالم الأرواح ، بجوار سادات الخلق وأئمّة الحقّ محمّد وآله الطاهرين (عليهم صلوات المصلّين) .

وإلى روحه المتألّقة بعشق محمّد وآله وبغض أعدائهم ، أرفع خالص محبّتي وإخلاصي ووفائي ، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتغمّد سيّدنا الأُستاذ بواسع رحمته ، فهو أرحم الراحمين ، ويحشره مع أجداده الطاهرين ، محمّد وآله الميامين ، والحمد لله ربِّ العالمين .

ضياء السيّد عدنان الخباز القطيفي

القطيف المحروسة / المدارس

يوم الإثنين : ١٤٢٧/٥/٢٨هـ

والتحقيق ، وكان (رحمه الله تعالى) يقول : « إنّ الاهتمام باقتناء الكتب يحتاج إلى توفّر أُمور أربعة : كنز قارون ، وقصر فرعون ، وصبر أيّوب ، وعمر نوح ، فالأول لشرائها ، ⇦

⇦ والثاني لمكانها ، والثالث والرابع لقرائتها » .

مصادر الترجمة

١ ـ إرشاد العباد إلى استحباب لبس السواد، للسيّد الميرزا جعفر الطباطبائي الحائري قدس سره ، وتصحيح وتعليق السيّد محمّد رضا الأعرجي قدس سره الطبعة الأُولى / ١٤٠٤هـ المطبعة العلميّة ـ قم المقدّسة.

٢ ـ الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية ، للشيخ فرج العمران قدس سره الجزء: ١٣ ، مطبعة النعمان ـ النجف الأشرف / ١٣٩١هـ

٣ ـ أفضل الأعمال الصلاة على النبيّ والآل ، للسيّد محمّدرضا الأعرجي قدس سره ، الطبعة الأُولى / ١٤٢٠هـ، منشورات النهاوندي ـ قم المقدّسة .

٤ ـ تنقيح الأدلّة في بيان حكم الحاكم بعلمه، للسيّد محمّد رضا الأعرجي قدس سره الطبعة الأُولى / ١٣٦٤ هـش، المطبعة العلميّة ـ قم المقدّسة.

٥ ـ نتائج الفكر في بيان ولاية الأب على البكر، للسيّد محمّد رضا الأعرجي قدس سره الطبعة الثانية / ١٣٧٧هـ ش، المطبعة العلمية ـ قم المقدّسة.

٦ ـ نجاة الأُمّة في إقامة العزاء على الحسين والأئمّة عليهم السلام ، للسيد محمّد رضا الأعرجي قدس سره الطبعة الأُولى /١٤١٣هـ، مطبعة سيد الشهداء عليه السلام ـ قم المقدّسة.

كلمة المحقّق

بسم الله الرحمن الرحيم

وأفضل الصلاة وأزكى التسليم على سيّدي ومولاي سيّد الشهداء الحسين ، وعلى جدّه أشرف المرسلين ، وأبيه أمير المؤمنين ، وأُمّه سيّدة العالمين ، وأخيه كريم الأئمّة المعصومين ، وعترته الطيّبين الطاهرين ، وصحبه المنتجبين ، واللعنة الدائمة على قاتليه وظالميه والراضين بفعلهم أبد الآبدين .

وبعد

قبل سنوات مضت عرضتُ على سماحة الحجّة المؤلّف (طيّب الله مثواه) في أواخر حياته ، أن أسعى في إخراج الكتاب وطباعته طباعة جديدة تتناسب مع قيمته وموقعه ، فرحّب بالفكرة شاكراً ومشكوراً ، وأعطاني نسخة من الكتاب مذيّلة ببعض تصحيحاته وتعليقاته ، غير أنّ بعض الظروف والموانع قد حالت بيني وبين تحقيق تلك الفكرة ، حتّى انتقل سماحة السيّد إلى جوار ربّه .

وقبل أشهر معدودات حينماكانت تجمعني جلسة أخوية مع أحد الاخوة الأعزّاء من أرباب دور النشر سألني عمّا أرجِّحه من الكتب الشيعيّة المهمّة لتعاد طباعته ، فقفز إلى ذهني كتاب سماحة الحجّة المؤلّف (أحسن الجزاء) وأشرتُ عليه به ، كما تكفّلتُ له بمراجعته وتصحيحه ، فما أسرع أن فاجئني بتنضيد حروف الكتاب من جديد ، وطلب منّي أن أُنجز وعدي الذي وعدته به ، فبقي عندي الكتاب حبيساً حتّى سنحت الفرصة للاشتغال به ، فخصّصت جزءً من وقتي لتصحيح الكتاب

ومراجعته وإخراج بعض مصادره وتقويم عباراته ، خدمة لسيّد الشهداء الحسين عليه السلام ، وقضاءً لبعض حقوق الحجّة المؤلّف (طابت نفسه) .

وقد تلخّص دوري في إخراج الكتاب في الأُمور التالية :

١ ـ تقويمُ عبارات الكتاب وترقيمها .

٢ ـ مراجعة المصادر الأصليّة للنصوص التي أدرجها المؤلّف رحمه الله من أجل مطابقتها مع مصادرها الأُمّ ، والتأكّد من سلامتها .

٣ ـ استخراجُ مصادر النصوص والآراء المنثورة في طيّات الكتاب ، التي لم يستخرجها الحجّة المؤلّف رحمه الله من مصادرها ، وأمّا الموارد التي استخرج المؤلّف مصادرها فقد اكتفيت بإخراجاته وعوّلتُ عليها .

٤ ـ التعليقُ على بعض الموارد الغامضة في عبارات سماحة السيّد المؤلّف ، بما يكفي لإيضاح مراده ، وبيان مقصوده .

وإنّي لأسأل المولى (جلّ وعلا) ـ وأنا على عتبة الختام ـ أن يجعل ثوابَ ما بذلته من الجهد مع هذا الكتاب في ميزان حسنات سماحة العلّامة المؤلّف ، وأن يتغمّده بواسع مغفرته ، ويحشرنا وإيّاه في رياض جنّته ، مع نبيّه محمّد وعترته ، إنّه أرحم الراحمين ، وأسمع السامعين ، والحمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين ، واللعنة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين .

الموجودُ الذي يتمنّى أن يكون عبداً

لسيّد الشهداء الحسين عليه صلواتُ المصلّين

قم المشرّفة / حرم آل محمّد عليهم السلام

الجمعة ١٤٢٧/١١/٩هـ

مقدّمة المؤلّف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، الذي منّ علينا بالتمسّك بولاية إمام المتّقين ، وقائد الغرّ المحجّلين ، مولانا عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين ، وشرّفنا بمتابعة أولاده الأئمّة الأحد عشر المعصومين .

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، جدّنا محمّد المصطفى الأمين ، المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله الطيّبين الطاهرين ، واللعنة الدائمة على أعدائهم ومبغضيهم ، ومنكري إمامتهم ، والموالين لأعدائهم ، والمعادين لأوليائهم أجمعين ، من الآن إلى قيام يوم الدين .

أمّا بعد : فيقول العبد الفقير إلى الله الغني ، محمّد رضا الحسيني الأعرجي الفحّام (عفى عنه الملك العلّام) قد اختلج في فكري الفاتر ونظري القاصر ، منذ زمن غير بعيد ، أن أجمع جملة من الأخبار عن النبيّ وأهل بيته الأطهار (عليهم صلوات الملك الجبّار في آناء الليل وأطراف النهار) ، الواردة في فضل إقامة المواكب الحسينيّة ، وتشييد المحافل الشريفة ، وعقد المجالس المنيفة ، المتعلّقة بالعترة النبويّة ، والدوحة العلويّة ، وبيان ما يترتّب عليها من الفوائد السنيّة من نشر الأحكام وبيان مسائل الحلال والحرام ، وما يحصل منها من العوائد العليّة من إرشاد الأنام وإنقاذهم من

ظلمات الجهل والأوهام ، ولكن المشاكل كانت تصدّني عن ذلك ، والموانع تمنعني عمّا قصدت من بيانه هنا لك ، حتّى منّ الله علَيَّ في هـذه الأيّـام بـجمع مـا أردت بـيانه ، وتأليف ما قصدت إيراده .

فجاء هذا الكتاب الشريف ، والتـأليف المـنيف ، الذي يـرشد النـاظر إلى الديـن الحنيف ، مع ما نحن فيه من المحن والاضطراب من ناحية اندلاع نيران الحـرب فـي بلاد الإسلام ، بحيث قد عطّلت الدروس ، وقتلت النفوس ، وأُغلقت الأسواق ، والتفّت الساقّ بالساقّ ، وإليه تعالى نلجأ عمّا يحصل من هذا التلاق .

هذا والرجاء من إخواني ، ومعاشر خلّاني ، العلماء الأعـلام ، والفـضلاء الكـرام ، وأرباب النقض والإبرام ، أن ينظروا إليه بعين القبول ، فإنّه غـاية المـأمول ، كـما وأنّ الرجاء من جنابهم إن رأوا فيه غلطاً ظاهراً ، أو لحناً بائراً ، أن يعفوا عن ذلك ، ويصفحوا عمّا هنالك ، فإنّ الإنسان معرض الخطأ والنسيان ، وليس المعصوم إلّا من عصمه الله ، وأسأله تعالى أن ينفعني به يوم الجزاء ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم ، ونتضرّع إليه سبحانه أن لا يقطع عنّا فضله العميم ، ولا يسـلّط عـلينا الحـاسد اللئيم ، إنّه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير ، حسبنا الله ونِعم الوكيل ، نِعم المولى ونِعم النصير .

لا يخفى على كلّ قريب وبعيد ، ومن ألقى السمع وهو شهيد ، وفي الدارين سعيد ، أنّه قد تظافرت الأخبار ، بل تواترت ، عـن الأئـمّة الأطـهار (عـليهم صـلوات المـلك الجبّار ، في آناء الليل وأطراف النهار) ، في فضل إقامة العزاء ، وإظهار النوح والعويل والبكاء على سيّد شباب أهل الجنّة ، وخامس أصحاب الكساء ، أبي عبدالله الحسـين سيّد الشهداء ، وما في ذلك من الأجر الجزيل ، والثناء الجميل ، على مـن أقـام ذلك وسعى في تشييد ما هنالك ، حيث إنّ هذه المجالس والمحافل هي مـن جـملة تـلك الشعائر التي أمر الله عزّ وجلّ عباده بتعظيمها ، والحثّ على إقامتها ، وجعل ذلك مـن

جملة علائم أهل التقوى واليقين ، حيث قال عزّ من قائل : ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾(١) ، وهذا سرّ مكنون أظهره علّام الغيوب ، فهنيئاً لمن سعى في إقامتها ، وجدّ في تشييد دعائمها ، وصرف في ذلك ماله ، وسهر في إحيائها ليله ونهاره ، وأجهد في نشرها أفكاره .

حيث إنّ بقاء الشريعة ، ونشر الأحكام المحمّديّة ، وبثّ المعارف الإسلاميّة إنّما هي بواسطة هذه المنابر والمحافل التي تقام في أيّام السنة ، والمجالس التي يعقدونها لأجل مصيبة الحسين عليه‌السلام ، وبيان فضائله ، وتلاوة مصائبه ، وما ورد عليه من المحن ، وعلى أهل بيته .

ولعمري كم اهتدى ببركات هذه الرياض من كان منحرفاً عن طريق الهداية ، وسالكاً جادّة الضلالة والغواية ؟ وكم من واحد اعتنق الدين بعدما كان في جملة الكافرين ، وآمن وتبصّر بعدما كان من المخالفين ؟ كيف لا تكون كذلك وببركاتها يدفع البلاء ، وتمطر السماء ، وتنبت الأرض وتكون نظِرة خضراء ، ونسأل الله أن يديم هذه المجالس ، ويهلك أهل الوساوس .

هذا ، ولنقدّم أمام المقصود ـ بعون الملك المعبود ـ جملة من الآيات ، وثلّة من الروايات ، الواردة في وجوب التمسّك بالأئمّة الاثني عشر ، والأخذ بأقوالهم دون غيرهم ، ليكون الناظر على بصيرة من أمره ، لئلا تغويه الشياطين ، وأعداء الدين ، وأجلاف الأمويّين ، الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره ولو كره المشركون .

---

(١) الحجّ ٢٢ : ٣٢.

المطلب الأوّل

في بيان الآيات الدالّة على وجوب التمسّك بالأئمّة، والأخذ بقولهم دون غيرهم

الآية الأُولى: قوله تبارك وتعالى:

﴿قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[١]

لا يخفى أنّ هذه الآية الشريفة نصّ صريح في لزوم محبّة أهل البيت عليهم السلام، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وتدلّ دلالة واضحة على وجوب متابعتهم، والتديّن بولايتهم، والقول بعصمتهم، والاقتداء بسنّتهم (صلوات الله عليهم أجمعين).

وقد جاء في «**المحاسن**» للبرقي قدس سره عن الباقر عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية، فقال: «**هي والله فريضة من الله على العباد لمحمّد صلى الله عليه وآله في أهل بيته**»[٢].

وقال الفخر الرازي في تفسيره الكبير، المشتهر بـ«**مفاتيح الغيب**»، في المسألة الثالثة، في ذيل تفسير الآية المباركة ما هذا نصّه: «والحاصل: أنّ هذه الآية تدلّ

---

(١) الشورى ٤٢: ٢٣.

(٢) المحاسن: ١/١٤٤.

على وجوب حبّ آل الرسول صلّى الله عليه [وآله](١) وسلّم ، وحبّ أصحابه ، وهذا المنصب لا يسلم إلّا على قول أصحابنا أهل السنّة والجماعة ، فلاحظ »(٢).

أقول: اعترافه بوجوب حبّ آل الرسول صلى الله عليه وآله حقّ لنصّ الآية الشريفة ، وأمّا قوله : « وحبّ أصحابه » فممّا لم يثبت من الآية ، حيث إنّ هذه الآية من مختصّات أهل بيت الوحي والرسالة عليهم السلام ، وإن كنّا لا ننكر لزوم محبّة أصحابه صلى الله عليه وآله ، لكن لا بدلالة الآية كما لا يخفى .

وأمّا قوله : « وهذا المنصب ... الخ » فكلام عليل واهي ، خرج من قلب ساهي ، خلاف الأدلّة من الكتاب والسنّة والعقل ، حيث إنّ الكتاب نصّ على وجود منافقين وكاذبين ، بل كافرين ، فيهم ، كقوله تبارك وتعالى : ﴿**وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ**﴾(٣) ، وقوله تعالى : ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ**﴾(٤) ، وغير ذلك ممّا دلّ على ارتدادهم بعد النبيّ صلى الله عليه وآله إلّا عدّة قليلة ، وإنّما كانوا يبطنون الشرك ، ويظهرون الإسلام حقناً لدمائهم ، وصوناً لأنفسهم ، كما لا يخفى على من راجع التاريخ ، وسبر كتب السير والتراجم .

والعقل حاكم ـ على ضوء ذلك ـ بقبح مودّة المخالف والمنافق ، ومن لم يكن على منهاج رسول الله صلى الله عليه وآله .

إذن فوجوب محبّة جميع أصحابه عموماً ، ممّا لم يساعد عليه النقل والعقل ،

---

(١) لا يخفى أنّ كلمة « وآله » إذا ذكرناها بين معقوفتين عند النقل من كتب العامّة ، فهي زيادة منّا ، فلاحظ ـ منه عفي عنه .

(٢) مفاتيح الغيب : ٧/٤٠٥ ـ ٤٠٦ .

(٣) التوبة ٩ : ١٠١ .

(٤) آل عمران ٣ : ١٤٤ .

فضلاً عن دلالة الآية على ذلك[١].

هذا ، وروى سيّدنا العلاّمة الربّاني ، السيّد هاشم البحراني قدس سره في تفسيره «**البرهان**» ، في تفسير الآية ، بسنده عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : ﴿**قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ**﴾ ، قال : « **هم الأئمة** عليهم السلام » .

وفيه أيضاً : بسنده عن عبدالخالق ، قال : « سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول لأبي جعفر الأحو[٢] وأنا أسمع ، فقال : **أتيت البصرة ؟**

قال : نعم .

فقال : **كيف رأيت مسارعة الناس إلى هذا الأمر ودخولهم فيه ؟**

فقال : والله إنّهم لقليل قد فعلوا ، وأنّ ذلك لقليل .

فقال : **عليك بالأحداث فإنّهم أسرع إلى كلّ خير** .

ثمّ قال : **وما يقول أهل البصرة في هذه الآية** : ﴿**قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ**﴾ ؟

قلت : جعلت فداك ، إنّهم يقولون : لأقارب رسول الله صلى الله عليه وآله .

فقال : **كذبوا ، إنّما أُنزلت فينا خاصّة في أهل البيت : في عليّ وفاطمة والحسن والحسين أصحاب الكساء** عليهم السلام »[٣] .

---

(١) وقد تعرّضنا لهذا الموضوع في كتابنا (إرشاد العقول في وجوب إكرام ذرّيّة الرسول صلى الله عليه وآله) مفصّلاً بما لا مزيد عليه ، فراجع ـ منه عفي عنه .

(٢) هكذا في النسخة المطبوعة ، والصحيح الأحول ، وقد سقطت اللام من مرتّب الحروف ، وقد نقلناه كما في المتن ، كما هو دأبنا في سائر مؤلّفاتنا ، فكن على بصيرة من الأمر ـ منه عفى الله عنه .

(٣) تفسير البرهان / السيّد هاشم البحراني : ١٢١/٤ .

وفيه أيضاً: بسنده عن إسحاق بن محمّد بن جعفر، قال: حدّثني عمّي عليّ بن جعفر، عن الحسين بن زيد، عن الحسن بن زيد، عن أبيه، عن جدّه عليهما السلام، قال: «**خطبة (كذا) الحسن بن عليّ بن أبي طالب حين قُتل عليّ عليه السلام ثمّ قال: وأنا من أهل بيت مَن افترض الله مودّتهم على كلّ مسلم حيث يقول: ﴿قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً﴾، واقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت**»[١].

أقول: وقد روى هذه الخطبة المباركة لعمّنا الإمام الحسن (عليه أفضل الصلاة والسلام) جماعة من أبناء العامّة، منهم الحاكم النيسابوري، والمحبّ الطبري، وغيرهما[٢].

وفي «**الصواعق المحرقة**»: قال: «وأخرج الدولابي أنّ الحسن كرّم الله وجهه قال في خطبة: **أنا من أهل البيت الذين افترض الله مودّتهم على كلّ مسلم، فقال لنبيّنا صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: ﴿قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً﴾، واقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت**».

وأورد المحبّ الطبري إنّه صلّى الله عليه [وآله] وسلّم قال: «**إنّ الله جعل أجري عليكم المودّة في أهل بيتي، وإنّي سائلكم غداً عنهم**» فراجع ولاحظ[٣].

وفي «**تفسير البرهان**» أيضاً: بسنده عن عبدالملك بن عمير، عن الحسين بن عليّ (صلوات الله عليهما) في قوله عزّ وجلّ: **﴿قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾**، قال: «**أمّا القرابة التي أمر الله بصلتها، وعظّم من حقّها، وجعل الخير**

---

(١) تفسير البرهان / السيّد هاشم البحراني: ١٢٤/٤.

(٢) مستدرك الصحيحين / الحاكم النيسابوري: ١٧٢/٣. ذخائر العقبى /المحبّ الطبري: ١٣٨.

(٣) الصواعق المحرقة / ابن حجر: ١٣٦.

فيها ، قرابتنا أهل البيت ، الذي أوجب الله حقّاً على كلّ مسلم »(١) .

وفيه أيضاً بسنده عن عبدالله بن عجلان ، قال : « سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله : ﴿**قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ**﴾ .

قال : **هم الأئمّة الذين لا يأكلون الصدقة ، ولا تحلّ لهم** »(٢) .

قال شيخنا الإمام العلّامة الطبرسي رحمه الله في « **مجمع البيان** » حول تفسير الآية ما هذا نصّه : « اختلف في معناه على أقوال ـ إلى أن قال رحمه الله ـ : ثالثها : أنّ معناه إلّا أن تؤذوا قرابتي وعترتي ، وتحفظوني فيهم »(٣) .

وعن عليّ بن الحسين عليهما السلام ، وسعيد بن جبير ، وعمرو بن شعيب ، وجماعة ، وهو المرويّ عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام ، وأخبرنا السيّد أبو محمّد مهدي بن نزار الحسيني ، قال : أخبرنا الحاكم أبو القاسم الحسكاني ، قال : حدّثني القاضي أبو بكر الحميري ، قال : أخبرنا أبو العبّاس الضبعي ، قال : أخبرنا الحسن بن عليّ بن زياد السري ، قال : أخبرنا يحيى بن عبدالحميد الحماني ، قال : حدّثنا حسين الأشتر ، قال : أخبرنا قيس ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عبّاس ، قال : « لمّا نزلت ﴿**قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً**﴾ الآية قالوا : يا رسول الله صلى الله عليه وآله من هؤلاء الذين أمرنا الله بمودّتهم ؟

قال : **عليّ وفاطمة وولدهما** »(٤) ، فلاحظ .

أقول : ورواه الحسكاني في « **شواهد التنزيل** »(٥)، وأبو نعيم الأصفهاني

---

(١) بحار الأنوار : ٢٣/٢٥١ .

(٢) بحار الأنوار : ٢٣/٢٤٠ .

(٣) مجمع البيان : ٩/٤٨ .

(٤) مجمع البيان : ٢/٣٢٧ .

(٥) طبع هذا الكتاب بجزئيّه في مجلّد واحد ، بتحقيق الأُستاذ الجليل ، الفاضل النبيل ، ⇦

في « **حلية الأولياء** » ، والكنجي الشافعي في « **كفاية الطالب** » ، والزمخشري في « **الكشّاف** » .

وروي : « أنّها لمّا نزلت قيل : يا رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم ؟

قال : **عليّ وفاطمة وابناهما** »(١) .

وقال الفخر الرازي في تفسيره ـ بعد ذكر رواية الزمخشري في **الكشّاف** ـ ما هذا نصّه : « فثبت أنّ هؤلاء الأربعة (أي عليّ وفاطمة وابناهما) أقارب النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ، وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم ، ويدلّ عليه وجوه :

الأوّل: قوله تعالى : ﴿ **إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ** ﴾ ، ووجه الاستدلال به ما سبق .

الثاني: لا شكّ أنّ النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم كان يحبّ فاطمة عليها‌السلام . قال صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « **فاطمة بضعة منّي ، يؤذيني ما يؤذيها** » ، وثبت بالنقل المتواتر عن محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله أنّه كان يحبّ عليّاً والحسن والحسين ، وإذا ثبت ذلك وجب على كلّ الأُمّة مثله ؛ لقوله : ﴿ **وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾(٢) .

⇦ الساعي بكلّ جدّه وجهده في نشر فضائل الأئمّة الطاهرين ، فضيلة الثقة المعتمد ، الشيخ باقر المحمودي دامت بركاته ، وعمّت إفادته ، ولعمري لقد خدم الأُمّة الإسلاميّة بانتاج وإصدار جملة من كتب فضائل أمير المؤمنين وأولاده الطاهرين ، مضافاً إلى جملة من تأليفاته الثمينة ، كنهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة ، وقد أهدى سماحته أجزاءه المطبوعة إلى خزانة كتبنا جزاه الله عن العلم وأهله خير جزاء المحسنين ، وحشره وإيّانا مع الأئمّة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين ، آمين ربّ العالمين ـ منه عفي عنه .

(١) شواهد التنزيل : ٢/١٣٠ . حلية الأولياء : ٢٠١ . كفاية الطالب : ٣١ . الكشّاف : ٢/٣٣٩ .

(٢) الأعراف ٧ : ١٥٨ .

ولقوله تعالى : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾[١].

ولقوله : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[٢].

ولقوله : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٣].

الثالث : إنّ الدعاء للآل منصب عظيم ، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهّد في الصلاة ، وهو قوله : « اللّهمّ صلِّ على محمّد وعلى آل محمّد ، وارحم محمّداً وآل محمّد » ، وهذا التعظيم لم يوجد في حقّ غير الآل ، فكلّ ذلك يدلّ على أنّ حبّ آل محمّد واجب ، وقال الشافعي رضي الله عنه :

يا راكباً قف بالمحصّب من منى — واهتف بساكن خيفها والناهض

سحراً إذا فاضَ الحجيج إلى منى — فيضاً كملتطم الفرات الفائض

إنْ كان رفضاً حبّ آل محمّد — فليشهد الثقلان أنّي رافضي[٤]

وبالإجمال : نزول الآية في حقّهم ممّا لا يعتريه ريب ولا إشكال ، كما لا يخفى على ذوي العقول ، وأرباب الكمال ، وإن شئت زيادة الاطّلاع راجع « **الدرّ المنثور** » للسيوطي[٥] ، و « **مجمع الزوائد** »[٦] وغيرهم في غيرها .

إذا عرفت هذا ، وثبت فرض محبّتهم على جميع الأُمّة ، فاعلم أنّه لا يجوز

---

(١) النور ٢٤ : ٦٣.

(٢) آل عمران ٣ : ٣١.

(٣) الأحزاب ٣٣ : ٢١.

(٤) تفسير الفخر الرازي : ٤٠٦/٧.

(٥) الدرّ المنثور : ٥/٦.

(٦) مجمع الزوائد / الهيثمي : ١٥٣/٧.

التخلّف عنهم، والتمسّك بغيرهم، لأنّه لمّا أوجب الله محبّتهم على جميع عباده، علّمنا أنّهم أفضل الخلق إليه، وأقربهم منزلة لديه، وإنّ الله لا يحبّ أحداً، ولا يأمر أحداً إلّا من كان أشدّهم طاعة له، وانقياداً لأمره سبحانه وتعالى، ومن يكون هذا حاله يجب على سائر الناس متابعته، والانقياد إلى أوامره ونواهيه، ولا يجوز لأحدٍ التقدّم عليه، ولا التخلّف عنه؛ لأنّه تخلّف عن أمر الله تبارك وتعالى، ومن فعل ذلك فقد ظلم رسول الله صلى الله عليه وآله في أجره، ومن ظلم رسول الله صلى الله عليه وآله فعليه لعائن الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يمكن الوفاء لأجر الرسالة إلّا بالتمسّك بهم، والبراءة من أعدائهم، ومن ظلمهم حقّهم، لعدم تحقّق الحبّ والمحبّة المأمور بها إلّا بذلك، وإلّا كان كاذباً في دعواه؛ لأنّ حبّهم وحبّ عدوّهم لا يمكن جمعه، وإنّه من قبيل الجمع بين الضدّين، وكذلك ادّعاء محبّتهم مع عدم الأخذ بقولهم؛ إذ شرط المحبّة إطاعة المحبوب.

إن قلت: إنّ المراد من القربى جميع آله، ومعلوم أنّ في آله من ارتكب المعاصي والكبائر، فكيف يجب حبّهم ومتابعتهم؟

قلت: أوّلاً: قد عرفت النصوص في هذا الخصوص، وأنّ المراد منهم الأئمّة عليهم السلام، وما في بعضها إنّه عليّ وفاطمة والحسنان (عليهم أفضل الصلاة والسلام).

وثانياً: إنّ «القربى» مفرد محلّى باللام، وهو لا يدلّ على العموم لغة.

وثالثاً: إنّ من ارتكب المعاصي من شرب الخمور، وقتل النفوس المحترمة، وارتكاب الموبقات من الأعمال، كيف يأمر الله والرسول صلى الله عليه وآله بحبّه؟ مثل بني العبّاس الذين قتلوا أبناء الرسول صلى الله عليه وآله، فإنّه يأباه العقل.

فثبت أنّ المراد من الأدلّة هم الأئمّة الإثنا عشر (عليهم أفضل الصلاة والسلام) دون غيرهم، وإذا ثبت ذلك فقد ثبتت عصمتهم، وإمامتهم، وخلافتهم بالقطع واليقين، لدعواهم الإمامة والخلافة بلا شكّ في ذلك، كما لا يخفى.

الآية الثانية: قوله تعالى :

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾(١)

هذه الآية نزلت في حقّ الخمسة الطاهرة أصحاب الكساء : محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين ، بإجماع الفريقين من أهل التفسير والحديث .

قال النيشابوري في تفسيره المسمّى بـ « **غرائب القرآن** » ما هذا نصّه : « وهذه الرواية (أي : رواية نزول الآية في حقّ الخمسة الطيّبين) كالمتّفق على صحّتها بين أهل التفسير والحديث »(٢) ، انتهى .

وقال في ذيل تفسير الآية ما هذا نصّه : « وقد مرّ في آية المباهلة أنّهم أهل العباء ، (النبيّ) لأنّه الأصل ، وفاطمة والحسن والحسين بالاتّفاق ، والصحيح إنّ عليّاً عليه السلام منهم لمعاشرته بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وملازمته إيّاه ، فلاحظ(٣) .

وفي « **الكشّاف** » للزمخشري في ذيل آية المباهلة ما هذا نصّه : « وعن عائشة : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج وعليه مرط مرجل(٤) من شعر أسود ، فجاء الحسن فأدخله ، ثمّ جاء الحسين فأدخله ، ثمّ فاطمة ، ثمّ عليّ ، ثمّ قال : **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾** »(٥) ، انتهى .

---

(١) الأحزاب ٣٣: ٣٣.

(٢) غرائب القرآن : ٢١٣/٣.

(٣) غرائب القرآن : ١٠/٢٢.

(٤) **المرط** : الكساء ، والمرحل ـ بالحاء ـ : المنقوش عليه صور الرحال ، وبالجيم : المنقوش على صور الرجال .

(٥) الكشّاف : ١٤٩/١.

ورواه الكنجي الشافعي في «**كفاية الطالب**»[(١)].

وقال الخازن البغدادي في تفسيره المسمّى بـ«**لباب التأويل**» حول تفسير الآية ما نصّه: «وذهب أبو سعيد الخدري وجماعة من التابعين، فمنهم مجاهد وقتادة وغيرهم، أنّهم عليّ وفاطمة والحسن والحسين (رضي الله عنهم)، يدلّ على ما روي عن عائشة أُمّ المؤمنين، قالت: خرج النبيّ صلى الله عليه وآله ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود، فجلس فأتت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء عليّ فأدخله فيه، ثمّ جاء الحسن فأدخله فيه، ثمّ جاء الحسين فأدخله فيه، ثمّ قال: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾»[(٢)].

وعن أُمّ سلمة قالت: «هذه الآية نزلت في بيتها ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾، قالت: وأنا جالسة عند الباب، فقلت: يا رسول الله، ألستُ من أهل البيت؟ فقال: **إنّك على خير، أنت من أزواج النبيّ** صلى الله عليه وآله.

وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة وحسن وحسين، فجلّلهم بكساء، وقال: حديث صحيح غريب، عن أنس بن مالك: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يمرّ باب فاطمة ستّة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر، يقول: **الصلاة يا أهل البيت**، ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾»، أخرجه الترمذي وقال: «حديث غريب»[(٣)]، انتهى، فلاحظ.

أقول: أخرج مسلم ذلك في «**صحيحه**»[(٤)]، والترمذي في «**صحيحه**»[(٥)].

---

(١) كفاية الطالب: ١٣.

(٢) لباب التأويل / الخازن البغدادي: ٤٨١/٣.

(٣) نقل ذلك عنه في ذخائر العقبى: ٢١.

(٤) صحيح مسلم: ٣٣١/٢.

(٥) صحيح الترمذي: ٣٠٨/٢.

وأخرج ذلك أيضاً الطحاوي في «**مشكل الآثار**»[١]، وفي «**الصواعق المحرقة**» لابن حجر[٢] بعد ذكر الآية ما هذا نصّه : «أكثر المفسّرين على إنّها نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين ، لتذكير ضمير ﴿**عَنكُمُ**﴾، وما بعده ، فلاحظ[٣].

وممّن صرّح بنزول الآية في حقّهم (صلوات الله عليهم ، وعلى من يحبّهم ويتولّاهم ، ويتبرّم من أعدائهم) : الكنجي الشافعي في «**كفاية الطالب**»[٤]: بسنده عن عمر بن أبي سلمة ، ربيب النبيّ صلى الله عليه وآله ، قال : «نزلت هذه الآية على النبيّ صلى الله عليه وآله ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ في بيت أُمّ سلمة .

فدعا النبيّ صلى الله عليه وآله فاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام ، وجلّلهم بكساء وعليّ عليه السلام خلف ظهره ، ثمّ قال : **اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً** .

قالت أُمّ سلمة : وأنا معهم يا نبيّ الله ؟

فقال : **أنت على مكانك ، وأنت على خير** » .

قلت : هكذا أخرجه الترمذي في «**جامعه**»[٥]، والطبراني في «**معجمه الأكبر**»[٦] عن عبدالله بن أحمد » ، انتهى .

وممّن صرّح بذلك أيضاً السيوطي في «**الدرّ المنثور**»[٧]، والمحبّ الطبري في

---

(١) مشكل الآثار : ٣٣٢ ـ ٣٣٧.

(٢) الصواعق المحرقة : ٨٥.

(٣) الصواعق المحرقة : ١٤٣.

(٤) كفاية الطالب : ٢٢٧.

(٥) صحيح الترمذي : ٢٠٩/٢.

(٦) المعجم الكبير : ٣٣٢/٢٣.

(٧) الدرّ المنثور : ١٩٩/٥.

«**الرياض النضرة**»[١]، والنبهاني في «**الشرف المؤبّد**»[٢]، وغيرهم في غيرها.

يقول مؤلّف هذا الكتاب، محمّد رضا الحسيني الأعرجي الفحّام، (حشره الله مع محمّد وآله الأطياب في دار السلام): ويستفاد من هذه الآية المباركة عدّة مطالب مهمّة:

الأوّل: أنّ هذه الآية الشريفة نزلت في حقّهم بإجماع المفسّرين وأهل الحديث، كما عرفت في كلام النيشابوري، وهو من علماء العامّة، وسيأتي ما يدلّ عليه في تفسير آية المباهلة، فراجعه.

الثاني: أنّها من مختصّاتهم (صلوات الله عليهم)، من غير مشاركة أحد معهم من أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله، كما عرفت في كلام ابن حجر في «**الصواعق المحرقة**»[٣] لجمع النبيّ صلى الله عليه وآله لهم تحت الكساء، والإشارة إليهم بقوله صلى الله عليه وآله: «**اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي**»، كما مرّ عليك، فلا تغفل.

قال الطحاوي في «**مشكل الآثار**» ما هذا نصّه: «فإن قال قائل: فإنّ كتاب الله تعالى يدلّ على أنّ أزواج النبيّ هم المقصودون بتلك الآية، لأنّه قال قبلها في السورة التي هي فيها: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**﴾[٤] إلى قوله: ﴿**الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ**﴾[٥]، فكان ذلك كلّه يؤذن به لأنّه على خطاب النساء لا على خطاب الرجال، ثمّ قال: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ**﴾ الآية.

فكان جوابنا له: إذ الذي تلاه إلى آخر ما قيل قوله: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ**﴾ الآية،

---

(١) الرياض النضرة: ١٨٨/٢.

(٢) الشرف المؤبّد: ١٠.

(٣) الصواعق المحرقة: ٨٥.

(٤) الأحزاب ٣٣: ٢٨.

(٥) الأحزاب ٣٣: ٣٣.

خطاب لأزواجه ، ثمّ أعقب ذلك بخطابه لأهله بقوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ** ﴾ الآية ، فجاء به على خطاب الرجال ، لأنّه قال : ﴿ **لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ** ﴾ ، وهكذا خطاب الرجال ، وما قبله فجاء به بالنون ، وكذلك خطاب النساء ، فعقلنا أنّ قوله : ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ** ﴾ الآية ، خطاب لمن أراده من الرجال بذلك ليعلمهم تشريفه لهم ، ورفعة لمقدارهم أن جعل نساءهم ممّن قد وصفه لما وصفه به ممّا في الآيات المتلوّة قبل الذي خاطبهم به تعالى .

وممّا يدلّ على ذلك أيضاً ما قد حدّثنا ابن مرزوق ، حدّثنا ابن عبادة ، حدّثنا حمّاد بن سلمة ، عن عليّ بن زيد ، عن أنس : « إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول : **الصلاة يا أهل البيت** ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ** ﴾ الآية » .

وما قد حدّثنا ابن مرزوق ، حدّثنا أبو عاصم النبيل ، عن عبادة ، قال أبو جعفر ـ وهو ابن مسلم الفزاري ، من أهل الكوفة ، قد روى عنه أبو نعيم ـ حدّثني أبو داود ، قال أبوجعفر ـ وهو نفيع بن الحارث الهمداني الأعمى ، من أهل الكوفة أيضاً ـ : حدّثني أبو الحمراء ، قال : صحبت رسول الله صلى الله عليه وآله تسعة أشهر ، كان إذا أصبح أتى باب فاطمة فقال : **السلام عليكم يا أهل البيت** ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ** ﴾ الآية ، في هذا أيضاً دليل على أنّ هذه الآية فيهم ، وبالله التوفيق »[(١)] انتهى .

الثالث: إنّ المراد من أهل بيته صلى الله عليه وآله في الآية عليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة من ذرّيّة الحسين عليهم السلام .

قال أبو البقاء في «**كلّيّاته**» : « وأهل بيت النبيّ : فاطمة وعليّ والحسن والحسين رضوان الله عليهم أجمعين ؛ لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لفَّ عليهم كساءً وقال : **هؤلاء أهل بيتي** »[(٢)] ، انتهى .

---

(١) مشكل الآثار : ٣٣٧/١.

(٢) كلّيات أبي البقاء : ٦٢.

وقال الكنجي الشافعي في **كفاية الطالب**: « بل الصحيح أنّ أهل البيت: عليّ وفاطمة والحسنان عليهم السلام، كما رواه مسلم... الخ، فراجع[١].

وقال **مسلم في صحيحه** في باب فضائل عليّ عليه السلام: « وقوله صلى الله عليه وآله: **أُذَكِّركم الله في أهل بيتي**، فقال له حصين: (أي قال لزيد بن أرقم): ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟

قال: نساؤه من أهل بيته، ولكنّ أهل بيته مَن حرم الصدقة بعده »[٢] انتهى.

وقال في موضع آخر: « وفيه فقلنا (أي لزيد): من أهل بيته، نساؤه؟

قال: لا وأيم الله، إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثمّ يطلّقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده »[٣]، انتهى.

هذا وروى شيخنا الصدوق (أعلى الله مقامه) في « **معاني الأخبار** »، بسنده عن محمّد بن سليمان الديلمي، قال: « قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك، من الآل؟

قال: ذرّيّة محمّد صلى الله عليه وآله.

قال: فقلت: ومَن الأهل؟

قال: **الأئمّة** »[٤].

وفيه أيضاً: بسنده عن أبي بصير، قال: « قلت لأبي عبدالله عليه السلام: من آل محمّد صلى الله عليه وآله؟

قال: **ذرّيّته**.

فقلت: أهل بيته؟

قال: **الأئمّة الأوصياء**.

---

(١) كفاية الطالب: ١٣.

(٢) صحيح مسلم: ٢/٣٢٥.

(٣) و (٤) معاني الأخبار: ٩٤.

فقلت : مَن عترته ؟

قال : **أصحاب العباء .**

فقلت : اُمّته ؟

قال : **المؤمنون الذين صدقوا بما جاء به من عند الله عزّ وجلّ ، المتمسّكون بالثقلين ، الذين اُمروا بالتمسّك بهما : كتاب الله عزّ وجلّ ، وعترته أهل بيته ، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً ، أو هما الخليفتان على الاُمّة من بعده** صلى الله عليه وآله »[١].

ومفهوم قوله عليه السلام صريح في أنّ مَن لم يتمسّك بالعترة لم يصدقه في جميع ما جاء به ، ومَن لم يصدقه صلى الله عليه وآله في جميع ما جاء به فليس من اُمّته ، كما لا يخفى .

إن قلت : إنّ الأهل في اللغة عموم الذرّيّة إلى يوم القيامة .

قلت : بعد تفسير الإمام عليه السلام لا وقع لكلام أحد في المقام ، مع أنّ القرائن في المقام تدلّ على عدم إرادة العموم في ذلك ، كما لا يخفى على من أمعن النظر .

الرابع : إنّها تدلّ على طهارتهم وعصمتهم من جميع المعاصي ، صغيرة وكبيرة ، وأنّهم لا يعملون بالمباح ، فضلاً عن المكروهات ، كما لا يخفى ، حيث إنّ « الرجس » في اللغة ـ بالكسر ـ : القذر ، ويحرّك وتفتح الراء ، وتكسر الجيم ، والمأثم ، وكلّ ما استُقذر من العمل ، والعمل المؤدّي إلى العذاب ، أو الشكّ والعقاب ، كما في « **القاموس** » للفيروزآبادي[٢] .

وفي « **الصحاح** » للجوهري : « الرجس القذر » .

وقال الفرّاء في قوله تعالى : ﴿**كَذٰلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[٣]

---

(١) معاني الأخبار : ٩٤.

(٢) القاموس المحيط : ٢/٣١٨.

(٣) الأنعام ٦: ١٢٥.

والغضب »[١]، فراجع.

وقال شيخنا الطريحي في «**مجمع البحرين**» في لفظ «رجس»: «قوله تعالى: ﴿**كَذٰلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ أي اللعنة في الدنيا، والعذاب في الآخرة. قوله: ﴿**فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَىٰ رِجْسِهِمْ**﴾[٢]، أي نتناً إلى نتنهم، والنتن عبارة عن الكفر، أي كفراً إلى كفرهم، وقيل: فزادتهم عذاباً إلى عذابهم بما عدد من كفرهم، والرجس والرجز واحد، وهو العذاب، إلى أن قال رحمه الله:

«قيل: الرجس ـ بالكسر ـ: القذر، وقيل: العقاب والغضب، كما نقله الفرّاء في قوله تعالى: ﴿**كَذٰلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾. قوله: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ**﴾، أي الأعمال القبيحة، والمأثم، والرجس لطخ الشيطان ووسوسته، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ**﴾[٣]»[٤]، فلاحظ.

وقال أبو البقاء في **كلّيّاته**: «الرجس: الشرّ، والمستقذر أيضاً، والركس: العذرة، والنتن، والرجس والنجس متقاربان، والرجس أكثر ما يقال في المستقذر طبعاً، والنجس أكثر ما يقال في المستقذر عقلاً وشرعاً»[٥]، انتهى.

وعلى أي التقادير، سواء كان بمعنى العقاب والغضب، أو الشرّ، أو ما هو مستقذر، أو ما هو لطخ الشيطان ووسوسته، وغير ذلك من المعاني من اشتباه الأمر واختلاطه عليهم، كما يقال: والناس في مرجوسة، أي في اختلاط قد ارتجس عليهم أمرهم، فالآية تدلّ دلالة ظاهرة جليّة على أنّ الله طهّرهم عن كلّ ذلك وأزاله

---

(١) مختار الصحاح: ١٢٩.

(٢) التوبة ٩: ١٢٥.

(٣) الأنفال ٨: ١١.

(٤) مجمع البحرين: ٢/١٤٨.

(٥) كلّيّات أبي البقاء: ١٨٢.

عنهم ، وأنّه لم يغضب عليهم ولم يعذّبهم ، وليس للشيطان إليهم سبيل ، ولا يتمكّن من وسوستهم وإغوائهم ، فإذا ثبت كلّ ذلك ثبتت عصمتهم وطهارتهم ، وأنّهم لم يرتكبوا أي ذنب أو قبيح ، ولم يدّعوا باطلاً ، ولم يشتبه عليهم الأمر ، وإذا ثبت كلّ ذلك أيضاً فقد وجب على الأُمّة جميعاً متابعتهم ، والأخذ لهم والاقتداء بهم دون غيرهم ، لأنّهم (صلوات الله عليهم) قد ادّعوا الإمامة والخلافة ، وأنّهم أحقّ بها من غيرهم ، فالواجب علينا جميعاً قبول قولهم لعصمتهم دون غيرهم ، وإنّ أبا بكر صرّح بأنّ الشيطان مسلّطٌ عليه ، ويغويه ، ويعدل به عن طريق الحقّ ، كما هو عمل الشيطان .

ففي «**الصواعق المحرقة**» لابن حجر قال أبو بكر : ألا وإنّما أنا بشر ، ولست بخير من أحدكم فراعوني ، فإذا رأيتموني استقمت فاتّبعوني ، وإذا رأيتموني زغت فقوّموني ، واعلموا أنّ لي شيطاناً يعتريني »[١] ، فراجع

مع أنّ الشيطان لعنه الله لا يتسلّط على عباد الله الأخيار ، والمؤمنين الأبرار ، وليس سلطانه إلّا على من اتّبعه كقوله تعالى : ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ**﴾ الآية[٢] ، وقوله تعالى : ﴿**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ**﴾[٣] ، ومفهوم الآية سلطانه على الذين لا يؤمنون بالله وبرسوله ، كما أوضح الله سبحانه ذلك بقوله : ﴿**أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا**﴾[٤] ، فلاحظ جيّداً .

هذا ، وكلمة ﴿**إِنَّمَا**﴾ تفيد الحصر ، وأنّها من أدوات الحصر بالضرورة ، وإجماع

---

(١) الصواعق المحرقة : ٢٥ .

(٢) الحجر ١٥ : ٤٢ .

(٣) النحل ١٦ : ٩٩ و ١٠٠ .

(٤) مريم ١٩ : ٨٣ .

أهل العربيّة، كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى، وتكون محقّقة لما أُثبت بعدها، ونافية لما لم يثبت، فإنّ قولك: إنّما عندي درهم، وإنّما زيد في الدار، يفيد الحصر، ويقتضي أنّه ليس عنده سوى درهم، وليس في الدار سوى زيد، كما أفاده مولانا المحقّق الطبرسي رحمه الله في **مجمع البيان**[1].

إذا عرفت كلّ هذا، فاعلم أنّ الإرادة على قسمين: إرادة تشريعيّة وإرادة تكوينيّة، فإنّه تعالى إذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون، أمّا الإرادة الأُولى فلا يمكن إرادتها من الآية والمصير إليها؛ لأنّ الله تبارك وتعالى أراد ذلك من كلّ مكلّف أن يأتي بما أمره ونهى عنه، فلا وجه للاختصاص بأهل البيت عليهم السلام، مع إنّهم لا فرق بينهم عليهم السلام وبين سائر المكلّفين من هذه الجهة؛ لأنّ الآية في مقام المدح والتعظيم، فلا بدّ من إرادة القسم الثاني من الإرادة ـ وهو الإرادة التكوينيّة ـ والإرادة التكوينيّة هي التي لا يمكن تخلّفها عن المراد[2] بخلاف الأُولى، وبه تثبت عصمتهم وطهارتهم، ويجب على سائر الناس متابعتهم والأخذ بقولهم.

وممّا ينبغي التنبيه عليه أيضاً: أنّ إذهاب الرجس على قسمين أيضاً: تارة يكون على نحو الرفع بعد اتّصاف المحلّ بالقذارة وثبوتها، مثل: قذارة الإناء، فيكون إذهابه بمعنى رفعه، كتطهير المحلّ بعد عروض النجاسة عليه، أو تطهير الإنسان

---

(١) مجمع البيان: ٨/١٥٧.

(٢) قال شيخنا الفقيه الحجّة آية الله الحاج الشيخ مرتضى الحائري دام ظلّه العالي: «والدليل الواضح على ظهور الجملة الشريفة في الإرادة التكوينيّة أو صراحتها في ذلك تعلّق الإرادة بفعله تعالى ﴿**لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾، ولا يخفى ما في قوله تعالى: ﴿**تَطْهِيراً**﴾ من الإشارة إلى عظمة الطهارة التي هي مورد إرادته تعالى».

أقول: قوله دام ظلّه: «ولا يخفى...» فيه إشارة إلى أنّ الإتيان بكلمة ﴿**تَطْهِيراً**﴾ نكرة، يدلّ على عظيم المنزلة في عالم الثبوت، ولجلالة مقامها يعجز العقل عن بيان وصفها.

نفسه بالتوبة بعد اتّصافه بالذنوب والنجاسة المعنويّة .

وتارة يكون على نحو الدفع بعد قابليّة المحلّ لعروض النجاسة عليه ، كماء البحر مثلاً ، فإنّه بنفسه قابل لعروض النجاسة عليه ، ولكن بسبب القوّة الموجودة فيه يكون مانعاً عن عروضها ، أو مثل ما يوجد في الإنسان من قوّة ربّانيّة وملكة قدسيّة نورانيّة تكون مانعة عن اتّصاف النفس بالذنب ، وهو يكون بسبب خارج عن ذاته ، والمراد من الإذهاب في الآية هو هذا المعنى ، نظير قول القائل للحفّار : « ضيّق فم الركية » ، أي اجعله ضيّقاً ، لا أن تحدث فيه الضيق بعد السعة ، وهو شائع بين أهل اللسان والعرف .

كما إنّه ليس المراد من إذهاب الرجس والعصمة حال نزول الآية ، لتوهّم التعبير بصيغة المضارع الذي هو موضوع للحال أو الاستقبال ، بل هو معصومون قبل ولادتهم عليهم السلام ؛ وذلك لسبق تأليف الكلام على نفس التنزيل .

قال العلّامة المحقّق المعاصر ، السيّد عليّ البهبهاني قدس سره في « **مصباح الهداية** » ، ما نصّه : « فلو دلّ الكلام على الحال ، فإنّما يدلّ على حال التأليف لا حال التنزيل ، والتأليفُ سابق على ولادتهم عليهم السلام كما يظهر من الأخبار ، مع أنّ دلالة المضارع على الحال في مثل المقام ممنوعة »(١) .

أقول : والتعبير بالمضارع دون غيره للدلالة على استمرار هذا الوصف دائماً ، مع أنّ التحقيق عدم دلالة الفعل على الزمان ـ كما هو المشتهر بين النحاة ـ حتّى أخذوا في تعريفه الاقتران به في أحد الأزمنة الثلاثة ، وقالوا : الفعل هو ما دلّ على معنى في نفسه مقترناً بأحد الأزمنة الثلاثة لعدم دلالة المادة ولا الهيئة عليه ؛ ضرورة أنّ المادة لا تدلّ على شيء سوى نفس الطبيعة المهملة ، والهيئة مفادها نسبة المادّة إلى

---

(١) مصباح الهداية : ١٣٧ .

الذات، ولزوم التجريد والمجاز فيما إذا نسب إلى نفس الزمان أو المجرّدات، مع إنّه على نحو واحد حقيقة من دون تجوز أصلاً، بل الحقّ هو ما أفاده مولانا أمير المؤمنين (عليه أفضل الصلاة والسلام)، كما في الحديث المشهور: «**إنّ الفعل هو ما أنبأ عن حركة المسمّى**»[١].

والاختلاف إنّما هو لاختلاف أنحاء التلبّسات، فالماضي وضع للدلالة على تحقّق المبدء وتلبّس الذات به سابقاً، وإرادة التلبّس قبل زمان البيان به، والمضارع وضع للدلالة على تحقيق المبدء وتلبّس الذات به في حال البيان، من دون دلالة لهما بالوضع على الزمان.

وخلاصة الكلام: المراد من مضى في الماضي، أو يريد في الحال أو الاستقبال الإخبار والدلالة على أنّ قصد المتكلّم تحقّق المبدء وتلبّس الذات به في الماضي، والتحقيق في المضارع أو الاستقبال، من دون دلالتهما على الزمان، وإنّه لم يكن جزءاً لمدلول الفعل، بل يدلّ التزاماً فيما إذا أُسند إلى الزمانيّات، وهو غير مستند إلى الوضع، بل إلى خصوصيّة الإسناد إلى الزمان، كما لا يخفى.

---

(١) بحار الأنوار: ١٦٢/٤٠.

الآية الثالثة: قوله تبارك وتعالى :

﴿**إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾(١)

روى الحاكم الحسكاني في «**شواهد التنزيل**»، بسنده عن الأعمش، عن شقيق، قال: «قرأت في مصحف عبدالله ـ وهو ابن مسعود ـ إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران (وآل محمّد) على العالمين»(٢).

وفيه أيضاً: بسنده عن ابن مسعود: «كان يقرأ ﴿**إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ**﴾ الآية يقول ابن عبّاس: (كذا) وآل عمران وآل أحمد على العالمين.

قال الحسكاني: قلت: «إن لم تثبت هذه القراءة فلا شكّ في دخولهم في الآية؛ لأنّهم آل إبراهيم»(٣)، انتهى.

وفي **الدرّ المنثور** للسيوطي في ذيل تفسيره الآية: «أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق عليّ عن ابن عبّاس في قوله: ﴿**وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ**﴾، قال: هم المؤمنون من آل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمّد صلّى الله عليه [وآله] وسلّم»(٤).

وفي «**تفسير الصافي**» لمولانا الفيض الكاشاني ما هذا نصّه: «أقول: وقد دخل في آل إبراهيم نبيّنا وأهل بيته عليهم السلام».

وعن العيّاشي عن الباقر عليه السلام إنّه تلا هذه الآية فقال: «**نحن منهم، نحن بقيّة**

(١) آل عمران ٣: ٣٣.

(٢) و (٣) شواهد التنزيل: ١/١١٨.

(٤) الدرّ المنثور، بواسطة: فضائل الخمسة: ٢/٦٩.

تلك العترة»[١].

وفي «**المجالس**»: عن الصادق عليه السلام، قال: «قال محمّد بن أشعث بن قيس الكندي (لعنه الله) للحسين عليه السلام: يا حسين بن فاطمة، أيّةُ حرمة لك من رسول الله ليست لغيرك؟

فتلا الحسين عليه السلام الآية ﴿**إِنَّ اللهَ**﴾ الآية، ثمّ قال: **والله إنّ محمّداً لمن آل إبراهيم، وإنّ العترة الهادية لمن آل محمّد**»[٢]، فراجع.

ولا شكّ أنّ الله اصطفاهم للإمامة والخلافة؛ إذ الاصطفاء يدلّ على عظيم منزلتهم، وعلوّ مقامهم، ورفعة شأنهم، كما لا يخفى.

هذا، وإن أردت زيادة الاطّلاع على الأخبار الواردة من طريق أهل البيت عليهم السلام، فراجع الصافي والبرهان وغيرهما.

---

(١) الصافي: ٣٢٨/١.

(٢) الأمالي: ٢٢١.

الآية الرابعة: قوله تبارك وتعالى :

﴿**وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً**﴾[١]

روى الحاكم الحسكاني في «**شواهد التنزيل**»، بسنده عن السدّي في قوله تعالى : ﴿**وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً**﴾، قال : «المودّة لأهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله». وهذا اللفظ لأبي ذرّ.

وقال ابن غالب عن ابن عبّاس، قال : «في محبّتنا أهل البيت نزلت : ﴿**وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً**﴾»[٢].

وفي «**الصواعق المحرقة**» لابن حجر قال : «وأخرج البزّار والطبراني عن الحسن رضي الله عنه من طرقٍ بعضها حسان : أنّه خطب خطبة من جملتها : **من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمّد صلى الله عليه وآله**.

ثمّ تلا ﴿**وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائي إِبْرَاهِيمَ**﴾ الآية[٣].

ثمّ قال : **أنا ابن البشير ، أنا ابن النذير**.

ثمّ قال : **وأنا من أهل بيت الذي افترض الله عزّ وجلّ مودّتهم وموالاتهم ، فقال فيما أنزل على محمّد صلى الله عليه وآله** : ﴿**قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ**﴾، و ﴿**وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً**﴾، **واقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت**».

وفيه أيضاً : «وأخرج أحمد عن ابن عبّاس : ﴿**وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا**

---

(١) الشورى ٤٢ : ٢٣.

(٢) شواهد التنزيل : ١٤٧/٢.

(٣) يوسف ١٢ : ٣٨.

حُسْناً ﴾ قال: المودّة لآل محمّد صلّى الله عليه [وآله] وسلّم»[١].

وفي «**الكشّاف**»: ﴿**وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً** ﴾ عن السدّي: «إنّها المودّة في آل رسول الله صلى الله عليه وآله»[٢]، انتهى، فلاحظ وراجع لزيادة الاطّلاع «**تفسير البرهان**» وغيره.

(١) الصواعق المحرقة: ١٠١.

(٢) الكشّاف: ٢/٣٤٠.

الآية الخامسة: قوله تعالى :

﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾[١]

في «**الصواعق المحرقة**» لابن حجر ، أخرج الثعلبي في تفسيرها ، عن جعفر الصادق عليه السلام إنّه قال : «**نحن حبل الله الذي قال الله : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾**»[٢].

ونحوه الشبلنجي في «**نور الأبصار**»[٣]، فراجع .

وفي «**شواهد التنزيل**» بسنده عن الحسين بن خالد ، عن عليّ بن موسى الرضا ، عن آبائه ، عن عليّ عليه السلام ، قال : «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أحبّ أن يركب سفينة النجاة ، ويستمسك بالعروة الوثقى ، ويعتصم بحبل الله المتين ، فليوالِ عليّاً ، وليأتمّ بالهداة من ولده**»[٤]، انتهى محلّ الحاجة .

وهذه الآية وما ورد في تفسيرها يدلّان على وجوب الاعتصام والتمسّك بالأئمّة الاثني عشر عليهم السلام ، ولا معنى للاعتصام إلّا في صورة الأخذ عنهم ، والتمسّك بهم ، والعمل بقولهم ، والأخذ بحجزتهم ، والبراءة من أعدائهم ، كما يفصح عن ذلك حديث الثقلين ، حيث إنّ القرآن والعترة لا يفترق أحدهما عن الآخر ، والحبل الذي أمر الله عباده بالاعتصام به هو الأئمّة ، وإن فسّر الحبل بالقرآن ـ كما عن جماعة ـ فهو يدلّ أيضاً على وجوب الاعتصام بهم عليهم السلام ، حيث إنّهم المعتصمون بالقرآن

---

(١) آل عمران ٣: ١٠٣.

(٢) الصواعق المحرقة : ٩٠.

(٣) نور الأبصار: ١٠٧.

(٤) شواهد التنزيل : ١٣٠/١.

ولا يفارقونه أبداً إلى يوم القيامة، والإمام عليه السلام يهدي إلى القرآن، والقرآن يهدي إلى الإمام عليه السلام، كما عن مولانا الإمام السجّاد عليه السلام[١].

قال العلّامة المظفّر قدس سره: «والمراد بحبل الله السبب الواصل بين الله سبحانه وعباده، وبالاعتصام به: اتّباعه والتمسّك به، وعدم التفرّق عنه وعدم مخالفة أحد له، وهذا معنى اتّخاذ الأُمّة إماماً.

ويؤيّده حديث الثقلين، وما رواه الحاكم[٢] وصحّحه عن ابن عبّاس، قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأُمّتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس** »، والظاهر أنّ المراد بكونهم أماناً من الاختلاف أنّهم بالنصّ عليهم يرتفع الخلاف في الإمامة، لتعيّن الإمام من الله تعالى، وعدم إرجاع أمر الإمامة إلى اختيار الناس حتّى يحصل بسببه الاختلاف »[٣]، انتهى.

---

(١) بحار الأنوار: ١٩٤/٢٥.

(٢) مستدرك الصحيحين: ١٩٤/٣.

(٣) دلائل الصدق: ٣٩٠/٥ (الطبعة المحقّقة).

الآية السادسة: قوله تعالى :

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ﴾(١)

في « **الصواعق المحرقة** » لابن حجر : أخرج أبو الحسن المغازلي عن الباقر عليه السلام إنّه قال في هذه الآية : « **نحن الناس والله** »(٢).

وفي « **نور الأبصار** » : « وأخرج بعضهم عن الباقر في قوله تعالى : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ﴾ أنّه قال : « **أهل البيت هم الناس** »(٣).

وفي « **شواهد التنزيل** » : بسنده عن أبان بن تغلب ، عن جعفر بن محمّد ، في قوله تعالى : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ﴾ ، قال : « **نحن المحسودون** »(٤) ، انتهى .

أقول: إنّ الحسد من الصفات المذمومة التي توجد في النفوس الشريرة ، وإنّه ممّا يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب ، ولا يراد من حسدهم لأئمّة الحقّ إلّا حسد مقامهم ومنصبهم الذي منحه الله تبارك وتعالى لهم من الإمامة الكبرى ، والخلافة العظمى ، والرئاسة العامّة على الدين والدنيا ، ولهذا ترى أئمّة الكفر يعارضونهم في الأحكام ، ويذهبون إلى خلاف مذهب أهل البيت عليهم السلام ، وأنّهم على طرفي نقيض معهم دائماً ، كما لا يخفى على من راجع فقههم ، وكتب التفسير والحديث لهم ، فلاحظ ولا تغفل .

---

(١) النساء ٤ : ٥٤ .

(٢) الصواعق المحرقة : ٩١ .

(٣) نور الأبصار : ١٠٧ .

(٤) شواهد التنزيل : ١٤٣/١ .

وهذا هو الذي يحرّضهم على قتل الأئمّة ، وزجّهم في السجون ، وفي هذا العصر أبناؤهم يحاربون الأئمّة وشيعتهم بأقلامهم المسمومة المأجورة ، بغضاً لهم ، وحسداً من أنفسهم ، لَما يرون آبائهم موضع اللعن إلى يوم القيامة .

الآية السابعة: قوله تبارك وتعالى :

﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ﴾(١)

هذه الآية الشريفة نزلت في حقّهم (عليهم أفضل الصلاة والسلام) لمّا جمعهم النبيّ صلى الله عليه وآله للمباهلة مع نصارى نجران ، بإجماع أهل التفسير والحديث ، من دون خلاف لأحد في ذلك ، وهذه الآية الكريمة تدلّ على عصمتهم وطهارتهم ، وعلوّ مقامهم ودرجتهم عند الله تبارك وتعالى ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

قال الفخر الرازي في « **تفسيره** » : « المسألة الثانية : روي إنّه عليه السلام لمّا أورد دلائل على نصارى نجران ، ثمّ إنّهم أصرّوا على جهلهم ، فقال عليه السلام : **إنّ الله أمرني إن لم تقبلوا الحجّة أن اُباهلكم** .

فقالوا : يا أبا القاسم ، بل نرجع فننظر في أمرنا ثمّ نأتيك ، فلمّا رجعوا قالوا للعاقب ـ وكان ذا رأي ـ : يا عبد المسيح ، ما ترى ؟

فقال : والله لقد عرفتم ـ يا معشر النصارى ـ إنّ محمّداً نبيّ مرسل ، ولقد جاءكم بالكلام الحقّ في أمر صاحبكم ، والله ما باهل قوم نبيّاً قطّ فعاش كبيرهم ، ولا نبت صغيرهم ، ولئن فعلتم لكان الاستئصال ، فإن أبيتم إلّا الاصرار على دينكم ، والإقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل ، وانصرفوا إلى بلادكم ، وكان رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم خرج وعليه مرط من شعر أسود(٢) ، وكان قد احتضن الحسين ، وأخذ بيد الحسن ، وفاطمة تمشي خلفه ، وعليّ رضي الله عنه خلفها ، وهو يقول : **إذا دعوت فأمّنوا** .

---

(١) آل عمران ٣ : ٦١.

(٢) المرط : كساء من صوف أو خزّ كان يؤتزر به ـ مجمع البحرين / الطريحي : ١٩٢/٤ .

فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى، إنّي أرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة».

وروي: «إنّه عليه السلام لمّا خرج في المرط الأسود، فجاء الحسن رضي الله عنه فأدخله، ثمّ جاء الحسين رضي الله عنه فأدخله، ثمّ فاطمة، ثمّ عليّ (رضي الله عنهما)، ثمّ قال: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾».

واعلم أنّ هذه الرواية كالمتّفق على صحّتها بين أهل التفسير والحديث، فلاحظ(١).

وقال الرازي أيضاً: «المسألة الرابعة: هذه الآية دالّة على أنّ الحسن والحسين عليهما السلام كانا ابني رسول الله صلى الله عليه وآله، وعد أن يدعو أبناه، فدعا الحسن والحسين، فوجب أن يكونا ابنيه.

وممّا يؤكّد هذا قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿**وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ**﴾(٢) إلى قوله: ﴿**وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ**﴾(٣)، ومعلوم أنّ عيسى عليه السلام إنّما انتسب إلى إبراهيم عليه السلام بالأمّ لا بالأب، فثبت أنّ ابن البنت قد يسمّى ابناً، والله العالم.

المسألة الخامسة: كان في الريّ رجل يقال له محمود بن الحسن الحمّصي، كان معلّم الاثني عشريّة، وكان يزعم أنّ عليّاً رضي الله عنه أفضل من جميع الأنبياء سوى محمّد عليه السلام، قال: والذي يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿**وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ**﴾، وليس المراد بقوله: ﴿**وَأَنفُسَنَا**﴾ نفس محمّد صلّى الله عليه [وآله] وسلّم؛ لأنّ الإنسان لا يدعو نفسه، بل المراد به غيره، وأجمعوا على أنّ ذلك الغير كان عليّ بن

(١) تفسير الفخر الرازي: ٦٩٩/٢.
(٢) الأنعام ٦: ٨٤.
(٣) الأنعام ٦: ٨٥.

أبي طالب رضي الله عنه ، فدلّت الآية على أنّ نفس عليّ هي نفس محمّد ، ولا يمكن أن يكون المراد منه أنّ هذه النفس هي عين تلك النفس ، فالمراد أنّ هذه النفس مثل تلك النفس ، وذلك يقتضي الاستواء في جميع الوجوه ، وترك العمل بهذا العموم في حقّ النبوّة ، وفي حقّ الفضل ، لقيام الدلائل على أنّ محمّداً عليه السلام كان نبيّاً ، وما كان عليّ كذلك ، ولانعقاد الإجماع على أنّ محمّداً كان أفضل من عليّ رضي الله عنه ، فيبقى فيما رواه معمولاً به ، ثمّ الإجماع دلّ على أنّ محمّداً عليه السلام كان أفضل من سائر الأنبياء ، فيلزم أن يكون عليّ أفضل من سائر الأنبياء ، فهذا وجه الاستدلال بظاهر الآية » .

ثمّ قال : « ويؤيّد الاستدلال بهذه الآية الحديث المقبول عند الموافق والمخالف ، وهو قوله عليه السلام : « **من أراد أن يرى آدم في علمه ، ونوحاً في طاعته ، وإبراهيم في خلّته ، وموسى في هيبته ، وعيسى في صفوته ، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب** رضي الله عنه »(١) ، فالحديث دلّ على أنّه اجتمع فيه ما كان متفرّقاً فيهم ، وذلك يدلّ على أنّ عليّاً رضي الله عنه أفضل من جميع الأنبياء سوى محمّد صلّى الله عليه [وآله] وسلّم .

وأمّا سائر الشيعة فقد كانوا ، قديماً وحديثاً ، يستدلّون بهذه الآية على أنّ عليّاً رضي الله عنه أفضل من سائر الصحابة ؛ وذلك لأنّ الآية لمّا دلّت على أنّ نفس عليّ رضي الله عنه مثل نفس محمّد عليه السلام إلّا فيما خصّه الدليل ، وكان نفس محمّد أفضل من الصحابة رضوان الله عليهم ، فوجب أن يكون نفس عليّ أفضل أيضاً من سائر الصحابة ، هذا تقرير كلام الشيعة .

والجواب : إنّه كما انعقد الإجماع بين المسلمين أنّ محمّداً عليه السلام أفضل من عليّ ، انعقد الإجماع بينهم قبل ظهور هذا الإنسان على أنّ النبيّ أفضل ممّن ليس بنبيّ ، وأجمعوا على أنّ عليّاً رضي الله عنه ما كان نبيّاً ، فلزم القطع بأنّ ظاهر الآية كما إنّه مخصوص في حقّ محمّد صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ، فكذلك مخصوص في حقّ سائر

---

(١) راجع : كفاية الطالب : ٤٥ و ٤٦ . المناقب / ابن المغازلي : ٢١٢ .

الأنبياء عليهم السلام »[١]، انتهى كلامه هبط مقامه.

أقول: وفي جوابه هذا يظهر عداؤه لعليّ عليه السلام، حيث ضرب بالنصّ عرض الحائط، وأخذ بدليل العجزة، وإن سلّمنا بما ذكره من دليل الإجماع فنقول: إنّ فضل كلّ نبيّ على من ليس نبيّاً، غايته يدلّ على فضل صنف الأنبياء، وهو لا يدلّ على عدم وجود من هو أفضل منهم، كما في قولك: الرجال أفضل من النساء، وهو لا ينافي وجود نساء أفضل من بعض الرجال بمراتب[٢]، مع أنّ الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام الدالّة على أنّ عليّاً وأولاده الأحد عشر أفضل من سائر الأنبياء، إلّا نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله، متظافرة جدّاً وغير محصورة عدّاً، فمنها:

ما رواه شيخنا الطبرسي قدس سره في «**الاحتجاج**»: عن محمّد بن أبي عمير، عن عبدالله بن الوليد السمّان، قال: «قال أبو عبدالله عليه السلام: **ما يقول الناس في أُولي العزم وعن صاحبكم** (يعني أمير المؤمنين) ؟

قال: قلت: ما يقدّمون على أُولي العزم أحداً.

فقال عليه السلام: **إنّ الله تبارك وتعالى قال عن موسى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً﴾[٣]، ولم يقل: كلّ شيء، وقال في عيسى: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾[٤]، وقال لصاحبكم ـ يعني أمير المؤمنين ـ: ﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[٥]**.

---

(١) تفسير الفخر الرازي: ٦٩٩/٢ وما بعدها.

(٢) نقل أنّ أُستاذ الرازي كان امرأة، وكان غالب تتلمذه عندها، وهي أفضل منه بمراتب، كما لا يخفى، وإنّ أُستاذ المرأة الشيطان أو العكس، فلاحظ.

(٣) الأعراف ٧: ١٤٥.

(٤) الزخرف ٤٣: ٦٣.

(٥) الرعد ١٣: ٤٣.

وقال عزّ وجلّ : ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾(١) ، وعلم هذا الكتاب عنده »(٢) .

وفي « **بصائر الدرجات** » : عن الصادق عليه السلام : « **إنّ الله خلق أُولي العزم من الرسل وفضّلهم بالعلم ، وأورثنا علمهم ، وفضّلنا عليهم ، وعلم رسول الله صلى الله عليه وآله ما لم يعلموا ، وعلمنا علم رسول الله [الرسول ـ خ ل] وعلمه** »(٣) ، فلاحظ وراجع .

وإذا ثبت أنّ نبيّنا صلى الله عليه وآله أفضل من سائر الأنبياء ، ثبتت هذه المنزلة لعليّ عليه السلام لأنّه نفس النبيّ صلى الله عليه وآله(٤) بنصّ الآية ، إلّا أنّ الفرق بينهما النبوّة ، وأنّ القول بأفضليّة عليّ عليه السلام على سائر الأنبياء كان قبل وجود الحمصي ، مع ما عرفت من النصوص في هذا الخصوص .

هذا ، وقد وافق الشيعة في قولهم بتفضيل عليّ عليه السلام على سائر الصحابة ، حيث أجاب بزعمه عن كلام الحمصي : « ولا يخفى أنّ الشيعة لم ينفردوا بتفضيل عليّ عليه السلام ، بل وافقهم غيرهم ، وثانياً : إنّ الشيعة لا ترى لأحد من فضل على أحد إلّا مَن فضّله الله ورسوله ، وهم مؤتمرون بأمرهما ، لا يتخطّون عن ذلك قيد أنملة ،

---

(١) الأنعام ٦ : ٥٩ .

(٢) الاحتجاج : ٢/١٤٠ .

(٣) بصائر الدرجات : ٢٤٩ .

(٤) أخرج السيوطي في « **الدرّ المنثور** » في تفسير قوله تعالى : ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ** ﴾ [النور ٢٤ : ٣٦] عن ابن مردويه وبريدة ، قال : « قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآية ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ** ﴾ ، فقام إليه رجل فقال : أي بيوت هذه يا رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

قال : **بيوت الأنبياء** .

فقام إليه أبو بكر فقال : يا رسول الله ، هذا البيت منها ـ بيت عليّ وفاطمة ـ ؟

قال : **نعم من أفاضلها** » .

والمتخلّف عن ذلك خارج عن الدين، ومنفصل عن حزب المسلمين، وداخل في جملة الكافرين».

وحيث انجرّ بنا إلى هنا الكلام، لا بأس بما نقله القوم في حقّ أمير المؤمنين، وقائد الغرّ المحجّلين، حيث إنّ كتابنا هذا موضوع لذكر فضائل أهل بيت الوحي والرسالة، وإثبات أحقيّتهم، وليعلم أنّ كلّ ما ننقل عنهم إنّما هو للاحتجاج عليهم، بما ينكرونه من فضائل أئمّتنا وساداتنا مع ورودها في كتبهم وصحاحهم، وإلّا فإنّنا -بحمد الله- مستغنون عنهم، وعن كتبهم، واستدلالاتهم، وإجماعاتهم، وقياسهم، بفضل الله ورحمته، وبركات أئمّة الهدى عليهم السلام.

والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، كما ونسأله أن يثبّتنا على ولايتهم ومحبّتهم، والبراءة من أعدائهم، وأن يرزقنا في الدنيا زيارتهم، وفي الآخرة شفاعتهم، والحشر معهم، فإنّهم مصابيح الهدى، وأعلام التقى، ما ضلّ من تمسّك بهم، وما خسر من لجأ إليهم.

قال ابن حجر في «**الصواعق المحرقة**» ما هذا نصّه: «وهي -يعني فضائل عليّ عليه السلام- كثيرة عظيمة شهيرة، حتّى قال أحمد: ما جاء لأحد من الفضائل ما جاء لعليّ. وقال إسماعيل القاضي والنسائي وأبو عليّ النيسابوري: لم يرد في حقّ أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان أكثر ما جاء في عليّ»(١).

وقال المحبّ الطبري عن عمر بن الخطّاب، قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: **ما اكتسبَ مكتسب مثل فضل عليّ، يهدي صاحبه إلى الهدى، ويردّه من الردى**» أخرجه الطبراني(٢).

وفي «**الصواعق المحرقة**»: قال: «وأخرج ابن عساكر عنه -يعني ابن عبّاس-

(١) الصواعق المحرقة: ٧٢.

(٢) الرياض النضرة: ٢/٢١٤.

قال : ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في عليّ » .

وأخرج عنه أيضاً ، قال : « نزل في عليّ ثلاثمائة آية » ، وأخرج الطبراني عنه ، قال : «كانت لعليّ ثمانية عشر منقبة ما كانت لأحد من هذه الأُمّة »(١) .

وأخرج أبو يعلى عن أبي هريرة ، قال : « قال عمر بن الخطّاب : لقد أُعطي عليّ ثلاث خصال ؛ لإنْ تكون لي خصله منها أحبّ إليّ من حمر النعم ، فسُئل وما هي ؟ قال : تزويجه ابنته ، وسكناه في المسجد لا يحلّ لي فيه ما يحلّ له ، والراية يوم خيبر » .

وروى أحمد بسند صحيح عن ابن عمر نحوه(٢) .

أقول : يعني يحلّ لعليّ عليه السلام أن يمكث في المسجد جنباً ، ولا يحلّ لأحد غيره ، ولعمر بن الخطّاب لا يحلّ الدخول أصلاً للآية(٣) ، فافهم تغنم .

وروى الحاكم في « **المستدرك** » بسنده عن أبي هريرة : « قالت فاطمة عليها السلام : **يا رسول الله ، زوّجتني من عليّ بن أبي طالب وهو فقير لا مال له**(٤) .

فقال : **يا فاطمة ، أما ترضين أنّ الله عزّ وجلّ اطّلع إلى أهل الأرض فاختار رجلين أحدهما أبوك ، والآخر بعلك** »(٥) .

وفي « **الرياض النضرة** » : بسنده عن عمر بن الخطّاب ، إنّه قال : « أشهد على

---

(١) و (٢) الصواعق المحرقة : ٧٦.

(٣) الصواعق المحرقة : ١٩١.

(٤) لا يخفى أنّ فاطمة الزهراء بضعة الرسول المعصومة أجلّ شأناً ، وأرفع مقاماً من أن تعترض على أبيها في ذلك ، وأنّ نظرها أعظم من أن تنظر إلى الدنيا الدنيّة ، وأظنّ أنّهم وضعوا ذلك لتنقيص عليّ عليه السلام ، فأجرى الله على لسانهم كلمة الحقّ ، فكلام النبيّ صلى الله عليه وآله قطعي صدوره ، كما لا يخفى .

(٥) مستدرك الصحيحين : ١٢٩/٣.

رسول الله صلى الله عليه وآله سمعته وهو يقول: **لو إنّ السماوات السبع وضعت في كفّة، ووضع إيمان عليّ في كفّة، لرجح إيمان علي**»، أخرجه ابن السمّان، والحافظ السلفي في المشيخة البغداديّة والفضائلي(١).

وروى الخطيب البغدادي في «**تاريخ بغداد**»: بسنده عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **عليّ خير البشر، فمن امترى فقد كفر**»(٢) (أي شكّ فيه).

وقال المناوي في «**كنوز الحقائق**»: «**عليّ خير البشر، من شكّ فيه كفر**». قال: أخرجه أبو يعلى(٣).

وفي «**الرياض النضرة**» للمحبّ الطبري: بسنده عن عقبة بن سعد العوفي، قال: «دخلنا على جابر بن عبدالله، وقد سقط حاجباه على عينيه، فسألناه عن عليّ عليه السلام، قال: فرفع حاجبه فقال: ذاك خير البشر». قال: أخرجه أحمد في المناقب(٤).

قلت: وأخرجه المحبّ الطبري في «**ذخائر العقبى**»(٥).

وفي «**كنز العمّال**» للمتّقي الهندي: عن بريدة، قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم لفاطمة: **زوّجتك خير أُمّتي، أعلمهم علماً، وأفضلهم حلماً، وأوّلهم سلماً**». قال: أخرجه الخطيب في «**المتّفق**»(٦).

وفي «**شرح النهج**» لابن أبي الحديد المعتزلي ما هذا نصّه: «وقال البغداديّون

---

(١) الرياض النضرة: ٢/٢٢٦.

(٢) تاريخ بغداد: ٧/٤٣٣.

(٣) كنوز الحقائق: ٩٢.

(٤) الرياض النضرة: ٢/٢٢٠.

(٥) ذخائر العقبى: ٩٦.

(٦) كنز العمّال: ٢/٣٩٨.

قاطبة قدماؤهم ومتأخرّوهم ، كأبي سهل بشر بن المعمر ، وأبي موسى عيسى بن صبيح ، وأبي عبدالله جعفر بن مبشّر ، وأبي جعفر الإسكافي ، وأبي الحسين الخيّاط ، وأبي القاسم عبدالله بن محمود البلخي ، وتلامذته : إنّ عليّاً أفضل من أبي بكر ، وإلى هذا المذهب ذهب من البصريّين أبو عليّ محمّد بن عبدالوهاب الجبائي أخيراً ، وكان من قبل من المتوقّفين ، فكان يميل إلى التفضيل ولا يصرّح به ، وإذا صنّف ذهب إلى التوقّف في مصنّفاته . وقال في كثير من تصانيفه : إن صحّ خبر الطائر فعليّ أفضل .

ثمّ إنّ قاضي القضاة رحمه الله ذكر في شرح المقالات لأبي القاسم البلخي : إنّ أبا عليّ رحمه الله يوم مات استدنى ابنه أبا هاشم إليه ، وكان قد ضعف عن رفع الصوت ، فألقى إليه أشياء من جملتها القول بتفضيل عليّ عليه السلام .

وممّن ذهب من البصريّين إلى تفضيله عليه السلام الشيخ أبو عبدالحسين بن عليّ البصري رحمه الله ، كان متحقّقاً بتفضيله ، ومبالغاً في ذلك ، وصنّف فيه كتاباً مفرداً ، وممّن ذهب إلى تفضيله عليه السلام من البصريّين قاضي القضاة أبو الحسن عبدالجبّار بن أحمد رحمه الله ، ذكر ابن متوية عنه في كتاب (الكفاية في علم الكلام) أنّه كان من المتوقّفين بين عليّ عليه السلام وأبي بكر ، ثمّ قطع على تفضيل عليّ عليه السلام بكامل المنزلة ، ومن البصريّين الذاهبين إلى تفضيله عليه السلام أبو محمّد الحسن بن متوية صاحب التذكرة ، نصّ في كتاب الكفاية على تفضيله عليه السلام على أبي بكر ، واحتجّ لذلك وأطال في الاحتجاج إلى أن قال :

وقد ذكرنا في كتبنا الكلاميّة ما معنى الأفضل ؟ وهل المراد به الأكثر ثواباً أم الأجمع لمزايا الفضل والخلال الحميدة ؟ وبيّنا أنّه عليه السلام أفضل على التفسيرين » ، انتهى ، فلاحظ[1] .

---

(١) شرح النهج / ابن أبي الحديد : ٣/١ .

أقول: بعد تواتر النصوص في فضله، والآيات النازلة في عظيم منزلته، روحي وأرواح العالمين له الفداء، لا يبقى لأحد في ذلك توقّف إن ترك العصبيّة واللجاج، والغرض من نقل هذا الكلام ثبوت أفضليّته عند الكلّ، ولا يعبأ بعد ذلك بالشاذّ النادر، فالقول بأفضليّة أبي بكر عليه كفر محض. إذ أين مَن نشأ في أحضان الكفر وشبّ عليه، وقضى شطراً من عمره في عبادة الأوثان، وشرب الخمور من الذي أسلم قبل البلوغ، ولم يسجد لصنم قطّ، وهو الذي يقول: «**لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً**».

والعقل حاكم بقبح قياس الأفضل مع المفضول، وهل يرضى عاقل أن يقدّم مجمع الرذائل على منبع الفضائل؟ كلّا ثمّ ألف كلّا.

هذا والمراد من الروايات التي نقلناها لك من أنّ الشكّ في عليّ عليه السلام كفر، الشكّ في إمامته وخلافته وعصمته، إذ لا يصحّ له معنى غير هذا، لعدم شكّ أحد في شجاعته وعبادته ومحبّته لله ولرسوله، ومحبّتهما له، والشكّ فيه ـ أي في عليّ عليه السلام ـ مساوق للشكّ في نبوّته صلى الله عليه وآله، وردٌّ عليه، وهو ردّ على الله، وهو كفر بإجماع الأُمّة.

إن قلت: هذه النصوص تدلّ على أنّه أفضل الناس جميعاً بعد النبيّ صلى الله عليه وآله ولا شكّ لأحد فيه، إلّا أنّه لا يستلزم خلافته عليه السلام.

قلت: فهل ادّعى عليّ عليه السلام الخلافة، وأنّه أحقّ بها أم لا؟

إن قلت: لم يدعها فقد كذبت وأنكرت أوضح الواضحات، وإن سلّمت ذلك، فلماذا ردّوا عليه، ولم يقبلوا قوله، مع أنّ من يكون أفضل الناس لا يدّعي باطلاً.

والاستدلال بالآية على خلافته وإمامته عليه السلام واضح جدّاً، لا يحتاج إلى كثرة تجشّم استدلال، وذلك:

أوّلاً: لأنّهم أحبّ الخلق إلى الله تبارك وتعالى طرّاً، حيث إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يجد أحداً على وجه الأرض أشرف مقاماً، وأعلى درجة، وأعظم قدراً ومنزلة عند الله

تعالى منهم ، ليدعوهم ، وإلّا لدعاهم إلى ذلك .

ولا ريب أنّ من تكون هذه منزلتهم عند الله ، لا بدّ له تعالى أن ينخبهم للوصاية والإمامة ، ويفوّض أمر الأُمّة إليهم ، وإلّا لكان قبيحاً عليه تعالى أن يأمر الفاضل بمتابعة المفضول ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً .

وثانياً : لا خلاف لأحد في أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان معصوماً ، فكذلك مولانا أمير المؤمنين (عليه أفضل الصلاة والسلام) ، لكونه نفس النبيّ ، ونازلاً منزلته في الصفات ، ومساوياً له في الكمالات ، وحائزاً كلّ المقامات إلّا النبوّة والرسالة التي تفوّق بها النبيّ صلى الله عليه وآله على جميع الكائنات .

ولا شكّ أنّ من تكون تكون نفسه المباركة ، ومنزلته المقدّسة كنفس النبيّ صلى الله عليه وآله ومنزلته ، لا يجوز لأحد التقدّم عليه ، فالتقدّم عليه كالتقدّم على صاحب الرسالة المقدّسة ، ومعارضته كمعارضته ، ولا شكّ في كفر من عارضه صلى الله عليه وآله .

وثالثاً : إنّ هؤلاء الذين دعاهم النبيّ صلى الله عليه وآله كانت دعوته لهم بأمر من الله تبارك وتعالى ، ومعلوم بالضرورة أنّ الذين دعاهم النبيّ صلى الله عليه وآله هم عليّ وفاطمة والحسنان (عليهم أفضل الصلاة والسلام) ،ومن يستجيب الله دعاءه ولا يردّ سؤاله ،فهو عظيم المرتبة عند الله تعالى ، ومن تكون هذه منزلته فلا يجوز لأحد أن يردّ عليه دعواه ، وقد ادّعى الخلافة كما هو المشروح في كتب الفريقين .

وقد ثبتت من كلّ ذلك خلافته بأمر من الله ، لتصريح الأخبار المتواترة بذلك ، وأنّه من النبيّ صلى الله عليه وآله بمنزلة هارون من موسى ، إلّا أنّه لا نبيّ من بعده[١] ، وغيرها من النصوص تكون تأكيداً وإرشاداً إلى أنّه الخليفة من بعده بلا فصل ، ولا يخفى أيضاً أنّ هذه المنزلة مطلقة غير مقيّدة ، وأنّها كنسخة الأصل ، ومع وجوده لا يعقل العدول

---

(١) راجع مصادر الحديث في موسوعة إحقاق الحقّ : ١٩٨/٥ .

إلى غيره ، بل هو ممّا يستقبحه العقل والعرف .

نعم ، يستحسنه من باع آخرته بدنياه ، واتّبع هواه ، ولم يراقب ربّه ، وخالف عقله ووجدانه ، ولوضوح دلالتها على خلافته احتجّ بها عليّ عليه السلام يوم الشورى على أهلها ، كما نقله ابن حجر في « **الصواعق المحرقة** » له ، فقال لهم : **أُنشدكم بالله هل فيكم أحد أقرب إلى رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم في الرحم منّي ، ومن جعله نفسه ، وإبناه أبناءه ، ونساؤه نساءه ؟**

قالوا : اللّهمّ لا [١] .

إن قلت : إنّ الإجماع قد انعقد على خلافة الأوّل ، وهذا يدلّ على عدم خلافته من بعده بلا فصل ، وإلّا لما انعقد الإجماع .

قلت :

أوّلاً : إنّ الإجماع غير متحقّق قطعاً ، لا من جميع الأُمّة ولا من تمام أهل الحلّ والعقد ، كما لا يخفى على من راجع كتب السير والتاريخ ، ونظر إليها بعين البصيرة والتحقيق ، وترك العناد ، واتّخذ طريق الإنصاف ، مع معارضته بالنصوص الكثيرة الصريحة في ذلك .

وثانياً : إنّ البيعة قد أُخذت له من أغلب الناس بالقهر والغلبة ، وخلافة الثاني كانت بالنصّ من الأوّل ، والثالث بأمر دُبِّر في الليل ، فإن كانت تثبت بالإجماع ، فلماذا خلافة عمر ثبتت بنصّ أبي بكر ؟ وإن كانت بالنصّ فلماذا ثبتت خلافة عثمان بالشورى ؟

قال الزمخشري في « **الكشّاف** » ما هذا نصّه : « فإن قلت : ما كان دعاؤه إلى المباهلة إلّا ليتبيّن الكاذب منه ومن خصمه ، وذلك أمر يختصّ به وبمن يكاذبه ،

---

(١) الصواعق المحرقة : **٩٣**.

فما معنى ضمّ الأبناء والنساء ؟

قلت : ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله ، واستيفائه بصدقه ، حيث استجرأ على تعريض أعزته ، وأفلاذ كبده ، وأحبّ الناس إليه لذلك ، ولم يقتصر على تعريض نفسه له ، وعلى ثقته بكذب خصمه ، حتّى يهلك خصمه مع أحبّته وأعزّته هلاك الاستئصال ، إنْ تمّت المباهلة ، وخصّ الأبناء والنساء ؛ لأنّهم أعزّ الأهل ، وألصقهم بالقلوب ، وربّما فداهم بنفسه ، وحارب دونهم حتّى يقتل .

ومن ثمّ كانوا يسوقون مع أنفسهم الضغائن في الحروب لتمنعهم من الحرب ، ويسمّون الذادة عنها بأرواحهم حماة الحقائق .

وقدّمهم في الذكر على الأنفس لينبّه على لطف مكانهم ، وقرب منزلتهم ، وليؤذن بأنّهم مقدّمون على الأنفس يفدون بها ، وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام » ، انتهى[١] .

وروى شيخنا الصدوق أعلى الله مقامه في كتابه « **عيون أخبار الرضا** عليه السلام » : عن الرضا عليه السلام في الفرق بين العترة والأُمّة أنّه قال عليه السلام : « **وأمّا الثالثة : حين ميّز الله الطاهرين من خلقه ، فأمر نبيّه صلى الله عليه وآله بالمباهلة في آية الابتهال ، فقال عزّ وجلّ : يا محمّد ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ ، فأبرز النبيّ صلى الله عليه وآله عليّاً وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم ، وقرنَ أنفسهم بنفسه ، فهل تدرون ما معنى قوله : ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ ؟**

قالت العلماء : عنى به نفسه .

قال أبو الحسن عليه السلام : **غلطتم ، إنّما عنى بها عليّ بن أبي طالب** عليه السلام **، وممّا يدلّ على**

---

(١) الكشّاف : ١٤٩/٣.

ذلك قول النبيّ صلى الله عليه وآله حين قال: لينتهين بنو وليعة أو لأبعثنّ عليهم رجلاً كنفسي، يعني عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وعنى بالأبناء الحسن والحسين عليهما السلام، وعنى بالنساء فاطمة عليها السلام، فهذه خصوصيّة لا يتقدّمهم فيها أحد، وفضل لا يلحقهم فيه بشر، وشرف لا يسبقهم إليه خلق، إذ جعل نفس عليّ كنفسه، فهذه الثالثة»، فراجع ولاحظ[١].

هذا، وممّن صرّح بنزول الآية في حقّهم عليهم السلام:

ابن جرير الطبري في «**تفسيره**»[٢].

والسيوطي في «**الدرّ المنثور**»[٣].

والواحدي في «**أسباب النزول**»[٤].

والترمذي في «**صحيحه**»[٥].

ومسلم في «**صحيحه**»[٦].

والحاكم الحكساني في «**شواهد التنزيل**»[٧].

---

(١) عيون أخبار الرضا: ٢/٢١٠.

(٢) تفسير الطبري: ٣/٢١٢.

(٣) الدرّ المنثور: ٢/٣٧، وما بعدها.

(٤) أسباب النزول: ٧٥.

(٥) صحيح الترمذي: ٥/٥٩٦.

(٦) صحيح مسلم: ٢/٣٢٤.

(٧) شواهد التنزيل: ١/١٥٨.

الآية الثامنة: قوله تبارك وتعالى :

﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُم لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1]

روى ابن جرير في « **تفسيره** » : بسنده عن جابر الجعفي ، قال : « لمّا نزلت ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُم لَا تَعْلَمُونَ ﴾ قال عليّ عليه السلام : **نحن أهل الذكر** »[2].

ورواه ابن بطريق في « **العمدة** »[3] عن الثعلبي في تفسيره ، فلاحظ .

وروى الحاكم الحسكاني في « **شواهد التنزيل** » : بسنده عن السدّي ، عن الحرث ، قال : « سألت عليّاً عن هذه الآية ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ ، قال : **والله إنّا لنحن أهل الذكر ، نحن أهل العلم ، ونحن معدن التأويل والتنزيل ، ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : أنا مدينة العلم ، وعليّ بابها** »[4].

وفيه : بسنده عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر في قوله : ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ ، قال : **نحن هم** »[5].

وفيه أيضاً : بسنده عن السدّي ، عن الفضيل بن يسار ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ ، قال : **هم الأئمّة من عترة رسول الله** ، وتلا : ﴿أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً * رَسُولاً ﴾[6] »[7].

---

(١) النحل ١٦: ٤٣.

(٢) تفسير الطبري : ٥/١٧.

(٣) العمدة : ١٥٠.

(٤) و (٥) شواهد التنزيل : ٣٢٤/١.

(٦) الطلاق ٦٥: ٦٥ و ٦٦.

(٧) شواهد التنزيل : ٣٢٤/١.

وفي « **تفسير العيّاشي** » : عن حمزة بن محمّد الطيّار ، قال : « عرضت على أبي عبدالله عليه السلام كلاماً لأبي ، فقال : **اكتب ، فإنّه لا يسعكم فيما نزل بكم إلّا الكفّ عنه ، والتثبّت فيه ، وردّوه إلى أئمّة الهدى حتّى يحملوكم فيه على القصد ، ويجلو عنكم فيه العمى ، قال الله : ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُم لَا تَعْلَمُونَ﴾** »(١) .

وفيه أيضاً : عن محمّد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : « قلت له : إنّ من عندنا يزعمون إنّ قول الله ﴿**فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُم لَا تَعْلَمُونَ**﴾ أنّهم اليهود والنصارى ، فقال : **إذاً يدعونكم إلى دينهم** .

قال : ثمّ قال بيده إلى صدره : **نحن أهل الذكر ، ونحن المسؤولون** .

قال : قال أبو جعفر : **الذكر القرآن** »(٢) .

وفيه أيضاً : عن أحمد بن محمّد ، قال : « كتب إليّ أبوالحسن الرضا عليه السلام : **عافانا الله وإيّاك أحسن عافية ، إنّما شيعتنا من تابعنا ولم يخالفنا ، وإذا خفنا خاف ، وإذا أمنّا أمن . قال الله : ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُم لَا تَعْلَمُونَ﴾ ، قال : ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾** الآية(٣) **فقد فُرضت عليكم المسألة ، والردّ إلينا ، ولم يفرض علينا الجواب** »(٤) .

أقول : هذه الآية الشريفة تفرض السؤال حين الجهل وعدم العلم ، والاستفادة من أهل المعرفة والعلم ، وهو عامّ في جميع اُمور الدين من الأحكام والسنن ، واُمور الدنيا من السياسة والتدبير وإدارة الاُمور ، ولا بدّ في ذلك من أن يكون المسؤول عنه

---

(١) و (٢) تفسير العيّاشي : ٢/٢٦٠ .

(٣) التوبة ٩ : ١٢٢ .

(٤) الرواية بالسند المذكور ـ وبغيره ـ لم ترد في شواهد التنزيل .

نعم ، أوردها العلّامة المجلسي قدس سره في بحار الأنوار : ٤٩/٢٦٦ ، عن الإمام الباقر عليه السلام ولكن بسند آخر .

عالماً صدوقاً أميناً ، متابعاً وموافقاً للذكر ؛ ضرورة عدم الأمر بسؤال الجاهل والفاسق ، والمخالف لنفس الذكر ، لعدم إرائته الطريق ، وعدم الأمن من الإضلال .

تحقيق معنى (الذكر):

وقد أُطلق الذكر في الكتاب على النبيّ صلى الله عليه وآله في قوله تعالى : ﴿**أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً * رَسُولاً**﴾[١] .

كما أُطلق على القرآن في قوله تعالى : ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾[٢] .

وقوله تعالى : ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[٣] ، وكذلك ورد في كلام الإمام عليه السلام : « **إنّ الذكر هو القرآن** »[٤] .

ولا ريب في شمول عنوان « أهل الذكر » للأئمّة الإثني عشر عليهم السلام على كلا المعنيين ، أمّا على المعنى الأوّل فواضح ، حيث يكون المراد من الذكر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأهل الذكر هم الأئمّة عليهم السلام ؛ لأنّهم أهله بالاتّفاق وعدم الخلاف ، ويكون المعنى : فأسألوا أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله إن كنتم لا تعلمون .

وأمّا على المعنى الثاني فواضح أيضاً ؛ لما عرفت من الروايات أنّهم أهل ذلك ، وهم المعنيّون بالسؤال عنهم ، فالذكر القرآن ، وأهله هم الأئمّة أيضاً .

ويدلّ عليه أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قرنهما مع الكتاب ، وأخبر بأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليه الحوض ، وهو مدينة العلم وعليّ بابها ، وهو الذي علّمه رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) الطلاق ٦٥ : ٦٥ و ٦٦ .

(٢) النحل ١٦ : ٤٤ .

(٣) الحجر ١٥ : ٩ .

(٤) بحار الأنوار : ١٧٥/٢٣ .

ألف باب من العلم ، ينفتح له من كلّ باب ألف باب .

وغير ذلك من الأحاديث التي نوّهت بعلمه (صلوات الله عليه وعلى ذرّيّته ، واللعنة على أعدائهم من الجنّ والإنس) ، الواردة كلّها في كتب القوم وصحاحهم ، فضلاً عن كتبنا المعتبرة ، وهم الذين عندهم علم القرآن ، والعالمون بالناسخ والمنسوخ ، والمحكم والمتشابه ، والمطلق والمقيّد ، والعامّ والخاصّ ، والمجمل والمبين ، ولم يدّع أحد أنّ عنده علم ذلك غير مولانا أمير المؤمنين وأولاده الأئمّة الأحد عشر (صلوات الله عليهم) .

ولا ينافي تفسير الذكر برسول الله صلى الله عليه وآله في كثير من الروايات ، تفسيره بالقرآن في البعض الآخر ، لرجوع التفسيرين إلى معنى واحد ، وهو السؤال عمّن أودع الله العلم عنده ، وجعله أهلاً للسؤال .

وعلى كلّ حال ، فأمر الله بالسؤال عنهم يدلّ على أنّهم الأئمّة الهداة ، والسادة الولاة ، وحججه على العباد ، وأُمنائه في البلاد ، ومعنى السؤال عنهم الرجوع إليهم ، والأخذ منهم ، وإلقاء زمام الأمر إليهم ، ليحملوا الناس على طريق الحقّ والصواب ، ومن يأمر الله عباده بالرجوع إليه لا بدّ وأن يكون هو خليفة النبيّ صلى الله عليه وآله ، وإماماً ومرجعاً لأُمّته .

فكما لا يجوز السؤال والرجوع إلى غير النبيّ صلى الله عليه وآله والقرآن ، كذلك لا يجوز السؤال عن غير من عيّنه الله ورسوله ، ووجوب بيعة النبيّ صلى الله عليه وآله إنّما هو لهدايته الناس إلى طريق الحقّ والسلوك بهم إلى سبيل الرشاد ، فكذلك خليفته ، والقائم مقامه لهدايتهم ، وإخراجهم الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن الشكّ إلى اليقين ، ومن لم يكن كذلك لا يعقل أن يكون خليفة وإماماً لمثله ، ولا يجوز له التقدّم على من كانت هذه صفته ، وإن تقدّم عليه يكون ظالماً .

ولا ريب في حرمة الركون إلى الظالم لقوله تعالى : ﴿**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا**

فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ ﴾[1].

وتفسير عنوان (أهل الذكر) بمطلق العلماء ومن عنده علم ما مضى، غير صحيح؛ لأنّه إن كان المراد من هذا العلم هو علم التاريخ، وما جرى من الحروب، والأنساب، وما أشبه ذلك، فهذا علم لا ينفع من علمه، ولا يضرّ من جهله، ولا يليق بالأمر بالسؤال عنه، وإن كان المراد به العلم بأحكام الله وأوامره، فهذا لا يوجد إلّا عند من نزل عليه الروح الأمين، ويكون المراد به النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين.

وأمّا تفسيره باليهود والنصارى وعلمائهم، كما هو المنسوب إلى ابن عبّاس، فهو باطل أيضاً؛ إذ لو أُريد من الذكر مطلق الكتب السماويّة النازلة، لم يشملهم، لعدم علمهم بها، والإضافة تقتضي ذلك، مع أنّ اللازم أن يكون موافقاً ومتابعاً للذكر، وإلّا لم يكن من أهل الذكر الذي أمر الله عباده بالسؤال عنه، ولا شكّ أنّهم خالفوا الذكر وإلّا لأسلموا واتّبعوا النبيّ صلى الله عليه وآله لوجود صفته في كتبهم.

وكما أشار إليه الإمام (عليه أفضل الصلاة والسلام) بقوله: «**إذاً يدعوكم إلى دينهم**»[2]، وعليه قد تعيّن أنّ المراد من أهل الذكر هم الأئمّة الاثنى عشر، والواجب على جميع المسلمين السؤال عنهم، لعصمتهم وطهارتهم المنفية عن غيرهم بالإجماع، وعدم حصول اليقين وفراغ الذمّة إلّا بالأخذ منهم وبما صدر عنهم.

والقول بدلالة الآية على خلافتهم من غير اختصاص ذلك بهم، لجواز أن يكون غيرهم من الخلفاء من أهل الذكر، يدفعه رجوع الخلفاء طرّاً إلى عليّ عليه السلام، حتّى أُحصي أنّ عمر قال في سبعين مورداً: «لولا عليّ لهلك عمر»، أو «لا أبقاني الله

---

(١) هود ١١: ١١٣.

(٢) بحار الأنوار: ١٨٣/٢٣.

لمـعضلة ليس لهـا أبـوالحسـن » ، وكـذا رجـوع غـيرهم إلى أولاده الأئـمّة الأحـد عشر عليهم السلام ، ومنهم أبو حنيفة ، حيث اشتهر عنه قوله : « لولا السنتان لهلك النعمان » ، كما نقله صاحب كتاب الإمام الصادق والمذاهب الأربعة عن بعض كـتب القـوم ، كما في بالي[1] .

(١) ومن جملة من نقله : الآلوسي في كتابه التحفة الاثني عشريّة : ٨.

الآية التاسعة: قوله تعالى :

﴿**إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾(١)

قال الرازي في « **تفسيره** » : « واعلم أنّ أهل الظاهر من المفسّرين ذكروا هاهنا أقوالاً ـ إلى أن قال : ـ والثالث : المنذر النبيّ ، والهادي عليّ .

قال ابن عبّاس (رضي الله عنهما) : « وضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده على صدره فقال : **أنا المنذر** .

ثمّ أومأ إلى منكب عليّ رضي الله عنه وقال : **أنت الهادي ـ يا عليّ ـ يهتدي المهتدون من بعدي** »(٢) ونحوه .

وذكر النيشابوري في « **تفسيره** » : « روى الحسين بن الحكم الحميري ـ من رواة القرن الثالث الهجري ـ في كتابه « ما نزل من القرآن في أهل البيت عليهم السلام »(٣) بسنده عن أبي صالح ، عن ابن عبّاس : ﴿**إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ**﴾ رسول الله صلى الله عليه وآله ، و : ﴿**وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ عليّ عليه السلام »(٤) .

وفيه أيضاً : بسنده عن أبي داود ، عن برذة ، قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول :

---

(١) الرعد ١٣ : ٧ .

(٢) تفسير الرازي : ٢٧١/٥ .

(٣) طبع هذا الكتاب في قم المشرّفة بتحقيق الأُستاذ المؤيّد السيّد أحمد الحسيني الأشكوري سلّمه الله وأبقاه ، ومن كلّ مكروه وقاه ، وهو من أصدقائنا الأجلّاء ، له الهمّة العالية في نشر فضائل أهل البيت عليهم السلام وعلومهم ، وقد أصدر عدّة كتب لأجلّاء علمائنا في مواضيع مختلفة ، وخدم الأُمّة الإسلاميّة ، فجزاه الله بجدّه عن جدّه أفضل الجزاء ، وله مؤلّفات ثمينة مطبوعة ومخطوطة . منه عفي عنه .

(٤) ما نزل من القرآن في أهل البيت عليهم السلام : ٦٣ .

أنا المنذر، ويده إلى صدره، ثمّ يقول: ﴿**وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ يشير إلى عليّ عليه السلام بيده»[١].

وروى الحاكم الحسكاني في «**شواهد التنزيل**»: بسنده عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، قال: «لمّا نزلت ﴿**إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ قال رسول الله: **أنا منذر، وعليّ الهادي من بعدي**، وضرب بيده إلى صدر عليّ فقال: **أنت الهادي من بعدي ـ يا عليّ ـ بك يهتدي المهتدون**»[٢].

وفي «**الدرّ المنثور**»: عن أبي برزة الأسلمي: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ﴿**إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ**﴾ ووضع يده على صدره، ثمّ وضعها على صدر عليّ عليه السلام ويقول: ﴿**وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾»[٣].

قال: وأخرج ابن مردويه والضياء في المختارة عن ابن عبّاس رضي الله عنه في الآية، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **المنذر والهادي عليّ بن أبي طالب عليه السلام**»، كما في «**الفضائل**»[٤].

وفي «**كنز العمّال**»: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **أنا المنذر، وعليّ الهادي، وبك ـ يا عليّ ـ يهتدي المهتدون من بعدي**».

قال: أخرجه الديلمي عن ابن عبّاس[٥].

وفي «**مستدرك الصحيحين**» للحاكم: بسنده عن عبّاد بن عبدالله الأسدي، عن عليّ عليه السلام ﴿**إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾، قال عليّ عليه السلام: **رسول الله صلى الله عليه وآله المنذر، وأنا الهادي**».

---

(١) ما نزل من القرآن في أهل البيت عليهم السلام: ٦٣.

(٢) شواهد التنزيل: ٣٨١/١.

(٣) و (٤) الدرّ المنثور: ٤٥/٤.

(٥) كنز العمّال: ١٥٧/٦.

قال : هذا حديث صحيح الإسناد[١].

وقال : أخرجه ابن أبي حاتم ، وذكره الهيتمي في « **مجمع الزوائد** »[٢] ، وابن صبّاغ المالكي في « **الفصول المهمّة** »[٣] ، ودرويش برهان في كتاب « **درّ بحر المناقب** »[٤].

أقول : الأخبار والأحاديث من طرق الفريقين في أنّه عليه السلام المراد من الهادي ، متظافرة جدّاً ، وأمّا الاستدلال بالآية على إمامة وخلافة مولانا أبي السبطين أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) واضحة جدّاً ، حيث إنّ الله تعالى قرنه مع نبيّه صلى الله عليه وآله ، فجعله المنذر ، وعليّاً الهادي في اُمّته ، والهادي يكون مصوناً عن الضلال والإضلال ، ولا يسلك بمن تبعه إلّا طريق الحقّ والهداية ، وكما أنّ إنذار المنذر عامّ لكلّ قوم وطائفة ، فكذلك هداية الهادي ، وهذه إحدى دلائل الإمامة ، ونور الولاية ، وبرهان الخلافة ، وأنّها منحصرة به .

ويدلّ عليه قوله صلى الله عليه وآله : « **بك يهتدي المهتدون من بعدي** »[٥] ؛ لتقديم الجار والمجرور المقتضي للحصر به بعد وفاته صلى الله عليه وآله .

وفي « **شواهد التنزيل** » : بسنده عن ابن عبّاس ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **ليلة اُسري بي ما سألت ربّي شيئاً إلّا أعطانيه ، وسمعت منادياً من خلفي يقول : يا محمّد ، إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد .**

قلت : أنا المنذر ، فمن الهادي ؟

---

(١) مستدرك الصحيحين : ٣/١٢٩.

(٢) مجمع الزوائد : ٧/٤١.

(٣) الفصول المهمّة : ١٢٢.

(٤) المطبوع في تبريز عام ١٣١٣هـ.

(٥) كنز العمّال : ٦/١٥٧.

قال : عليّ الهادي ، القائد أُمّتك إلى جنّتي غرّاً محجّلين برحمتي »(١) .

وفيه أيضاً : بسنده عن أبي هريرة ـ في قوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ**﴾ ـ : يعني رسول الله ، وفي قوله : ﴿**وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ قال : سألت عنها رسول الله ، فقال : **إنّ هادي هذه الأُمّة عليّ بن أبي طالب »**(٢) .

وفيه أيضاً : بسنده عن عبّاد بن عبدالله ، قال : « قال عليّ : **ما نزل من القرآن إلّا وقد علمت متى نزلت ، وفيمن نزلت .**

قيل : فما نزل فيك ؟

فقال : **لولا أنّكم سألتموني ما أخبرتكم ، نزلت فيَّ هذه الآية : ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ، فرسول الله المنذر ، وأنا الهادي إلى ما جاء به »**(٣) .

وفيه أيضاً : بسنده عن أبي فروة السلمي ، قال : « دعا رسول الله صلى الله عليه وآله بالطهور ، وعنده عليّ بن أبي طالب ، فأخذ رسول الله بيد عليّ بعد ما تطهّر فألزقها بصدره ، ثمّ قال : ﴿**إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ**﴾ ، ثمّ ردّها إلى صدر عليّ ، ثمّ قال : ﴿**وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ ، ثمّ قال : **إنّك منارة الأنام ، وغاية الهدى ، وأمير القرّاء (كذا) أشهد على ذلك أنّك كذلك »**(٤) .

وفيه أيضاً : بسنده عن عبدالله بن عامر ، قال : « أزعجت الزرقاء الكوفيّة إلى معاوية ، فلمّا دخلت عليه قال لها معاوية : ما تقولين في مولى المؤمنين عليّ ، فأنشأت تقول :

---

(١) شواهد التنزيل : ٣٨٥/١.

(٢) شواهد التنزيل : ٢٩٧/١.

(٣) شواهد التنزيل : ٣٠٠/١.

(٤) شواهد التنزيل : ٣٠١/١.

صـلّى الإله عـلى قـبر تـضمّنه نـور فـأصبح فـيه العـدل مـدفونا

من حالف العدل والإيمان مـقترناً فـصار بـالعدل والإيـمان مـقرونا

فقال لها معاوية : كيف غررت فيه هذه الغريرة ؟

فقالت : سمعت الله يقول في كتابه لنبيّه : ﴿**إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ المنذر رسول الله ، والهادي عليّ وليّ الله »[١] ، انتهى .

هذا وممّا يدلّ على أنّ علياً وأولاده عليهم السلام هـم الهـداة : الأخـبار المـتواتـرة عـن النبيّ صلى الله عليه وآله الدالّة على التمسّك بهم ، وأنّهم مع القرآن ، وأنّهم مع الحقّ ، والحقّ معهم وفيهم دائماً .

ولا يخفى أيضاً احتياج الناس في كلّ عصر وزمان إلى هاد يهديهم إلى طريق الحقّ وإلى ما جاء به النبيّ صلى الله عليه وآله ؛ لأنّ الانذار وحده لا يكاد يكفي بالنسبة إلى القرون المتأخّرة والأجيال القادمة ، إلّا بوجود من يهديهم إليه ؛ لاحتمال التغيير والتصحيف ، وعدم مصونيّة الدين من أيدي المبطلين ، وانتحال المنتحلين ، وافتراء الكذّابين ، إلّا بوجود الهادين الذين يردون عليهم أباطيلهم ومفترياتهم ، كما قال مولانا الإمام صادق آل محمّد صلى الله عليه وآله : « **فإنّ فينا أهل البيت في كلّ خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين** »[٢] .

أقول : ولذا نكر ﴿**هَادٍ**﴾ متأخّراً عن قوله : ﴿**وَلِكُلِّ قَوْمٍ**﴾ ليدلّ على وجودهم في كلّ عصر وزمان ، كما أشار إليه مولانا الباقر عليه السلام : « **لكلّ زمان منّا هادٍ يهديهم إلى ما جاء به نبيّ الله صلى الله عليه وآله** »[٣] ، وهو يـدلّ عـلى التـعدّد ، وعـليّ عليه السلام الفـرد الأوّل مـنهم ،

---

(١) شواهد التنزيل : ٣٠٢/١ .

(٢) بحار الأنوار : ٩٢/٢ .

(٣) بحار الأنوار : ٣٥٨/١٦ .

وهو أفضلهم ،كما أشار إليه بعض الأعاظم قدس سره .

والاطّلاع على من يكون هادياً لا يكون إلّا بإطلاع وبيان علّام الغيوب الواقف على الضمائر والمطّلع على السرائر ، ولا يمكن أن يكون بيد الأُمّة لعدم علمهم بذلك .

ولا بدّ أيضاً من أن يكون الهادي متّصفاً بصفات المنذر من العصمة والطهارة ؛ إذ لولا ذلك لا يتمّ المطلوب لاحتمال خطئه وعدم صوابه فيما يقول ، أو احتمال طروّ الإضلال والتضليل بواسطته ، ومعلوم بالضرورة والإجماع عدم العصمة لغير عليّ وأولاده عليهم السلام ، وأنّه كما لا يمكن اختيار الأُمّة المنذر من تلقاء أنفسهم ، فكذلك الهادي ،كما تدلّ عليه الآية دلالة واضحة .

إن قلت : إنّ لزوم أن يكون هادٍ لكلّ قوم لا يدلّ على الاختصاص بأهل البيت ، لوجود غيرهم من العلماء أيضاً في كلّ زمان يهدون الناس إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ودينه ، ويرشدونهم إلى طريق الحقّ .

قلت : كلّ من أراد الهداية والعلم الصحيح طرق باب الأئمّة الاثني عشر ، ورجع إلى أقوالهم ، ولم يعهد اكتساب أحد علمه من رسول الله بلا واسطة إلّا أمير المؤمنين وأولاده ،كما أنّ قوله تعالى : ﴿**وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ يدلّ على هادٍ معيّن منصوص عليه كتعيّن المنذر ، مضافاً إلى أنّ الهداية صفة ثابتة لا يتطرّق إليها احتمال الزوال والتبدّل ، مع أنّ ما يرى بالحسّ والعيان والضرورة والوجدان أن أقوال غيرهم متضاربة ومتهافتة ، بل الكثير منها نابع عن الاجتهاد في مقابل النصوص الدينيّة الشريفة ، فلا يمكن أن يكونون هادين بتمام معنى الكلمة ، ودعوى أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد قال : « أصحابي كالنجوم ، بأيّهم اقتديتم اهتديتم » لا يصغى إليها ؛ لأنّ الحديث المذكور باطل موضوع لا أساس له ، ويكذّبه وجود منافقين ومنحرفين وغاصبين وظالمين فيهم .

فتحصّل: أنّ الهادي لا بدّ أن يكون من قِبل الله تبارك وتعالى كالمنذر، لاحتياج الناس إليه في كلّ عصر وزمان، واتّحاد منصبهما، فالمنذر في التأسيس، والهادي في الإبقاء، وأنّ كلّاً منهما من أركان أُصول الدين الواجبة معرفتهما على جميع المسلمين، وتجب طاعته والانقياد لأمره، والأخذ بإرشاده، وعدم جواز العدول إلى غيره، وليست تتسنّى معرفته وتشخيصه إلّا من قِبله تعالى، والنصّ عليه من رسوله صلى الله عليه وآله، ومعلوم بالضرورة لدى الفريقين وإجماع المسلمين، عدم النصّ على أحد من المسلمين غير عليّ وأولاده عليهم السلام، وأنّهم الهداة والأُمراء الولاة، والسادة أُولوا الأمر الذين فرض الله طاعتهم، وعرف العباد منزلتهم.

وتفسير المنذر والهادي بالله ورسوله ـ كما نقل عن ابن عبّاس وسعيد بن جبير وغيرهما ـ كما نقله الطبرسي في **مجمع البيان**، باطل؛ لورود النصّ على النبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام بما عرفت في الروايات التي مرّ نقلها، وبذلك لا مجال للأخذ بقول ابن عبّاس وغيره مع معارضته بما نقل عنه، كما عرفت.

مع أنّ الله هو الهادي والمنذر معاً ولكن بواسطة رسله وأوليائه، وإلّا للزم إبطال إرسال الرسل وإنزال الكتب، ولا مجال للقول بتفكيك أحدهما عن الآخر؛ لبداهة بطلانه، وهو أوضح من أن يحتاج إلى بيان، فثبت أنّ الهداية مختصّة بعليّ وأولاده عليهم السلام، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنتهدي لولا أن هدانا الله، وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

الآية العاشرة: قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾(١)

وقد نزلت هذه الآية الشريفة في حقّ عليّ عليه السلام لمّا تصدّق بخاتمه في الصلاة في حال الركوع في المسجد، بإجماع المفسّرين من الفريقين، وهنا مطالب لا بدّ من ذكرها:

الأوّل: الروايات الواردة في ذلك، ونقل أقوال المفسّرين.

الثاني: بيان معنى الوليّ، والمراد منه في الآية.

الثالث: إفادة كلمة **﴿إِنَّمَا﴾** للحصر.

الرابع: استعمال الجمع في المفرد.

الخامس: عدم ارتباط الآية بما قبلها، بل هي آية مستقلّة، ثمّ الاستدلال بها على خلافة أمير المؤمنين وأولاده عليهم السلام.

المطلب الأوّل: الروايات الواردة في تفسير الآية

أمّا الأوّل: فنقول: إنّ القوم صرّحوا بنزول الآية في حقّ عليّ عليه السلام دون غيره، منهم سبط ابن الجوزي حيث ذكر ما هذا نصّه:

ومنها ـ أي: ومن جملة الآيات النازلة في حقّ عليّ عليه السلام ـ: في المائدة: قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ**

---

(١) المائدة ٥: ٥٥.

وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾، ذكر الثعلبي في « **تفسيره** » عن السدّي وعتبة بن أبي الحكم ، وغالب بن عبدالله ، قالوا : « نزلت هذه الآية في عليّ بن أبي طالب عليه السلام مرّ به سائل وهو في المسجد راكع ، فأعطاه خاتمه .

وذكر الثعلبي القصّة مسندة إلى أبي ذرّ الغفاري ، فقال : « صلّيت يوماً صلاة الظهر في المسجد ، ورسول الله صلى الله عليه وآله حاضر ، فقام سائل فسأل ، فلم يعطه أحد شيئاً .

قال : وكان عليّ عليه السلام قد ركع ، فأومى إلى السائل بخنصره ، فأخذ الخاتم من خنصره ، والنبيّ صلى الله عليه وآله يعاين ذلك ، فرفع رأسه إلى السماء وقال : **اللّهمّ أنّ أخي موسى سألك فقال :** ﴿**رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي**﴾[(١)] إلى قوله : ﴿**وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**﴾[(٢)] ، فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً : ﴿**سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا**﴾[(٣)] .

اللّهمّ وأنا محمّد صفيّك ونبيّك ، فاشرح صدري ، ويسّر لي أمري ، واجعل لي وزيراً من أهلي ، عليّاً أُشدد به أزري ـ أو قال ظهري ـ .

قال أبو ذرّ : فوالله ما استتمّ رسول الله صلى الله عليه وآله الكلمة حتّى نزل جبرئيل عليه السلام من عند الله تعالى فقال : يا محمّد ، اقرأ : ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ » .

وفي رواية أُخرى : « خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ قائم يصلّي ، وفي المسجد سائل معه خاتم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : **هل أعطاك أحد شيئاً ؟**

فقال : نعم ، ذلك المصلّي ، هذا الخاتم ، وهو راكع ، فكبّر رسول الله صلى الله عليه وآله ،

---

(١) طه ٢٠ : ٢٥ و ٢٦ .

(٢) السورة المتقدّمة : ٣٢ .

(٣) القصص ٢٨ : ٣٥ .

ونزل جبرئيل عليه السلام يتلو هذه الآية ، فقال حسّان بن ثابت :

أبا حسنٍ تَفْديكَ نفسي ومهجتي وكلُّ بطيءٍ في الهُدىٰ ومُسارعِ
أيذهبُ مدحي والمحبِّينَ ضائعاً وما المدحُ في ذات الإلـه بضائعِ
فأنت الذي أعطيتَ إذ أنتَ راكعٌ فدتْكَ نفوسُ القومِ يا خيرَ راكعِ
بخاتَمِك الميمونِ يا خير سيِّدٍ ويا خيرَ شارٍ ثمَّ يا خير بائعِ
فأنزل فيك اللهُ خيرَ ولايةٍ وبيّنها في مُحْكَماتِ الشَّرائعِ

وقال أيضاً (يعني حسّان بن ثابت) :

مَن ذا بخاتَمِهِ تصدّقَ راكعاً وأسرّها في نفسِهِ إسرارا
مَن كان باتَ علىٰ فراشِ محمد ومحمد أسرىٰ يؤمُّ الغارا
مَن كان في القرآن سُمِّيَ مؤمناً في تسعِ آياتٍ تُلِينَ غِزارا

أشار إلى قول ابن عبّاس ما أنزل الله آية في القرآن إلّا عليّ عليه السلام أميرها ورأسها .

فإن قيل : إلقاء الخاتم عبث في الصلاة ، ولا يليق ذلك بعليّ عليه السلام .

فالجواب من وجهين :

أحدهما : ما ذكرناه أنّه أشار إلى السائل ، فأخذه من خنصره .

والثاني : الكلام والأفعال كان مباحاً عندهم ، حتّى نزل قوله تعالى : ﴿**قُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**﴾[1] ، فانتهوا عنه »[2] ، انتهى ، فلاحظ[3] .

---

(١) البقرة ٢ : ٢٣٨.

(٢) تذكرة الخواص : ١٥.

(٣) قال المحدّث البحراني قدس سره ، نقلاً عن « **التذكرة الصدريّة** » : « قد اعترض بعض علماء ⇦

أقول: وأشار إلى مبيت عليّ عليه السلام على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّه فداه بنفسه وقد باهى الله به الملائكة في السماء، وقد تسالم على نقله الفريقان، بل اعترف به النصارى، كعبد المسيح أنطاكي بك[1]، وأشار إلى ولايته عليه السلام، وأنّه عنده بمعنى الأوْلى والمتصرّف، كما سيأتي بيانه.

وقال الرازي في «**تفسيره**»: «أقول: إنّ المراد من هذه الآية شخص معيّن، وعلى هذا ففيه أقوال:

الأوّل: روى عكرمة أنّ هذه الآية نزلت في أبي بكر[2].

أقول: وهو باطل لإجماع المفسّرين على نزولها في عليّ عليه السلام، وعداء عكرمة وبغضه لأمير المؤمنين أشهر من كفر إبليس، ولشهادة أبي ذرّ الذي ما أظلّت الخضراء، وأقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق منه رضوان الله عليه.

الثاني: روى عطا عن ابن عبّاس: أنّها نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وروي أنّ عبدالله بن سلام قال: «لمّا نزلت هذه الآية، فقلت: يا رسول الله، أنا رأيت عليّاً تصدّق بخاتمه على محتاج وهو راكع، فنحن نتولّاه.

⇦ النواصب أنّكم تقولون: إذا دخل أمير المؤمنين عليه السلام في الصلاة استغرق فكره في عالم الملكوت، فما يحسّ ولا يشعر بهذا العالم، ومن ثمّ كانوا يخرجون النصال من بدنه إذا أخذ في الصلاة، فكيف يشعر بالسائل حتّى أعطاه خاتمه وهو في الركوع؟ فأنشد ابن الجوزي:

يسقي ويشرب لا تلهيه سكرته — عن النديم ولا يلهو عن الكاس
أطاعه سكره حتّى تمكّن من — فعل الصحاة فهذا أعظم الناس

فلاحظ: **الكشكول**: ٣/٢. منه عفي عنه.

(١) شرح القصيدة العلويّة: ٨٦.

(٢) تفسير الفخر الرازي: ٦١٨/٣.

وروي عن أبي ذرّ رضي الله عنه أنّه قال: «صلّيت مع رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يوماً صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد، فلم يعطه أحد، فرفع سائل يده إلى السماء وقال: اللّهمّ اشهد أنّي سألت في مسجد الرسول صلّى الله عليه [وآله] وسلّم فما أعطاني أحد شيئاً، وعليّ عليه السلام كان راكعاً، فأومأ بخنصره اليمنى، وكان فيها خاتم.

فأقبل السائل حتّى أخذ الخاتم بمرأى النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، فقال: **اللّهمّ إنّ أخي موسى سألك فقال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ إلى قوله ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾، فأنزلت قرآناً ناطقاً: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً﴾**.

اللّهمّ وأنا محمّد نبيّك وصفيّك، فاشرح لي صدري، ويسّر لي أمري، واجعل لي وزيراً من أهلي، عليّاً، اُشدد به ظهري.

قال أبو ذرّ: فوالله ما أتمّ رسول الله هذه الكلمة حتّى نزل جبرئيل فقال: يا محمّد، اقرأ: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ**﴾ إلى آخرها، فهذا مجموع ما يتعلّق بالروايات في هذه المسألة»[(١)]، انتهى.

وقال الزمخشري في «**الكشّاف**»: «وأنّها ـ يعني الآية ـ نزلت في عليّ كرّم الله وجهه حين سأل سائل وهو راكع في صلاته، فطرح له خاتمه كأنّه كان مرحاً في خنصره، فلم يتكلّف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته»[(٢)]، فلاحظ.

وقال الكنجي الشافعي في «**كفاية الطالب**»: عن أنس بن مالك: «أنّ سائلاً أتى المسجد وهو يقول: من يقرض المليّ الوفيّ، وعليّ عليه السلام راكع، يقول: فأشار بيده خلفه للسائل، أي: اخلع الخاتم من يدي.

---

(١) تفسير الفخر الرازي: ٦١٨/٣ وما بعدها.

(٢) الكشّاف: ٤٦٤/١.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **يا عمر ، وجبت .**

قال : بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله ، ما وجبت ؟

قال : **وجبت له الجنّة ، والله ما خلعه من يده حتّى خلعه الله من كلّ ذنب ومن كلّ خطيئة .**

قال : فما خرج أحد من المسجد حتّى نزل جبرئيل عليه السلام بقوله عزّ وجلّ : ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ ، فأنشأ حسّان بن ثابت يقول :

أبا حسنٍ تَفْديكَ نفسي ومهجتي ... وكلُّ بطيءٍ في الهُدىٰ ومُسارِعِ

أيذهبُ مدحي والمحبِّينَ ضائعاً ... وما المدحُ في ذات الإلٰه بضائعِ

فأنت الذي أعطيتَ إذ أنتَ راكعٌ ... فدتْك نفوسُ القومِ يا خيرَ راكعِ

بخاتَمِك الميمونِ يا خير سيِّدٍ ... ويا خيرَ شارٍ ثمَّ يا خير بائعِ

فأنزل فيك اللهُ خيرَ ولايةٍ ... وبيّنها في مُحْكَماتِ الشَّرائعِ »[١]

هذا ، وممّن صرّح بنزول الآية في حقّ عليّ عليه السلام :

الشبلنجي في « **نور الأبصار** »[٢] .

والنيشابوري في « **تفسيره** »[٣] .

والسيوطي في « **الدرّ المنثور** »[٤] .

---

(١) كفاية الطالب : ١٠٦ و ١٢٢ .

(٢) نور الأبصار : ٧١ .

(٣) غرائب القرآن : ٢٨/٢ .

(٤) الدرّ المنثور : ٢٩٣/٢ .

والواحدي في «**أسباب النزول**»[١].

والمتّقي في «**كنز العمّال**»[٢].

والمحبّ الطبري في «**ذخائر العقبى**»[٣].

والهيثمي في «**مجمع الزوائد**»[٤].

والقندوزي في «**ينابيع المودّة**»[٥].

والحاكم الحسكاني في «**شواهد التنزيل**»[٦].

وابن صبّاغ المالكي في «**الفصول المهمّة**»[٧].

وابن أبي الحديد المعتزلي في «**شرح النهج**»[٨].

وابن حجر في «**الصواعق المحرقة**»[٩].

وابن عساكر في «**تاريخه**»[١٠]، وغيرهم في غيرها.

وعليه: فكما قلنا لا مجال للقول بنزولها في أبي بكر؛ لما عرفت من تظافر الأخبار، واتّفاق الأقوال على نزولها في حقّ عليّ عليه السلام، وقد نظمه الشعراء في

---

(١) أسباب النزول: ١٤٨.

(٢) كنز العمّال: ١٣/١٠٨.

(٣) ذخائر العقبى: ٨٨.

(٤) مجمع الزوائد: ٧/١٧.

(٥) ينابيع المودّة: ١١٥.

(٦) شواهد التنزيل: ١/١٦١.

(٧) الفصول المهمّة: ١٢٢.

(٨) شرح نهج البلاغة: ١٣/٢٧٧.

(٩) الصواعق المحرقة: ٢٤.

(١٠) تاريخ ابن عساكر: ٢/٤٠٩.

أشعارهم ،كحسّان ، وخزيمة بن ثابت ، ودعبل بن عليّ الخزاعي رحمه الله ، حيث قال :

نَطَقَ الكتابُ بفضلِ آلِ محمدٍ ... وولايةٍ لعليِّهِ لم تُجحَدِ
بولايةِ المختارِ مَن خير الذي ... بعد النبيِّ الصادق المتودّدِ
إذ جاءَهُ المسكينُ حالَ صلاتِهِ ... فامتدَّ طوعاً بالذراعِ وباليدِ
فتناولَ المسكينُ منهُ خاتَماً ... هِبةَ الكريم الأجودِ بن الأجودِ
فاختصّهُ الرحمنُ في تنزيلِهِ ... منْ حازَ مثلَ فَخارِهِ فليَعْدُدِ
إنَّ الإلـٰهَ وَليُّكمْ ورسولَهُ ... والمؤمنين فَمَنْ يَشَأ فَلْيجحَدِ
يكنِ الإلـٰهُ خصيمَهُ فيها غداً ... واللهُ ليس بمُخْلِفٍ في الموعدِ

كيف ولو كانت الآية نزلت في حقّ أبي بكر لرأيتهم أقاموا الدنيا وأقعدوها ، وطمروا الطوامير ، وملأوا العالم بذلك ، ولكن ما هو إلّا كذب وضعه الدجّالون ، واخترعه الأمويّون أعداء الإسلام ، ومحرّفو الكلم عن مواضعه ، ليفتروا على الله كذباً ، ويعارضوا بذلك فضائل عليّ وأولاده عليهم السلام ، نظير سدّ باب المسجد ، وحديث الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة[1] ، وغيرها ،كما لا يخفى على من راجع كتبهم .

المطلب الثاني : في بيان معنى الوليّ .

وهو والمولى بمعنى واحد ، موضوع لمعان متعدّدة على سبيل الاشتراك ، كالمحبّ والناصر ، والصديق والجار ، والحليف والسيّد ، والمعتق والعبد ، والقائم بالأمر ، وأشهر معانيه ، والمتبادر منه عند الإطلاق : هو الأوْلى بالتصرّف والقائم

(١) وضعوا مقابله أبو بكر وعمر سيّدا كهول أهل الجنّة ، وغفلوا عن عدم وجود كهل فيها ، والعصبيّة والبغض الذي بين أضلاعهم فضحهم ، والحمد لله ربّ العالمين . منه عفي عنه .

بالأمر، وأنّ وليّ المرأة من يدير شؤونها، ووليّ الصغير من يملك أمره، وهكذا السلطان ولي الرعيّة، والوالي وليّ المدينة، وغير ذلك، وقد صرّح الفيروزآبادي والجوهري وشيخنا الطريحي في «**القاموس**» و«**الصحاح**» و«**مجمع البحرين**»: بأنّ كلّ من ولي أمر واحد فهو وليّه.

فالصحيح أنّ الوليّ هو الذي يدير الأمر، وهو المراد منه في الآية الشريفة، أي الأوْلى بالنفس، والمتصرّف، والقائم بالأمر، وليس المراد غيره من المعاني؛ لأنّ المحبّة والنصرة غير محصورة بهم، وأنّ المؤمنين بعضهم أولياء بعض، مع وضوح محبّة الله ورسوله للمؤمنين، ومحبّة عليّ عليه السلام للمؤمنين جليّة غير خفيّة على أحد، فكم دافع وجاهد وانتصر للمظلوم على الظالم، حتّى لحق بربّه شهيداً صابراً محتسباً.

وبيانه من قبيل توضيح الواضحات، وتحصيل الحاصل الذي لا يليق بمقام النبوّة وشأن صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله، وأيّ مزيّة تكون لعليّ عليه السلام دون سائر المؤمنين لو أُريد من الوليّ غير معناه الحقيقي، الذي هو الأوْلى بالتصرّف من أنفسهم.

ويؤيّد ما قلناه، ويؤكّد ما حرّرناه: نزول الآية الشريفة بعد التصدّق بالخاتم، ودعاء النبيّ صلى الله عليه وآله بقوله: «**اجعل لي وزيراً من أهلي، عليّاً أُشدد به ظهري أو وزري**» وبيانه صلى الله عليه وآله سؤال موسى واستجابة دعائه، ونزول الآية قبل أن يُتمّ رسول الله صلى الله عليه وآله كلامه وقد قرنت فيها ولايته تعالى بولايتهما، وحصرها على نسق واحد، ومعنى فارد، بمعنى أنّ الولاية لله ولرسوله صلى الله عليه وآله، والمتصدّق بخاتمه في حال الركوع، وهو الذي اجتمعت فيه الصفات الكاملة من الإيمان، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة في حال الركوع، وهو المعنى الذي بيّناه دون غيره، وأي داعٍ وضرورة تستلزم نزول الآية بمجرّد التصدّق، لو كان لبيان أمر هو أظهر من الشمس، وأبين من أمس، فكلّ هذا يكشف عن الأمر الجليل، والمقام العظيم، والرتبة الشريفة، ألا وهي مقام الخلافة،

ورتبة الإمامة ، وحيث إنّ ولايته تعالى مطلقة عامّة بتمام معنى الكلمة ، فكذلك ولاية رسول الله ووليّه الثابتة لهما من قبله تعالى ، لأنّها على أُسلوب واحد من غير تقييد ،كما أنّ الأصل يقتضي عدم ثبوت الولاية لأحد على آخر إلّا ما خرج بالدليل .

المطلب الثالث : إفادة كلمة ﴿ إِنَّمَا ﴾ للحصر .

وممّا يدلّ على ما أوضحناه كلمة ﴿ **إِنَّمَا** ﴾ المفيدة للحصر بالضرورة ، واتّفاق أهل العربيّة على ذلك ، وللتبادر ،كما هو المحقّق في الأُصول .

ويؤكّده قوله تعالى : ﴿ **أَنَّمَا إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ** ﴾[(١)] و ﴿ **إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ** ﴾[(٢)] ، وغير ذلك ، ولا يعبأ بكلام الرازي الذي أنكره عناداً وبغضاً لعليّ عليه السلام بقوله : « ولا نسلّم أنّ كلمة ﴿ **إِنَّمَا** ﴾ للحصر ، والدليل عليه قوله : ﴿ **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ** ﴾[(٣)] ، ولا شكّ أنّ الحياة الدنيا لها أمثال أُخرى »[(٤)] .

فإنّه غفل عن أنّ الحصر للدنيا ، لا الممثّل به ، وقد أراد القرآن بيان تشبيه الدنيا لا حصرها بهذا المثل ، بمعنى أنّ الدنيا وحدها محل للفناء وعدم البقاء ، وهو في قوّة قولك : « إنّما الدنيا فناء وخراب ، ومحلّ البلاء والآفات » كما لا يخفى ، فلاحظ جيّداً ولا تغفل ، وتدبّر .

ومنه قول القائل :

ألا إنّما الدنيا كمنزل راكب أناخ عشيّاً وهو في الصبح راحل

فإنّه يريد أن يحصر الفناء والزوال بالدنيا فقط ، وانظر كيف أهوت به العصبيّة إلى

---

(١) الكهف ١٨ : ١١٠. الأنبياء ٢١ : ١٠٨. فصّلت ٤١ : ٦.

(٢) الكهف ١٨ : ١١٠. فصّلت ٤١ : ٦.

(٣) يونس ١٠ : ٢٤.

(٤) التفسير الكبير : ١٢/٣٠.

وادٍ سحيق ، كما لا يخفى على الفطن الدقيق .

المطلب الرابع : استعمال الجمع في المفرد.

وأمّا استعمال الجمع في المفرد ، فنقول : هو سائغ يستعمل في مقام التعظيم ، وقد جاء في التنزيل ، كقوله تعالى : ﴿**أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ**﴾(١) ، مع انحصار النساء بالصدّيقة الطاهرة ، وانحصار الأبناء بسيّدي شباب أهل الجنّة ، وقوله تعالى : ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً**﴾(٢) ، وقوله تعالى : ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ**﴾(٣) ، مع أنّ القائل هو نعيم بن مسعود الأشجعي وحده بإجماع المفسّرين ، كما أفاده مولانا شرف الدنيا والدين رضوان الله على روحه الطاهرة(٤) .

قال العلّامة مولانا الطبرسي رحمه الله في « **مجمع البيان** » ما هذا نصّه : « وليس لأحد أن يقول : إنّ لفظة الذين آمنوا لفظ جمع ، فلا يجوز أن يتوجّه على الانفراد ؛ وذلك أنّ أهل اللغة قد يعبّرون بلفظ الجمع عن الواحد على سبيل التفخيم والتعظيم ، وذلك أشهر من أن يحتاج إلى الاستدلال عليه »(٥) ، فراجع فلاحظ .

وقال الزمخشري في « **الكشّاف** » ما هذا نصّه : « فإن قلت : كيف يصحّ أن يكون لعليّ رضي الله عنه واللفظ لفظ جماعة ؟

قلت : جيء به على لفظ الجمع ، وإن كان السبب فيه رجلاً واحداً ، ليرغب الناس في مثل فعله ، فينالوا مثل نواله ، ولينبّه على أنّ سخيّة المؤمنين يجب أن تكون على

(١) آل عمران ٣ : ٦١.
(٢) النحل ١٦ : ١٢٠.
(٣) آل عمران ٣ : ١٧٣.
(٤) المراجعات : ٢٣٣.
(٥) مجمع البيان : ٣٠٢/١.

هذه الغاية من الحرص على البرّ والإحسان وتفقّد الفقراء، حتّى إن ألزمهم أمر لا يقبل التأخير، وهم في الصلاة لم يؤخّروه إلى الفراغ منها »[١].

وقال سيّدنا العلّامة شرف العترة الطاهرة (أعلى الله مقامه) في كتابه القيّم «**المراجعات**» ـ بعد نقل كلام الطبرسي رحمه الله، والزمخشري في «**مجمع البيان**» و«**الكشّاف**» ـ ما هذا نصّه: «قلت: عندي في ذلك نكتة ألطف وأدقّ، وهي أنّه إنّما أتى بعبارة الجمع دون عبارة المفرد بقياً منه تعالى على كثير من الناس، فإنّ شانئي عليّ وأعداء بني هاشم وسائر المنافقين وأهل الحسد والتنافس لا يطيقيون أن يسمعوها بصيغة المفرد؛ إذ لا يبقى لهم حينئذٍ مطمع في تمويه، ولا ملتمس في التضليل، فيكون منهم بسبب يأسهم حينئذٍ ما تخشى عواقبه على الإسلام، فجاءت الآية بصيغة الجمع مع كونها للمفرد اتّقاء معرّتهم.

ثمّ كانت النصوص بعدها تترى بعبارات مختلفة، ومقامات متعدّدة، وبثّ فيهم أمر الولاية تدريجاً حتّى أكمل الله الدين، وأتمّ النعمة جرياً منه صلى الله عليه وآله على عادة الحكماء في تبليغ الناس ما يشقّ عليهم، ولو كانت الآية بالعبارة المختصّة بالمفرد لجعلوا أصابعهم في آذانهم، واستغشوا ثيابهم، وأصرّوا واستكبروا استكباراً[٢].

وهذه الحكمة مطّردة في كلّ ما جاء في القرآن الحكيم من آيات فضل أمير المؤمنين وأهل بيته الطاهرين، كما لا يخفى. وقد أوضحنا هذه الجمل وأقمنا عليها الشواهد القاطعة، والبراهين الساطعة في كتابينا **سبيل المؤمنين**، و**تنزيل الآيات**، والحمد لله على الهداية والتوفيق»[٣]، انتهى كلامه رفع مقامه.

---

(١) الكشّاف: ١/٢٦٤.

(٢) اقتباس من الآية الكريمة: ﴿**وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً**﴾ نوح ٧١: ٧.

(٣) المراجعات: ٢٣٥.

أقول: لقد أجاد فيما أفاد، وأتى بما هو المقصود والمراد، فلله درّه، وعليه أجره، وجزاه الله بجدِّه عن جدَّه.

وفي نظري القاصر، وفكري الفاتر، أنّ التعبير بصيغة الجمع لنكتة، وهي الإشارة إلى ولاية ولده الأئمّة الأحد عشر عليهم السلام، حيث إنّهم صنعوا مثل صنع جدّهم، وكلّ واحد منهم تصدّق بذلك، فتنطبق الآية عليهم غاية التطبيق، وتكون ولايتهم كنفس ولاية عليّ عليه السلام على حدّ سواء، ولنصّ جدّهم خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله عليهم واحداً بعد واحد، وثبوت عصمتهم وطهارتهم، وانقطاعهم إلى الله غاية الانقطاع، الذي لا يبلغ شأو مرتبتهم أحد من الخلق.

فيكون المراد من قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾ الآية، أمير المؤمنين وأولاده الطيّبين (صلوات الله عليهم أجمعين)، وأنّهم أولياء الناس جميعاً، والحمد لله ربّ العالمين.

وهذا الذي ذكرناه لا ينافي ما ذكره سيّدنا العلاّمة أعلى الله مقامه، كما لا يخفى.

فثبت بهذا كلّه ولاية عليّ وإمامته وخلافته، وبطلان قول أعداء عليّ عليه السلام أنّها نزلت في حقّ أبي بكر، كما عرفت، كيف ولو نزلت آية - أقلّ من هذه وأخفى - في حقّه لرأيتهم قد ألّفوا في ذلك الكتب المفصّلة بعبارات منمّقة مسجّعة، ولكفّروا كلّ مَن على وجه الأرض ممّن يخالفه، وأباحوا دمه، مع أنّهم قد صنعوا ذلك، وزادوا على ما هنالك، كما لا يخفى.

كيف وتراهم مع ادّعائهم عدم النصّ من النبيّ صلى الله عليه وآله يتشبّثون بأمر النبيّ صلى الله عليه وآله إيّاه بالصلاة، مع عدم ثبوته وتحقّقه، وتجويزهم الصلاة خلف كلّ فاسق فاجر، كما هو المشروح في كتبهم، وكذا يتشبّثون بحديث وضع اللبنة والبئر وغيرهما ممّا تضحك منه الثكلى، والأوهى من ذلك دعواهم الإجماع على خلافته، الذي يتعذّر عليهم إثباته بالنسبة لغيره ممّن غصبوا الخلافة.

المطلب الخامس: عدم ارتباط الآية بالآيات السابقة واللاحقة

وأمّا انفصال الآية عمّا قبلها وبعدها، فواضح، لا يحتاج إلى إقامة برهان، وتجشّم استدلال، كما لا يخفى على من تدبّر ذلك، بل الآية التي قبل آية الولاية، وهي قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾(١) إنّما هي تمهيد ومقدّمة لبيان آية الولاية، والآية التي بعدها تؤكّد ذلك، وهي قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾(٢).

وسيأتي ما ينفع المقام في المطلب الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى، فراجع ولاحظ.

ودلالتها على وجوب محبّته، ممّا لا يمكن إنكاره، ولا يتحقّق ذلك إلّا بالقول بإمامته، وفي عزمي إن شاء الله أن أُفرد رسالة في هذه الآية، وأسأله أن يوفّقني لذلك بمنّه وكرمه، وبحقّ وليّه صاحب الولاية العامّة عليه السلام.

---

(١) المائدة ٥: ٥٤.

(٢) المائدة ٥: ٥٦.

الآية الحادية عشر: قوله تعالى:

﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَـٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾[١]

قال ابن حجر في «**الصواعق المحرقة**»: «أخرج الحافظ جمال الدين الزرندي، عن ابن عبّاس: أنّ هذه الآية لمّا نزلت قال صلّى الله عليه [وآله] وسلّم لعليّ عليه السلام: **هو أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين، ويأتي عدوّك غضاباً مقحمين.**

قال: **ومن عدوّي؟**

قال: **من تبرّأ منك ولعنك**»[٢].

أقول: وذكره الشبلنجي في «**نور الأبصار**»[٣].

وفي «**تذكرة الخواص**» لسبط ابن الجوزي: «﴿**أُولَـٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾، قال: هم عليّ عليه السلام وأهل بيته ومحبّوهم»[٤].

وفي «**تفسير الطبري**»: بسنده عن أبي الجارود، عن محمّد بن عليّ ﴿**أُولَـٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾، فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله: «**أنت ـ يا عليّ ـ وشيعتك**»[٥].

وفي «**الفصول المهمّة**» لابن صبّاغ المالكي: «وعن ابن عبّاس، قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَـٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾ قال لعليّ:

---

(١) البيّنة ٩٨: ٧.

(٢) الصواعق المحرقة: ٩٦.

(٣) نور الأبصار: ٧٨، باختلاف يسير.

(٤) تذكرة الخواص: ١٨.

(٥) تفسير الطبري: ٣٠/١٧١.

هو أنت وشيعتك ، تأتي يوم القيامة أنت وهم راضين ومرضيّين ، ويأتي عدوّك غضاباً مقحمين »(١) .

وروى الحاكم الحسكاني في « **شواهد التنزيل** » : بسنده عن يزيد بن شراحيل الأنصاري ـ كاتب عليّ ـ قال : « سمعت عليّاً يقول : **حدّثني رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا مسنده إلى صدري ، قال : يا عليّ ، أما تسمع قول الله عزّ وجلّ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَـٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ هم أنت وشيعتك ، وموعدي وموعدكم الحوض إذا اجتمعت الأُمم للحساب تدعون غرّاً محجّلين »**(٢) .

وفيه أيضاً : بسنده عن حسّان أبي عليّ وبحر السلمي ، عن أبي داود ، عن أبي برزة ، قال : « تلا رسول الله صلى الله عليه وآله : **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَـٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾** وقال : **هم أنت وشيعتك ـ يا عليّ ـ وميعاد ما بيني وبينك الحوض »**(٣) .

وبسنده عن جابر بن عبدالله الأنصاري ، قال : « كنّا جلوساً عند رسول الله ، إذ أقبل عليّ بن أبي طالب ، فلمّا نظر إليه النبيّ قال : **قد أتاكم أخي** .

ثمّ التفت إلى الكعبة فقال : **وربّ هذه البنيّة ، إنّ هذا وشيعته (هم) الفائزون يوم القيامة** .

ثمّ أقبل علينا بوجهه ، فقال : **أما والله إنّه أوّلكم إيماناً بالله ، وأقومكم بأمر الله ، وأوفاكم بعهد الله ، وأقضاكم بحكم الله ، وأقسمكم بالسويّة ، وأعدلكم في الرعيّة ، وأعظمكم عند الله مزيّة** .

قال جابر : فأنزل الله **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَـٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾** ،

---

(١) الفصول المهمّة : ١٢٢ .
(٢) شواهد التنزيل : ٢/٣٥٦ .
(٣) شواهد التنزيل : ٢/٣٥٩ .

فكان علي إذا أقبل قال أصحاب محمّد: قد أتاكم خير البريّة بعد رسول الله»[١].

وفيه: بسنده عن خالد بن معدان، عن معاذ في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَـٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾، قالا: «هو عليّ بن أبي طالب ما يختلف فيه»[٢].

أقول: وحديث جابر رواه في «**كفاية الطالب**»، ونقل في ذيله عدّة أحاديث، وقال: «ذكرها محدّث العراق ومؤرّخها عن ذرّ عن عبدالله، عن عليّ، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **مَن لم يقل عليّ خير الناس فقد كفر**».

وفي رواية له عن حذيفة، قال: «سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: **عليّ خير البشر، من أبى فقد كفر**».

هكذا رواه الحافظ الدمشقي في كتاب «**التاريخ**» عن الخطيب الحفاظ، وزاد في رواية له عن جابر، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **عليّ خير البشر، فمن أبى فقد كفر**».

ورواية محدّث الشام عن سالم، عن جابر، قال: «سئل عن عليّ عليه السلام فقال: **ذاك خير البريّة، لا يبغضه إلّا كافر**».

وفي رواية لعائشة عن عطا، قال: «سألت عائشة عن عليّ فقالت: ذاك خير البشر، لا يشكّ فيه إلّا كافر».

قلت: هكذا ذكره الحافظ ابن عساكر في ترجمة عليّ عليه السلام في «**تاريخه**» في المجلّد الخمسين؛ لأنّ كتابه مائة مجلّد، فذكر ثلاث مجلّدات في مناقبه عليه السلام»[٣]، انتهى.

---

(١) شواهد التنزيل: ٢/٣٦٢.

(٢) المصدر المتقدّم: ٣٦٥.

(٣) كفاية الطالب: ١١٨. ولاحظ: الدرّ المنثور للسيوطي، في ذيل آية الولاية تجد ما تقرّ به العين.

أقول: ما رواه عن ابن عساكر موجود في (ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام) المطبوع بتحقيق الأُستاذ العلّامة الشيخ محمّدباقر المحمودي دامت بركاته ، وجزاه الله عن مولاه خير الجزاء ، وقد أهدى سماحته المجلّد الثاني والثالث منه إلى خزانة كتبنا .

ودلالة الآية على خلافته وعصمته ظاهرة جليّة ، ناصعة عليّة ، حيث إنّ من يكون خير البريّة عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وآله لا بدّ وأن يكون هو الوصيّ والخليفة والقائم مقام من هو أشرف الكائنات ، ومن يكون هذا حاله لا يجوز التقدّم والتأمّر عليه ، وإن هو إلّا تقدّم على الله ورسوله صلى الله عليه وآله ، وخيريّة التابع بخيرة المتبوع .

وشيعة الرجل : أتباعه ، وهذا من الإطلاقات القديمة ، وقد أطلق ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله على من شايع عليّاً وتابعه ، ولم يعدل إلى غيره ولم يفارقه ، قال الفيروزآبادي في القاموس : « وشيعة الرجل ـ بالكسر ـ : أتباعه وأنصاره ، والفرقة على حدة ، وتقع على الواحد والاثنين ، والجمع والمذكّر والمؤنّث ، وقد غلب هذا الاسم على كلّ من يتولّى عليّاً وأهل بيته حتّى صار لهم اسماً خاصّاً »[١] ، انتهى .

وقوله تعالى : ﴿**وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ**﴾[٢] ، أي من شيعة عليّ عليه السلام ، كما جاء في حديث المعراج ، انظر لفظ « شيع » من مجمع البحرين فلاحظ ، وأصلها من المشايعة المتابعة والمطاوعة ، كما في نهاية ابن أثير ، فراجع .

أقول: ولا يصحّ إطلاق لفظ الشيعة على أحد إلّا على من شايع عليّاً وأهل بيته الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) ، وسار على منهاجهم ، واقتفى سيرتهم ، وتبرّء من أعدائهم ، كما جاء ذلك في جملة من الأخبار عن الأئمّة الأطهار (عليهم صلوات الملك الجبّار) ، ويؤكّد ذلك استفسار عليّ عليه السلام عن عدوّه ـ في الحديث

---

(١) القاموس المحيط : ٣/٤٧ .

(٢) الصافّات ٣٧ : ٨٣ .

المتقدّم ـ وإجابة النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله له بقوله : « **من تبرّء منك ويلعنك** » .

إذ لا شكّ في أنّ أعدى عدوّه ، وألدّ خصومه ، هو معاوية بن أبي سفيان وأتباعه وأشياعه من الأمويّين ، ومن يحذو حذوهم ، ويدافع عنهم ، وهم الذين سنّوا سبّه على المنابر ، وقتلوا شيعته تحت كلّ حجر ومدر ، وأخذوهم على الظنّ والتهمة ، « **حتّى إنّ الرجل لو يقال له زنديق أو كافر كان أحبّ إليه من أن يقال له شيعة عليّ** » ، كما عن مولانا الباقر عليه‌السلام [1] ؛ لأنّه كان في معرض القتل والنهب وسبي النساء وخراب الدار[2] ، ونصبوا المنابر في مساجد المدن والقرى ليعلنوا عليها سبّ عليّ عليه‌السلام وأولاده الطيّبين .

وقد ذكر الحافظ السيوطي أنّه كان في أيّام بني اُميّة أكثر من سبعين ألف منبر يلعن عليها عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام بما سنّه لهم معاوية من ذلك ، وفي ذلك يقول العلّامة أحمد الحفظي الشافعي في اُرجوته :

وقد حكى الشيخ السيوطي أنَّه ... قد كان فيما جعلوهُ سُنَّهْ
سبعون ألف منبرٍ وَعشَرهْ ... من فوقهنّ يلعنون حيدرَهْ
وهذه في جنبها العظائمُ ... تَصْغُرُ بل تُوجّهُ اللوائمُ
فهل ترىٰ من سنّها يعادىٰ ... أم لا وهل يُستَرُ أو يهادىٰ
أو عالمٌ يقول عنه نسكتُ ... أجب فإنّي للجواب مُنصتُ
وليت شعري هل يقالُ اجتهدا ... كقولهم في بغيِهِ أم ألحدا
أليس ذا يؤذيه أم لا فاسمَعنْ ... إنَّ الذي يؤذيه من ومن ومن
بل جاء في حديثِ أمّ سلمهْ ... هل فيكمُ‌الله يُسبُّ مه لِمَهْ

---

(١) شرح النهج / ابن أبي الحديد : ١٥/٣ .

(٢) شرح النهج : ٣٥٦/١ .

عاون أخا العرفان بالجوابِ وعادِ من عادىٰ أبا ترابِ(١)

وقد جمع زياد بن أبيه أهل الكوفة يحرّضهم على البراءة من عليّ عليه السلام ، كما في « **المحاسن والمساوئ** » للبيهقي(٢).

ويحدث هشام بن السائب الكلبي عن أبيه أنّه قال : « أدركت بني أود وهم يعلّمون أبناءهم وخدمهم سبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وقد دخل رجل منهم يقال له عبدالله بن إدريس بن هاني على الحجّاج الثقفي وكلّمه بكلام أغلظ له الحجّاج في الجواب ، فقال : لا تقل هذا يا أمير ، فلا لقريش منقبة ، ولا لثقيف منقبة يعتدّون بها إلّا ونحن نعتدّ بمثلها .

قال الحجّاج : وما مناقبكم ؟

قال : ما ينقص عثمان ، ولا يذكر بسوء في نادينا ، ولا رؤي خارجي منّا قطّ ، ولم يشاهد أحد منّا مع « أبي تراب » في مشاهده إلّا رجل واحد ، فأسقط ذكره عندنا ، فلا قدر له عندنا ولا قيمة ، ولم يتزوّج أحد منّا امرأة إلّا ويسأل عن حبّها لأبي تراب ، أو أنّها تذكره بخير ، فإن قيل له : تفعل ذلك ، اجتنبها ولم يتزوّجها ، ولم يولد لنا ذكر وسمّيناه عليّاً أو حسناً أو حسيناً ، ولا ولدت لنا جارية وسمّيناها فاطمة ، ونذرت امرأة منّا حين أقبل الحسين عليه السلام إلى العراق إن قتل تنحر عشرة من الإبل ، فلمّا قُتل وفت بنذرها .

وقال لنا عبدالملك : يا بنيّ أود ، أنتم الشعار دون الدثار ، وأنتم الأنصار بعد الأنصار ، وليس في الكوفة ملاحة إلّا ملاحة بني أود .

فضحك الحجّاج ، ثمّ دعى هذا الرجل إلى البراءة من عليّ ، قال : وأزيدكم

---

(١) النصائح الكافية : ٩٥.

(٢) المحاسن والمساوئ : ٢٩/١.

حسناً وحسيناً (١).

ولعلّ هذا الرجل من بني أود الموالي لأمير المؤمنين عليه السلام هو عافية بين شدّاد بن ثمامة بن سلمة بن كعب بن أود بن مصعب بن سعد العشيرة، فإنّ ابن حزم ذكر أنّه كان مع عليّ عليه السلام يوم صفّين، ثمّ نقل عن المسعودي أنّه قال: «طفت البلاد، ولقيت الناس، فما لقيت أوديّاً إلّا متعصّباً لبني اُميّة، مائلاً عن عليّ عليه السلام» (٢).

وروى أبو غسّان البصري كداد، قال: «بنى عبيدالله بن زياد أربعة مساجد بالبصرة تقوم على بغض عليّ بن أبي طالب، والوقيعة فيه» (٣).

وقال أيضاً في «**شرح النهج**»: «إنّ معاوية أمر الناس بالعراق والشام وغيرهما بسبّ عليّ عليه السلام والبرائة منه، وخطب على منابر الإسلام، وصار ذلك سنّة في أيّام بني اُميّة إلى أن قام عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه، فأزاله.

وذكر أبو عثمان أيضاً: أنّ هشام بن عبدالملك لمّا حجّ خطب بالموسم، فقام إليه إنسان فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ هذا يوم كانت الخلفاء تستحبّ فيه لعن أبي تراب.

وروى أهل السيرة: أنّ الوليد بن عبدالملك في خلافته ذكر عليّاً عليه السلام فقال: لعنه اللهِ ـ بالجر ـ كان لصّ ابن لصّ، فعجب الناس من لحنه فيما لا يحلن فيه أحد، ومن نسبته عليّاً عليه السلام إلى اللصوصيّة، كما نصّ عليه ابن أبي الحديد وغيره.

وقد قيل لمعاوية: إنّك قد بلغت ما أمّلت، فلو كففت عن لعن هذا الرجل؟

فقال: لا والله، حتّى يربو عليها الصغير، ويهرم عليها الكبير، ولا يذكر له ذاكراً فضلاً (٤).

---

(١) فرحة الغري: ٢٢.

(٢) جمهرة أنساب العرب / ابن حزم: ٣٨٦.

(٣) شرح النهج: ٣٦٨/١.

(٤) شرح النهج: ٣٥٦/١ وما بعدها.

فهل يتصوّر بعد هذا البغض الشديد ، والعداء البغيض مجال أن يقال : إنّه مجتهد ؟!! وهل قال لعليّ عليه السلام أحد : « بايع وإلّا ضربنا عنقك » غير عمر بن الخطّاب ، وهل جاء أحد غيره ودعا بالحطب ليحرق بيت عليّ وفاطمة ، الذي هو من أفاضل بيوت الأنبياء التي أمر الله أن يذكر فيها اسمه ، وقال : « والذي نفس عمر بيده ، لتخرجنّ أو لأحرقنّها على مَن فيها .

فقيل له : يا أبا حفص ، إنّ فيها فاطمة ؟

قال : وإن » .

وقد أرسله ابن قتيبة في « **الإمامة والسياسة** » إرسال المسلّمات ، مع أنّه ملتزم بأنّه لا يجمع إلّا ما يتّفق عليه(١) .

وذكره غيره ، كالمسعودي في « **إثبات الوصيّة** »(٢) .

وابن عبدربّه في « **العقد الفريد** »(٣) .

وأبو الفداء في « **تاريخه** »(٤) .

وابن أبي الحديد في « **شرح النهج** »(٥) ، وغيرهم في غيرها .

وعمر يعلم أنّ الهجوم على بيت فاطمة هجوم على بيت النبيّ ، ولم ينس(٦) أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يمرّ على باب بيت فاطمة ويقول : « **الصلاة يا أهل البيت ، ﴿إِنَّمَا**

---

(١) الإمامة والسياسة : ١٣ .

(٢) إثبات الوصيّة : ١٢٣ .

(٣) العقد الفريد : ٤/٢٥٩ .

(٤) تاريخ أبي الفداء : ١/١٥٦ .

(٥) شرح النهج : ٢/١١٩ .

(٦) لأنّه لم يمض زمان يمكن نسيانه غالباً ، مع أنّ الأُمور المهمّة التي تقع ممّا لا تنسى حتّى الممات ، كما لا يخفى .

يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[١]».

أو لم يعلم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «**إنّ ابنتي فاطمة يغضب الله لغضبها، ويرضى لرضاها**»[٢]؟!

وهل يعقل أنّها (صلوات الله عليها) ما غضبت على مَن غصب حقّها، وانتزع الخلافة الإلهيّة من بعلها، وهجم على دارها، حتّى نادت: «**يا أبتاه، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب**»[٣] كما في «**الإمامة والسياسة**».

وماتت روحي لها الفداء وهي ساخطة على أبي بكر وعمر[٤]، وأنّ الله لا يرضى

---

(١) الأحزاب ٣٣: ٣٣.

(٢) راجع مستدرك الصحيحين: ١٥٣/٣، وابن الأثير في أُسد الغابة: ٥٢٢/٢، وذخائر العقبى: ٣٩، وينابيع المودّة، والصواعق المحرقة لابن حجر، ونور الأبصار للشبلنجي، والخصائص للنسائي: ٣٥، وصحيح مسلم وصحيح البخاري في كتاب بدء الخلق، كلّهم، رووا بأسانيد مختلفة أنّ «**فاطمة بضعة منّي، فمن أغضبها أغضبني**»، ولا شكّ أنّ من أغضب رسول الله صلى الله عليه وآله أغضب الله، ومن أغضب الله فعليه لعنة الله.

وفي الجامع الصغير للسيوطي: «**فاطمة بضعة منّي، فمن أغضبها أغضبني**»، وقال: «صحّ»، يعني حديث صحيح.

قال المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٤٢١/٤: استدلّ به السهيلي على أنّ من سبّها كفر؛ لأنّه يغضبه، وأنّها أفضل من الشيخين»، انتهى.

أقول: فكيف بمن ضربها، وقتلها، وأحرق دارها، وأسقط جنينها، كما نصّ عليه الشهرستاني في الملل والنحل وغيره، أتظنّ أنّ القتل وإحراق الدار أهون من السبّ؟ منه عفي عنه.

(٣) الإمامة والسياسة: ٢٠.

(٤) راجع صحيح البخاري ـ باب غزوة خيبر، وكتاب الفرائض، وصحيح الترمذي، والإمامة والسياسة.

وفي صحيح مسلم: ٧٢/٢: «فوجدت فاطمة على أبي بكر فهجرته، فلم تكلّمه ⇦

عنهما حتّى ترضى فاطمة عليها السلام .

وبالله عليك هل يستوي من غضب الله عليه وسخط ، كمن رضي عنه ؟!

وهل تستوي الظلمات والنور ، والمؤمن والكافر ، والعادل والظالم ، ما لكم كيف تحكمون ؟

ومعه كيف يسوغ لابن حجر[١] ، والرازي ، وأمثالهما أن يدعوا محبّته ، وأنّهم من شيعته ، وهم يوالون أعداء عليّ عليه السلام ويحبّونهم ويدافعون عنهم أشدّ الدفاع ، ويجعلون الأحاديث الموضوعة في فضائلهم ، ويبرؤن ساحتهم عن كلّ ظلم وكفر وفجور ، ويعتذرون لهم بأنّهم مجتهدون مصيبون ، فهلّا قالوا ذلك فيمن يسبّهم ويلعنهم ، مع أنّه يتولّى عليّاً وأولاده ، ويسلك طريقتهم ، ويحبّ من أحبّه الله ورسوله ، ويوالي من فرض الله موالاته ، ويكفر بالجبت والطاغوت الذي أمر الله عزّ وجلّ أن يكفر بهما ، ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى[٢] ، وقاتل الله بعض شعراء النواصب حين قال :

أهوى عليّاً أمير المؤمنين ولا — أرضى بسبّ أبي بكر ولا عمرا

⇐ حتّى توفّيت » ، ولاحظ مشكل الآثار : ٤٨/٤٧ ، وهل تهجر فاطمة مسلماً من غير ذنب ، حاشاها ذلك وهي اُمّ أبيها روحي لتراب نعلها الفداء . منه عفي عنه .

(١) وهو يؤلّف كتاب تطهير الجنان عن سبّ سيّده معاوية بن أبي سفيان لعنه الله ، ولم يكتف بذلك حتّى برّء ساحة نغله يزيد الخمر الكافر ، ومنع عن سبّه ، كما سبقه بذلك الغزالي في إحياء العلوم ، وبها بات قرين لعن الطائفتين مع ارتكابه الجرائم والموبقات من الأعمال التي تقشعرّ منها الجلود من حرق الكعبة ، وإباحة المدينة التي تعرف بوقعة الحرّة ، وقتل سليل النبوّة ومهبط الوحي جدّنا الحسين السبط ، وسبيه بنات الرسالة وعقائل النبوّة التي هي أعظمها ، وأصبح بها قرين اللعنة إلى يوم القيامة . منه عفي عنه .

(٢) اقتباس من الآية الكريمة : ﴿**فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ البقرة ٢ : ٢٥٦ .

ولا أقول إذا لم يعطيا فدكاً بنت النبيّ رسول الله قد كفرا
الله يعلم ماذا يأتيان به يوم القيامة من عذر إذا اعتذرا

وقد أجابه شيخنا بهاء الملّة والدين حشره الله مع محمّد وآله الطاهرين ، وأجاد فيما أفاد :

يا أيّها المدّعي حبّ الوصيِّ ولم تسمح بسبّ أبي بكر ولا عمرا
كذبت والله في دعوى محبّته تبّت يداك ستصلى في غد سقرا
فكيف تهوى أمير المؤمنين وقد أراك في سبّ من عاداه مفتكرا
فإن تكن صادقاً فيما نطقت به فابرأ إلى الله ممّن خان أو غدرا
وأنكرَ النصّ في خمّ وبيعته وقال إنّ رسول الله قد هجرا
أتيت تبغي قيام العذر في فدك أتحسب الأمر بالتمويه مستترا
إن كان في غصب حقّ الطهر فاطمة ستقبل العذر ممّن جاء معتذرا
فلا تقولوا لمن أيّامه صرفت في سبّ شيخيكم قد ضلّ أو كفرا
بل سامحوه وقولوا لا نؤاخذه عسى يكون له عذراً إذا اعتذرا
فكيف والعذر مثل الشمس إذ بزغت والأمر متّضح كالصبح إذ ظهرا
لكن إبليس أغواكم وصيّركم عمياً وصماً فلا سمعاً ولا بصرا

فوالله كذب من زعم أنّه يحبّ عليّاً ويوالي معاوية وأمثاله(١).

---

(١) وممّن اشتهر عنه البغض لعليّ عليه السلام : عائشة بنت أبي بكر ، وهي التي حرّضت الناس على مقاتلته عليه السلام ، وجمعت الجموع والعساكر ، وتجمّلت لحربه ومقاتلته ، ونادت بطلب دم عثمان بعد ما كانت تقول : « اقتلوا نعثلاً فقد كفر » ، وتحرّض النّاس عليه ، كما هو المشروح في كتب السير والتاريخ ـ راجع شرح النهج / ابن أبي الحديد المعتزلي ، وغيره. ⇦

وقد ثبت ـ بحمد الله ـ أنّ شيعته المخلصين له ، الصادقين فيما يدّعونه ، هم :

⇨ ولهذا ترى القوم يبادرون إلى تعظيمها وتفضيلها على أُمّ المؤمنين خديجة الكبرى صلوات الله عليها ، واقطع ـ أيّها القارئ الكريم ـ لو كان إبليس يبغض عليّاً عليه السلام لأحبّوه ومنعوا عن لعنه ، وما ينتظر منهم بعد أن صرّح ابن خلّكان بأنّ « السنّي لا يكون سنّياً حتّى يوجد في قلبه شيء من بغض أهل البيت » .

كما نقله عنه صاحب كتاب مجالس المؤمنين قدس سره في الصفحة : **٢٨٨** في ذيل ترجمة السيّد أصيل الدين عبدالله الحسيني الدشتكي الشيرازي ، نقلاً عنه في ترجمة عليّ بن جهم القرشي الناصبي الملعون : حبّ عليّ لا يجتمع مع التسنّن .

أقول : وقد راجعت بعد الفراغ كتاب وفيات الأعيان لابن خلّكان في ترجمته **٤٦٢/٣** فوجدت ما هذا نصّه : « وكان مع انحرافه من عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وإظهاره التسنّن » .

وهذا المعنى وإن كان متّحداً مع ما نقله عنه السيّد قدس سره من أنّ شرط التسنّن في الواقع والحقيقة هو الانحراف عن عليّ عليه السلام ، وإنّما لم يظهروه خوف الفضيحة في العالم ، واشتهارهم بالكفر والإلحاد . ولا ينبغي إظهاره لما ذكرنا .

وأظنّ مع ذلك أنّ العبارة محرّفة ، حرّفتها الأيدي الأثيمة التي ما زالت تحرّف الكلم عن مواضعه .

هذا ، ويدلّ على ما ذكره ابن خلّكان : ما اشتملت عليه كتبهم من إنكار النصوص الواضحة ، ورفض الدلائل الساطعة ، ودفاعهم عن ابن آكلة الأكباد ، والقول بإيمان أبي سفيان ، وكفر حامي الرسول وناصره أبو طالب عليه السلام ، وغير ذلك ممّا لا مجال لنا لبيانه وإيراده في هذا المختصر .

ومعنى السنّة هو قبول ما سنّه معاوية لعنه الله لهم من سبّ عليّ عليه السلام .

هذا ، ولا يكاد ينقضي تعجّبي ممّن ابتلي بداء الدعوة إلى الاتّفاق ، وأسهد عينيه حبّ الاتّحاد والوفاق ، أن لا يتفطّن إلى ما هذا المعنى ، وأنّه غير ممكن إلّا برفع اليد عن النصوص ، وموافقة اللصوص ، ونزع حبّ الوصيّ وبغض عجل السامري عن القلوب في هذا الخصوص .

ولعمري وهذا هو المحال الذي لا يطيق حمله الرجال .

الإماميّة الإثنى عشريّة، الذين يوالون من والاه، ويعادون من عاداه، دون غيرهم من سائر الطوائف والفِرق، والحمد لله على ذلك، ونسأله أن يثبّتنا على ذلك في الحياة والممات إن شاء الله تعالى.

هذا، والروايات الدالّة على كفر من شكّ في عليّ عليه السلام يراد منها الشكّ في إمامته وخلافته من بعد النبيّ صلى الله عليه وآله بلا فصل، لعدم الشكّ لأحد من حيث عبادته وشجاعته ومحبّته لله ولرسوله، ومحبّتهما له، كما سبق لك منّا بيانه، وعدم الشكّ لأحد في أفضليّته من سائر الصحابة، منافٍ لتقديم غيره، والردّ على دعواه، وعدم قبول شهادته، بل يكون جحداً وإنكاراً لقول النبيّ صلى الله عليه وآله، ولا شكّ بذلك في كفرهم، وإنكار خلافته إنكار لأفضليّته.

إن قلت: إنّ الخليفة لا يلزم أن يكون أفضل الناس طرّاً.

قلت: مع بطلانه في نفسه، أنّه إذا ادّعى الخلافة أفضل الناس لا يجوز ردّه، لعدم ادّعائه الباطل، وما ليس بحقّه، وإلّا لم يكن أفضل الناس، ولا شكّ في أمير المؤمنين عليه السلام الخلافة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله بلا فصل من بعده، وأنّه أحقّ بها من غيره، فوجب علينا قبوله قوله عليه السلام.

الآية الثانية عشر: قوله تعالى :

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾(١)

أخرج السيوطي في «**الدرّ المنثور**» عن ابن مردويه ، عن ابن عبّاس في قوله : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ ، قال : « مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام »(٢) .

وقال أيضاً : وأخرج ابن عساكر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : ﴿**وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ ، قال : « **مع عليّ بن أبي طالب** عليه السلام » .

أقول: رواه ابن عساكر في « **تاريخه** »(٣) .

وروى الحاكم الحسكاني(٤) ، عن مالك بن أنس ، عن نافع ، عن عبدالله بن عمر في قوله تعالى : ﴿**اتَّقُوا اللهَ**﴾ ، قال : « أصحاب محمّد بأجمعهم أن يخافوا الله .

ثمّ قال لهم : ﴿**وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ يعني : محمّداً وأهل بيته » .

وروى القندوزي في « **ينابيع المودّة** » ، عن موفّق بن أحمد ، بسنده عن ابن عبّاس ، قال : « الصادقون محمّد وأهل بيته » . وفيه نحوه : عن أبي نعيم ، عن الصادق عليه السلام .

وفيه : عن أبي نعيم وصاحب المناقب ، عن الباقر والرضا عليهما السلام ، قالا : « **الصادقون**

---

(١) التوبة ٩ : ١١٩ .

(٢) الدرّ المنثور : ٣/٢٩٠ .

(٣) تاريخ ابن عساكر : ٢/٤٢١ .

(٤) شواهد التنزيل : ١/٢٦٢ .

هم الأئمّة من أهل البيت»[١].

هذا، والروايات الواردة من طرقنا كثيرة جدّاً، فراجع «**الكافي**» و«**البرهان**» وغيرهما من كتب الأخبار لعلمائنا الأخيار، حشرهم الله مع محمّد وآله الأطهار (عليهم صلوات الملك الجبّار في آناء الليل وأطراف النهار).

إذا عرفت هذا، فاعلم: أنّ الآية الشريفة تدلّ على وجوب متابعة الصادقين، وأنّ المراد منهم الأئمّة الإثنى عشر عليهم السلام، وتدلّ أيضاً على عصمتهم في جميع أقوالهم وأفعالهم، وتدلّ على وجود المعصوم في كلّ عصر وزمان إلى يوم القيامة، كما لا يخفى.

أمّا الأوّل ـ أعني وجوب متابعة الصادقين والكون معهم ـ فاعلم أنّه لا يراد من الكون: الكون الخارجي الحضوري، أو مجرّد المحبّة، بل يراد منه ـ مضافاً إليها ـ الكون على منهاجهم، كما يدلّ عليه إطلاق قوله تعالى: ﴿**وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ في كلّ ما يعملون ويأمرون به، ولا ريب في أنّ المراد من الصادقين هم الأئمّة الإثنى عشر؛ لما عرفت من الأخبار الواردة في تفسير الآية من طريق الفريقين، وتفسيرها بعليّ عليه السلام لأنّه أوّل الصادقين وأفضلهم بعد مفروغيّة وجوب اتّباع النبيّ صلى الله عليه وآله، وأمّا وجوب اتّباع أولاده الأئمّة الأحد عشر فهو فرع وجوب اتّباعه (عليهم أفضل الصلاة والسلام).

وأمّا الثاني: وهو بيان دلالتها على عصمتهم، فلا شكّ أنّ مرتبة الصدق ـ التي أمر الله باتّباع من اتّصف بها ـ مرتبة عظيمة، ودرجة شامخة رفيعة، توجب على جميع المؤمنين اتّباع من يتّصفون بها، والاقتداء بهم، والأخذ بقولهم، والكون معهم، وهذه المرتبة من الصدق هي مرتبة العصمة والطهارة التي لا يتطرّق إليها الكذب في

---

(١) ينابيع المودّة: ١١٩.

القول والفعل ، ولا يختلجها الشكّ أبداً .

وقد عرفت الآيات في هذا الخصوص ، خصوصاً آية التطهير ، وارتقاؤهم جميع مراتب الصدق والطهارة مسلّم باتّفاق الأُمّة دون غيرهم بالضرورة والإجماع ، والأمر باتّباع من لا يؤمن عليه الخطأ ولم يتّصف بمرتبة الصدق قبيح ، لا يصدر من الحكيم جلّ شأنه ، وعزّ برهانه .

فإذا ثبت ذلك فقد وجب على جميع الأُمّة متابعتهم ، لعصمتهم المنفيّة عن غيرهم بالإجماع المتسالم عليه بين جميع المسلمين ، والأخذ بقول غير عليّ عليه السلام وأولاده لا يقطع بصدقه .

ولا يعرف الصادق من الكاذب إلّا من قبله تبارك وتعالى ، وإخبار النبيّ صلى الله عليه وآله بذلك ، كما عرفت ، وقد نصّ صلى الله عليه وآله عليه عليه السلام .

وبما أنّه لا شكّ لأحد من المسلمين في أنّ عليّاً عليه السلام ادّعى الخلافة والإمامة ، كما تدلّ على ذلك خطبه واحتجاجاته على أبي بكر وعمر ، وتخلّفه وأصحابه عن بيعة أبي بكر ، فوجب على الجميع قبول ذلك منه ؛ لأنّه صادق فيما يدّعيه ، ومن ردّ عليه فقد ردّ على الله ورسوله ، وهو كفر بالضرورة ، والرجلان قد ردّا عليه ولم يقبلا شهادته كما هو المشروح في كتب السير والتاريخ من الفريقين .

ولا يعقل أنّ من حاز جميع مراتب الصدق ، حتّى أمر الله بالكون معه ، أن يكون تابعاً لغيره الذي لا تؤمن عليه مخالفة أحكام الله عمداً أو سهواً ، فكيف بمن جهل بأحكام الله ، واتّبع هواه ، وحارب ربّه فيما أبدعه من تلقاء نفسه ؟!

وأمّا الثالث: وهو دلالتها على وجود الصادقين في كلّ عصر وزمان ، فتقريبها بأنّ الله تبارك وتعالى أراد بقوله : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ عموم المؤمنين إلى يوم القيامة ، لا خصوص الحاضرين من الصحابة في مجلس الخطاب ، وبالتالي فتدلّ الآية على وجود صادق في كلّ عصر يجب الكون معه ، والأخذ منه ، وأنّه معصوم

لا يجوز عليه الخطأ، فكما أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله واجب الاتّباع فكذلك عليّ بن أبي طالب وأولاده، فإنّهم الصادقون في كلّ عصر وزمان، كما يقتضيه التعبير بصيغة الجمع.

وأمره تعالى عباده بالاتّقاء عموماً، وعطفه عليه بالكون مع الصادقين يدلّ على عموم المؤمنين في جميع الأزمان والأوقاف.

إن قلت: مجرّد الطاعة لا يقتضي الإمامة والخلافة، فإنّه مثل وجوب طاعة الوالد والزوج والسيّد وغيرهما، مع عدم ثبوت الإمامة لهم.

قلت: قد ثبت عدم وجوب طاعة أحد لأحد، للأصل، إلّا ما خرج بالدليل، فوجوب طاعة الوالد والزوج والسيّد على الولد والزوجة والعبد إنّما هي لخصوصيّة اقتضاها مقام الابوّة والزوجيّة والمالكيّة، وليست تجب طاعتهم فيما يستلزم معصية الخالق، بل لا تجب عليهم الطاعة بشكل مطلق، فالزوجة إنّما تجب عليها الطاعة في اُمور خاصّة، والولد إنّما الثابت في حقّه هو حرمة العقوق لا وجوب الطاعة، فما يستلزم ترك الطاعة عقوقاً فهو حرام، وقياسه بالمقام قياس مع الفارق.

وعليه: فوجوب طاعة الصادقين إنّما هي لأجل هذه الصفة التي اتّصفوا بها، وعصمة المتّصف بها تستلزم وجوب طاعته من دون مدخليّة شيء آخر معه، ولا يمكن انفكاك الخلافة في صورة وجوب الطاعة لأجل تلك الصفة، وإلّا لما أمر الله بمتابعتهم عموماً، مع وضوح ادّعائهم مرتبة الخلافة والإمامة، فيجب قبولها منهم لصدقهم.

هذا، ولوضوح دلالة الآية على وجود معصوم غير جائز عليه الخطأ في جميع الأزمان، اعترف الفخر الرازي الذي عُرف بأنّه إمام المشكّكين بذلك في تفسيره، فقالما هذا نصّه:

«المسألة الأُولى: أنّه تعالى أمر المؤمنين بالكون مع الصادقين، ومتى وجب

الكون مع الصادقين ، فلا بدّ من وجود الصادقين في كلّ وقت » .

إلى أن قال ـ بعد جواب من زعم أنّه محمول على الكون على طريقة الصادقين ، وأنّه موجود في زمان الرسول صلى الله عليه وآله فقط ـ ما هذا نصّه أيضاً :

« والرابع : وهو أنّ قوله ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ** ﴾ أمر لهم بالتقوى ، وهذا الأمر إنّما يتناول من يصحّ منه أن لا يكون متّقياً ، وإنّما يكون كذلك لو كان جائز الخطأ ، فكانت الآية دالّة على أنّ من كان جائز الخطأ وجب كونه مقتدياً بمن كان واجب العصمة ، وهم الذين حكم الله تعالى بكونهم صادقين ، فهذا يدلّ على أنّه واجب على جائز الخطأ كونه مع المعصوم عن الخطأ ، حتّى يكون المعصوم عن الخطأ مانعاً لجائز الخطأ عن الخطأ ، وهذا المعنى قائم في جميع الأزمان ، فوجب حصوله في كلّ الأزمان .

فإن قلت : لِمَ لا يجوز أن يكون المراد ـ من الكون مع الصادقين ـ هو كون المؤمن مع المعصوم الموجود في كلّ زمان .

قلنا : نحن نعترف بأنّه لا بدّ من معصوم في كلّ زمان ... الخ ، فراجع[1] ، فإنّه أخذ يقول إنّ المراد من المعصوم في كلّ زمان هو مجموع الأُمّة ، يعني علمائها وأهل الحلّ والعقد ، وأنّه يدلّ على حجّية الإجماع ، فلاحظ .

أقول : إرادة أنّ المعصوم الواجب اتّباعه هو الإجماع ، باطل من وجوه :

أوّلاً : لعدم ما يدلّ على حجّيته بما هو إجماع من آية أو رواية ، والاستدلال عليه بالآية مصادرة على المطلوب وأوّل الكلام ، مع أنّ المعتبر من الإجماع عندنا هو ما كان كاشفاً عن رأي المعصوم ، ووجوده في جملة المجمعين ، وعدم حجّيته بما هو هو .

---

(١) تفسير الفخر الرازي : ٤/٤٦٠ .

وثانياً: أنّ الإجماع من جميع الأُمّة، أو أهل الحلّ والعقد على أمر، محال عادة، بل تيسّره وتحقّقه منتفٍ غالباً، ومتى امتنع أو تعسّر حصول الإجماع امتنعت حجّيته، فكيف يأمر باتّباعه.

وثالثاً: أنّ المجموع بما هو مجموع لا يتّصف بالصادق، لعدم تعقّله بما هو مجموع.

ورابعاً: إرادة المجموع من الأُمّة خلاف الظاهر، فلا يصار إليه إلّا بدليل، والمنصرف منه هو الأفراد دون المجموعات، مع ما عرفت من النصوص في هذا الخصوص.

ثمّ إنّ العدول من كلمة «من» إلى «مع» كاشف قطعي عن أنّ المراد بالصدق المرتبة المخصوصة، لوجوب الصدق على كلّ مؤمن ومؤمنة، وحرمة الكذب كذلك.

فتحصّل من جميع ما ذكر ـ إلى هنا ـ أنّ المراد من الصادقين هي الطائفة المخصوصة، والعدّة التي عيّنها الله ورسوله صلى الله عليه وآله في النصوص الواردة، وهم أئمّتنا الإثنى عشر، أوّلهم مولانا عليّ بن أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليه)، واللعنة على أعدائه من الجنّ والإنس، وآخرهم المهدي المنتظر عجّل الله فرجه، وسهّل مخرجه، وجعلنا من أعوانه وأنصاره إن شاء الله تعالى.

هذا، ولو سلّمنا حجّية الإجماع، فهذا يصحّ بالنسبة إلى ما أُجمع عليه، فكيف يصنع بما اختلف فيه، وهو الغالب من تشتّت الآراء، وتضارب الأقوال.

ثمّ استشكل الفخر الرازي على إرادة أئمّتنا الإثني عشر عليهم السلام بقوله: «وأنتم تقولون ذلك المعصوم واحد منهم، فنقول هذا الثاني باطل؛ لأنّه تعالى أوجب على كلّ واحد من المؤمنين أن يكون مع الصادقين، وإنّما يمكنه ذلك لو كان عالماً بأنّ ذلك الصادق من هو، لا الجاهل بأنّه من هو، فلو كان مأموراً بالكون معه كان ذلك تكليف

ما لا يطاق ، وأنّه لا يجوز ، لكنّا لا نعلم إنساناً معيّناً موصوفاً بوصف العصمة » .

أقول : وفي كلامه هذا نظر بيّن لا يخفى على الناظر البصير ؛ لأنّا نقول : إنّه يجب على كلّ مكلّف البحث عنه في الأدلّة لإمكان معرفته ، كإمكان معرفة الرسل ، كيف وقد أوضح الله السبيل ، وأنار البرهان ، والدليل مع ما عرفت من الروايات الواردة عن طريق الفريقين من تفسير الصادقين بعليّ وأهل بيته الطاهرين ، ويجب البحث عنه مقدّمة لوجوب اتّباعه .

هذا ، ولا يخفى أنّ كلّ واحد من الأُمّة جائز الخطأ قطعاً ، فكذلك إجماعهم ؛ لاحتمال خطأ كلّ واحد لا بعينه ، فضلاً عن القطع بالخطأ الذي لا يصحّ معه وصفهم بالصادقين ، مضافاً إلى ضعف سند حديث : « **أُمّتي لا تجتمع على الخطأ** » ، ولعدم العصمة لآحاد الأُمّة وإجماعهم ، وقد ثبت ـ بحمد الله ـ أنّ المراد من الصادقين من لا يتطرّق إليه الخطأ ، لا عمداً ولا سهواً ، وهم أئمّتنا الإثنى عشر عليهم السلام ، والحمد لله الذي جعلنا من التابعين لهم ، والرافضين لأعدائهم .

وصلّى الله على محمّد وآله ،

واللعنة الدائمة على أعدائهم من الأوّلين والآخرين .

آمين ربّ العالمين

الآية الثالثة عشر: قوله تعالى:

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾[(١)]

قال ابن حجر في «**الصواعق**»: «أخرج الديلمي عن أبي سعيد الخدري: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: ﴿**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ**﴾ **عن ولاية عليّ**»[(٢)].

وكأنّ هذا هو مراد الواحدي بقوله: «روي في قوله تعالى: ﴿**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ**﴾، أي عن ولاية عليّ وأهل البيت؛ لأنّ الله أمر نبيّه صلّى الله عليه [وآله] وسلّم أن يعرّف الخلق أنّه لا يسألهم على تبليغ الرسالة أجراً إلّا المودّة في القربى، والمعنى أنّهم يسألون: هل والوهم[(٣)] حقّ الموالاة كما أوصاهم النبيّ صلى الله عليه وآله أم أضاعوهم وأهملوهم، فتكون عليهم المطالبة والتبعة»[(٤)]، انتهى.

وأشار بقوله: «كما أوصاهم صلّى الله عليه [وآله] وسلّم» إلى الأحاديث الواردة في ذلك، وهي كثيرة، ستأتي منها جملة في المطلب الثاني من هذا الكتاب،

---

(١) الصافّات ٣٧: ٢٤.

(٢) الصواعق المحرقة: ٨٩.

(٣) لا بل والله أضاعوهم وأيّ إضاعة، فقد غصبوا الخلافة من عليّ عليه السلام وجعلوها كالكرة بينهم يتلقّفها أحدهم من الآخر، وجمعوا الحطب ليحرقوا بيت فاطمة عليها السلام، وسمّوا الحسن، وقتلوا الحسين، وأبادوا شيعتهم من على وجه الأرض، ومع هذا ترى ابن حجر وأمثاله يدّعون موالاة عليّ وأولاده، وهم متمسّكون بحبل غيرهم، ويحبّون ويوالون من كان يبغض عليّاً عليه السلام ويلعنه على رؤوس المنابر والأشهاد، ويتديّن بولاية من أنكر مؤاخاة النبيّ صلى الله عليه وآله مع عليّ في الملأ العامّ في المسجد، وأراد أن يقتل خير البشر الذي من شكّ فيه فقد كفر ـ منه عفي عنه.

(٤) نقل عنه ذلك ابن حجر في الصواعق المحرقة له: ٨٩.

إن شاء الله الملك الوهّاب.

وروى الحاكم الحسكاني في «**شواهد التنزيل**» : بسنده عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **إذا كان يوم القيامة أوقف أنا وعليّ على الصراط، فما يمرّ بنا أحد إلّا سألناه عن ولاية عليّ، فمن كانت معه وإلّا ألقيناه في النار، وذلك قولهم: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾**[١].

وبسنده عن المغيرة، عن الشعبي، عن ابن عبّاس في قوله تعالى: **﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾**، قال: «عن ولاية عليّ بن أبي طالب»[٢].

وفي «**تهذيب التهذيب**» لابن حجر، في ترجمة يونس بن خبّاب الأسيدي، قال إبراهيم بن زياد سبلان: حدّثنا عبّاد بن عبّاد، قال: «أتيت يونس بن خبّاب فسألته عن حديث عذاب القبر فحدّثني به، فقال: هنا كلمة أخفاها الناصبيّة.

قلت: وما هي؟

قال: إنّه ليسأل في قبره من وليّك، فإن قال: عليّ نجا»[٣].

وفي «**كفاية الطالب**»: «وروى ابن جرير الطبري، وتابعه الحافظ أبو العلاء الهمداني، وكذلك ذكره الخوارزمي عن ابن إسحاق، ورفعه ابن جرير وحده إلى ابن عبّاس في قوله تعالى: **﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾** يعني: عن ولاية عليّ عليه السلام»[٤].

أقول: الروايات والأحاديث الواردة عن طريق الفريقين بأسانيد مختلفة في عدم جواز أحد على الصراط إلّا بولاية عليّ عليه السلام، والبراءة من قبله، كثيرة جدّاً، وغير

---

(١) شواهد التنزيل: ٢/١٠٧.

(٢) شواهد التنزيل: ٢/١٠٨.

(٣) تهذيب التهذيب: ١١/٤٣٩.

(٤) كفاية الطالب: ١٢٠.

محصورة عدّاً، وأحاديث أنّ العبد يسئل يوم القيامة عن أربعة، وعدّ منها: «وعن ولايتنا أهل البيت عليهم السلام» الواردة عن طريق القوم(١) وطرقنا أيضاً، تدلّ على خلافتهم وإمامتهم، فضلاً عن وجوب محبّتهم.

لأنّ السؤال عن ولاية عليّ وحبّ أهل البيت وولايتهم، وكتابة البرائة منه حتّى يجوز على الصراط، لا يصحّ له معنى إلّا أن يراد به السؤال عن اعتقاد إمامتهم وخلافتهم، ولو لم يكن هذا المعنى هو المراد منه، لم يكن فرق بين عليّ عليه السلام وبين سائر الأولياء، فإنّه يجب تولّي سائر الأولياء والمؤمنين، لعموم ما دلّ على وجوب الحبّ في الله، والبغض في الله، وهذا لا يقتضي السؤال عنه يوم القيامة حتّى يجوز على الصراط، ولا يتوقّف على كتابة البرائة منه.

وهذا المعنى الذي ذكرناه يقتضي وجوب معرفة الإمام، وأنّ وجوب معرفته كوجوب معرفة الله ورسوله، وأنّه من أركان اُصول الدين.

وتدلّ عليه الروايات المتواترة أو المستفيضة، الدالّة على سؤال الميّت في القبر عن ربّه ونبيّه وإمامه دون بقيّة الفروع.

وكذا يدلّ عليه ما دلّ على أنّ من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة.

ويدلّ عليه أيضاً ما نقلناه عن تهذيب التهذيب لابن حجر، ودلالته على وجوب حبّه مسلّم، ولا يتحقّق إلّا بمتابعة المحبوب.

وعلى كلّ حال، فالسؤال عن ولاية عليّ عليه السلام يدلّ على عظيم منزلته، وقربه إلى الله، وأنّه أحبّ الخلق إليه سبحانه، ومن يكون هذا حاله ومنزلته لا يجوز لأحد التقّدم عليه، وأخذ الأحكام من غيره.

ومع هذا قد ردّوا عليه شهادته، وأعلنوا على المنابر سبّه، والبرائة منه،

---

(١) راجع تاريخ ابن عساكر: ١٦١/٢.

وقد قتلوا أولاده وشرّدوهم عن أوطانهم ، وزجّوهم في السجون ، ووالوا أعداءه ، ولم يراعوا في حقّه وحقّ أولاده حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله .

فكيف يكون من هذا حاله مستحقّاً للإمامة والخلافة ، فإنّه إن لم يثبت كفره ، فلا شكّ في كونه ظالماً وفاسقاً ، ولا يجوز على الصراط ، ولم تكتب له من عليّ البرائة فيسقط في جهنّم خالداً ، فثبتت ـ بحمد الله ـ إمامتهم .

ثبّتنا الله على محبّتهم في الدنيا والآخرة إن شاء الله تعالى

الآية الرابعة عشر: قوله تعالى:

﴿**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾(١)

روى الحاكم الحسكاني في «**شواهد التنزيل**»: بسنده عن ابن مسعود، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **أنا دعوة أبي إبراهيم**.

قلنا: يا رسول الله، وكيف صرت دعوة أبيك إبراهيم؟

قال: **أوحى الله عزّ وجلّ إلى إبراهيم:** ﴿**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً**﴾ **فاستخفّ إبراهيم الفرح، فقال: يا ربّ،** ﴿**وَمِن ذُرِّيَّتِي**﴾ **أئمّة مثلي، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: أن يا إبراهيم، إنّي لا أُعطيك عهداً لا أفي لك به.**

قال: يا ربّ، ما العهد الذي لا تفي لي به؟

قال: لا أعطيه لظالم من ذرّيّتك.

قال: ومن الظالم من ولدي الذي لا يناله عهدك؟

قال: من سجد لصنم دوني، لا أجعله إماماً أبداً، ولا يصلح أن يكون إماماً.

قال إبراهيم: ﴿**وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ**﴾(٢).

قال النبيّ صلى الله عليه وآله: **فانتهت الدعوة إليَّ وإلى أخي عليّ لم يسجد أحد منّا لصنم قطّ، فاتّخذني الله نبيّاً وعليّاً وصيّاً**»(٣)، انتهى.

---

(١) البقرة ٢: ١٢٤.

(٢) إبراهيم ١٤: ٣٥ و ٣٦.

(٣) شواهد التنزيل: ٣١٥/١.

أقول: وهذه الرواية ذكرها ابن المغازلي الشافعي في المناقب، فراجع.

وروايات أهل البيت عليهم السلام الواردة من طرقنا في كتبنا المعتبرة في الاستدلال بالآية على عدم لياقة من عبدَ الصنم للخلافة، مستفيضة جدّاً، فراجع البرهان والصافي وغيرهما من كتب الأخبار، فلاحظ.

هذا، وفي الآية الشريفة مطالب منيفة:

منها: أنّ الإمامة كمنصب النبوّة يكون جعلها بيد الله سبحانه وتعالى من دون اختيار للناس فيه؛ لقوله تعالى: ﴿**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً**﴾، مثل قوله: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾(١)، وأنّها عهد الله عزّ وجلّ لقوله تعالى: ﴿**لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾، فبهذا ينتفي اختيار النّاس، وأنّه ليس لهم سبيل إلى اختيار الإمام والخليفة من تلقاء أنفسهم.

ومنها: أنّ عابد الوثن والصنم ظالم لا يناله عهد الإمامة من الله تعالى، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿**لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾، وأنّ الكفر وعبادة الصنم من أعظم مراتب الظلم لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾(٢).

إن قلت: إنّ من أسلم بعد الكفر لا يصدق عليه أنّه كافر، وكذلك من كان ظالماً ثمّ تاب وصار عادلاً لا يقال له ظالم؛ لأنّ المشتقّ حقيقة فيمن تلبّس بالمبدء دون الأعمّ ممّن تلبّس بالمبدء، ومن انقضى عنه المبدء، ومن لا يصدق عليه أنّه ظالم الآن لا مانع من شمول العهد الإلهي له.

قلت: لا يخفى ـ **أوّلاً** ـ أنّ من ادّعى الخلافة من الأوّل والثاني والثالث لم يكن بنصّ من الله ورسوله صلى الله عليه وآله، بل كان بزعم القوم بالإجماع الغير المتحقّق، وبالجبر

---

(١) الأنبياء ٢١: ١٠٧.

(٢) لقمان ٣١: ١٣.

والإكراه، ونصّ الأوّل على الثاني، وبأمر دبّر في الليل للثالث، وأنت قد عرفت أنّ الإمامة عهد لله تعالى، وجعلها بيده لا بيد الناس، فيكون تسلّمهم الغصبي للخلافة ظلماً فاحشاً.

وثانياً: أنّ المشتقّ وإن كان حقيقة فيمن تلبّس بالمبدء دون الأعمّ، إلّا أنّ ذلك يكون فيما إذا كان من قبيل الصفات، مثل: العالم والجاهل، والفاسق والعادل، وأمّا إذا كان من قبيل الأفعال، مثل: القاتل، والسارق، والزاني، والوالد، والولد ونحوهما، فيصدق عليه ذلك حقيقة، فهل يمكن أن يقال للوالد إنّه كان والداً والآن مجاز، كلّا ثمّ كلّا، فكذلك الظالم.

أو أنّه يقال: أراد من الظالم باعتبار حال النسبة والتلبّس.

مع أنّه قد يقال في المقام: إنّه غير مبتنٍ على كون المشتقّ حقيقة في خصوص المتلبّس بالمبدء أو الأعمّ، بل إنّه مبتنٍ على نحو أخذ العناوين في موضوعات الأحكام، فإنّ العنوان المأخوذ في موضوع الحكم تارة يكون من قبيل المعرفات، مثل: أكرم هذا الجالس، من دون خصوصيّة لنفس الجلوس، بل أُخذ على نحو الإشارة، وتارة يكون على نحو العليّة والواسطة في العروض، مثل: صلِّ خلف العادل ولا تصلِّ خلف الفاسق، فإنّ الحكم في أمثال هذه الموارد يدور مدار الموضوع حدوثاً وبقاءً، فإذا انتفى الموضوع انتفى الحكم.

وتارة يكون العنوان دخيلاً في الحكم حدوثاً لا بقاءً، ويقال له إنّ العلّة المحدثة هي العلّة المبقيّة، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا**﴾(١)، ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ**﴾(٢)، فكذلك فيما نحن فيه.

---

(١) المائدة ٥: ٣٨.

(٢) النور ٢٤: ٢.

وممّا يدلّ على إرادة هذا المعنى القرائن الموجودة في المقام، كما لا يخفى على ذوي الأفهام.

هذا، والصحيح الذي لا يخفى على الفطن الأريب فضلاً عن الفاضل الأديب، أنّ الآية الشريفة فيما نحن فيه أجنبيّة عن بحث نزاع المشتقّ كلّيّة، بمعنى دلالتها على كون المشتقّ حقيقة فيمن تلبّس بالمبدء، أو الأعمّ منه ومن انقضى عنه المبدء، بل هي بصدد بيان الشرط والمانع، حيث إنّ الآية بضميمة الأخبار الواردة هي في بيان شرائط الإمامة والإمام.

يعني أنّ الآية المباركة في مقام بيان أنّ من شرط الإمامة والمتصّف بها عدم سبق الكفر والسجود منه للصنم حتّى يشمله العهد الإلهي، وأنّ من سجد لصنم ـ ولو آناً واحداً ـ لا يصلح للإمامة، ولا يناله هذا العهد أبداً، وهذا في قوّة قوله: لا تكرم من شرب الخمر، أو لا تصلّي خلف الزاني، وهذا المعنى يفيد الاستمرار في جميع الآنات والأزمان، ويفهم منه عدم جواز الإكرام والصلاة مطلقاً إلّا ما خرج بدليل.

ومثله قوله: لا يشرب ماء الكوثر شارب الخمر، فإنّ المتبادر منه إلى الأذهان السليمة، وفهم العرف، أنّ الشرب من ماء الكوثر مشروط بعدم شرب الخمر، وشرب الخمر يكون مانعاً عن شرب ماء الكوثر، فكذلك فيما نحن فيه يكون الكفر والسجود للصنم مانعاً من نيل العهد، وشرط الإمام أن لا يكون ممّن سجد لصنم، كما يرشدك إليه قوله صلى الله عليه وآله: «**فانتهت الدعوة إليّ، وإلى أخي عليّ** عليه السلام**، لم يسجد أحد منّا لصنم**»، فإنّه يدلّ على أنّ نيل منصب النبوّة والإمامة مشروط بهذا الشرط، وإشارة إلى أنّ المانع من نيل هذا المنصب العظيم هو عبادة الوثن والصنم الذي عبّر عنه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿**لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾.

ويدلّ عليه أيضاً التعبير بصيغة المضارع، وهي كلمة ﴿**لَا يَنَالُ**﴾، وعدم التقييد بشيء مطلقاً يفيد الاستمرار.

كما أنّ المراد من قوله صلى الله عليه وآله: «**فانتهت الدعوة...**»، أي: وصلت إلينا، لا أنّها انقطعت بنا، كي يقال بعدم دلالتها على إمامة بقيّة الأئمّة الأحد عشر من ولد عليّ (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، كما لا يخفى.

وكما لا يخفى أيضاً أنّ عبادة الصنم ليست العلّة المنحصرة لعدم نيل الإمامة، حتّى يقال بجواز إمامة المسلم الفاسق الفاجر، بل هي إنّما خصّصت بالذكر لكونها أعظم مراتب الظلم، وعليه فلا مانع أن يكون غيرها مانعاً.

هذا، وفي المقام مطالب أُخرى أيضاً يثبت بها أنّ مقام الإمامة أعظم من مقام النبوّة، وأنّ أئمّتنا أفضل من سائر الأنبياء، حتّى أُولي العزم، إلّا خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، وأنّ من شرط الإمام العصمة أيضاً، تركناها خوف الإطالة، وعدم المجال، ولا تخفى كلّها على أرباب المعرفة والكمال، ومن أرادها فليرجع إلى مظانّها.

وفي الختام نقول: إنّه لا شكّ لأحد في أنّ الممثّل عن شخص هو في نهاية العظمة والجلالة والشرف والنبالة ـ مثل نبيّنا صلى الله عليه وآله ـ يلزم أن يكون في غاية العظمة والجلالة أيضاً، بل تالياً له في صفات الكمال والجلال، ومن لا يكون كذلك فالعقل لا يقبله، والنفوس لا تميل إليه.

فهل يعقل أن يمثّل السلطان حمّال أو بقّال عادم العقل والشعور والكمال؟

أو هل يعقل أن يمثّل وينوب مناب أحد العلماء الأعلام، والزهّاد الكرام، والأولياء العظام، أحد الفسقة الذين لا يبالون بالدين أبداً؟ فكذلك فيما نحن فيه، لا يصلح للخلافة والإمامة من قضى شطراً من عمره في الكفر وعبادة الأصنام، فينوب مناب علّة الكائنات صلى الله عليه وآله، فإنّ الخليفة يلزم أن يكون مثالاً سامياً للمجتمع في سيرته، وسلوكه، وحسن سيرته، ومتّصفاً بصفات الكمال، حتّى يكون مورداً لثقة الناس جميعاً؛ لأنّ النفوس البشريّة لا تميل إلى من هو مماثل لهم من دون امتياز بينهم وبينه.

أترى أنّ الجاهل أو الفاسق يميل إلى مثله ، كلا ثم ألف كلّا ، فإنّ الناس لو رأوا أحداً اعتاد شرب الخمر والزنا واللواط والكفر والإلحاد ثمّ تاب بعد ذلك ، وادّعى الخلافة ، لا يميلون إليه ، ولا يعتمدون عليه ، ولا يقبلون قوله أبداً ، كما لا يخفى على من نبذ العصبيّة والعناد ، والله الهادي إلى سبيل الرشاد ، وقد ثبت ـ بحمد الله ـ عدم لياقة الثلاثة لمنصب الخلافة ، والحمد لله على أن هدانا لولاية عليّ عليه السلام وأولاده .

وهناك آيات كثيرة جدّاً ، وغير محصورة عدّاً ، ظاهرة الدلالة ، وصريحة المقالة ، في إمامة الأئمّة الإثني عشر عليهم السلام تركناها خوف الإطالة ، والخروج عن خطّتنا الإيجازيّة في الكتاب ، ومن رامها فليرجع إلى الكتب المفصّلة في ذلك ، فإنّ فيما ذكرناه كفاية ، فإنّ العاقل تكفيه الإشارة ، والمكابر لا يقنع ولو بألف عبارة .

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

المطلب الثاني

بيان الأخبار الدالّة على إمامتهم
ووجوب التمسّك بهم (صلوات الله وسلامه عليهم)

اعلم وفّقك الله للصواب، وثبّتك على ولاية محمّد وأهل بيته الأطياب، (عليهم صلوات الملك الوهّاب)، أنّ الأخبار والأحاديث الواردة عن النبيّ والأئمّة (عليهم أفضل الصلاة والسلام) الدالّة على خلافتهم وإمامتهم، متواترة وغير محصورة، وسنتلو عليك في هذا المختصر جملة منها، من كتب القوم وصحاحهم.

فإنّ ما ورد عن أئمّتنا في كتب أصحابنا مفروغ عن صحّته، وإنّما الغرض من النقل عنهم ليكون أبلغ في المرام، ولئلّا تتوجّه علينا سهام اللئام، وأدحض لحجّة الخصم في المقام، وأحسم لمادّة النقض والإبرام، وليعرف الناظر ويكون على بصيرة من أمره أنّ ما دلّ على إمامة وخلافة ساداتنا الأئمّة الإثني عشر، مسلّم عند الكلّ، ولكنّ القوم جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم، والله ولي التوفيق والرشاد، فلاحظ.

الحديث الأوّل: حديث الثقلين

اعلم أنّ حديث الثقلين من الأحاديث المتواترة بين الفريقين، ومسطور في زبر الطرفين، وقد اتّفقت كلمة الأعلام على صدوره عن سيّد الأنام ﷺ، بحيث لا ينكره إلّا مكابر، وعن الحقّ حائد، ولا يجحده إلّا معاند طبع الله على قلبه،

وأعمى بصيرته.

هذا، وقد أخرج السيوطي في «**الجامع الصغير**» ما هذا نصّه: «**إنّي تارك فيكم خليفتين: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض**»[١] عن زيد بن ثابت صحّ، وقد التزم في أوّل كتابه أنّه لا يخرج فيه إلّا ما صحّ عنده.

وممّن أخرجه ابن حجر في «**الصواعق المحرقة**»، حيث قال: «وقد جاءت الوصيّة الصريحة بهم في عدّة أحاديث:

منها: حديث: «**إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي الثقلين، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما**».

قال الترمذي: «حسن غريب».

وأخرجه آخرون، ولم يصب ابن الجوزي في إيراده في «**العلل المتناهية**»[٢].

هذا وممّن ذكره وأخرجه:

أحمد بن حنبل في «**مسنده**»[٣].

والبيهقي في «**سننه**»[٤].

والمتّقي الهندي في «**كنز العمّال**»[٥].

---

(١) الجامع الصغير: ٣٥٣/١.

(٢) الصواعق المحرقة: ٧٥ و ٨٩ و ١٣٦.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ١٨٦/٣ و: ٣٦٦/٤.

(٤) السنن الكبرى: ١٤٨/٢.

(٥) كنز العمّال: ٤٥/١.

والطحاوي في «**مشكل الآثار**»[١].

والترمذي في «**صحيحه**»[٢].

وابن أثير الجزري في «**أُسد الغابة**»[٣].

وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**»[٤].

والخطيب البغدادي في «**تاريخ بغداد**»[٥]

والقندوزي في «**ينابيع المودّة**»[٦].

ومسلم في «**صحيحه**»[٧].

والنسائي في «**خصائصه**»[٨]، وغيرهم في غيرها.

وأمّا ألفاظ الحديث فقد جاء بألفاظ مختلفة، والمعنى كلّه واحد، فقد جاء بعضه بلفظ «**إنّي تارك فيكم خليفتين**»، كما عرفت في «الجامع الصغير».

وفي بعضها: «**الثقلين**»، كما في «صحيح مسلم» و«الصواعق المحرقة» لابن حجر و«مستدرك الصحيحين» و«خصائص النسائي» و«مسند الإمام أحمد بن حنبل».

وفي بعضها: «**إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي**».

---

(١) مشكل الآثار: ٣٦٨/٤.

(٢) صحيح الترمذي: ٣٢٩/٥.

(٣) أُسد الغابة: ١٢/٢ و: ١٤٧/٣.

(٤) حلية الأولياء: ٩٤/٩.

(٥) تاريخ بغداد: ٤٤٢/٨.

(٦) ينابيع المودّة: ٢٧.

(٧) صحيح مسلم: ٣٢٥/٢.

(٨) الخصائص: ٢١.

وفي بعضها: «**أمرين**»، كما في مستدرك الصحيحين أيضاً، فلاحظ.

وتبرّكاً لكتابنا ننقل حديثين مشتملين على ذكر مولانا وسيّدنا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب أرواح العالمين لتراب نعله الفداء.

فنقول: روى الهيتمي في «**مجمع الزوائد**»[1]: بسنده عن حذيفة بن أسيد، قال: «لمّا صدر رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم من حجّة الوداع نهى أصحابه عن شجرات متفرّقات بالبطحاء أن ينزلوا تحتهنّ، ثمّ بعث إليهنّ فقمّ ما تحتهنّ من الشوك، وعمد إليهنّ فصلّى عندهنّ، ثمّ قام فقال: **أيّها النّاس، إنّه قد نبّأني اللطيف الخبير أنّه لم يعمّر نبيّ إلّا نصف عمر الذي يليه من قبله، وإنّي لأظنّ يوشك أن اُدعى فاُجيب، وإنّي مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟**

قالوا: نشهد أنّك قد بلّغت، وجهدت، ونصحت، فجزاك الله خيراً.

قال: **أليس تشهدون أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ جنّته حقّ، وناره حقّ، وأنّ الموت حقّ، وأنّ البعث حقّ بعد الموت، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور؟**

قالوا: بلى نشهد بذلك.

قال: **اللّهمّ اشهد.**

ثمّ قال: **يا أيّها النّاس، إنّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أوْلى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا مولاه ـ يعني عليّاً عليه السلام ـ اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه.**

ثمّ قال: **أيّها النّاس، إنّي فرط وأنتم واردون علَيَّ الحوض، حوض ما بين بصرى إلى صنعاء، فيه عدد النجوم قدحان فضّة، وإنّي سائلكم عن الثقلين، فانظروا كيف**

(١) مجمع الزوائد: ٩/١٩٤.

تخلفوني فيهما :

الثقل الأكبر كتاب الله عزّ وجلّ ، سبب طرفه بيد الله عزّ وجلّ ، وطرفه بأيديكم ، فاستمسكوا به ، لا تضلّوا ولا تبدّلوا .

وعترتي أهل بيتي ، قد نبّأني اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض » . رواه الطبراني ، فلاحظ .

وفيه : بسنده عن زيد بن أرقم ، قال : « نزل رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم الجحفة ، ثمّ أقبل على الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : **إنّي لا أجد لنبيّ إلّا نصف عمر الذي قبله ، وإنّي أُوشك أن أُدعى فأُجيب ، فما أنتم قائلون ؟**

قالوا : نصحت .

قال : **أليس تشهدون أن لا إله إلّا الله ، وأنّ محمّداً عبده ورسوله ، وأنّ الجنّة حقّ ، وأنّ النار حقّ ؟**

قالوا : نشهد ، فرفع يده فوضعها على صدره ، ثمّ قال : **وأنا أشهد معكم .**

ثمّ قال : **ألا تسمعون ؟**

قالوا : نعم .

قال : **فإنّي فرط على الحوض ، وأنتم واردون على الحوض ، وأنّ عرضه ما بين صنعاء وبصرى ، فيه أقداح عدد النجوم من فضّة ، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين .**

فنادى منادٍ : وما الثقلان يا رسول الله ؟

قال : **كتاب الله ، طرف بيد الله عزّ وجلّ ، وطرف بأيديكم ، فتمسّكوا به لا تضلّوا ، والآخر عشيرتي ، وأنّ اللطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يتفرّقا حتّى يردا عليَّ الحوض ، فسألت ذلك لهما ربّي ، فلا تقدموهما فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ، ولا تعلّموهما فهم أعلم منكم .**

ثمّ أخذ بيد عليّ عليه السلام فقال: **مَن كنت أوْلى به من نفسه فعليّ وليّه. اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه**»[١]، انتهى، فلاحظ.

أقول: انظر بالله عليك أيّها الناظر إلى كلام أفصح من نطق بالضاد، كيف أوضح صلى الله عليه وآله في هذا الموقف المراد، بقوله: «**من كنت أوْلى به من نفسه فعليّ وليّه**»، فهل يبقى بعد ذلك لأحد تأويل وشكّ إذا ترك طريق اللجاج والعناد.

هذا وفي «**خصائص النسائي**»[٢]: بسنده عن زيد بن أرقم، قال: «لمّا دفع (كذا) النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم من حجّة الوداع، ونزل غدير خمّ، أمر بدوحات فقممن، ثمّ قال: **كأنّي دعيت فأُجيب، وإنّي تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض.**

ثمّ قال: **الله مولاي وأنا وليّ كلّ مؤمن.**

ثمّ أخذ بيد عليّ رضي الله عنه فقال: **مَن كنت وليّه فهذا وليّه. اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه**»، فراجع.

وفي «**الصواعق المحرقة**» لابن حجر[٣]: «وفي رواية أنّه صلّى الله عليه [وآله] وسلّم قال في مرض موته: **أيّها النّاس، يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً، فينطلق بي، وقد قدّمت إليكم القول معذرة إليكم، ألا إنّي مخلّف فيكم كتاب ربّي عزّ وجلّ، وعترتي أهل بيتي.**

ثمّ أخذ بيد عليّ فرفعها، فقال: **هذا عليّ مع القرآن، والقرآن مع عليّ، لا يفترقان**

---

(١) مجمع الزوائد: ١٦٣/٩.

(٢) خصائص النسائي: ٢١.

(٣) الصواعق المحرقة: ٧٥.

حتّى يردا عليَّ الحوض ، فاسألوهما ما خلّفت فيهما » ، انتهى .

أقول: لا شكّ لأحد أنّه صلى الله عليه وآله خلّف علمه عند عليّ عليه السلام وأوصاه بالخلافة ، وإلّا لما ادّعى أمير المؤمنين عليه السلام ما ليس له بحقّ أن يدّعيه .

ومعنى القرآن مع عليّ عليه السلام أي : يشهد القرآن بخلافته بلا فصل ، ويصرّح بأنّ الغاصبين هم الظالمون ، لما هو المشاهد بالعيان والوجدان من عدم استشهاد أحد لأحقيّته بالقرآن ، غير عليّ وأولاده الأئمّة الأحد عشر (عليهم أفضل الصلاة والسلام) .

سند الحديث ودلالته:

أمّا الأوّل ـ أي : صحّة السند ـ : فمفروغ عنه ، أمّا عندنا فواضح ، وأمّا عند القوم فكذلك ، وأنّه لا شكّ في ثقات رجاله ووثاقتهم بشهادة أرباب الجرح والتعديل ، مع قطع النظر عن تواتره .

قال المناوي في « **فيض القدير** »[(١)] ما هذا نصّه : « قال الهيثمي : رجاله موثّقون ، ورواه أيضاً أبو يعلى بسند لا بأس به ، والحفاظ عبدالعزيز بن الأخضر ، وزاد أنّه قال في حجّة الوداع ، ووهم من زعم وضعه كابن الجوزي . قال السمهودي : وفي الباب ما يزيد على عشرين من الصحابة » ، انتهى .

وقال ابن حجر في « **الصواعق المحرقة** » له[(٢)] ما هذا نصّه : « ولهذا الحديث طرق كثيرة عن بضع وعشرين صحابيّاً ، لا حاجة لنا ببسطها . وقال في نفس الصفحة قبل كلامه هذا بقليل : ولم يصب ابن الجوزي في إيراده في العلل المتناهية ، كيف وهو في صحيح مسلم وغيره » ، فلاحظ .

---

(١) فيض القدير : ٣/١٥.

(٢) الصواعق المحرقة : ١٣٦.

وقال: «ثمّ اعلم أنّ لحديث التمسّك بذلك طرقاً كثيرة، وردت عن نيف وعشرين صحابيّاً، ومرّ له طرق مبسوطة في حادي عشر الشبه، وفي بعض تلك الطرق أنّه قال ذلك بحجّة الوداع بعرفة، وفي أُخرى أنّه قال بالمدينة في مرضه، وقد امتلأت الهجرة[1] بأصحابه، وفي أُخرى أنّه قال ذلك بغدير خمّ، وفي أُخرى أنّه قال لمّا قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف، كما مرّ، ولا تنافي؛ إذ لا مانع من أنّه كرّر عليهم في تلك المواطن وغيرها اهتماماً بشأن الكتاب والعترة الطاهرة»، انتهى كلامه هبط مقامه، فراجع ولاحظ.

وأمّا الثاني ـ أعني دلالته على خلافة مولانا أمير المؤمنين (عليه أفضل الصلاة والسلام) وأولاده الأئمّة الأحد عشر ـ فاعلم أنّه نصّ صريح لا شبهة فيه ولا ريب يعتريه؛ وذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أخبر أُمّته باقتراب أجله، ودنوّ رحيله، والتحاقه بالملأ الأعلى، فأعلمهم بوصيّته لهم، وبيّن بمن يقتدون ويأخذون الأحكام من بعده إلى يوم القيامة.

فقال صلى الله عليه وآله: «**إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي**»، وجعل التمسّك بهما أماناً من الضلال والاختلاف بقوله صلى الله عليه وآله: «**ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً، وأنّهما لن يفترقا إلى يوم القيامة**» يعني الكتاب والعترة، وكلّ واحد منهما يرشد إلى الآخر.

هذا، وأنّ المراد من التمسّك بالقرآن العمل بأحكامه، والمشي على قوانينه، والاستضاءة بأنوار معارفه، فكذلك المراد من التمسّك بالعترة، الأخذ بقولهم، والاقتداء بهم، فكما لا يجوز لأحد العمل والتمسّك بغير القرآن وأحكامه، فكذلك المراد من التمسّك بالعترة.

وقوله صلى الله عليه وآله: «**ولا تقدّموهما**»، أو «**فلا تتقدّموهما، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا**» فإنّ المراد من التقدّم على القرآن هو التقدّم بالرأي، والقول به من دون رجوع إلى

(١) هكذا في النسخة المطبوعة، والصحيح: «الحجرة» ـ منه عفي عنه.

الكتاب ، فكذلك يراد من التقدّم على العترة الطاهرة الهادية التقدّم عليهم في الخلافة والإمامة ، وعدم الرجوع إليهم في الأحكام .

« **ولا تقصروا عنهما** » أي : لا تتخلّفوا عنهما فيما يأمرانكم به ، أو لا تقتدوا بغيرهما ، فإنّ الاقتداء بغيرهما تخلّف عنهما .

ويدلّ على عصمة العترة الهادية أيضاً ؛ لأنّ القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، وهو شافع مشفّع ، وهاد للتي هي أقوم ، ورحمة للأُمّة من الاختلاف ، فكذلك العترة لا يقولون جزافاً ، ولا يدّعون باطلاً ، ولا يتخبّطون عن الحقّ قيد أنملة أبداً ، وأمان للأُمّة من الضلال ، كما تقتضيه دلالة الاقتران ، واتّفاق كلمتهم جميعاً ، وكلّها على طبق دستور الكتاب العزيز ، بخلاف سائر المذاهب ، كما لا يخفى .

هذا ، ومفهوم قوله صلى الله عليه وآله : « **ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا** » أنّ الضلال في عدم التمسّك إلى يوم القيامة .

وأنّ المراد من العترة في قوله صلى الله عليه وآله : « **وعترتي** » هم الأئمّة الإثنى عشر ، دون غيرهم على سبيل الاستغراق ، أمّا مولانا عليّ بن أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليه) ، فواضح لا يحتاج إلى بيان ، لأخذ النبيّ صلى الله عليه وآله بيد عليّ عليه السلام ، والإشارة إليه ، كما عرفت .

وأمّا بقيّة الأئمّة الأحد عشر فلأنّهم عترة النبيّ صلى الله عليه وآله ، العالمون بالكتاب من ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، وقد ادّعوا الإمامة فيجب علينا قبول قولهم لصدقهم وعصمتهم دون غيرهم ، كما أنّه لم يدّعِ أحد العلم بالقرآن كلّه غيرهم بالإجماع والضرورة ، وتصريح النبيّ صلى الله عليه وآله عليهم واحداً بعد واحد في غير هذا الحديث ، واتّفاق كلمة المسلمين على اختلاف مللهم على علمهم وفضلهم وتفوّقهم على جميع أهل عصرهم علماً وعبادةً ، كما هو مشروح في الكتب المفصّلة .

مع ما عرفت من دلالة آية التطهير والمباهلة، وغيرهما ممّا مرّ عليك في المطلب الأوّل من هذا الكتاب.

ولعدم ثبوت العصمة لأحد دونهم بالإجماع واتّفاق الكلمة.

قال ابن حجر في «**الصواعق المحرقة**» له(١) ما هذا نصّه:

«تنبيه: سمّى رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم القرآن وعترته ـ وهي بالمثناة الفوقية الأهل والنسل والرهط والأدنون ـ ثقلين؛ لأنّ الثقل كلّ نفيس خطير مصون، وهذان كذلك؛ إذ كلّ منهما معدن للعلوم اللدنيّة، والأسرار والحكم العليّة، والأحكام الشرعيّة، ولذا حثّ صلى الله عليه وآله على الاقتداء والتمسّك بهم، والتعلّم منهم.

وقال: «**الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت**»، وقيل سمّيا ثقلين لثقل وجوب رعاية حقوقهما، ثمّ الذين وقع الحثّ عليهم منهم إنّما هم العارفون بكتاب الله وسنّة رسوله؛ إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب إلى الحوض.

ويؤيّده الخبر السابق: «**ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم**» وتميّزوا بذلك عن بقيّة العلماء؛ لأنّ الله أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وشرّفهم بالكرامات الباهرة والمزايا المتكاثرة، وقد مرّ بعضها، وسيأتي الخبر الذي في قريش: «**وتعلّموا منهم فإنّهم أعلم منكم**». فإذا ثبت هذا لعموم قريش فأهل البيت أوْلى منهم بذلك، لأنّهم امتازوا عنهم بخصوصيّات لا يشاركهم فيها بقيّة قريش.

وفي أحاديث الحثّ على التمسّك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهّل منهم للتمسّك به إلى يوم القيامة، كما أنّ الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض كما يأتي، ويشهد لذلك الخبر السابق: «**في كلّ خلف من أُمّتي عدول من أهل بيتي**» إلى آخره، ثمّ أحقّ من يتمسّك به منهم إمامهم وعالمهم عليّ بن أبي طالب

---

(١) الصواعق المحرقة: ٩٠.

كرّم الله وجهه ؛ لما قدّمنا من مزيد علمه ، ودقائق مستنبطاته ، ومن ثمّ قال أبو بكر : « عليّ عترة رسول الله صلى الله عليه وآله » أي : الذين حثّ على التمسّك بهم ، فخصّه لما قلنا ، وكذلك خصّه صلّى الله عليه [وآله] وسلّم بما مرّ يوم غدير خم ، فلاحظ .

فانظر أيّها القارئ الكريم إلى كلامه ، كيف أثبت وجوب الأخذ عن أهل بيت الرحمة والنبوّة ، وعدم جواز الأخذ عن غيرهم ؛ لأنّهم أعدال القرآن ، ولكن هل من مُسائلٍ هذا الرجل المسمّى بابن حجر : كيف مع ذلك أخذت الفروع والأُصول عن غيرهم ، وقدّمت عليهم الجبت والطاغوت ﴿**لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾(١) ، ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾(٢) ، والحمد لله ربّ العالمين .

وقوله صلى الله عليه وآله : « **إنّ الله مولاي ، وأنا مولى المؤمنين ، وأنا أوْلى بهم أنفسهم ، فمن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه** » يقطع لسان كلّ معاند ، ولا يفسح المجال للمتكبّر المجادل ، كما لا يخفى على من أمعن إليه بعين البصيرة ، ونبذ العصبيّة .

---

(١) الصفّ ٦١ : ٢ و ٣.

(٢) آل عمران ٣ : ٨٥.

الحديث الثاني

ما رواه البخاري في «**صحيحه**»(١) من كتاب الأحكام: عن جابر بن سمرة، قال: «سمعت النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقول: «**يكون اثنا عشر أميراً**. فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنّه قال: **كلّهم من قريش**»، انتهى.

وفي «**صحيح مسلم**»(٢): بسنده عن جابر بن سمرة، قال: «دخلت مع أبي على النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم فسمعته يقول: **إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتّى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة**.

قال: ثمّ تكلّم بكلام خَفِيَ عليَّ.

قال: فقلت لأبي: ما قال؟

قال: **كلّهم من قريش**»(٣).

وفيه أيضاً: عن جابر بن سمرة، قال: «سمعت النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقول: **لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً**.

ثمّ تكلّم النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم بكلمة خفيت عليَّ، فسألت أبي: ماذا قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم؟

فقال: **كلّهم من قريش**».

وفيه أيضاً: قال: عن سمّاك بن حرب، قال: «سمعت جابر بن سمرة يقول:

---

(١) صحيح البخاري: ١٢٧/٨.

(٢) صحيح مسلم: ١٠٧/٢.

(٣) صحيح مسلم ـ كتاب الإمارة: ١٠٧/٢ و ١٠٨، باب الناس تبع لقريش، والخلافة في قريش.

سمعت رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقول : **لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثنى عشر خليفة** .

ثمّ قال كلمة لم أفهمها ، فقلت لأبي : ما قال ؟

فقال : **كلّهم من قريش** » .

وفيه أيضاً : عن الشعبي ، عن جابر بن سمرة ، قال : « قال النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : **لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة** .

قال : ثمّ تكلّم بشيء لم أفهمه ، فقلت لأبي : ما قال ؟

فقال : **كلّهم من قريش** » .

وفيه أيضاً : عن الشعبي ، عن جابر بن سمرة ، قال : « انطلقت إلى رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ومعي أبي ، فسمعته يقول : **لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة** ، فقال كلمة سمعها الناس ، فقلت لأبي : ما قال ؟

قال : **كلّهم من قريش** » .

وفيه أيضاً : عن سعد بن أبي وقّاص ، قال : «كتبت إلى جابر بن سمرة مع غلامي نافع أن اخبرني بشيء سمعته من رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ، قال : فكتب إليّ : سمعت رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يوم جمعة عشيّة رجم الأسلمي يقول : **لا يزال الدين قائماً حتّى تقوم الساعة ، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة ، كلّهم من قريش** » ، فراجع .

وفي « **مستدرك الصحيحين** » للحاكم : بسنده عن مروق ، قال : «كنّا جلوساً ليلة عند عبدالله يقرئنا القرآن ، فسأله رجل فقال : يا أبا عبدالرحمن ، هل سألتم رسول الله صلّى الله عليه وآله كم يملك هذه الأُمّة من خليفة ؟

فقال عبدالله : ما سألني عن هذا أحد منذ قدمت العراق قبلك .

قال: سألناه فقال: **اثنى عشر عدّة نقباء بني إسرائيل**»[١].

أقول: ورواه السيوطي في «**الجامع الصغير**»، إلّا أنّه قال: «**إنّ عدّة الخلفاء بعدي عدّة نقباء موسى**».

قال المناوي في «**فيض القدير**» ـ في شرح الحديث ـ: «أي اثنى عشر»[٢].

وفي «**الصواعق المحرقة**» لابن حجر: «أخرج الطبراني عن جابر بن سمرة أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: **يكون بعدي اثنا عشر أميراً كلّهم من قريش**»[٣]، فلاحظ.

هذا، وممّن روى الحديث وأخرجه:

أحمد بن حنبل في «**مسنده**»[٤].

والمتّقي الهندي في «**كنز العمّال**»[٥].

وأبو نعيم الاصفهاني في «**حلية الأولياء**»[٦]، وغيرهم في غيرها.

قال السيوطي في «**تاريخ الخلفاء**»: بسنده عن الشعبي، عن جابر بن سمرة، عن النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، قال: «**لا يزال هذا الأمر عزيزاً ينصرون على من ناواهم عليه اثنا عشر خليفة، كلّهم من قريش**»[٧]. أخرجه الشيخان وغيرهما.

وله طرق وألفاظ **منها**: «**لا يزال هذا الأمر صالحاً**».

ومنها: «**لا يزال الأمر ماضياً**» رواهما أحمد.

---

(١) مستدرك الصحيحين: ٥٠١/٤.

(٢) فيض القدير في شرح الجامع الصغير: ٤٥٨/٢.

(٣) الصواعق المحرقة: ١١٣، الحديث ٣٩.

(٤) مسند أحمد بن حنبل: ٣٨٩/١ و: ٤٠٦.

(٥) كنز العمّال: ٢٩٥/٣.

(٦) حلية الأولياء: ٣٣٣/٤.

(٧) تاريخ الخلفاء: ٥.

ومنها عند مسلم : « **لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم إثنا عشر رجلاً** » .

ومنها عند البزّار : « **لا يزال أمر أُمّتي قائماً حتّى يمضي إثنا عشر خليفة ، كلّهم من قريش** » .

ومنها عند أبي داود زيادة : « فلمّا رجع إلى منزله أتته قريش فقالوا : ثمّ يكون ماذا ؟ **قال : ثمّ يكون الهرج** » .

ومنها عنده : « **لا يزال هذا الدين قائماً حتّى يكون عليكم إثنا عشر خليفة كلّهم تجتمع الأُمّة عليه** » ، عند أحمد والبزار بسند حسن ، عن ابن مسعود : أنّه سئل : كم يملك هذه الأُمّة من خليفة .

فقال : سألنا عنها رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم فقال : **إثنا عشر كعدّة نقباء بني إسرائيل** » ، انتهى .

أقول : وزاد المناوي في « **فيض القدير** » في رواية : « **كلّهم يعمل بالهدى ودين الحقّ** »[1] ، فلاحظ .

أقول : هذه الأحاديث التي نقلناها لك من كتب القوم وصحاحهم ، من الأحاديث التي اعترفوا بصحّتها ، ولم يمكنهم الغمز في سندها ، ولذلك فهي من أقوى الأدلّة ، وأوضح الحجج على خلافة أهل البيت الأئمّة الإثني عشر عليهم السلام ، وصحّة مذهب الشيعة الإماميّة الإثني عشريّة ، وبطلان سائر المذاهب والفرق كلّها .

وذلك لعدم انطباق هذا العدد المعيّن المصرّح به على سائر خلفائهم وأئمّتهم ، إمّا لعدم إيفاء عددهم ، كمذهب العامّة ، وحصرهم الخلفاء بالأربعة أو الخمسة بناءً على انضمام مولانا الإمام الحسن عليه السلام إليهم .

أو لكثرة عددهم ، كسائر الفِرق الإسلاميّة من الزيديّة والإسماعيليّة ، وغيرهم .

---

(١) فيض القدير : ٤٥٩/٢ .

إذن فلا ينطبق إلّا على مذهبنا أهل الحقّ.

هذا، وممّا يدلّ عليه قوله صلى الله عليه وآله: «**لا يزال هذا الدين عزيزاً**»، وغيره ممّا عرفته، هو بقاء الخلفاء ووجودهم في كلّ وقت وزمان إلى يوم القيامة، ويكون الإسلام بهم عزيزاً، وحصناً منيعاً قائماً، لأجل دفاعهم عن الدين، وردّ شبهات الملحدين، وأنّهم ممّا تجتمع عليهم الأُمّة، أي على علمهم وفضلهم وعبادتهم وطهارتهم، وقرب منزلتهم عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وآله، كما هو المتّفق على وجود ذلك في أئمّتنا الإثني عشر عليهم السلام، لا الاجتماع عليهم في أمر الخلافة لعدم تحقّق الإجماع على بيعة أحد من الخلفاء، كما لا يخفى على من راجع كتب التاريخ.

والخلاصة: فإنّ عزّة الدين على يد الخليفة لا يمكن أن تتحقّق إلّا إذا كان الخليفة ممّن يعمل بالهدى ودين الحقّ، من دون شكّ منه، وإنّه على بصيرة من أمره، وتجلّى له الحق من الباطل تجلّي الشمس في كبد السماء، ولا ريب في أنّه لم يوجد مثل ذلك في أحد من الخلفاء الثلاثة، فضلاً عن غيرهم، إلّا أئمّتنا (صلوات الله عليهم)، حتّى أنّ إيمانهم رجح على السموات السبع، كما مرّ، فراجع.

وأمّا عدم إرادة بني أُميّة وبني العبّاس، فذلك أوضح من الشمس، وأبين من أمس، لاشتهار كفرهم وفسقهم، وارتكابهم المحرّمات من الزنا والقتل وسفك الدماء واللعب بالقمار وشرب الخمور وإشاعة أنواع الفجور، وغير ذلك من الأعمال الموبقة التي تقشعرّ منها الجلود.

وقوله صلى الله عليه وآله: «**إثنا عشر خليفة**» يريد به: الخلافة عنه في أُمور المسلمين، والتولية عليهم كما يفصح عنه قوله صلى الله عليه وآله: «**إنّ عدّة الخلفاء بعدي عدّة نقباء بني إسرائيل**»، فإنّ نقباء بني إسرائيل كانوا خلفاء أنبيائهم بعدهم على أُممهم، كما نصّ عليه الكتاب.

وما ذهب إليه القاضي عياض(١)، ورجّحه ابن حجر في «**شرح البخاري**»، باطل ؛ لأنّه خلاف الظاهر من هذه الأحاديث التي ليست عليها غشاوة الإبهام حتّى تذهب بهم المذاهب يميناً وشمالاً.

وما معاوية حتّى يتسنّم عرش الخلافة، وهكذا نغله يزيد الخمور، لاشتهار الكفر والإلحاد والزندقة عنهما، من سبّهم عليّاً، وقتل أصحابه، والاستخفاف بالدين، ومحاربة نفس الرسول.

ومتى كان الإسلام عزيزاً في أيّامهم، وهم يريدون إخفاء نوره، وتخريب قواعده، أفي مثل زمان يزيد كان الإسلام قائماً، الذي هدم الكعبة وأحرقها، وأباح المدينة، وقتل الحسين السبط، وسبى بنات الوحي والرسالة وعقائل النبوّة، وهو القائل :

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحيٌ نزل

وكيف يصحّ انطباقه على عبدالملك بن مروان وأولاده الأربعة : الوليد وسليمان وهشام وعمر بن عبدالعزيز، وابن الزبير، أو المهتدي العبّاسي أو الطاهر(٢) مع ما

---

(١) ذهب القاضي عياض إلى أنّ المراد بالاثني عشر : من يكونون في فترة عزّة الخلافة وقوّة الإسلام، ومن تجتمع على خلافتهم الكلمة، كما نقل ذلك عنه ابن حجر في صواعقه المحرقة له : ١٨.

(٢) وحمله بعضهم على الخلفاء الأربعة والحسن ومعاوية وعمر بن عبدالعزيز وابن الزبير، فهؤلاء ثمانية، وضمّ بعضهم إليهم المهتدي العبّاسي والطاهر، فهؤلاء عشرة، ويبقى الاثنان المنتظران، أحدهما المهدي كما في الجزء الثاني من فيض القدير وتاريخ الخلفاء. قلت فهؤلاء أحد عشر، وأين الثاني عشر لا يذكره أحد، وكيف يكون منتظران وهم ينكرون المنتظر الواحد، ويشنّعون ذلك على شيعة أهل البيت.

وكيف تصحّ خلافة الثلاثة مع جهلهم بالأحكام، وغصبهم الولاية الثابتة لعليّ عليه السلام، ⇦

أوضحته كتب التاريخ من أعمالهم وجرائمهم، وكفرهم وإلحادهم، وهم الصلحاء بزعمهم.

ولا بأس بالإشارة الإجمالية إلى ما ارتكبه كلّ واحد منهم ليتّضح الحال، ولتعرف أنّه ما حملهم على القول بذلك إلّا بغضهم الذي يضمرونه لأهل البيت، ومعارضة الحقّ وأهله، ولو كان فيه سبب رفضهم وخروجهم عن دين الإسلام، ولتعلم أنّه السبب الوحيد لهم في ذلك.

فنقول: أمّا **عبدالملك بن مروان**:

فقال الراغب في «**محاضراته**»: «كان بخيلاً، قسيّ القلب، مقداماً على سفك الدماء، وكذلك عمّاله»(١).

وقال السيوطي في «**تاريخ الخلفاء**»: «لو لم يكن من مساوئ عبدالملك إلّا الحجّاج وتوليته على المسلمين وعلى الصحابة، يهينهم ويذلّهم قتلاً وضرباً وشتماً وحبساً، وقد قتل من الصحابة وأكابر التابعين ما لا يحصى، فضلاً عن غيرهم، وختم في عنق أنس وغيره، ختماً يريد بذلك ذلّهم، فلا رحمه الله ولا عفا عنه»(٢).

وصرّح الراغب والسيوطي في «**المحاضرات**» و«**تاريخ بغداد**»: أنّه كان يشرب ويضرب بالعود(٣).

⇦ مع ما ارتكبوه من عظيم الجرم من ضرب الزهراء عليها السلام وإسقاطها محسناً، كما عرفت، ولو أردنا بيان ما كانوا عليه من الفظائع والأعمال الموبقة التي صدرت منهم، وقلبهم الإسلام بطناً لظهر، لاحتجنا إلى مجلّد كبير، كما لا يخفى ـ منه عفي عنه.

(١) المحاضرات: ٩٤.

(٢) تاريخ الخلفاء: ٨٦.

(٣) المحاضرات: ٢/٣٤٣.

وخطب بعد قتل ابن الزبير خطبة دلّت على إلحاده، ذكرها السيوطي[١]، والجاحظ في «**البيان والتبيين**»، وابن أبي الحديد في «**شرح النهج**»[٢].

وأنّه لمّا أفضى الأمر إليه كان المصحف في حجره، فأطبقه وقال: «هذا آخر العهد بك»، يحدّثنا بذلك السيوطي في تاريخ الخلفاء[٣]، وابن الطقطقي في الفخري[٤]، والراغب في المحاضرات[٥]، والدميري في حياة الحيوان[٦]، وأبو الفداء في تاريخه المختصر[٧]، والقرماني في أخبار الدول، وغيرهم في غيرها.

وهو أوّل من نهى عن الأمر بالمعروف، كما في تاريخ الخلفاء[٨]، وأخبار الدول، والكامل لابن أثير[٩]، وغير ذلك ممّا يدلّ على كفره وإلحاده.

وأمّا **الوليد بن عبدالملك**:

فقال القرماني في «**تاريخه**»: «كان ذميماً، سائل الأنف، مختالاً في مشيه، قليل العلم، كان أبواه مرفّهين له فشبّ بلا أدب، وكان لحّاناً وجبّاراً ظالماً».

وفي «**مروج الذهب**»: «كان الوليد جبّاراً عنيداً، ظلوماً غشوماً»[١٠].

---

(١) تاريخ الخلفاء: ٨٥.

(٢) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ٤٧٦/٣.

(٣) تاريخ الخلفاء: ٨٤.

(٤) الفخري: ٨٧.

(٥) محاضرات الراغب: ٨٤.

(٦) حياة الحيوان: ٩٥.

(٧) المختصر في أخبار البشر: ١٩٤.

(٨) تاريخ الخلفاء: ٨٥.

(٩) الكامل في التاريخ / ابن الأثير: ٥٢٢/٤.

(١٠) مروج الذهب: ١٥١/٢.

وفي «**شرح النهج**» لابن أبي الحديد المعتزلي «روى أهل السير: أنّ الوليد بن عبدالملك في خلافته ذكر عليّاً عليه السلام، فقال: لعنه الله بالجر كان لصّ ابن لصّ، فعجب الناس من لحنه فيما لا يلحن فيه أحد، ومن نسبته إلى اللصوصيّة»(١)، وذكره في موضع آخر منه أيضاً»، فراجع.

وفي «**محاضرات الراغب**»: أنّه -يعني الوليد- كان يلاعب عبدالله بن معاوية بالشطرنج، وقال الوليد للحجّاج: هل لك في الشراب؟ فقال: لا يا أمير المؤمنين ليس بحرام ما أحللته»(٢).

وإن اُريد به الوليد بن يزيد، فذاك كفره أشهر من أن يذكر، وأبين من أن يسطّر، بل اشتهر كفره ككفر إبليس لعنه الله، حيث كان فاسقاً، شرّيباً للخمر، منتهكاً حرمات الله، أراد الحجّ ليشرب فوق ظهر الكعبة فمقته الناس لفسقه، وخرجوا عليه فقتل في جمادى الآخر سنة ستّ وعشرين.

ولمّا حوصر قال: ألم أزد في أعطياتكم؟ ألم أرفع عنكم المؤن؟ ألم أعط فقراكم؟

فقالوا: ما ننقم عليك في أنفسنا، لكن ننقم عليك انتهاك ما حرّم الله، وشرب الخمر، ونكاح اُمّهات أولاد أبيك، واستخفافك بأمر الله.

ولمّا قتل وقطع رأسه وجيء به يزيد الناقص نصبه على رمح، فنظر إليه أخوه سليمان بن يزيد فقال: بُعداً له، أشهد أنّه كان شروباً للخمر، ماجناً فاسقاً، ولقد راودني على نفسي.

وقال المعافي الحريري: جمعت شيئاً من أخبار الوليد ومن شعره الذي ضمّنه

---

(١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ٣٥٦.

(٢) محاضرات الراغب: ١٤/١ و ٣٣٨.

ما فجر به من خرقه وسخافته ، وما صرّح به من الإلحاد في القرآن والكفر بالله .

وقال الذهبي : لم يصحّ عن الوليد كفر ولا زندقة ، بل اشتهر بالخمر والتلوّط ، فخرجوا عليه لذلك كما في تاريخ الخلفاء(١) .

أقول : ولو تمكّن الذهبي من تبرئته من ذلك أيضاً لبرّأه ، ولكنّ اشتهاره بين الناس ، وقطعهم بذلك ، منعه من الإنكار خوف الفضيحة على نفسه ، فلاحظ .

هذا ، وراجع المروج ، وحياة الحيوان ، والفخري ، وتاريخ الخميس ، والكامل ، وغيرهما .

ولا يخفى أنّ المراد من الوليد الذمكور في كلامهم هو الوليد بن عبدالملك ، لكنّني ذكرته لئلّا يكون لأحد بعد ذلك مخرج ممّن أعمى الله بصيرته ، فلاحظ .

وأمّا سليمان بن عبدالملك :

فإنّ المراجع إلى كتب السير والتاريخ يجد بكلّ وضوح أنّ همّه كان في اثنين : البطن والفرج ، حتّى اتخم من كثرة الأكل ، وكان من الآكلة المذكورين ، أكل في مجلس سبعين رمّانة وخروفاً وستّ دجاجات ومكوك زبيب طائفي ،كما في « **تاريخ الخلفاء** »(٢) .

وزاد أبو الفداء في « **تاريخه** » : « فأتوا بالغداء ، فأكل على عادته ، وكان شرهاً نكّاحاً » كما في « **حياة الحيوان** » للدميري(٣) ، وكان مغرماً بالنساء(٤) ، ويحدّثنا الراغب في « **المحاضرات** » : «أنّه كان يشرب الخمر في كلّ ليلة»(٥) ، فلاحظ وراجع

---

(١) تاريخ الخلفاء : ٩٧.

(٢) تاريخ الخلفاء : ٨٧.

(٣) حياة الحيوان : ٩٨.

(٤) المختصر في أحوال البشر : ٢٠٠.

(٥) المحاضرات : ٣٣٨/١.

«**التاج**» للجاحظ أيضاً [١].

وأمّا يزيد بن عبدالملك:

فكان خليع بني اُميّة، شغف بجاريتين اسم إحداهما سلامة، واسم الاُخرى حبابة، فقطع معهما زمانه، قالوا: فغنّت يوماً حبابة:

بين التراقي واللهاة حرارة ما تطمئنّ ولا تسوغ فتبرء

فأهوى يزيد بن عبدالملك ليطير، فقالت: يا أمير المؤمنين، لنا فيك حاجة.

فقال: والله لأطيرنّ.

قالت: فعلى من تدع الاُمّة ؟

قال: عليك، وقبّل يدها، كما يحدّثنا بذلك ابن الطقطقي [٢].

وقال السيوطي في «**تاريخ الخلفاء**»: «لمّا ولي يزيد قال: سيروا بسيرة عمر بن عبدالعزيز، فاُتي بأربعين شيخاً فشهدوا له ما على الخلفاء حساب ولا عذاب» [٣].

وفي «**حياة الحيوان**»: «وخدعوه بذلك، فانخدع، وكانت طائفة جهّال الشاميّين تعتقد ذلك» [٤].

أقول: إنّما أخذوا هذا الاعتقاد عن أسلافهم ومشايخهم الذين تسنّموا عرش الخلافة، وإنّما فعل ذلك أوّلاً ليجلب إليه أنظار العامّة حتّى يستقرّ له الملك، ومن ثمّ رجع وعدل إلى جبلته الأمويّة الملعونة.

---

(١) التاج: ١٥٢.

(٢) الفخري: ٩٣.

(٣) تاريخ الخلفاء: ٩٥.

(٤) حياة الحيوان: ١٠٣.

قال أبو الفداء في «**المختصر**» : «وصاحب لهو وطرب ، وهو صاحب حبابة وسلامة القس ، وكان مغرماً بهما جدّاً ، وماتت حبابة فمات بعدها بسبعة عشر يوماً ، وزاد الدميري ـ بعد قوله : «ووجد عليها وجداً شديداً ـ : تركها أيّاماً لم يدفنها ، بل يقبّلها ويترشّفها حتّى أنتنت وجافت»[١] .

وأمّا هشام :

فقال المسعودي في «**مروج الذهب**» : «وكان هشام أحول ، خشناً ، فظّاً ، غليظاً ، يجمع الأموال ـ إلى أن قال ـ : ولم يُرَ زمان أصعب من زمانه»[٢] .

وفي «**الفخري**» : «وكان بخيلاً شديد البخل»[٣] .

وفي «**حياة الحيوان**» : «وكان يجمع الأموال ، ويوصف بالبخل والحرص . يقال : إنّه جمع من الأموال ما لم يجمعه خليفة قبله ، فلمّا مات احتاط الوليد بن يزيد على تركته ، فما غسّل وكفّن إلّا بالقرض والعارية ، وزاد القرماني حتّى أنتن»[٤] .

وكان يسكر في كلّ جمعة كما يحدّثنا بذلك الراغب في «**المحاضرات**»[٥] ، والجاحظ في «**التاج**»[٦] ، ولاحظ «**العقد الفريد**» أيضاً[٧] .

ويحكى أنّ ابن الشقي الحميري قد قام بمجلسه وقال : أمير المؤمنين خليفة ، وهو أكرم على الله من رسوله ، كما في النزاع والتخاصم ، ونحوه حكي عن عبدالله بن

---

(١) المختصر في أحوال البشر : ٢٠٣ .

(٢) مروج الذهب : ١٤٢ .

(٣) الفخري : ٩٣ .

(٤) حياة الحيوان : ١٠٤ . ولاحظ : المختصر في أحوال البشر : ٢٠٤/١ .

(٥) المحاضرات : ٣٣٨/١ .

(٦) التاج : ٥٢ .

(٧) العقد الفريد : ٢٨٥/٢ .

صيفي، كما يحدّثنا بذلك أبو حنيفة الدينوري في الأخبار الطوال، فلم ينكر هذه المقالة على القائل(١).

وهو الذي دسّ السمّ إلى مولانا عليّ بن الحسين وابن عمّنا الإمام الباقر عليهما السلام، وأمر بقتل حليف القرآن، والداعي إلى الرضا من آل محمّد صلى الله عليه وآله زيد بن عليّ رضي الله عنه، وصلبه عرياناً منكوساً، كما في مروج الذهب وغيره.

وأمّا عمر بن عبدالعزيز:

فكفى له ذمّاً أن يكون من الشجرة الملعونة في القرآن، مع أنّه كان مفرطاً في التنعّم، ومختالاً في المشي، كما في «**تاريخ الخلفاء**»(٢) للسيوطي.

هذا، ولاحظ «**شرح النهج**» لابن أبي الحديد(٣)، وراجع لفظ عمر من مجمع البحرين تجد فيه حديث مولانا وجدّنا الإمام زين العابدين (صلوات الله عليه)(٤).

وأمّا ابن الزبير:

ففي «**فوات الوفيات**»: قال: «كانت فيه خلال لا تصلح معها الخلافة، فإنّه كان بخيلاً، ضيّق العطن، سيء الخلق، حسوداً، كثير الخلاف»(٥).

وفي «**شرح النهج**» الحديدي: «كان عبدالله بن الزبير شديد البخل، كان يطعم جنده تمراً، ويأمرهم بالحرب، فإذا فرّوا من وقع السيوف لامهم، وقال: أكلتم تمري

---

(١) دوائر المعارف: ٤٨.

(٢) تاريخ الخلفاء: ٨٩.

(٣) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ٤٧٥.

(٤) مجمع البحرين: ٣/٢٥٠، وقد جاء في الحديث المذكور عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «فإذا مات لعنه أهل السماء، واستغفر له أهل الأرض».

(٥) فوات الوفيات: ١/٤٤٨.

وعصيتم أمري ، وفيه يقول الشاعر :

رأيت أبا بكر وربّك غالب على أمره يبغي الخلافة بالتمر[١]

وفي « **المعارف** » لابن قتيبة : « وكان بخيلاً » ، ثمّ نقل قول الشاعر[٢] .

وراجع ولاحظ « **صحيحي مسلم**[٣] **والبخاري** » ـ كتاب الفتن ، باب إذا قال عنه قوم شيئاً ثمّ خرج فقال بخلافه .

وأمّا خلفاء بني العبّاس :

فلعمري لقد زادوا في الطين بلّة ، وفي الطنبور نغمة ، وراجع تاريخهم لتجد أعمالهم مضاعفة ، وجرائمهم متكاثرة على بني اُميّة لعنهم الله جميعاً ، وقد قال ابن بسّام فيهم :

تالله إن كانت اُميّة قد أتت قتل ابن بنت نبيّها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمرك قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتتبّعوه رميما

بالله عليك أيّها القارئ ، أهولاء الذين يستحقّون الإمامة والخلافة ، ويمثّلون للعالم الإسلامي نبيّ الرحمة والإنسانيّة ، أغير البغض والعداء حمل القوم على ما ذهبوا إليه ، لا وربّ الراقصات ، وإلّا فما الذي عدل بهم عن أهل بيت الوحي والرسالة ، لو قلنا بعدم بغضهم ؟ وماذا وجدوا من أئمّة الهدى حتّى يدّعي المناوي بعد قوله : « وحمله الشيعة الإمامية على الإثني عشر » ثمّ يذكر أسماءهم عليهم السلام

---

(١) شرح النهج : ٤/٤٨٧.

(٢) المعارف : ٩٩.

(٣) صحيح مسلم : ٢/٣٧٥.

ويقول : « وهذا كلام متهافت ساقط » ولا أدري كيف يكون هذا الكلام متهافتاً وساقطاً ، أمن حيث العدد ؟ أم من حيث عدم عزّة الإسلام ، ونشر أحكامه بواسطتهم ؟ ولا أعلم لماذا يكون ذلك التحمّل وارتكاب التكلّف وخلاف الظاهر مستقيماً عدلاً صحيحاً مع ثبوت كفرهم وفسقهم ، وهذا الكلام ـ الذي يؤيّده ، بل يدلّ على صحّته غيره من الأخبار النبويّة الصريحة الواردة في كتب القوم ـ يكون ساقطاً .

واعلم من كلّ ذلك أنّ الذي حملهم على ذلك بغضهم لشيعة أهل البيت ، لو لم نقل ببغضهم لأئمّتنا (عليهم أفضل الصلاة والسلام) ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

الحديث الثالث

ما رواه المحبّ الطبري في « **ذخائر العقبى** » عن عليّ عليه السلام ، قال : « **قال رسول الله صلى الله عليه وآله : مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تعلّق بها فاز ، ومن تخلّف عنها زجّ في النار** » . قال أخرجه ابن السرّي .

ورواه ابن حجر في « **الصواعق المحرقة** » ، قال : « وفي رواية مسلم : **ومن تخلّف عنها غرق** ، وفي رواية : **هلك** »(١) .

وأخرجه الحاكم في « **المستدرك** » : بسنده عن حنش الكناني ، قال : « سمعت أبا ذرّ يقول ـ وهو آخذ باب الكعبة ـ : أيّها النّاس ، من عرفني فأنا من عرفتم ، ومن أنكرني فأنا أبو ذرّ ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : **مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلّف عنها غرق** »(٢) . هذا حديث صحيح على شرط مسلم .

أقول : وهذا الحديث الشريف يدلّ على عصمتهم وخلافتهم (صلوات الله عليهم) لتشبيههم بسفينة نوح ، حيث إنّها كانت تعصم من ركبها من الغرق والهلاك ، فكذلك أهل البيت عاصمون لمن تمسّك بهم من الهلاك ، وهو إشارة إلى الأخذ منهم ، والتمسّك بهم ، والاقتداء بسنّتهم فهي عاصمة من الغرق ، وهم عاصمون لمن تمسّك بهم من الضلالة والعمى في أمر الدين من الاعتقادات والأحكام وغيرها من سائر الشؤون الدنيويّة والأُخرويّة .

ويدلّ عليه غيره من الروايات ، مثل قوله صلى الله عليه وآله : « **النجوم أمان لأهل السماء ، وأهل بيتي أمان لأُمّتي** » ، كما في « **الصواعق المحرقة** » لابن حجر(٣) ، وقال :

---

(١) الصواعق المحرقة : ٩١ .

(٢) المستدرك : ٢/٣٤٣ و : ٣/١٥١ .

(٣) الصواعق المحرقة : ٩١ و ١٣٠ .

« أخرجه جماعة » .

وفيه أيضاً : « وفي رواية صحّحها الحاكم على شرط الشيخين : **النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق ، وأهل بيتي أمان لأُمّتي من الاختلاف ، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس** .

ونقله الحاكم في « **مستدرك الصحيحين** » ، وقال : «هذا حديث صحيح الإسناد»[1] ، فراجع ولاحظ .

والمعنى واضح لا يحتاج إلى بيان ، وبيانه من قبيل توضيح الواضحات ؛ لأنّ المراد من الأمن من الاختلاف : أنّ الأُمّة لو ألقت زمام الأمر إليهم لما انشعبت هذه المذاهب والفِرق التي تكفّر بعضها بعضاً ، ولهذا ترى أنّ الشيعة لم يكونوا يختلفون فيما بينهم في العقائد والأحكام ، وما هو إلّا ببركاتهم (صلوات الله عليهم أجمعين) ، وهي ممّا تأخذ بالأعناق إلى الأخذ بقول أهل البيت والتديّن بمذهبهم ، ووجوب متابعتهم (صلوات الله عليهم) ، وإلّا يكون من الهالكين ، وكلّ هذه نصوص صريحة على إمامتهم وخلافتهم ، وإشارة إلى أنّ غيرهم من أهل الضلال يهدون لمن تمسّك بهم إلى طريق الهلاك والعذاب .

قال ابن حجر في « **الصواعق المحرقة** » ما هذا نصّه : « ووجه تشبيههم بالسفينة فيما مرّ : أنّ من أحبّهم وعظّمهم شكراً لنعمة مشرّفهم صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ، وأخذ بهدى علمائهم نجا من ظلمة المخالفات ، ومن تخلّف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم ، وهلك في مفاوز الطغيان »[2] ، فراجع .

هذا ، وممّا يدلّ على وجوب الأخذ بمذهب أهل البيت عليهم السلام قوله صلى الله عليه وآله : « **إنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة بني إسرائيل ، من دخله غفر له** » .

---

(١) مستدرك الصحيحين : ١٤٩/٣ .

(٢) الصواعق المحرقة : ٩١ .

وفي رواية : « **غفر له الذنوب** » .

وفي « **الصواعق المحرقة** » ، قال : « وقال بعضهم : يحتمل أنّ المراد بأهل البيت الذين هم أمان : علماؤهم ؛ لأنّهم الذين يهتدى بهم ، كالنجوم ، والذين إذا فقدوا جاء أهل الأرض من الآيات ما يوعدون »(١) .

قلت : بل هم قطعاً ؛ لأنّ فاقد الشيء يستحيل أن يكون معطياً ، فإنّ النجوم أمان للعباد من الانحراف عن جادّة الصواب في ظلمات البرّ والبحر ، وبها تعرف القبلة ، فكذلك أهل البيت أمان للأُمّة من السلوك إلى طريق جهنّم والضلال لمن تمسّك بهم ، وبهم يُعرف الدين ، وبواسطتهم يعبد ربّ العالمين ، كما لا يخفى .

وهذا المعنى غير موجود في عامّة الذريّة الطيّبة ؛ لأنّ الجاهل لا يعقل أن يكون هادياً ومرشداً ، فثبت ـ بحمد الله ـ أنّ المراد منهم هم الأئمّة الإثنى عشر عليهم السلام .

وقال ابن حجر أيضاً : « وبباب حطّة : أنّ الله تعالى جعل دخول ذلك الباب الذي هو باب أريحا أو بيت المقدّس مع التواضع والاستغفار سبب للمغفرة ، وجعل لهذه الأُمّة مودّة أهل البيت سبباً لها » ، انتهى .

أقول : وقد عرفت أنّ المودّة لا تتحقّق إلّا بمتابعتهم ، والأخذ بقولهم ، والقول بعصمتهم وإمامتهم ، وسيأتي في الحديث العاشر ما ينفع المقام ، فراجع .

---

(١) الصواعق المحرقة : ٩١.

الحديث الرابع

ما رواه الطبراني في «**الكبير**»، والرافعي في «**مسنده**»، بالإسناد إلى ابن عبّاس، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **من سرّه أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدن غرسها ربّي، فليوال عليّاً من بعدي، وليوال وليّه، وليقتدِ بأهل بيتي من بعدي، فإنّهم عترتي، خُلقوا من طينتي، ورزقوا فهمي وعلمي، فويل للمكذّبين بفضلهم من اُمّتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم شفاعتي**».

أقول: رواه في «**كنز العمّال**»[١]، وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**»، ونقله ابن أبي الحديد في «**شرح النهج**»[٢]، ونحوه رواه شيخنا الصدوق قدس سره في «**الأمالي**»[٣] باختلاف يسير، فراجع.

وقوله: «**وليقتدِ بأهل بيتي من بعدي**» صريح في أمر خلافتهم، ولا يجوز بعد ذلك لأحد ادّعاؤها، ونفيها عنهم، ولا ريب في أنّ صلة أهل البيت عليهم السلام متابعتهم، والاقتداء بهم، والتمسّك بولايتهم، وعدم متابعة خبرهم.

وقوله صلى الله عليه وآله: «**فويل للمكذّبين بفضلهم**»، أي تكذيب إمامتهم، وإنكار خلافتهم وعصمتهم، وإلّا فإنّك لا تجد أحداً ينكر ما لهم من الفضل، كالعبادة والشجاعة والسخاء وطهارة الأعراق وكرم الأخلاق والعلم الذي سار عنهم في الآفاق.

---

(١) كنز العمّال: ٢١٧/٦.

(٢) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ٢/ ٤٥٠.

(٣) أمالي الصدوق: ٢٣.

الحديث الخامس

ما رواه شيخنا الصدوق (أعلى الله مقامه ، ورفع في الخلد أعلامه) في «**الأمالي**» : بسنده عن المفضّل ، عن جابر بن يزيد ، عن أبي بكر الزبير المكّي ، عن جابر بن عبدالله الأنصاري ، قال : « قال النبيّ صلى الله عليه وآله : **إنّ الله تبارك وتعالى اصطفاني وجعلني رسولاً ، وأنزل عليَّ سيّد الكتب . فقلت : إلهي وسيّدي ، إنّك أرسلت موسى إلى فرعون فسألك أن تجعل معه أخاه هارون وزيراً ، تشدّ به عضده ، وتصدّق به قوله ، وإنّي أسألك ـ يا سيّدي وإلهي ـ أن تجعل لي من أهلي وزيراً ، تشدّ به عضدي ، فجعل الله لي عليّاً وزيراً وأخاً ، وجعل الشجاعة في قلبه ، وألبسه الهيبة على عدوّه ، وهو أوّل من آمن بي وصدّقني ، وأوّل من وحّد الله معي ، وإنّي سألت ذلك ربّي عزّ وجلّ فأعطانيه .**

فهو سيّد الأوصياء ، اللحوق به سعادة ، والموت في طاعته شهادة ، واسمه في التوراة مقرون إلى اسمي ، وزوجته الصدّيقة الكبرى ابنتي ، وابناه سيّدا شباب أهل الجنّة ابناي ، وهو وهما والأئمّة بعدهم حجج الله على خلقه ، وهم أبواب العلم في أُمّتي ، مَن تبعهم نجا من النار ، ومن اقتدى بهم هُدي إلى صراط مستقيم ، لم يهب الله محبّتهم لعبد إلّا أدخله الله الجنّة »(١) ، انتهى .

أقول: وقد ورد نحوه في أحاديث القوم ، كما لا يخفى ، فراجع .

---

(١) أمالي الصدوق : ١٥.

الحديث السادس

ما رواه شيخنا الصدوق قدس سره في «**الأمالي**»: بسنده عن رقيّة بنت إسحاق بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، عن أبيها، عن آبائه عليهم السلام، قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتّى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وشبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين كسبه وفيما أنفقه، وعن حبّنا أهل البيت**»[1]، انتهى.

أقول: ورواه ابن عساكر في «**تاريخه**»[2].

والسيوطي في «**إحياء الميّت بفضائل أهل البيت**» المطبوع بهامش الاتّحاف بحبّ الأشراف.

والنبهاني في «**أربعينه**».

والمتّقي في «**كنز العمّال**»[3].

---

(١) أمالي الصدوق: ٢٥.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ١٦١/٢.

(٣) كنز العمّال: ٢١٢/٨.

الحديث السابع

« **الأمالي** » : بسنده عن الحسين بن خالد ، عن أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا ، عن أبيه ، عن آبائه عليهم السلام ، قال : « **قال رسول الله** صلى الله عليه وآله : **من أحبّ أن يركب سفينة النجاة ، ويستمسك بالعروة الوثقى ، ويعتصم بحبل الله المتين ، فليوال عليّاً بعدي ، وليعادِ عدوّه ، وليأتمّ بالأئمّة الهداة من ولده ، فإنّهم خلفائي وأوصيائي ، وحجج الله على الخلق بعدي ، وسادّة أُمّتي ، وقادة الأتقياء إلى الجنّة ، حزبهم حزبي ، وحزبي حزب الله ، وحزب أعدائهم حزب الشيطان** »(١) .

الحديث الثامن

ما رواه شيخ الطائفة شيخنا الطوسي (قدّس سرّه القدّوسي) في « **الأمالي** » : بسنده عن رافع ، عن أبي ذرّ ، قال : « صعد أبو ذرّ رضي الله عنه على درجة الكعبة حتّى أخذ بحلقة الباب ثمّ أسند ظهره إليه ، فقال : أيّها النّاس ، من عرفني فقد عرفني ، ومن أنكرني فأنا أبو ذرّ ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : **إنّما مثل بيتي في هذه الأُمّة كمثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تركها هلك .**

وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : **اجعلوا أهل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد ، ومكان العينين من الرأس ، فإنّ الجسد لا يهتدي إلّا بالرأس ، ولا يهتدي الرأس إلّا بالعينين** »(٢) ، انتهى .

أقول : وحديث : « **أهل بيتي كمثل سفينة نوح** » مرّ نقله عن ابن حجر في الحديث الثالث ، وقول أبي ذرّ (سلام الله عليه) الثاني جاء في كتب القوم أيضاً .

---

(١) الأمالي : ١٣ .

(٢) أمالي الطوسي : ٢/٩٦ .

الحديث التاسع

ما رواه الزمخشري في «**الكشّاف**» في ذيل تفسير آية المودّة، قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: **من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً. ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً. ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات تائباً. ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مؤمناً مستكمل الإيمان. ألا ومن مات على حبّ آل محمّد بشّره ملك الموت بالجنّة، ثمّ منكر ونكير. ألا ومن مات على حبّ آل محمّد يزفّ إلى الجنّة كما تزّف العروس إلى بيت زوجها. ألا ومن مات على حبّ آل محمّد فتح له في قبره بابان إلى الجنّة. ألا ومن مات على حبّ آل محمّد جعل الله قبره مزار الملائكة. ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة.**

ألا ومن مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله. ألا ومن مات على بغض آل محمّد مات كافراً. ألا ومن مات على بغض آل محمّد لم يشمّ رائحة الجنّة»[(١)]، انتهى.

أقول: قد عرفت منّا مراراً في مطاوي هذا الكتاب أنّ مجرّد ادّعاء حبّهم لا يكفي، بل لا يتحقّق ذلك إلّا مع القول بإمامتهم وخلافتهم وعصمتهم[(٢)] مع البرائة من أعدائهم، وغاصبي حقّهم، والمنحرفين عنهم؛ لأنّ حبّهم وحبّ عدوّهم لا يمكن جمعه، ويكون المدّعي بذلك كاذباً، وعدوّاً مخالطاً، منافقاً، والمنافقون في أسفل درك من الجحيم، وأنّهم عليهم آلاف التحيّة والسلام قد ادّعوا الإمامة والخلافة، والمحبّ لهم يجب عليه القبول، وإلّا فإنّه منكر لدين الرسول صلّى الله عليه وآله.

---

(١) الكشّاف: ٢/٣٣٩.

(٢) الذي هو عبارة عن التسليم لأمرهم، والأخذ بقولهم في جميع الأمور طرّاً، وعدم التخطّي عن ذلك ـ منه عفي عنه.

الحديث العاشر

ما رواه السيوطي في «**الجامع الصغير**» : عن رسول الله صلى الله عليه وآله : «**عليّ باب حطّة ، من دخل منه كان مؤمناً ، ومن خرج منه كان كافراً**»(١) ، انتهى .

قال المناوي في فيض القدير في شرح هذا الحديث ما هذا نصّه : «**عليّ باب حطّة** : أي طريق حطّ الخطايا .

من دخل منه : على الوجه المأمور به ، كما يشير إليه قوله سبحانه في قصّة بني إسرائيل : ﴿**وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَـٰذِهِ الْقَرْيَةَ**﴾(٢) .

كان مؤمناً ، ومن خرج منه كان كافراً : يعني أنّه سبحانه وتعالى كما جعل لبني إسرائيل دخولهم الباب متواضعين خاشعين سبباً للغفران ، جعل لهذه الأُمّة مودّة عليّ ، والاهتداء بهديه ، وسلوك سبيله ، وتولّيه سبباً للغفران ودخول الجنان ، ونجاتهم من النيران ، والمراد يخرج منه يخرج عليه»(٣) ، انتهى .

أقول : وقد مرّ تفسير الحديث أيضاً عن ابن حجر في «**الصواعق المحرقة**» له(٤) .

هذا ، ولا يخفى أنّ هدي عليّ عليه السلام وسبيله غير هدى الآخرين وسبيلهم ، ولا يمكن الاهتداء بهديه وسلوك سبيله إلّا برفع اليد عن هدي غيره ، والتخطّي عن سلوك سبيل غير عليّ (روحي لتراب نعل خادمه الفداء) لمغايرة سلوك عليّ مع سلوك غيره ، وأنّه لا يمكن الجمع بينهما ؛ لأنّه من قبيل الجميع بين المتناقضين .

---

(١) الجامع الصغير : ١٤٠/٢ .

(٢) البقرة ٢ : ٥٨ .

(٣) فيض القدير : ٣٦٩/٤ .

(٤) الصواعق المحرقة : ٩٥ ، الحديث الثالث .

قوله: **ويخرج منه**: خرج عليه، مطلق سواء كان الخروج عليه في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله أو بعده، أو في أيّام خلافته الظاهريّة الذي لا شكّ في كفر من خرج عليه.

ومعلوم أيضاً أنّ معاوية خرج عليه وحاربه، وهكذا عائشة خرجت عليه وحاربته، وغيرهما، ولذا لم يتأمّل ابن أبي الحديد وأصحابه في كفر معاوية ومن على شاكلته.

ولا يخفى أيضاً أنّ عليّاً (عليه أفضل الصلاة والسلام) كان يلعن معاوية وجماعة من أصحابه في قنوته، ولو كان مسلماً لما كان يلعنه، لعدم جواز لعن المسلم.

ولا يخفى أيضاً أنّ الظاهر من قوله صلى الله عليه وآله: «**ويخرج منه**»، أي: خرج من تحت طاعته، ورفض قبول ولايته، كما يقتضيه وجه المشابهة، وهو يشمل من غصب خلافته، وتسنّم عرش الإمامة، وادّعى ما ليس له بحقّ أن يدّعيه، كمثل أبي بكر وعمر وعثمان، بل ويشملهم، حتّى لو قلنا على الوجه الأوّل؛ لأنّ عمر ألقى الحبل في عنق عليّ عليه السلام وجرّه إلى المسجد، وشهر عليه السيف، وأراد أن يضرب عنقه إن لم يبايع أبا بكر، كما هو المشروح في كتب الفريقين، فيكون خارجاً عليه، وكذلك يشمل أبا بكر؛ لأنّه رضي بذلك لو لم نقل أنّه كان بأمره. لعن الله أعداء عليّ بن أبي طالب عليه السلام. قولوا: آمين رحمكم الله.

والسرّ في أنّ الخروج على عليّ عليه السلام كفر؛ لأنّه مع القرآن، والقرآن مع عليّ عليه السلام[1].

---

(١) في ربيع الأبرار للزمخشري: «قال: استأذن أبو ثابت مولى عليّ عليه السلام على أُمّ سلمة رضي الله عنها، فقالت: مرحباً بك يا أبا ثابت، أين طار قلبك حين طارت القلوب مطائرها؟

قال: تبع عليّ.

قالت: وفّقت والذي نفسي بيده، لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **عليّ مع الحقّ والقرآن، والقرآن والحقّ مع عليّ، ولن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض**»، انتهى ـ منه عفي عنه.

كما رواه الحاكم في « **مستدرك الصحيحين** »(١)، والسيوطي في « **الجامع الصغير** »، والمناوي في « **شرحه** »(٢)، وابن حجر في « **الصواعق المحرقة** »(٣)، فكما لا يجوز العمل بغير القرآن مطلقاً، فكذلك لا يجوز لأحد العدول عن عليّ مطلقاً، والأخذ بقول غيره، ولا شكّ لأحد من المسلمين أنّ من ترك العمل بالقرآن وأنكره ـ ولو في حكم واحد منه في لحظة من عمره ـ يكون كافراً يجب قتله، فكذلك من عدل عن عليّ عليه السلام وردّ عليه في شطر كلمة من كلامه، وخرج عليه، فكيف بمن استمرّ على كفره، وخرج عليه، وعدل عنه، وردّ قوله، وأنكر فضل إلى آخر عمره حتّى هلك.

وإنّ عليّاً مع الحقّ والحقّ معه، كما رواه الترمذي في « **صحيحه** »: عن النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، قال: « **رحم الله عليّاً. اللّهمّ أدر الحقّ معه حيث دار** »(٤).

كما لا شكّ أيضاً أنّ الإقتداء بعليّ عليه السلام في جميع الأحكام يكون على الحقّ، والأخذ بقوله يكون مقطوع الصواب، بخلاف الأخذ بقول غيره، حيث إنّا مكلّفون بالأحكام والتكاليف الشرعيّة، ولا يمكن الخروج عن عهدتها إلّا بالأخذ بقول عليّ (أفضل الصلاة والسلام)، والاشتغال اليقيني يقتضي البراءة اليقينيّة.

قال الفخر الرازي في « **تفسيره** » ـ في ذيل آية البسملة والجهر بها في الصلوات اليوميّة ـ ما هذا نصّه: « فقد ثبت بالتواتر، ومن اقتدى في دينه بعليّ بن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قوله عليه السلام: **اللّهمّ أدر الحقّ مع عليّ حيث دار** »(٥).

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ١٢٤/٣.

(٢) فيض القدير: ٣٥٦/٤.

(٣) الصواعق المحرقة: ٧٥.

(٤) صحيح الترمذي: ٢٩٨/٢.

(٥) تفسير الرازي: ١٥٩/١.

وقال: «ومن اتّخذ عليّاً إماماً لدينه فقد استمسك بالعروة الوثقى في دينه ونفسه»(١).

أقول: إن كان الأخذ من عليّ واجباً، والتمسّك به فرضاً لازماً، وأنّ من تمسّك به واتّخذه إماماً لدينه فقد استمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، فلماذا يتحامل هو ومن على شاكلته على شيعته ومحبّيه الذين يوالون من ولاه، ويعادون من عاداه، ويتقرّبون إلى الله تعالى بذلك وبلعنهم، ولماذا تمسّك هو بالجبت والطاغوت، وقد أُمر أن يكفر بهما، ووالى أعداء عليّ عليه السلام كمثل معاوية وأضرابه، ولا نعلم السبب منهم في ذلك، ولكنّ الله يعلم ما تكنّ صدورهم ﴿**قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ**﴾(٢).

وأنت إذا راجعت كتب الفضائل والأخبار ومصنّفات الأوائل ولاحظتها بعين البصيرة، وسبرتها بيد التحقيق، ونبذت ورائك العصبيّة وتقليد الآباء، لعلمت علماً يقيناً لا يختلجه الشكّ: أنّ من تقدّم على عليّ عليه السلام ظالم غاصب لحقّه، كما ترشدك إليه خطب عليّ واحتجاجاته وشكايته من أيدي القوم، ولأسفر لك وجه الحقّ ليست عليه غشاوة الإبهام أنّ الفرقة الناجية، والطائفة الحقّة، هم الشيعة الإماميّة الإثنى عشريّة، أبناء الدليل، الذين يميلون معه حيثما يميل، لا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يتعصّبون على الحقّ إذا اتّضح لهم السبيل، ويشهد الله أنّ رسوخ عقيدتنا في الأئمّة الإثني عشر (عليهم أفضل الصلاة والسلام) هي بواسطة هذه الأخبار التي نقلت عن النبيّ صلى الله عليه وآله، وجاءت في كتب القوم وصحاحهم، فضلاً عن كتبنا وصحاحنا المعتبرة.

وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**عليّ منّي، وأنا من عليّ، ولا يؤدّي عنّي إلّا أنا أو**

---

(١) تفسير الرازي: ١٦١/١.

(٢) التوبة ٩: ٩٤.

عليّ» كما رواه السيوطي في «**الجامع الصغير**»، ومعنى هذا الحديث الشريف واضح يفهمه حتّى عوام الناس، فضلاً عن خواصّهم، من أنّ مقصود النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ تأدية الأحكام لا يكون إلّا بتبليغه إيّاها وتبليغ رسالات ربّه، وحصرها فيه معلوم بالضرورة من دين الإسلام، وحصرها في عليّ ينفي جوازه عن غيره، كما لا يخفى، ومنه يظهر أنّ منزلة عليّ كمنزلة النبيّ صلى الله عليه وآله، له الولاية المطلقة، والخلافة الغير مقيّدة.

قال المناوي في «**فيض القدير**» ـ بعد شرح الحديث ـ ما هذا نصّه: «وأخرج الطبراني عن وهب بن حمزة، قال: «صحبت عليّاً إلى مكّة، فرأيت منه بعض ما أكره، فقلت: لئن رجعت لأشكونّك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

فلمّا قدمت قلت: يا رسول الله، رأيت من عليّ كذا وكذا، فقال: **لا تقل هذا، فهو أوْلى الناس بكم بعدي**»[1]. رواه الطبراني.

قال الهيثمي: «فيه دكين، ذكره أبو حاتم ولم يضعّفه أحد، وبقيّة رجاله وثّقوا»[2]، انتهى.

أقول: وهل يبقى بعد هذا التصريح من النبيّ صلى الله عليه وآله بعد شكاية وهب عليّاً عليه السلام منزع أو مجال أن يتأوّل أو يقال إنّ المراد منه المحبّ أو الناصر، وأي تصريح يكون أبلغ من هذا، أو أوفى ؟ وكيف ينصّ صلى الله عليه وآله على خلافته وبأي عبارة يؤدّي وصيّته، والحال أنّ القوم يستدلّون على خلافة أبي بكر بما ليس له ظهور، فضلاً عن أن يكون نصّاً، مع اتّفاقهم على عدم النصّ على خلافته، ولكن كما قلنا: لهم مع عليّ حساب سوف يحاسبهم به الله تعالى يوم القيامة.

وفيه أيضاً: «تتمّة: أخرج أحمد من طريق الأجلح الكندي عن ابن بريده،

---

(١) فيض القدير: ٤/٣٥٧.

(٢) فيض القدير: ٤/٤٧١.

عن أبيه ، قال : بعث رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم بعثين إلى اليمن ، على أحدهما عليّ والآخر خالد ، فقال : **إذا ألتقيتما فعليّ على الناس ، وإن افترقتما فكلّ منكما على حده** ، فظهر المسلمون ، فسبوا ، فاصطفى على امرأة من السبي لنفسه ، فكتب خالد إلى النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم بذلك ، فلمّا أتيته دفعت الكتاب فقرئ عليه ، فرأيت الغضب في وجهه ، فقلت : يا رسول الله ، هذا مكان العائذ بك ، فقال : **لا تقع في عليّ ، فإنّه منّي وأنا منه ، وهو وليّكم بعدي** » .

قال جدّنا للأمّ الزين العراقي الأجلح الكندي : « وثّقه الجمهور وباقيهم ، رجاله رجال الصحيح » ، وروى الترمذي والنسائي من حديث عمران بن الحصين في قصّة طويلة مرفوعاً : « ما تريدون من عليّ ، **إنّ عليّاً منّي وأنا من عليّ ، وليّ كلّ مؤمن بعدي** » ، وقال الترمذي : « حسن غريب »(١) ، انتهى ، فلاحظ .

أقول : لو كان المراد من الوليّ هو المحبّ والناصر ، لما قال النبيّ صلّى الله عليه وآله : « **هو وليّكم بعدي** » لثبوت محبّة عليّ عليه السلام ونصرته للمؤمنين في حياته صلّى الله عليه وآله ، وهل دافع عن المسلمين ونصرهم على عدوّهم في الحروب غيره ؟ ولا يخفى ظهوركلمة « **من بعدي** » في البعدية بلا فصل ، فإنّ قولك : « يدخل زيد الدار بعدي » تريد بلا فصل من ذلك ، وإلّا لا تصحّ البعديّة بعد دخول عمرو وبكر وخالد ، وهذا واضح لا ريب فيه ولا إشكال يعتريه .

ثمّ إنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله لم يرضَ بتأمير خالد على عليّ عليه السلام في حياته ، ولم يرض بأن يسمع من أحد شكاية لعليّ عليه السلام ، فكيف يرضى أن يترأّس أبو بكر وغيره عليه بعده .

وممّا يدلّ على أنّ المولى المراد منه الأوْلى بالتصرّف والأوْلى بالنفس ، مضافاً إلى ما مرّ : حديث اُسامة .

---

(١) فيض القدير : ٤/٤٧١ .

قال المناوي في « **فيض القدير** » ـ في شرح حديث : « **من كنت مولاه** » ـ ما هذا نصّه : « قيل : سببه أنّ أُسامة قال لعليّ : لست مولاي إنّما مولاي رسول الله ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله ذلك[(١)](٢) ».

هذا ، ولا يخفى أنّهم أرادوا من ذلك إثبات أنّ الواقعة شخصيّة دارت بين اثنين ، لا كلّية عموميّة ، فوضعوا الحديث ، ولكنّ لمّا أراد الله بيان حقّ وليّه عليه السلام جاء الحديث كامل الدلالة ، فراجع الغدير[(٣)].

وقال نقلاً عن ابن حجر الحديث : « **من كنت مولاه** » كثير الطرق جدّاً ، استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد ، ومنها حسان ، وفي بعضها قال : ذلك يوم غدير خمّ ، وزاد البزّار في رواية : **اللّهمّ والِ مَن والاه ، وعادِ من عاداه ، وأحبّ من أحبّه ، وابغض من أبغضه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله** ، ولمّا سمع أبو بكر وعمر ذلك قالا فيما أخرجه الدارقطني عن سعد بن أبي وقّاص : أمسيت يابن أبي طالب مولى كلّ مؤمن ومؤمنة »[(٤)].

ولو كان المراد منه المحبّ والناصر لما قالا ذلك : أمسيت ، أي أصبحت ؛ لعلمهما بمحبّة ونصرة عليّ عليه السلام للإسلام والمسلمين فيما قبل ذلك .

وأخرج أيضاً : قيل لعمر : إنّك تصنع بعليّ شيئاً لا تصنعه بأحد من الصحابة ؟ قال : إنّه مولاي ، ولو كان المراد منه المعنى الذي لا تقول به كان اللازم أن يقول ذلك في حقّ أبي بكر لأنّه سبب إيصاله إلى عرش الخلافة ، وله يد المنّة عليه دون

---

(١) ولو كان المراد منه المحبّ أو الناصر لما قال أُسامة ذلك ، بل فهم منه معنى الأوْلى بالنفس والتصرّف ، كما لا يخفى .

(٢) فيض القدير : ٦/٢١٨.

(٣) الغدير : ١/٣٨٣.

(٤) الغدير : ١/٢١٨.

عليّ عليه السلام الذي نازعه ، وانجرّ الأمر بعمر أن يضرب عنق عليّ عليه السلام .

ويدلّ عليه دلالة أوضح من هذا كلّه : ما نقله المناوي عن « **تفسير الثعلبي** » عن ابن عنبة أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا قال ذلك طار في الآفاق ، فبلغ الحارث بن النعمان ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : يا محمّد ، أمرتنا عن الله بالشهادتين ، فقبلنا ، وبالصلاة والزكاة والصيام والحجّ ، فقبلنا ، ثمّ لم ترضَ حتّى رفعت بضبعي ابن عمّك تفضّله علينا ، فهذا شيء منك أم من الله ؟

فقال : **والذي لا إلـه إلّا هو ، إنّه من الله** .

فولّى وهو يقول : اللّهمّ إن كان ما يقوله محمّد صلى الله عليه وآله حقّاً فأمطر علينا حجارة من السماء ، أو ائتنا بعذاب أليم ، فما وصل لراحلته حتّى رماه الله بحجر فسقط على هامته فخرج من دبره فقتله .

أقول: انظر بالله عليك وأنصف أنّه لو كان المراد منه المحبّ وغيره دون المعنى الذي نقول به ، لما كان يعقل أن يسأل العذاب ، ولما أنزله الله ، بل كان اللازم عليه أن يفرح ويدعو لعليّ عليه السلام أنّه محبّ له ، وهل من المعقول ، أو يقبله العقل السليم ، أن يقال لأحد : إنّ زيداً محبّ لك وناصرك ، فيرد عليه ولا يقبل منه ذلك(١) .

وممّا يدلّ على أنّ القوم يعرفون ذلك وينكرونه بغضاً لعليّ عليه السلام ما عقبه المناوي بعد نقله ذلك بقوله : « ولا حجّة في ذلك كلّه على تفضيله على الشيخين ، كما هو المقرّر بمحلّه من فنّ الأُصول » .

فيا ليته بيّن شمّة من عدم دلالته ، وأوضح طرفاً لعدم حجّيته ، وأي أُصول هذا الذي قرّر فيه . نعم ، قرّرته صدورهم المشحونة من بغضه المملوءة من عدائه ، لما

---

(١) وفي فيض القدير : **٣٥٨/٤** ، نقلاً عن الحرّ إلّا إنّه قال : « والمولى هو الوليّ اللازم الولاية ، القائم بها ، الدائم عليها لمن تولّاه بإسناد أمره إليه فيما هو ليس بمستطيع له » .

قتل من المشركين بيوم بدر وحنين ، وإنّما لم يوضّحوه خوفاً من الفضيحة في العالم .

هذا ، وأنّ أبا بكر وعمر وعثمان إمّا أنّهم يحبّون المؤمنين ويـنصرونهم ، أو لا ، فإن كان الأوّل نقول : أليس كان ينبغي للنبيّ صلى الله عليه وآله أن يقول ذلك في حقّهم حتّى يكون الواجب على كلّ مؤمن حبّهم ؛ لأنّ الفطرة البشريّة ، والجبلة الإنسانيّة عند الإنسان مجبولة على حبّ من أحبّه ، ونصرة من نصره ، وفي عدم بيانه صلى الله عليه وآله ذلك في حقّهم مع قربهم منه يظهر منه عدم حبّهم للمؤمنين ، ومن لا يحبّ المؤمنين لا يجب على المسلمين حبّه ، بل الواجب بغضه .

ولقد أجاد ابن هاني الأندلسي حيث قال :

بـأسياف ذاك البـغي أوّل سـلّها　　　أُصيب عليّ لا بسيف ابن ملجم
وبـالحقد حـقد الجـاهليّة أنّـه　　　إلى الآن لم يذهب ولم يـتصرّم

الحديث الحادي عشر

ما رواه شيخنا الإمام الكليني (أعلى الله مقامه، ورفع في الخلد أعلامه) بحقّ محمّد وآله في «**أُصول الكافي**»: بسنده عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «**لمّا نزلت هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾(١) قال المسلمون: يا رسول الله، ألست إمام النّاس كلّهم أجمعين؟**

قال: **فقال رسول الله** صلى الله عليه وآله: **أنا رسول الله إلى النّاس أجمعين، ولكن سيكون من بعدي أئمّة على النّاس من الله، من أهل بيتي، يقومون في الناس فيكذّبون، ويظلمهم أئمّة الكفر والضلال وأشياعهم، فمن والاهم واتّبعهم وصدّقهم فهو منّي وسيلقاني، ألا ومن ظلمهم وكذّبهم فليس منّي ولا معي، وأنا منه بريء**»(٢).

أقول: إنّ تكذيبهم راجع إلى إمامتهم عليهم السلام، فعدم قبول إمامتهم ردّ عليهم وتكذيب لهم، وهكذا عدم قبول أحكامهم والعمل بأحكام غيرهم.

وهذا الحديث الشريف يدلّ دلالة واضحة على أنّ الإمامة من أُصول الدين، والمنكر لها خارج عن ربقة المسلمين، فقوله صلى الله عليه وآله: «**فليس**»، أي ليس على ديني.

وفي «**الكافي**» أيضاً: بسنده عن طلحة بن يزيد عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «**إنّ الأئمّة في كتاب الله عزّ وجلّ: إمامان. قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾(٣) لا بأمر الناس يقدّمون أمر الله قبل أمرهم، وحكم الله قبل حكمهم.**

قال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾(٤) يقدّمون أمرهم قبل أمر الله وحكمهم

---

(١) الإسراء ١٧: ٧١.

(٢) أُصول الكافي: ١٠٧.

(٣) الأنبياء ٢١: ٧٣.

(٤) القصص ٢٨: ٤١.

قبل حكم الله ، ويأخذون بأهوائهم خلاف ما في كتاب الله عزّ وجلّ »[١] ، انتهى .

فانظر أيّها القارئ العزيز بعين البصيرة ، ثمّ احكم بإنصافك ، هل هم أئمّتنا الذين يعملون بكتاب الله وسنّة رسوله ، أم أئمّة الضلال الذين اتّخذوا العمل بالقياس ، والقول بالرأي الذي يهدم للإسلام كلّ أساس ، ثمّ انظر أنت أيّهما أحبّ إليك أن تدعى معه ؟ مع أبناء الرسول وفاطمة الزهراء البتول ؟ أم مع أبناء الطلقاء وخائنات البعول ؟

والمراد من الإمام : من يقتدى بأفعاله ، ويؤخذ بأقواله ، ومنه إمام الجماعة ، وفي بعض الإطلاقات الإمام هو : الدليل ، كما في حديث الشيعة حين قال لهم الصادق عليه السلام : « **ألا تحمدون الله تعالى إذا كان يوم القيامة فدعا كلّ قوم إلى من يتولّونه ، وفزعنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وفزعتم إلينا أين ترون يذهب بكم إلى الجنّة وربّ الكعبة ،** قالها ثلاثاً »[٢] .

---

(١) الكافي : ٢١٥/١.

(٢) بحار الأنوار : ٩/٨.

الحديث الثاني عشر

ما رواه ثقة الإسلام الكليني (نوّر الله ضريحه) من « **أُصول الكافي** » : بسنده عن أبي حمزة ، قال : قال لي أبو جعفر عليه السلام : « **إنّما يعبد الله من يعرف الله ، فأمّا من لا يعرف فإنّما يعبده هكذا ضلّالاً** .

قلت : جعلت فداك ، فما معرفة الله ؟

قال : **تصديق الله ، وتصديق رسول الله** صلى الله عليه وآله ، **وموالاة عليّ والائتمام به وبأئمّة الهدى** عليهم السلام ، **والبرائة إلى الله عزّ وجلّ من عدوّهم ، هكذا يعرف الله عزّ وجلّ** »(١) .

أقول : لا يخفى أنّ امتثال أمره وعبادته تعالى متوقّفة على معرفته سبحانه وتعالى ، حيث إنّ عبادته من دون معرفته لا تحقّق امتثال أمره ، وإذا لم يمتثل كانت عبادته ضلالاً ، لم تقرّبه إلى الله .

والمعرفة متوقّفة على تصديق النبيّ والأئمّة (عليهم أفضل الصلاة والسلام) ؛ لأنّهم الأدلّاء على معرفته ، فكما أنّ عدم التصديق برسوله صلى الله عليه وآله موجب لعدم معرفة الله تعالى الموجب لعدم عبادته ، فكذلك عدم تصديق الإمام والائتمام به موجب لعدم معرفته وتصديقه الموجب لعدم عبادته صحيحاً ؛ لأنّ الإمام هو الدليل إلى الله تبارك وتعالى .

والمراد من معرفته سبحانه : معرفة أوامره ونواهيه ، ولا يمكن الاستناد إليه إلّا بالدليل الذي هو الإمام عليه السلام .

وجعل الإمام عليه السلام : « **البرائة إلى الله** » من أعداء آل محمّد عليهم السلام دخيلة في تحقّق المعرفة ، لأنّ عدوّ الإمام هو عدوّ الله ، ولا تؤمن الضلالة في صورة عدم البرائة

---

(١) الكافي : ١/١٨٠.

من أعدائهم ،كما أنّ الموالاة لا تتمّ إلّا بالبراءة من أعدائهم .

قال شيخنا الإمام العلّامة المجلسي (أعلى الله مقامه ، وكبت أعداءه) في مرآة العقول ـ في شرح الحديث الشريف ـ ما هذا نصّه : « وإنّما أدخل التصديق بالرسول وموالاة الأئمّة والبرائة من أعدائهم في معرفة الله تعالى ؛ لاشتراط قبول معرفته بها ، أو لأنّ من لم يصدق بتلك الأُمور لم يعرف الله بصفاته الكماليّة من اللطف والحكمة والرحمة ،كما لا يخفى على من تأمّل فيما أسلفناه في الأبواب السالفة »(١) .

وخلاصة الكلام : أنّ عبادة الله من دون موالاة عليّ والائتمام بأئمّة الهدى لا تقبل ، ولا تكون مقربة أبداً ، إمّا من حيث عدم قبولها ؛ لشرطيّة قبول الأعمال بالولاية ،كما تدلّ عليه جملة من الأخبار ، وإمّا لعدم الامتثال من جهة عدم المعرفة الكاملة ، فلاحظ .

---

(١) مرآة العقول : ٢/٣٠٠.

الحديث الثالث عشر

ما رواه شيخنا الكليني (قدّس الله روحه الطاهرة) في « **أُصول الكافي** » : بسنده عن عجلان أبي صالح ، قال : « قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أوقفني على حدود الإيمان ، فقال : **شهادة أن لا إله إلّا الله ، وأنّ محمّداً رسول الله ، والإقرار بما جاء به من عند الله ، وصلوات الخمس ، وأداء الزكاة ، وصوم شهر رمضان ، وحجّ البيت ، وولاية وليّنا ، وعداوة عدوّنا ، والدخول مع الصالحين** »(١) .

الحديث الرابع عشر

ما رواه في « **الكافي** » أيضاً : بسنده عن عبدالحميد بن أبي العلاء الأزدي ، قال : « سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : **إنّ الله عزّ وجلّ فرض على خلقه خمساً ، فرخّص في أربع ولم يرخّص في واحدة** » .

أقول : والمراد من الأربع المذكورة في الحديث المرخّص فيه : الصلاة والصوم والزكاة والحجّ ، كما يظهر من بقيّة الأخبار .

ومعنى قوله عليه السلام هذا : أنّها ـ أي أنّ الأعمال ـ مشروطة بالقدرة والاستطاعة ، وبعدمها تسقط ، إلّا الولاية ، وهي اعتقاد إمامتهم فإنّها غير مشروطة بشيء ، بل يجب الاعتقاد بها ، والثبات عليها حتّى الممات والحشر عليها ، ولعلّ إردافها معها لبيان أنّها من ضروريّات دين الإسلام ، وأنّ وجوبها ممّا لا يخفى على أحد من الأنام ، بخلاف غيرها .

قال شيخنا الإمام العلّامة مولانا المجلسي (أعلى الله مقامه) في « **مرآة**

---

(١) الكافي : ٢/١٨ .

العقول»[١] ـ في شرح الحديث ـ ما هذا مثاله :

« قوله عليه السلام : **فرخّص في أربع** كالتقصير في الصلاة في السفر ، وتأخيرها عن وقت الفضيلة مع العذر ، وترك كثير من واجباتها في بعض الأحيان ، أو سقوط الصلاة عن الحائض والنفساء ، وعن فاقد الطهورين أيضاً ، إن قلنا به ، والزكاة عمّن لم يبلغ ماله النصاب أو لم يحل عليه الحول ، أو لم يتمكّن من التصرّف فيه ، أو فقد سائر الشرائط ، والحجّ عمّن لم يستطع أو لم يخل سربه ، وأشباه ذلك ، والصوم عن المسافر أو الشيخ الكبير أو ذي العطاش وأمثالهم ، بخلاف الولاية ، فإنّها مع بقاء التكليف لا يسقط وجوبها في حال من الأحوال ، ويحتمل أن يراد بالرخصة أنّه لا ينتهي تركها إلى حدّ الكفر والخلود في النار بخلاف الولاية ، فإنّ تركها كفر ، والأوّل أظهر » ، انتهى كلامه أعلى الله مقامه ، ورفع في الخلد اعلامه .

---

(١) مراة العقول : ١١٦/٧.

تتميم نفعه عميم
في إثبات أنّ الإمامة من أُصول الدين

لا يخفى على عامّة أهل الإيمان واليقين، وأرباب المعرفة بربّ العالمين، أنّ الإمامة من جملة أركان أُصول الدين، الواجب معرفتها، والاعتقاد بها على جميع المسلمين، بحيث يكون المنكر لها داخلاً في زمرة الكافرين، وأنّ وجوب معرفتها كوجوب معرفة خاتم النبيّين صلى الله عليه وآله، وبيان ذلك وتوضيح ما هنالك يتوقّف على بيان جملة من الأخبار الصادرة عن النبيّ وآله الأطهار، لتنشرح بتلاوتها صدور الأخيار، وتكون كالسياط القارعة على رؤوس الكفّار، وصبّ الحميم على الأشرار، سلب الله منهم القرار في الليل والنهار، بحرمة النبيّ المختار، وأهل بيته الأبرار (عليهم صلوات الملك الجبّار في آناء الليل وأطراف النهار)، وقبل ذلك لا بأس بالإشارة إلى مختصر من الكلام، يكون كالمقدّمة لبيان المرام في هذا المقام.

فنقول بعون الملك العلّام، وبركة أهل الذكر عليهم السلام:

لا يخفى على كافّة الأنام من ذوي البصيرة والأفهام، اتّفاق كلمة أهل الإسلام على وجوب نصب الإمام بين الأنام، ليكون حافظاً لشريعة سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله من الاندراس، وحصناً منيعاً للدين عن الانطماس، من ردّ شبهات الملحدين، ونفي تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وإرشاد الناس إلى الدين الحنيف، والشرع الشريف، والنظر في أُمور العباد لئلا تنتشر الفتنة والفساد، والهرج في البلاد، والإمامة هي الرئاسة العامّة على الدين والدنيا، وأنّه لا بدّ من ذلك بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله، والعقل حاكم بوجوبه، وهذا هو كالأصل المسلّم الذي لا ريب فيه، ولا إشكال يعتريه.

وإنّما الخلاف في تعيين الفرد الخارجي ، فأهل السنّة يقولون : إنّ هذا الإمام والخليفة يجب أن ينصب ويختار باختيار المسلمين ، وإجماع أهل الحلّ والعقد ، بينما الشيعة الإماميّة الإثنى عشريّة يقولون : إنّه يجب أن يكون منصوصاً عليه من الله ورسوله صلى الله عليه وآله ، وأنّه لا سبيل للأُمّة في الاختيار .

وعلى ضوء هذا الأصل الذي ذكرناه حكم أهل العامّة بكفر من خالفهم ، وأباحوا سفك دم من نازعهم ، وردّ عليهم ، ولأجله استشهد جماعة كثيرة من أعاظم علمائنا ، وأكابر فقهائنا ، كالشهيدين والقاضي وغيرهم ، ولهذا ترى أيضاً أنّ ما جعله عمر وأبدعه يجري عندهم مجرى ما سنّه النبيّ صلى الله عليه وآله ، وحكم بوجوبه أو حرمته ، كما لا يخفى .

فلو لم تكن الإمامة من الاُصول ، ولا تجب معرفتها على المسلمين ، لما اهتمّوا بها هذا الاهتمام ، وألّفوا فيها الكتب المفصّلة ، والجوامع المعيّنة ، وبنوا عليها سائر الأحكام ، وأناطوها بقبول ذلك ، كما لا يخفى على من أمعن النظر ، ونبذ العصبيّة .

هذا هو الدليل الأوّل ، والدليل الثاني لنا على ذلك : خلود من أنكر الإمامة في النار ، كخلود غيرهم من الكفّار ؛ لأنّ المسلّم من الكتاب والسنّة هو عدم خلود المسلمين فيها ، كما سيأتي بيانه مفصّلاً إن شاء الله تعالى ، وكما سيأتي نقل جملة من كلمات علماء الطرفين وأرباب النقض والإبرام من الفريقين .

إذا عرفت هذا ، فاستمع الآن إلى ما سنتلو عليك من الأخبار التي وعدناك بيانها :

فنقول : من جملة تلك الأخبار الساطعة الأنوار :

ما رواه ثقة الإسلام الكليني (نوّر الله قبره المنيف) في «**الكافي**» الشريف : بسنده عن عيسى بن السرّي ، قال : « قلت لأبي عبدالله عليه السلام : حدّثني عمّا بنيت عليه دعائم الإسلام ، إذا أنا أخذت بها زكى عملي ، ولم يضرّني جهل ما جهلت بعده .

فقال : **شهادة أن لا إله إلّا الله ، وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله ، والإقرار بما جاء به**

من عند الله ، وحقّ في الأموال من الزكاة ، والولاية التي أمر الله عزّ وجلّ بها ولاية آل محمّد صلى الله عليه وآله ، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : من مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهليّة . قال الله عزّ وجلّ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[١] ، فكان عليّ عليه السلام ، ثمّ صار من بعده الحسن ، ثمّ من بعده الحسين ، ثمّ من بعده عليّ بن الحسين ، ثمّ من بعده محمّد بن عليّ ، ثمّ هكذا يكون الأمر ، إنّ الأرض لا تصلح إلّا بإمام ، ومن بات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهليّة ، وأحوج ما يكون أحدكم إلى معرفته إذا بلغت نفسه هاهنا ـ وأهوى بيده إلى صدره ـ **يقول حينئذٍ لقد كنت على أمر حسن »**[٢] .

ومنها : ما رواه في « **الكافي** » أيضاً : عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : « **بُني الإسلام على خمس : الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحجّ ، والولاية ، ولم يناد بشيء مثل ما نودي بالولاية يوم الغدير »**[٣] .

ومنها : ما رواه في « **الكافي** » أيضاً ـ في حديث طويل ـ : بسنده عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : « **بني الإسلام على خمسة أشياء : الصلاة ، والزكاة ، والحجّ ، والصوم ، والولاية .**

قال زرارة : فقلت : وأي شيء من ذلك أفضل ؟

فقال : **الولاية أفضل ؛ لأنّها مفتاحهنّ .**

ثمّ قال عليه السلام في آخر الحديث : « **ذروة الأمر وسنامه ، ومفتاحه ، وباب الأشياء ، ورضى الرحمن : الطاعة للإمام بعد معرفته . إنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾ ، أما لو أنّ رجلاً قام ليله ،**

---

(١) النساء ٤ : ٥٩ .

(٢) الكافي : ٢/٢١ .

(٣) الكافي : ٢/١٨ .

وصام نهاره ، وتصدّق بجميع ماله ، وحجّ جميع دهره ، ولم يعرف ولاية وليّ الله فيواليه ، وتكون جميع أعماله بدلالته إليه ، ما كان له على الله عزّ وجلّ حقّ في ثوابه ، ولا كان من أهل الإيمان » الحديث(١) .

وفيه أيضاً : عن أبي عبدالله عليه السلام ، يقول : « **أشرك بين الأوصياء والرسل في الطاعة** »(٢) ، يعني أنّ طاعة الأوصياء عين وجوب طاعة الرسل ، فكما أنّ إنكار وجوب طاعتهم كفر ، فكذلك إنكار طاعة الأوصياء .

وفيه أيضاً : عن أبي الصباح الكناني ، قال : « قال أبو عبدالله عليه السلام : **نحن قوم فرض الله طاعتنا** » الحديث(٣) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام يقول : « **نحن الذين فرض الله طاعتنا ، لا يسع الناس إلّا معرفتنا ، ولا يعذر الناس بجهالتنا ، من عرفنا كان مؤمناً ، ومن أنكرنا كان كافراً** » الحديث(٤) .

وعن زرارة ، قال : « قلت لأبي جعفر عليه السلام : أخبرني عن معرفة الإمام منكم واجبة على جميع الخلق ؟

فقال : **إنّ الله عزّوجلّ بعث محمّداً صلى الله عليه وآله إلى الناس جميعاً رسولاً وحجّة لله على جميع خلقه في أرضه ، فمن آمن بالله وبمحمّد رسول الله صلى الله عليه وآله ، واتّبعه ، وصدّقه ، فإنّ معرفة الإمام منّا واجبة عليه ، ومن لم يؤمن بالله ورسوله ، ولم يتّبعه ، ولم يصدّقه ، ويعرف حقّهما ، فكيف يجب عليه معرفة الإمام وهو لا يؤمن بالله ورسوله ويعرف حقّهما** .

قال : قلت : ما تقول فيمن يؤمن بالله ورسوله ، ويصدّق رسوله في جميع ما أنزل الله ، يجب على أُولئك حقّ معرفتكم ؟

---

(١) الكافي : ٢/١٨ .

(٢) و (٣) الكافي : ١/١٨٦ .

(٤) الكافي : ١/١٨٧ .

قال : **نعم ، أليس هؤلاء يعرفون فلاناً وفلاناً ؟**

قلت : بلى .

قال : **أترى أنّ الله هو الذي أوقع في قلوبهم معرفة هؤلاء ، والله ما أوقع ذلك في قلوبهم إلّا الشيطان ، لا والله ما ألهمّ المؤمنين حقّنا إلّا الله عزّ وجلّ** »[١] .

أقول : فكما أنّ تصديق النبيّ صلى الله عليه وآله ومعرفته متوقّفة على التصديق بوجوده تعالى ومعرفته ، فكذلك معرفة الإمام واجبة على من أقرّ لهما ، وعرف حقّهما ، وآمن بهما .

ثمّ إنّه عليه السلام بيّن وجوب معرفتهم على سائر المسلمين ؛ بأنّ من عرف خلافة فلان وفلان ، وقبل ولايتهما ، لا بدّ وأن يعرف أئمّتنا عليهم السلام ، وهو ممّن قد تمّت عليه الحجّة في وجوب نصب إمام بعد النبيّ صلى الله عليه وآله ، ومن صدقّه في جميع ما جاء به يلزمه تصديق إمامة الأئمّة الإثني عشر ؛ لأنّها من جملة ما أنزله الله تعالى ، ولو لم تكن الإمامة من الأُصول لما كان واجباً عليهم معرفتها والتصديق بها .

ويؤيّد ما قلناه : وجوب نصب الإمام على قول الفريقين بعد النبيّ صلى الله عليه وآله ، ويجب البحث عنه في الأدلّة ليعتقد بها ، كما يجب عليه الاعتقاد بنبوّة نبيّنا صلى الله عليه وآله ، كما لا يخفى ، فلاحظ جيّداً ولا تغفل .

وفي « **الكافي** » أيضاً : عن محمّد بن مسلم ، قال : « سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : **من دان الله عزّ وجلّ بعبادة يجهد فيها نفسه ، ولا إمام له من الله ، فسعيه غير مقبول ، وهو ضالّ متحيّر ، والله شانئ لأعماله** » الحديث[٢] .

فإنّ الإمامة لو كانت من الفروع دون الأُصول لما كان وقع لبطلان أعماله ، وأنّه ضالّ متحيّر ، وهل ضلالتهم إلّا كضلالة الكفّار ، الذين يعبدون الأصنام ليقرّبوهم

---

(١) الكافي : ١/١٨٠ ـ ١٨١.

(٢) الكافي : ١/١٨٣.

إلى الله زلفى ، وسائر اليهود والنصارى المنكرين لنبوّة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله .

وعن بشير العطّار ، قال : « سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : **نحن قوم فرض الله طاعتنا ، وأنتم تأتمّون بمن لا يعذر الناس بجهالته** »(١) .

وفيه : عن محمّد بن الفضيل ، قال : « سألته عن أفضل ما يتقرّب به العباد إلى الله عزّ وجلّ ، قال : **أفضل ما يتقرّب به العباد إلى الله عزّ وجلّ طاعة الله ، وطاعة رسوله ، وطاعة أُولي الأمر** .

قال أبو جعفر عليه السلام : **حبّنا إيمان ، وبغضنا كفر** »(٢) .

قال شيخنا الإمام العلاّمة المجلسي قدس سره : « يطلق حبّهم في الأخبار كثيراً على اعتقاد إمامتهم ، فإنّ من ادّعى حبّهم وأنكر إمامتهم ، فهو عدوّ مخلط ؛ إذ يفضل أعداءهم عليهم ، وبغضهم إنكار إمامتهم ، كما عرفت »(٣) ، انتهى محلّ الحاجة ، فلاحظ .

وفي « **الكافي** » : عن أحدهما عليهما السلام أنّه قال : « **لا يكون العبد مؤمناً حتّى يعرف الله ورسوله والأئمّة كلّهم وإمام زمانه ، ويرد إليه ، ويسلّم له** .

ثمّ قال : **كيف يعرف الآخر وهو يجهل الأوّل** »(٤) .

وفيه أيضاً : عن معاوية بن وهب ، عن ذريح ، قال : « سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الأئمّة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله قال : **كان أمير المؤمنين عليه السلام إماماً ، ثمّ كان الحسن عليه السلام إماماً ، ثمّ كان الحسين عليه السلام إماماً ، ثمّ كان عليّ بن الحسين إماماً ، ثمّ كان محمّد بن عليّ إماماً ،**

---

(١) الكافي : ١/١٨٦.

(٢) الكافي : ١/١٨٨.

(٣) مرآة العقول : ٢/٣٣٣.

(٤) الكافي : ١/١٨٠.

من أنكر ذلك كان كمن أنكر معرفة الله تبارك وتعالى، ومعرفة رسوله صلى الله عليه وآله» الحديث[١].

وفي جملة حديث عن الصادق عليه السلام يقول: «**وصل الله طاعة وليّ أمره بطاعة رسوله، وطاعة رسوله بطاعته، فمن ترك طاعة ولاة الأمر لم يطع الله ولا رسوله، وهو الإقرار بما أنزل من عند الله**»[٢].

وعنه عليه السلام: «**لا يعرف الله عزّ وجلّ إلّا بسبيل معرفتنا**»[٣].

ومن كلام لجدّنا السجّاد عليه السلام: «**ومن وجد في نفسه شيئاً ممّا نقوله، أو نقضي به حرجاً، كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم، وهو لا يعلم**» كما رواه الصدوق قدس سره في كمال الدين[٤].

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة المتواترة الدالّة كلّها على وجوب معرفة الإمام، والردّ إليه، والتسليم له، ومن مات وهو لا يعرف إمامه مات ميتة جاهليّة، وأنّه ممّا يسأل عنه في القبر بعد الشهادتين، وعند المرور على الصراط، الوارد كلّ ذلك عن طرق الفريقين، كما مرّ جملة من ذلك في المطلب الأوّل والثاني، فراجعه.

وكذا ما دلّ على أنّ وجوب معرفة الإمام كوجوب معرفة الله ورسوله، الدالّة كلّها دلالة واضحة على أنّ الإمامة من أُصول الدين، وأركان شريعة خاتم النبيّين صلى الله عليه وآله، وأنّ المنكر لها كالمنكر للنبيّ صلى الله عليه وآله الذي هو كفر بالإجماع، وأنّه ممّا جاء به النبيّ صلى الله عليه وآله الواجب قبوله وتصديقه.

قال شيخنا الإمام العلّامة المجلسي قدس سره ما هذا نصّه: «ولا ريب في أنّ الولاية والاعتقاد بإمامة الأئمّة عليهم السلام، والإذعان لها، من جملة أُصول الدين، وأفضل من

(١) الكافي: ١/١٨١.

(٢) الكافي: ٢/٤٧ ـ ٤٨.

(٣) الكافي: ١/١٨٤.

(٤) كمال الدين وتمام النعمة: ١٩٧.

جميع الأعمال البدنيّة ؛ لأنّها مفتاحهنّ ، أي بها تفتح أبواب معرفة تلك الأُمور وحقائقها وشرائطها وآدابها [١] ، فراجع .

وقال مولانا المحقّق الأزهر العلّامة المظفّر قدس سره ما هذا نصّه : «لا يخفى أنّ أصل الشيء أساسه ، وما يبتنى عليه ، فأُصول الدين هي التي يبتني عليها ، وبالضرورة أنّ الشهادتين كذلك ، إذ لا يكون الشخص مسلماً إلّا بهما ، وكذلك الاعتراف بالإمام للكتاب والسنّة .

أمّا الكتاب فقوله تعالى : ﴿**أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ**﴾[٢] ، فإنّ الاستفهام فيه ليس على حقيقته لاستلزامه الجهل ، فلا بدّ أن يراد به الإنكار أو التوبيخ ، وكلّ منهما لا يكون إلّا على أمر محقّق بالضرورة ، فيكون انقلابهم بعد موت النبيّ صلى الله عليه وآله محقّقاً ، ولذا قال : ﴿**انْقَلَبْتُمْ**﴾ بصيغة الماضي تنبيهاً على تحقّقه .

ومن المعلوم أنّ الصحابة بعد موت النبيّ صلى الله عليه وآله لم يعدلوا عن الشهادتين ، فيتعيّن أن يراد به أمر آخر ، وما هو إلّا إنكار إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ؛ إذ لم يصدر منهم ما يكون وجهاً لانقلابهم عموماً غيره بالإجماع ، فإذا كان إنكار إمامته عليه السلام انقلاباً عن الدين كانت الإمامة أصلاً من أُصوله ، ولا ينافيه أنّ الآية نزلت يوم أُحد ، حيث أراد بعض المسلمين الارتداد ، فإنّ سببيّة نزولها في ذلك لا تمنع صراحتها في وقوع الانقلاب بعد النبيّ صلى الله عليه وآله كما يقتضيه الترديد في الآية بين الموت والقتل ، فإنّ ما وقع يوم أُحد إنّما هو لزعم القتل .

وقد فهم ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فيما رواه ابن عبّاس ، قال : «كان عليّ عليه السلام يقول في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله : **إنّ الله تعالى يقول : ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ والله لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله ، والله لئن مات أو قتل لأُقاتلنّ**

---

(١) مرآة العقول : ٢/١٠٢.

(٢) آل عمران ٣: ١٤٤.

على ما قاتل عليه حتّى أموت ، والله إنّي لأخوه ، ووليّه ، وابن عمّه ، ووارث علمه ، فمن أحقّ به منّي ؟ »(١) (٢).

وأمّا السنّة ، فنحن لا نذكر منها إلّا أخبار القوم كعادتنا لتكون حجّة عليهم .

١ ـ **فمنها** : ما هو كالآية الشريفة في الدلالة على ارتداد الأُمّة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله ، كروايات الحوض ، ولنذكر منها ما هو صريح في ارتداد الأُمّة ، إلّا النادر .

كرواية البخاري في كتاب الحوض ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله ، قال : « **بينما أنا قائم فإذا زمرة حتّى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم ، فقال : هلمّ .**

فقلت : أين ؟

قال : إلى النّار والله .

قلت : وما شأنهم ؟

قال : إنّهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقهرى ، ثمّ إذا زمرة حتّى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم ، فقال : هلمّ .

قلت : أين ؟

قال : إلى النار والله .

قلت : وما شأنهم ؟

قال : إنّهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقرى ، فلا أراه يخلص منهم إلّا مثل همل النعم »(٣).

فهذه الرواية قد دلّت على ارتداد الصحابة إلّا القليل ، الذي هو في القلّة كالنعم

(١) مستدرك الحاكم : ١٢٦/٣ ـ كتاب معرفة الصحابة .

(٢) دلائل الصدق : ١٠/٢ .

(٣) صحيح البخاري : ٢٠٩/٧ .

المهملة المتروكة سدى .

وقد عرفت أنّ الصحابة لم يرتكبوا ما يمكن أن يكون سبباً للارتداد غير إنكار إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ، فلا بدّ أن تكون الإمامة أصلاً من أُصول الدين .

٢ ـ **ومنها** : الأخبار المستفيضة الدالّة على أنّ من مات بلا إمام مات ميتة جاهليّة ، ونحو ذلك ، فتكون أصلاً للدين البتّة ، كرواية مسلم في باب الأمر بلزوم الجماعة من كتاب الإمارة[(١)] عن ابن عمر ، قال : « وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : **من خلع يداً من طاعة لقى الله يوم القيامة لا حجّة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهليّة** » .

وكرواية مسلم أيضاً في الباب المذكور ، والبخاري في ثاني أبواب كتاب الفتن عن النبيّ صلى الله عليه وآله ، قال : « **من كره من أميره شيئاً فليصبر عليه ، فإنّه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبراً فمات عليه إلّا مات ميتة جاهليّة** »[(٢)] .

وكرواية أحمد ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **من مات بغير إمام مات ميتة جاهليّة** »[(٣)] ، إلى نحو ذلك ممّا لا يحصى .

٣ ـ **ومنها** : الأخبار الكثيرة التي أناطت الإيمان بحبّ آل محمّد صلى الله عليه وآله ، والكفر ببغضهم ، فإنّها كناية عن الاعتراف بإمامتهم وإنكارها ، للملازمة عادة بين حبّهم الحقيقي والاعتراف بفضلهم ، وبغضهم وإنكاره ، ولا يراد الحبّ والبغض بنفسيهما ؛ إذ لا دخل لهما بماهيّة الإيمان والكفر ، فلا بدّ أن يكونا كناية عن ذلك ، فلا بدّ أن تكون الإمامة أصلاً .

---

(١) راجع صحيح مسلم : ١٢١/٢ .

(٢) صحيح مسلم : ٢٢/٦ ، ط . دار الفكر ـ بيروت .

(٣) مسند أحمد : ٩٦/٤ .

فمن هذه الأخبار:

ما رواه في «**الكشّاف**» في تفسير قوله تعالى: ﴿**قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ**﴾[١] عن النبيّ صلى الله عليه وآله في حديث طويل قال فيه: «**ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مؤمناً. ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة. ألا ومن مات على بغض آل محمّد مات كافراً**»[٢].

ومثله عن تفسير الثعلبي.

وروي في «الكنز» عن النبيّ صلى الله عليه وآله، قال: «**أساس الإسلام حبّي وحبّ أهل بيتي**»[٣].

وروي أيضاً: عن ابن عبّاس: «إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لعلي يوم المؤاخاة: **أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟ إلّا أنّه ليس بعدي نبيّ، ألَا من أحبّك حقّ**[٤] **بالأمن والإيمان، ومن أبغضك أماته الله ميتة الجاهلية**»[٥].

وروي أيضاً: عن الطبراني والحاكم في «**المستدرك**»، وأبي نعيم: عن زيد بن أرقم: «أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: **من أحبّ أن يحيى حياتي، ويموت موتي، ويسكن جنّة الخلد التي وعدني ربّي، فليتوّل عليّ بن أبي طالب، فإنّه لن يخرجكم من هدى، ولن يدخلكم في ضلالة**»[٦].

وروى بعده نحوه، عن جماعة، إلّا أنّه صلى الله عليه وآله قال: «**فليتوّل عليّاً وذرّيته من بعده،**

---

(١) الشورى ٤٢: ٢٣.

(٢) الكشّاف: ٤/٢٢٠.

(٣) كنز العمّال: ٧/١٠٣.

(٤) في نسخة: «حفّ».

(٥) كنز العمّال: ٤/١٥٤، ونحوه: ٦/١٥٥، عن ابن عمر.

(٦) كنز العمّال: ٦/١٥٥. مستدرك الحاكم: ٣/١٢٨.

فإنّهم لن يخرجوكم من باب هدى ، ولن يدخلوكم في باب ضلالة »[١].

ويحتمل أن يريد النبيّ صلى الله عليه وآله فيه بتولّي أمير المؤمنين عليه السلام : الالتزام بإمامته ، فيكون دالّاً على المطلوب بالصراحة ، ومثله تولّي أولاده في الحديث الأخير ، إلى غير ذلك من الأحاديث المستفيضة.

ويشهد لكون الإمامة من اُصول الدين : أنّ منزلة الإمام كالنبيّ في حفظ الشرع ، ووجوب اتّباعه ، والحاجة إليه ، ورياسته العامّة بلا فرق.

وقد وافقنا على أنّها أصل من اُصول الدين جماعة من مخالفينا ، كالقاضي البيضاوي في « **مبحث الأخبار** » ، وجمع من شارحي كلامه ، كما حكاه عنهم السيّد السعيد رحمه الله »[٢] ، انتهى كلامه زيد في علوّ مقامه ، فلاحظ.

وقال العلّامة المحقّق البهبهاني نوّر الله ضريحه ـ في ذيل تفسير الحديث العاشر ـ ما هذا نصّه ـ بعد كلام حول التفسير ـ : « وبما بيّناه تبيّن أنّ الإمامة من اُصول الدين ، والاعتراف بإمامة الإمام وولايته كالإقرار بنبوّة النبيّ صلى الله عليه وآله من الاُصول لا من الفروع.

ولذا قال صلى الله عليه وآله : **من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة** ، بل معرفة النبيّ صلى الله عليه وآله إنّما تكون أصلاً واجباً باعتبار كونه رسولاً وإماماً ؛ لأنّ النبيّ مع قطع النظر عن رسالته وإمامته لا تجب على الناس معرفته ، كمن كان نبيّاً على نفسه ، ولا يكون رسولاً إلى أحد ولا إماماً على الاُمّة.

فالمعرفة إنّما يتجب لأحد الوصفين ، فإن وجبت المعرفة لأجل الرسالة استلزم

---

(١) كنز العمّال : ١١/٦١٢.

(٢) دلائل الصدق : ٢/١٠ وما بعدها ، وراجع أيضاً الصفحة **٢٩٦** في ذيل آية : ﴿**فَإِنَّا مِنْهُم مُنتَقِمُونَ**﴾ الزخرف ٤٣ : ٤١ في ردّ الفضل ـ الذي ينبغي أن يعبّر عنه بالجهل ـ وغير ذلك ممّا يجده المتتبّع في كتابه من استدلاله بالآيات الجليّة على أنّ الإمامة من اُصول الدين ، فراجع ـ منه عفي عنه.

وجوب معرفة الإمام بطريق أوْلى ؛ لأنّ الإمامة مرتّبة فوق الرسالة ، وإن وجبت لأجل الإمامة فالوجوب أوضح لاتّحاد الموضوع ، واستحالة التفكيك »[١] ، انتهى كلامه أعلى الله مقامه ، ولقد أجاد فيما أفاد ، فلله درّه ، وعليه أجره .

هذا ، ويظهر من المحقّق الطوسي (قدّس سرّه القدّوسي) أنّ الإمامة من اُصول الدين ، مسلّم بين الطائفة الحقّة والفرقة الناجية المحقّة .

حيث قال قدس سره في « **قواعد العقائد** » على ما حكى عنه العلاّمة المجلسي قدس سره في « **مرآة العقول** » ، والسيّد الشبّر في « **حقّ اليقين** » :

« اُصول الإيمان عند الشيعة ثلاثة : التصديق بوحدانيّة الله عزّ وجلّ في ذاته ، والعدل في أفعاله ، والتصديق بنبوّة الأنبياء ، والتصديق بإمامة الأئمّة المعصومين من بعد الأنبياء .

وقال أهل السنّة : الإيمان هو التصديق بالله تعالى ، وبكون النبيّ صادقاً ، والتصديق بالأحكام التي تعلم يقيناً أنّه صلى الله عليه وآله حكم بها دون ما فيه اختلاف . . . »[٢] .

وقال في « **التجريد** » : « محاربو عليّ عليه السلام كفرة ، ومخالفوه فسقة »[٣] ، ولو لم تكن الإمامة من الاُصول لما أوجب كفر من حارب الإمام ، ومن تأمّل في كفر من حارب النبيّ صلى الله عليه وآله فليتأمّل هنا .

إن قلت : لا يختصّ الكفر بإنكار الإمام ، بل يثبت ذلك بإنكار ما علم أنّه من الدين ، كالصلاة والصوم ، أو ما ثبتت حرمته ، كالزنا والسرقة ، ولعلّ الإمامة من هذا القبيل .

قلت : أوّلاً : إنّ المستفاد من هذه الأخبار التي نقلناها لك ، أنّها تدلّ على أنّ

---

(١) مصباح الهداية : ١١٤ .

(٢) قواعد العقائد : ٤٦٦ .

(٣) شرح التجريد : ٥٤٠ .

معرفة الإمام بنفسها واجبة كوجوب معرفة الله والأنبياء عليهم السلام والنبيّ صلى الله عليه وآله ، وليس كذلك الأمر في الفروع .

وثانياً : إنكار وجوب الصلاة والصوم ، أو إنكار حرمة الزنا ونحوه ، بعد ثبوت وجوبه وحرمته المسلتزم للكفر ، إنّما هو من جهة تكذيب النبيّ صلى الله عليه وآله ، والردّ عليه ، سواء ثبت في مذهب الشيعة ،كثبوت استحباب المتعة ، أو ممّا ثبت عند المسلمين طرّاً ، كوجوب الصلاة ، وأمّا إنكار الإمامة والإمام ، فبنفسه مستلزم للكفر ، كإنكار الرسول والرسالة ، حيث إنّ أمر الإمامة عندنا كأمر الرسالة بيد الله تبارك وتعالى ؛ لأنّ الرسالة والإمامة منصب إلهي ، وعدم الفرق بين النبيّ والإمام من حيث افتراض الطاعة والتسليم لهما ، ولا فرق بينهما من هذه الجهة .

وإنّما الفرق بين النبيّ والإمام هو أنّ النبيّ ممّا ينزل عليه الوحي ، وهو مشرّع ، وصاحب كتاب ، بخلاف الإمام ، فإنّه حافظ للشريعة ، كما تدلّ عليه جملة من النصوص في هذا الخصوص .

مثل : ما رواه في « **الكافي** » ـ باب أنّ الإمامة عهد من الله عزّ وجلّ معهود من واحد إلى واحد ـ عن أبي بصير ، قال : «كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فذكروا الأوصياء ، وذكرت إسماعيل ، فقال : **لا والله ـ يا أبا محمّد ـ ما ذاك إلينا ، وما هو إلّا إلى الله عزّ وجلّ ينزل واحداً بعد واحد** »(١) .

وفيه أيضاً : بسنده عن عمرو بن الأشعث ، قال : « سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : **أترون الموصي منّا يوصي إلى من يريد ، لا والله ولكن عهد من الله ورسوله صلى الله عليه وآله لرجل فرجل ، حتّى ينتهي الأمر إلى صاحبه** »(٢) ، فلاحظ .

وراجع باب أنّ الأئمّة عليهم السلام لم يفعلوا شيئاً ، ولا يفعلون إلّا بعهد من الله عزّ وجلّ ،

---

(١) الكافي : ١/٢٧٧.

(٢) الكافي : ١/٢٧٨.

وأمر منه لا يتجاوزونه، ونصّ النبيّ صلى الله عليه وآله على الأئمّة عليهم السلام مثل نصّ الأنبياء عليهم السلام عليه صلى الله عليه وآله الذي يدلّ على أنّ الأمر بيده سبحانه وتعالى.

وممّا يدلّ على أنّ الإمامة من أُصول الدين: إطلاق الشرك على من تابع غير الإمام الذي عيّنه الله تبارك وتعالى، وأنّه ممّن جعل لله شريكاً، المرويّة كلّها في الكافي، وإطلاق المشرك على من ادّعى الإمامة وهو ليس من أهلها.

إن قلت: إطلاق الشرك عليهم لا يدلّ على أنّ الإمامة من أُصول من الدين لإطلاقه في الأخبار على المرائي وأمثاله أيضاً.

قلت: إنّ المأمور به في باب العبادات التي يلزم إتيانها على الوجه الصحيح هو التقرّب إليه سبحانه بالقربة الخالصة، فالمرائي من جهة تحسين عمله في مقابل الغير لا يكون متقرّباً إليه سبحانه حقيقة، ولا يأتي بالنيّة الخالصة ـ لا أنّه يأتي بعمله لله، ولهذا الشخص معاً ـ بل يأتي بالعمل لله ويقصد بعمله هذا مقابل الناس ليعتمدوا عليه، ويثقوا بقوله وعمله، وإطلاق المشرك على هذا الفرد يمكن أن يكون بنحو من العناية والمجاز لا حقيقة، ولهذا لا يتأمّل أحد في عدم كفره، فتأمّل.

وهذا بخلاف التديّن بإمامة من لم يكن من قِبله سبحانه، وهو نظير من أمره الله بالإيمان بمحمّد صلى الله عليه وآله والاعتقاد بنبوّته، فآمن بغيره، واعتقد نبوّته، وأنّها من قبله سبحانه، فهل يمكن التأمّل في كفر هذا، والمقام مثله كما لا يخفى.

إن قلت: كيف تجب معرفة الإمام لمن لم يعرف الله ورسوله صلى الله عليه وآله ؟

قلت: الكلام فيمن عرف الله ورسوله، وآمن بهما، كما عرفت في كلام الإمام الذي هو إمام الكلام، في رواية زرارة.

إن قلت: فعلى هذا يجب على جميع المسلمين من سائر الفرق الإسلاميّة الإيمان والتصديق بإمامة الأئمّة الإثني عشر، وإلّا فإنّهم كفّار مخلّدون في النار، وهذا خلاف ظواهر الأخبار من أنّ الموحّدين يدخلون الجنّة، كما لا شكّ أنّهم

موحّدون يشهدون الشهادتين على ما رواه شيخنا الصدوق أعلى الله مقامه في كتاب «**التوحيد**» : بسنده عن إبراهيم بن زياد الكرخي ، عن أبي عبدالله ، عن جدّه عليهم السلام ، قال : « «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من مات ولا يشرك بالله شيئاً أحسن أو أساء دخل الجنّة**»[١] .

وفيه أيضاً : وقال عليه السلام ـ أي مولانا الصادق روحي وأرواح العالمين له الفداء ـ : «**إنّ الله تبارك وتعالى أقسم بعزّته وجلاله أن لا يعذّب أهل توحيده بالنّار أبداً**»[٢] .

وفيه أيضاً : عن أبي بصير ، قال : « قال أبو عبدالله عليه السلام : **إنّ الله تبارك وتعالى حرّم أجساد الموحّدين على النار**»[٣] .

إلى غير ذلك ، وما ورد من أنّ الإسلام هو الإقرار بالشهادتين التي بها تحقن الدماء ، وتجري النكاح والمواريث ، وعليه عامّة الناس ، المرويّة كلّها في الكافي وغيره ، ومعها كيف يخلدون في النار وأنّهم من جملة الكفّار مع عدم إجراء أحكام الكفر عليه .

قلت :

أوّلاً : قد عرفت وجوب معرفة الإمام على كلّ من اعتنق الإسلام ـ بلا خلاف ولا كلام ـ من الأخبار الواردة في خصوص المقام ، مع ما عرفته من كلمات الأعلام (أعلى الله مقامهم في دار السلام) .

وثانياً : أنّ هذه الأخبار مطلقة ، وظاهرها دخول الموحّدين النار حتّى مع عدم الإقرار بالرسالة ، ونبوّة نبيّنا صلى الله عليه وآله ، وهذا خلاف ضرورة دين الإسلام ، فإنّ عدم إجراء أحكام الإسلام عليه مسلّم من دون خلاف في ذلك ، وإن كان يجري عليه في بادئ

---

(١) التوحيد : ١٩.

(٢) و (٣) التوحيد : ٢٠.

أمر الدعوة ، كما لا يخفى .

وهناك جملة من الأخبار المقيّدة بالنسبة لإطلاق هذه الأخبار ، مثل ما رواه المفضّل بن عمر ، قال : « قال أبو عبدالله عليه السلام : **إنّ الله تبارك وتعالى ضمن للمؤمن ضماناً .**

قال : قلت : وما هو ؟

قال : **ضمن له إن هو أقرّ له بالربوبيّة ، ولمحمّد صلى الله عليه وآله بالنبوّة ، ولعليّ بالإمامة ، وأدّى ما افترض عليه أن يسكنه في جواره** »(١) .

وما رواه الصدوق قدس سره في كتاب « **التوحيد** » : عن الرضا عليه السلام ، عن آبائه عليهم السلام ، يقول : **سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : سمعت جبرئيل يقول : سمعت الله جلّ جلاله يقول : لا إلـه إلّا الله حصني ، فمن دخل حصني أمن من عذابي .**

فلمّا مرّت الراحلة نادانا ـ يعني الرضا عليه السلام ـ : **بشرطها وشروطها** »(٢) .

ولا ريب أنّ من شرط الإيمان الذي يدخل به الجنان : الإقرار بإمامة الأئمّة الإثني عشر عليهم السلام .

قال الصدوق قدس سره ـ بعد نقله الحديث ـ ما هذا نصّه : « قال مصنّف هذا الكتاب : من شروطها : الإقرار للرضا عليه السلام بأنّه إمام من قِبل الله عزّ وجلّ على العباد مفترض الطاعة عليهم »(٣) ، انتهى .

أقول : وهذا الحديث معروف بحديث سلسلة الذهب ، وفي بالي أنّه قال عليه السلام : « **وأنا من شروطها** ، وإن لم يحضرني الآن موضعه(٤) .

---

(١) التوحيد : ١٩.

(٢) و (٣) التوحيد : ٢٥.

(٤) رأيته بعد الفراغ في الأمالي : ١٤٢ ـ منه عفي عنه .

وأمّا أنّهم كفّار، فلما عرفت من إطلاق ذلك عليهم في الأخبار، وأمّا عدم إجراء أحكام الكفر عليهم مع إطلاق ذلك عليهم، فلعلّ المراد أنّهم يموتون كفّاراً، أو أنّهم ينسون كلمة التوحيد والإقرار بالرسالة في يوم القيامة، أو عند الموت.

أو أنّ المراد منه الكفر مقابل الإيمان لا الإسلام، كما هو المعروف بين فقهائنا الإماميّة (رضوان الله عليهم أجمعين)، وعليه يجرون عليهم أحكام الإسلام، وكما تدلّ عليه بعض النصوص في هذا الخصوص، وغيرها، الدالّة على طهارة ما يؤخذ منهم من المائعات والأدهان والجبن والجلود مع مباشرتهم لها بأيديهم مع الرطوبة، وأنّ القول بطهارتهم هو المعروف.

وقد ادّعى غير واحد الإجماع على ذلك، مع أنّه قد ذهب غير واحد من فقهائنا إلى ذلك أيضاً، كالمفيد والمرتضى وابن إدريس والعلّامة في المنتهى في كتاب الزكاة وابن برّاج والمولى محمّد صالح المازندراني في شرحه على أُصول الكافي وابن نوبخت والشهيد الثاني والمحدّث الجزائري، كما في الحدائق، وهو قد ذهب إليه أيضاً، وبعض من قد قارب عصرنا قدس سره.

وتدلّ عليه جملة من الأخبار، ومنها: ما دلّ على حرمة ذبيحة غير المؤمن، وأمّا الناصب، والسابّ، والعارف بالنصوص ومنكرها، والغلاة، والخوارج، فعليه اتّفاق الكلمة وبلاكلام، كما عن جامع المقاصد، وصريح الشهيد الثاني قدس سره من روض الجنان الإجماع عليه.

مضافاً إلى دلالة بعض النصوص عليه.

هذا، ولا يخفى أنّ الإسلام الظاهري لا ينافي الكفر الواقعي؛ لأجل التسهيل، ورفع العسر والحرج على المؤمنين، وحفظ أموالهم ودمائهم، وكثرتهم في كلّ عصر، فلهذا اكتفى الشارع منهم ظاهراً بالإقرار بالشهادتين، ولو لم يعتقدوا بهما واقعاً، كما كان يعلم النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة ذلك منهم في عصرهما، وسيأتي نقل كلام

الشهيد رحمه‌الله عن قريب إن شاء الله تعالى، فانتظر.

وممّا يدلّ على أنّ الإمامة من أُصول الدين: ما استفاض من الأخبار بخلود منكرها في النار. قال العلّامة (أعلى الله مقامه) في شرح الياقوت ـ بعد حكمه بكفر دافع النصّ ـ ما هذا نصّه: «ثمّ اختلف أصحابنا في أحكامهم في الآخرة، فالأكثر قالوا بتخليدهم، وفيهم من قال بعدم الخلود، وذلك إمّا بأن ينقلوا إلى الجنّة، وهو قول شاذّ عندهم، أو لا إليها، واستحسنه المصنّف»، انتهى.

قال العلّامة المحقّق المجلسي رحمه‌الله ـ بعد نقله القول بعدم خلودهم في النار ـ: «إنّ ذلك نشأ من عدم تتبّعهم للأخبار، والأحاديث الدالّة على خلودهم متواترة أو قريبة التواتر.

نعم، الاحتمالان الأخيران آتيان في المستضعفين منهم، والقول بخروج غير المستضعفين من النار مجهول القائل، نشأ بين المتأخّرين الذين لا معرفة لهم بالأخبار، ولا بأقوال القدماء الأخيار»، انتهى ما نقلناه[١].

أقول: لقد أجاد غوّاص بحار الأنوار فيما أفاد، وأتى بما هو الحقّ والمراد، حشره الله مع محمّد وآله الأمجاد[٢]، وأنّه أعرف من غيره بالأخبار، واطّلاعه أكثر على

---

(١) حقّ اليقين: ٢/٢٦٠.

(٢) كان العلّامة المجلسي (أعلى الله مقامه، ورفع في الخلد أعلامه) أحد فقهائنا الفطاحل، وأعاظم علمائنا الأفاضل، وكان رحمه‌الله فائقاً الأواخر والأوائل في كثرة التصانيف مع تحقيقات مبتكرة، وبيانات وتدقيقات فائقة، وله اليد البيضاء في ترويج الدين، ونشر آثار النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله والأئمّة الطاهرين، والحقّ العظيم على الفرقة الإثني عشريّة، حيث هو الذي أرشد الناس، وأزال عن صدورهم الوسواس الخنّاس، وهداهم إلى الدين الحنيف، والمذهب الشريف، ونشر مذهب الشيعة الإماميّة في جميع أنحاء إيران، وأزال السبّ والشتم عن أمير المؤمنين عليه‌السلام ببركات جهوده الجبّارة، ومن بركات مؤلّفاته اعتنق ⇦

⇐ اليهود والنصارى دين الإسلام ، وكان الدين بمساعيه المشكورة له إلى أبد الدهر عزيزاً ، والكفر ذليلاً عجيباً غريباً ، خصوصاً اليهود.

وكانوا يعطون الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ، وكانت البلاد بوجوده معمورة ، وألوية الإسلام منشورة ، وآراء العتاة مقهورة ، بحيث لمّا انتقل إلى الجنان وقع ما وقع من الفتن في إصفهان ، وسائر أنحاء إيران ، وقتل السلطان ، ونهبت أموال الأشراف والأعيان.

قال شيخنا المحدّث البحراني في لؤلؤة البحرين : ٥٥ : «كان إماماً في وقته في علم الحديث وسائر العلوم ، شيخ الإسلام بدار السلطنة إصفهان رئيساً فيها بالرئاستين : الدينيّة والدنيويّة ، إماماً في الجمعة والجماعة ، وهو الذي روّج الحديث ونشره ، لا سيّما في الديار العجميّة ، وترجم لهم الأحاديث العربيّة بأنواعها بالفارسيّة.

مضافاً إلى تصلّبه في الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وبسط يد الجود والكرم لكلّ من قصد وأمّ ، وقد كانت مملكة الشاه سلطان حسين لمزيد خموله ، وقلّة تدبيره للملك ، محروسة بوجود شيخنا المذكور ، فلمّا مات انقضت أطرافها ، وبدأ اعتسافها ، وأُخذت في تلك السنة من يده بلدة قندهار ، ولم يزل الخراب يستولي عليها حتّى ذهب من يده ، فلاحظ.

أقول : لو نظر القارئ الكريم إلى ترجمة شيخنا المذكور (أعلى الله مقامه في دار السرور) لرأى أنّه كان هو السلطان ، وبيده الأمر والنهي ، والسلطان كان أحد خدمه ورعيّته ، لا أنّه من حاشيته ، كما توهّمه بعض الصبيان العاري عن العلم والبيان ، وقبره الشريف منبع فيض الخبير اللطيف واقع في إصفهان ، يقصده الناس من سائر طبقاتهم لزيارته من سائر نواحي إيران.

وممّا جرّب واشتهر إجابة الدعاء عند قبره ، وإنّي قد زرته وجرّبت ذلك ، فحصل لي المراد ببركاته أعلى الله مقامه.

وهذا يدلّ على عظيم مقامه ، ونهاية قربه إلى الله ورسوله وأوليائه ، وكلّ ذلك ببركات ما تحمّله من المشاقّ لأجل نشر الدين ، والله لا يضيع أجر المحسنين.

هذا ، ولكن يا للأسف الشديد أن يظهر بين كلّ مدّة وأوان بعض السفلة العوامّ ، ⇐

⇦ الطغاة اللئام ، المتخرّجين من مدارس الغرب ، والمتلمّذين عند بعض اليهود الذين هم من أشدّ أعداء الدين والإسلام ، فيتجاسرون على شخصيّة هذا المولى القمقام ، والرجل العظيم المقام ، فيتّهمون مقامه بأنه كان من حاشية السلطان ، وغفلوا عن أنّه كان من أوتاد الأرض وخلّص عباد الرحمن .

ويعجبني هنا إيراد كلام للعلّامة الزعيم الحاج آقا روح الله الخميني (أدام الله علمه وبياناته) فإنّه كما أفاده في المنشور المطبوع الموجود عندنا منه نسخة ما هذا نصّه : « می‌بینم یک طائفه از علما اینها گذشت کردند از یک مقاماتی و متّصل شدند به سلاطینی با اینکه می‌دیدند که مردم مخالفند لکن برای ترویج دیانت و ترویج تشیّع اسلامی و ترویج مذهب حقّ اینها متّصل شدند به یک سلاطینی و این سلاطین را وادار کردند خواهی نخواهی برای ترویج مذهب تشیّع اینها آخوند درباری نبودند این اشتباهی است که بعض از نویسندگان امروزی می‌کنند سلاطین اطرافیان این آقایان بودند .

اینها اغراضی سیاسی داشتند اغراض دینی داشتند نباید کسی تا بگوشش خورد که مثلاً مجلسی رضوان الله علیه محقّق ثانی رضوان الله علیه نمی‌دانم شیخ بهائی رضوان الله علیه با اینها روابط داشتند و می‌رفتند سراغ اینها خیال کنند که اینها مانده بودند برای جاه وعزّت و احتیاج داشتند به اینکه سلطان حسین و شاه عبّاس به اینها عنایتی بکند این حرفها نبود در کار اینها گذشت کردند یک گذشت یک مجاهده نفسانی کردند برای اینکه این مذهب را بوسیله آنها در یک محیطی که اجازه می‌گرفتند که شش ماه دیگر اجازه بدهید ما حضرت امیر عليه‌السلام را سب بکنیم ترویج کنند » ، انتهى .

« أرى أنّ طائفة من العلماء قد تخلّوا عن بعض مناصبهم وارتبطوا بالسلاطين ، مع أنّ الناس كانوا مخالفين لهم في ذلك ، ولم يكن لهم هدف في ارتباطهم بالسلاطين سوى نشر الدين والتشيّع والمذهب الحقّ ، وقد استطاعوا إجبار هؤلاء السلاطين ـ بإرادة منهم أو بغير إرادة ـ على نشر مذهب التشيّع .

فلم يكن هؤلاء علماء بلاط ، كما اشتبه ذلك على بعض كتّاب هذه الأيّام ، حيث عبّر عن هؤلاء الرجال بأنّهم (حواشي السلطان) !! بل كلّ ما في الأمر أنّ هؤلاء العلماء كانت ⇦

النكات والأسرار، وأعظم ممارسة في أقوال علمائنا الأخيار.

وقال شيخنا المفيد قدّس الله سرّه في «**أوائل المقالات**»: «واتّفقت الإماميّة على أنّ من أنكر إمامة أحد الأئمّة، وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة

⇐ لهم أغراض سياسيّة وأُخرى دينيّة، أرادوا تحقيقها من خلال علاقتهم بالسلاطين.

فلا ينبغي لأحد لو سمع أنّ الشيخ المجلسي (رضوان الله عليه) ـ مثلاً ـ أو المحقّق الثاني (رضوان الله عليه) أو الشيخ البهائي (رضوان الله عليه) كانت لهم علاقة بسلاطين زمانهم. وأنّهم كانوا يذهبون لهم: أن يتصوّر أنّ هؤلاء قد احتفظوا بعلاقتهم مع أُولئك من أجل جاه أو عزّة، أو أنّهم كانوا بحاجة إلى اهتمام السلطان حسين أو الشاه عبّاس بهم.

إنّ هذا التصوّر لم يكن له واقع عندهم، لأنّهم قد تخلّوا عن بعض مناصبهم عن طريق مجاهدة النفس، بهدف أن ينشروا المذهب عن طريق أُولئك السلاطين، في محيط كان فيه غيرهم يسعى للحصول على إجازة من هؤلاء لأجل ترويج شتم أمير المؤمنين عليه السلام ولو لمدّة ستّة أشهر».

أقول: لو طلب السلطان وقال: أيّها العلماء، قد حوّلت إليكم زمام الأُمور، وإليكم الأمر في الصدور والورود، وإنّي أُهيّئ لكم الوسائل بشتّى أنواعها لنشر الدين وترويج الشريعة، هل يقال لهذا العالم أنّه من اتّباع السلطان وأعوان الشيطان؟ ولعمري حتّى هذا المعنى، هم لا يعترفون به.

كيف وهم من حاشية النواصب الذين هم من أشدّ أعداء الإيرانيّين والشيعة، ولكن كما قلنا إنّ نار الحقد والبغض لأسلافهم تحرّضهم على ما يقدمون عليه من الهذيان والغلط، ولقد تتبّعت سائر أقوال هذا الرجل وأفكاره الخبيثة، فرأيت أنّه يتحامل على كلّ من خدم الشريعة، وروّج خصوص مذهب الشيعة، كحامي الرسول وناصره أبو طالب عليه السلام الذي اعترف بخدماته لأجل الدين الفريقان، حتّى ذهبت طائفة كبيرة منهم إلى القول بإسلامه وإيمانه، كزيني دحلان، الذي ألّف في ذلك كتاباً أسماه (أسنى المطالب في إيمان أبي طالب) بل حتّى النصارى اعترفت بإسلامه وإيمانه، كعبد المسيح أنطاكي بك في شرح قصيدته العلويّة، فلاحظ ـ منه عفي عنه.

فهو كافر ضالّ مستحقّ الخلود في النار »[١].

وقال في موضع آخر: « اتّفقت الإماميّة على أنّ أصحاب البدع كلّهم كفّار، وأنّ على الإمام أن يستتيبهم عند التمكّن بعد الدعوة لهم، وإقامة البيّنات عليهم، فإن تابوا من بدعهم وصاروا إلى الصواب وإلّا قتلهم لردّتهم عن الإيمان، وإن مات أحدهم على ذلك فهو من أهل النار »[٢].

وقال المحقّق الطوسي قدس سره في « **قواعد العقائد** »: « ويستحقّ المؤمن بالإجماع الخلود في الجنّة، ويستحقّ الكافر الخلود في العقاب »[٣]، انتهى.

وقال في « **التجريد** »: « محاربو عليّ عليه السلام كفرة، ومخالفوه فسقة »[٤].

قال العلّامة (أعلى الله مقامه) في شرحه ما هذا نصّه:

« أقول: المحارب لعليّ عليه السلام كافر، لقول النبيّ صلى الله عليه وآله: **يا عليّ، حربك حربي**، ولا شكّ في كفر من حارب النبيّ صلى الله عليه وآله، وأمّا مخالفوه في الإمامة فقد اختلف علماؤنا فيهم، فمنهم من حكم بكفرهم لأنّهم دفعوا ما علم ثبوته من الدين ضرورة، وهو النصّ الجليّ الدالّ على إمامته مع تواتره، وذهب آخرون إلى أنّهم فسقة، وهو الأقوى، ثمّ اختلف هؤلاء على أقوال ثلاثة:

أحدها: أنّهم مخلّدون في النار لعدم استحقاقهم الجنّة[٥]، فراجع.

أقول: قد عرفت أنّ القول بعدم الخلود في النار مجهول القائل في كلام العلّامة المجلسي قدس سره، وما ذكره هنا مخالف لما ذكره في المنتهى من كتاب الزكاة في بيان

---

(١) أوائل المقالات: ٤٣.

(٢) المصدر المتقدّم: ٤٩.

(٣) قواعد العقائد: ٤٦٦.

(٤) و (٥) شرح التجريد: ٥٤٠.

اشتراط وصف المستحقّ للزكاة بالإيمان ، حيث قال ما هذا نصّه : «لأنّ الإمامة من أركان الدين واُصوله ، وقد علم ثبوتها من النبيّ صلى الله عليه وآله ضرورة ، والجاحد لا يكون مصدّقاً للرسول في جميع ما جاء به ، فيكون كافراً »(١) ، انتهى ، فلاحظ .

قال شيخنا الربّاني السعيد الشهيد الثاني في رسالة « **حقائق الإيمان** » ما هذا نصّه : « البحث الثاني في جواب إلزام يردّ على القائلين من الإماميّة بعموم الإسلام مع القول بأنّ الكفر عدم الإيمان عمّا من شأنه أن يكون مؤمناً .

أمّا الإلزام : فإنّهم حكموا بإسلام من أقرّ بالشهادتين فقط غير عابث ، دون إيمانه ، سواء علم منه عدم التصديق بإمامة الأئمّة عليهم السلام من اُصول الإيمان عند الطائفة من الإماميّة ، كما هو معلوم من مذهبهم ضرورة ، وصرّح بنقله المحقّق الطوسي رحمه الله عنهم فيما تقدّم ، أم لم يعلم منه ذلك .

ولا ريب أنّ الشيء يعدم بعدم أصله الذي هو جزؤه ، كما فيما نحن فيه ، فيلزم الكفر بحكم من لم يتحقّق له التصديق المذكور وإن أقرّ بالشهادتين ، وأنّه منافٍ أيضاً للحكم بإسلام من لم يصدق بإمامة الأئمّة الإثني عشر ، وهذا الأخير لا خصوصيّة لوروده على القول بعموم الإسلام ، بل هو وارد على القائلين بإسلام من لم يتحقّق له التصديق المذكور مع قطع النظر عن كونهم قائلين بعموم الإسلام أو مساواته للإيمان .

وأمّا الجواب : فبالمنع من المنافاة بين الحكمين ؛ ذلك لأنّا نحكم بأنّ من لم يتحقّق له التصديق المذكور كافر في نفس الأمر ، والحكم بإسلامه إنّما هو في الظاهر ، فموضوع الحكمين مختلف ، فلا منافاة »(٢) .

ثمّ قال : « المراد بالحكم بإسلامه ظاهراً : صحّة ترتيب كثير من الأحكام الشرعيّة

---

(١) منتهى المطلب : ٨/٣٦٠ .

(٢) حقائق الإيمان : ١٣١ .

على ذلك، والحاصل أنّ الشارع جعل الإقرار بالشهادتين علامة على صحّة إجراء أكثر الأحكام الشرعيّة على المقرّ، كحلّ مناكحته، والحكم بطهارته، وحقن ماله ودمه، وغير ذلك من الأحكام المذكورة في كتب الفروع، وكأنّ الحكمة في ذلك هو التخفيف عن المؤمنين، لمسيس الحاجة إلى مخالطتهم في أكثر الأزمنة والأمكنة، واستمالة الكافر إلى الإسلام، فإنّه إذا اكتفى في إجراء أحكام المسلمين عليه ظاهراً بمجرّد إقراره الظاهري ازداد ثباته ورغبته في الإسلام، ثمّ يترقّى في ذلك إلى أن يتحقّق له الإسلام باطناً.

واعلم أنّ جمعاً من علماء الإماميّة حكموا بكفر أهل الخلاف، والأكثر على الحكم بإسلامهم، فإن أرادوا بذلك كونهم كافرين في نفس الأمر لا في الظاهر، فالظاهر أنّ النزاع لفظي؛ إذ القائلون بإسلامهم يريدون ما ذكرناه من الحكم بصحّة جريان أكثر أحكام المسلمين عليهم في الظاهر، لا أنّهم مسلمون في نفس الأمر، ولذا نقلوا الإجماع على خلودهم في النار، وإن أرادوا بذلك كونهم كافرين ظاهراً وباطناً، فهو ممنوع، ولا دليل عليه، بل الدليل قائم على إسلامهم لقوله صلى الله عليه وآله: «**أُمرت أن أُقاتل الناس حتّى يقولوا لا إله إلّا الله**»[1]، انتهى.

وهو كلام متين، وجوهر ثمين، جامع بين الأخبار الدالّة على إسلامهم، والأخبار الدالّة على كفرهم، وحينئذٍ فلا معنى للقول بخروجهم من النار في الآخرة، والأخبار الواردة بكفرهم كثيرة لا تحصى، ولو كانوا في الدنيا والآخرة في حكم المسلمين فأي فرق بينهم وبين فسّاق الشيعة، وأي فائدة فيما أجمعت عليه الفرقة المحقّة من كون الإمامة من أُصول الدين»[2]، انتهى.

وقال شيخنا العلّامة المحقّق المتضلّع الأمين (الأميني) نوّر الله تربته ما هذا نصّه:

---

(١) حقائق الإيمان: ١٣٢.

(٢) حقّ اليقين / السيّدعبدالله الشبّر قدس سره: ٢٦٢/٢.

«على أنّ أحداً لو عدّ الإمامة من أُصول الدين فليس بذلك البعيد عن مقاييس البرهنة ، بعد أن قرن الله سبحانه ولاية مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بولايته وولاية الرسول صلى الله عليه وآله بقوله : ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾ الآية(١) ، وخصّ المؤمنين بعليّ عليه السلام ، كما مرّ الإيعاز إليه في الجزء الثاني الصفحة **٥٢** ، وسيوافيك حديثه بُعيد هذا .

وفي آية كريمة أُخرى جعل المولى سبحانه بولايته كمال الدين بقوله : ﴿**أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً**﴾(٢) ، ولا معنى لذلك إلّا كونها أصلاً من أُصول الدين ، لولاها بقي الدين مخدجاً ، ونعم الله على عباده ناقصة ، وبها تمام الإسلام الذي رضيه ربّ المسلمين لهم ديناً .

وجعل هذه الولاية بحيث إذا لم تبلغ كان الرسول صلى الله عليه وآله ما بلّغ رسالته ، فقال : ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾(٣) ، ولعلّك تزداد بصيرة فيما قلناه لو راجعت الأحاديث الواردة من عشرات الطرق في الآيات الثلاث ، كما فصّلناه في الجزء الأوّل الصفحة **٢١٤ ـ ٢٣٠** و **٢٣٨** ، وفي هذا الجزء .

وبمقربة من هذه كلّها ما مرَّ في الجزء الثاني : الصفحة **٣٠١** ، **٣٠٢** من إناطة الأعمال كلّها بصحّة الولاية ، وقد أُخذت شرطاً فيها ، وهذا هو معنى الأصل ، كما أنّه كذلك بالنسبة إلى التوحيد والنبوّة ، وليس في فروع الدين حكمٌ هو هكذا .

ولعلَّ هذا الذي ذكرناه كان مسلّماً عند الصحابة الأوّلين ، ولذلك يقول عمر بن الخطّاب لمّا جاءه رجلان يتخاصمان عنده : هذا مولاي ومولى كلِّ مؤمن ، ومن

---

(١) المائدة ٥ : ٥٥.

(٢) المائدة ٥ : ٣.

(٣) المائدة ٥ : ٦٧.

لم يكن مولاه فليس بمؤمن. راجع الجزء الأوّل صفحة **٣٨٢**.

وستوافيك في هذا الجزء زرافةٌ من الأحاديث المستفيضة الدالّة على أنَّ بغضه (صلوات الله عليه) سمة النفاق وشارة الإلحاد، ولولاه عليه السلام لما عُرف المؤمنون بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا يبغضه أحدٌ إلّا وهو خارجٌ من الإيمان، فهي تدلّ على تنكّب الحائد عن الولاية عن سويّ الصراط كمن حاد عن التوحيد والنبوّة، فلترتّب كثير من أحكام الأصلين على الولاية يقرب عدُّها من الأصول، ولا ينافي ذلك شذوذها عن بعض أحكامها لما هنالك من الحِكم والمصالح الاجتماعيّة كما لا يخفى»[١]، انتهى كلامه رفع مقامه.

وقال رحمه الله: «عن ابن عبّاس، في حديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله: **لو أنّ رجلاً صفن بين الركن والمقام فصلّى وصام، ثمّ لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمّد دخل النار**»، أخرجه الحاكم في «**المستدرك**»[٢].

وأخرج الطبراني في «**الأوسط**» من طريق أبي ليلى، عن الإمام السبط الشهيد، عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: **الزموا مودّتنا أهل البيت، فإنّه من لقى الله عزّ وجلّ وهو يودّنا دخل الجنّة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده، لا ينفع عبداً عمله إلّا بمعرفة حقّنا**».

وذكره الهيثمي في «**المجمع**»[٣].

وأخرج الحافظ السمّان في «**أماليه**»: بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لو أنّ عبداً جاهد لحقّه، ناكثاً عن ولايته، لأتعس الله خبره، وجدع أنفه**»[٤].

---

(١) الغدير: ١٥٢/٣.

(٢) المستدرك: ١٤٩/٣، وصحّحه الذهبي في تلخيصه.

(٣) مجمع الزوائد: ١٧٢/٩. أعجب ما رأيت / محمّد سليمان محفوظ: ٨. الشرف المؤبّد / النبهاني: ٦٩. رشفة الصادي / الحضرمي: ٤٣.

(٤) كتاب أمالي السمّان من كتب الزيديّة، ولم نستطع العثور عليه.

وأخرج الخوارزمي في « **المناقب** » : عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال لعليّ : « **يا عليّ ، لو أنّ عبداً عبد الله عزّ وجلّ مثل ما قام نوح في قومه ، وكان له مثل أُحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ، ومدّ في عمره حتّى حجّ ألف عام على قدميه ، ثمّ قتل بين الصفا والمروة مظلوماً ، ثمّ لم يوالك ـ يا عليّ ـ لم يشمّ رائحة الجنّة ، ولم يدخلها** »(١) .

عن أُمّ سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال : « **يا أُمّ سلمة ، أتعرفينه ؟**

قلت : نعم ، هذا عليّ بن أبي طالب .

قال : **صدقت ، سجيّته سجيّتي ، ودمه دمي ، وهو عيبة علمي ، فاسمعي واشهدي لو أنّ عبداً من عباد الله عزّ وجلّ عبدَ الله ألف عام بين الركن والمقام ، ثمّ لقي الله عزّ وجلّ مبغضاً لعليّ بن أبي طالب وعترتي أكبّه الله تعالى على منخره يوم القيامة في نار جهنّم** »(٢) .

وأخرج ابن عساكر في « **تاريخه** » مسنداً عن جابر بن عبدالله عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث : « **يا عليّ ، لو أنّ أُمّتي صاموا حتّى يكونوا كالحنايا ، وصلّوا حتّى يكونوا كالأوتار ، ثمّ أبغضوك ، لأكبّهم الله في النار** »(٣) .

ورواه شيخ الإسلام الحمويني في « **الفرائد** » في الباب الأوّل ، وهناك أخبار كثيرة تضاهي هذه في ولاء أمير المؤمنين وعترته ، لا يسعنا ذكرها(٤) ، انتهى .

أقول : لو لم تكن الإمامة من أُصول الدين لما تواترت هذه الأخبار على أنّ مناط

---

(١) المناقب : ٣٩.

(٢) أخرجه الحافظ الكنجي بإسناده من طريق الحافظ أبي الفضل السلامي ، ثمّ قال : « هذا حديث سنده مشهور عند أهل النقل » .

(٣) كفاية الطالب / الكنجي : ١٧٩ . وأخرجه الفقيه ابن المغازلي في المناقب ، ونقله عنه القرشي في شمس الأخبار : ٣٣.

(٤) الغدير : ١٥٢/٣ ، وما بعدها .

صحّة الأعمال وقبولها هي ولاية أمير المؤمنين وعترته، فكما لا تصحّ الأعمال بدون الإقرار بالنبوّة، فكذلك الولاية فأي فرق بينهما.

وأمّا ما دلّ على خلود منكر الإمامة في النار من طرقنا:

فما رواه في «**الكافي**» في الصحيح: عن الحرث بن المغيرة، قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **مَن مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهليّة**.

قال: **نعم**.

قلت: جاهليّة جهلاء، أو جاهليّة لا يعرف إمامه؟

قال: **جاهليّة كفر ونفاق وضلال**»[١].

ولا شكّ في أنّ من يموت كافراً يخلد في النار بنصّ الكتاب.

وعن الصادق عليه السلام، قال: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزكّيهم، ولهم عذاب أليم: من ادّعى إمامة من الله ليست له، ومن جحد إماماً من الله، ومن زعم أنّ لهما في الإسلام نصيباً**»[٢].

وفي «**كمال الدين**»: عن المفضّل، عن الصادق عليه السلام، عن آبائه، قال: «**قال رسول الله** صلى الله عليه وآله: **لمّا أُسري بي إلى السماء أوحى إليَّ ربّي جلّ جلاله...**» وساق الحديث في محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، إلى أن قال: «**يا محمّد، لو أنّ عبداً عبدني حتّى ينقطع ويصير كالشنّ البالي، ثمّ أتاني جاحداً لولايتهم ما أسكنته جنّتي، ولا أظللته تحت عرشي**»، الخبر[٣].

وفي «**تفسير مولانا العسكري**» في قوله تعالى: ﴿**بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ**

(١) الكافي: ٣٧٧/١.

(٢) الكافي: ٣٧٣/١.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة: ٢٥٢.

بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[١] ، قال : « **السيّئة المحيطة به هي التي تخرجه عن جملة دين الله ، وتنزعه عن ولاية الله ، ولا تؤمنه من سخط الله ، وهي الشرك بالله ، والكفر به ، والكفر بنبوّة محمّد ، والكفر بولاية عليّ بن أبي طالب وخلفائه ، كلّ واحدة من هذه سيّئة تحيط به ، أي تحيط بأعماله فتحبطها وتمحقها ، فأُولئك عاملوا هذه السيّئة المحيطة أصحاب النار هم فيها خالدون** »[٢] .

وفي « **الكافي** » : عن أبي حمزة ، عن أحدهما عليهما السلام في الآية ، قال : « **إذا جحد إمامة أمير المؤمنين فأُولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** »[٣] .

وفي « **تفسير العيّاشي** » : عن جابر ، قال : « سألت أبا عبدالله عن قول الله : **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ ﴾**[٤] ، قال : فقال : **هم أولياء فلان وفلان وفلان ، اتّخذوهم أئمّة دون الإمام الذي جعله الله للنّاس إماماً ، فلذلك قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ للهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ** ـ إلى قوله ـ: **وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾**[٥] .

قال : ثمّ قال عليه السلام : **هم والله ـ يا جابر ـ أئمّة الظلم وأتباعهم** »[٦] .

وروى شيخنا الصدوق (أعلى الله مقامه) في « **رسالة العقائد** » عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال : « **من جحد عليّاً إمامته من بعدي فإنّما جحد نبوّتي ، ومن جحد نبوّتي فقد**

---

(١) البقرة ٢ : ٨١.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام : ٣٠٤ ـ ٣٠٥.

(٣) الكافي : ٤٢٩/١.

(٤) البقرة ٢ : ١٦٥.

(٥) البقرة ٢ : ١٦٥ ـ ١٦٧.

(٦) تفسير العيّاشي : ٧٢/١.

جحد الله بربوبيّته ».

ثمّ قال رحمه الله : « واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين ، والأئمّة من بعده ، أنّه بمنزلة من جحد نبوّة الأنبياء ، واعتقادنا فيمن أقرّ بأمير المؤمنين ، وأنكر واحداً من بعده ، أنّه بمنزلة من آمن بجميع الأنبياء وأنكر نبوّة محمّد صلى الله عليه وآله »(١).

وقال الصادق عليه السلام : « **المنكر لآخرنا كالمنكر لأوّلنا** »(٢).

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله : « **الأئمّة من بعدي إثنا عشر ، أوّلهم أمير المؤمنين ، وآخرهم القائم ، طاعتهم طاعتي ، ومعصيتهم معصيتي ، من أنكر واحداً منهم فقد أنكرني** »(٣).

وقال الصادق عليه السلام : « **من شكّ في كفر أعدائنا والظالمين لنا ، فهو كافر** »(٤)، فلاحظ.

إلى غير ذلك من الأخبار الواردة في هذا المضمار ، فإنّ ما دلّ على وجوب حبّهم ، والبرائة من أعدائهم ، وصحّة الأعمال وقبولها بولايتهم ، وكفر من سبّهم وعاداهم ، وغير ذلك ، يكشف كلّه عن أنّ الإمامة من اُصول الدين ، خصوصاً بعد لزوم الاعتقاد أنّها بيد الله ومقامها كمقام النبوّة.

وكما أنّ النبوّة من اُصول الدين فكذلك الإمامة ؛ لاشتراكهما في الصفات ، وإن كانت الإمامة تفارق الشهادتين في بعض الجهات لحكم ومصالح ، كما عرفت في كلام الشهيد وصاحب الغدير قدس سرهما.

هذا ، وممّن صرّح بذلك سيّدنا العلّامة شرف الدين ، وألّف في ذلك كتابه القيم سبيل المؤمنين ، والعلّامة كاشف الغطاء في أصل الشيعة واُصولها ، بل هو كلام كلّ من وصل إلينا كتابه ، أو حكي لنا مقاله ، كما لا يخفى.

---

(١) حكاه عنه في بحار الأنوار : ٣٦٥/٨.

(٢ ـ ٤) بحار الأنوار : ٣٦٦/٨.

وقد ثبت لك ـ بحمد الله ـ أنّ الإمامة من أُصول الدين ببركات أخبار النبيّ وأهل بيته الطاهرين، وأقوال علمائنا العاملين رضوان الله عليهم أجمعين.

والقول بعدم عدّها من الأُصول ناشئ إمّا من قلّة التتبّع والاطّلاع على ما ذكرناه[1]، أو أنّ القائل به من الضالّين المضلّين الذين هم إخوان الشياطين،

(١) وقد تحصّل من ذلك: أنّ المنكر للإمامة بعد اعترافه بها، والتديّن بمذهب أهل البيت، وثبوت إمامة الأئمّة الإثني عشر عليهم السلام عنده، كافر نجس تجري عليه أحكام المرتدّ الفطري، إمّا لاستلزام إنكار الإمامة بنفسه الكفر، وإمّا لأنّه مستلزم لتكذيب النبيّ صلى الله عليه وآله، والردّ عليه، كمنكر وجوب الصلاة وغيره، ممّا علم ثبوته من دين الإسلام.

وأمّا غيره: فقد عرفت عدم المنافاة بين الحكم بإسلامه ظاهراً، وكفره واقعاً، لما دلّ من الروايات على إجراء حكم الإسلام عليهم بمجرّد إظهار الشهادتين. وعدم العلم بذلك شبهة ـ كما عليه القوم ـ لا يستلزم عدم عدّها من أُصول الدين، كما لا يخفى.

وأمّا المستضعفون: فهم مرجون لأمر الله تبارك وتعالى، إمّا يعذّبهم، وإمّا يتوب عليهم، ودلّت جملة من الآيات والروايات على نجاتهم من النار والعذاب.

وروى شيخنا الكليني قدس سره في الكافي: عن أبي بصير، عن الصادق عليه السلام، قال: **من عرف اختلاف الناس فليس بمستضعف**».

وعن الكاظم عليه السلام قال: «**الضعيف من لم ترفع إليه حجّة، ولم يعرف اختلاف الناس، فإذا عرف الاختلاف ليس بمستضعف**».

ولعلّ المراد بمعرفة الاختلاف: الفهم والإدراك، لا مجرّد السماع، كما أفاده سيّدنا العلّامة الشبّر قدس سره في حقّ اليقين، وأمّا وجوب محبّتهم عليهم السلام فقد عرفت أنّه لا إشكال ولا خلاف في نجاسة مبغضهم؛ لأنّ محبّتهمووجوب مودّتهم من ضروريات دينالإسلام، وما دلّ على نجاسة الناصب والسابّ لهم أو عادى شيعتهم لأجل محبّتهم للأئمّة، أو من قدّم الجبت والطاغوت وغيرهم من الأراذل على أنوار ذي الجلال، على الاختلاف في معنى الناصب، وإن شئت زيادة الاطّلاع راجع كتب الفقه والأخبار والكلام والإمامة وأُصول العقائد لعلمائنا الأخيار حشرهم الله مع محمّد وآله الأطهار ـ منه عفي عنه.

الذين ظهروا في هذا العصر والأوان في البلاد، ليخرّبوا عقائد العباد.

فعليك بالحذر منهم، والاجتناب عنهم، وعليك بمطالعة كتب الأخبار والأحاديث الواردة عن الأئمّة، التي هي شفاء لقلوب الأُمّة، وبها تزال الظلمات، ويتنوّر القلب بنور الإيمان والمعرفة.

فإنّ هؤلاء الذين تلمّذوا على اليهود، وتخرّجوا من مدارس الغرب، يحملون بين أضلاعهم بغض أهل البيت، ولم يألوا جهداً في تخريب العقائد، فإنّك تراهم مرّة ينكرون الخاتميّة، وتارة ينكرون الأئمّة والإمامة والعصمة، وغير ذلك من العقائد المسلّمة بين الطائفة الحقّة والفرقة الناجيّة، ولو فسح لهم المجال، وسكت عن ردّ خزعبلاتهم الرجال، لأنكروا مذهب الشيعة كلّيّةً، ولرأيت الهمج الرعاء يتّبعونهم في ذلك، ولكن فليعلموا أنّ الله أبى إلّا أن يتمّ نوره ولو كره الأمويّون والمشركون والمنافقون والمهرّجون المستعمرون الوهابيّون.

خاتمة

وجوب البرائة من أعداء أولياء الله تعالى كتاباً وسنّة وعقلاً وإجماعاً

وجوب البرائة من أعداء أوليائه تعالى، قد صرّح به الكتاب والسنّة، ودلّ عليه العقل أيضاً، وانعقد عليه الإجماع.

أمّا الكتاب: قوله تبارك وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[1].

قال شيخنا الطبرسي رحمه الله في «**مجمع البيان**»: «لما تقدّم ذكر اليهود والنصارى أمر الله سبحانه عقيب ذلك بقطع موالاتهم، والتبرّي منهم».

إلى أن قال رحمه الله: «وخصّ اليهود والنصارى بالذكر لأنّ سائر[2] الكفّار بمنزلتها في وجوب معاداتهم»[3]، فلاحظ.

أقول: إنّما وجبت البرائة من اليهود والنصارى؛ لأنهم من أعداء الدين، وهذا جارٍ في كلّ من هو عدوّ للإسلام، من دون اختصاص بهما، كمن يعادي محبّ أهل البيت عليهم السلام.

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ**

---

(١) المائدة ٥: ٥١.

(٢) في نسخة: «مع أنّ».

(٣) مجمع البيان: ٣/٣٥٥.

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللهَ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ﴾(١).

وقال تعالى أيضاً في سورة المائدة ﴿**تَرَىٰ كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ**﴾(٢).

وقال تعالى أيضاً في سورة التوبة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِنكُمْ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾(٣).

وقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿**وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلٰكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ**﴾(٤).

فإنّ من جملة ما اُنزل إليه صلى الله عليه وآله خلافة عليّ وأولاده، ولكنّ الناس بعده صلى الله عليه وآله اتّخذوا غير من عيّنه صلى الله عليه وآله أولياء، فتدلّ هذه الآية على عدم إيمانهم بالله ورسوله صلى الله عليه وآله لاتّخاذهم الجبت والطاغوت أولياء، وقوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ**﴾(٥).

وهذه الآية المباركة صريحة في حرمة موالاة الظالم، فضلاً عن الكافر، ولا شكّ أنّ غاصب الحقّ ظالم، ومن يدّعي ما ليس له ظالم، كما لا شكّ في معلوميّة من غصب حقّ آل محمّد صلى الله عليه وآله فتجب البرائة منه كائناً من كان.

---

(١) المائدة ٥: ٥٧.

(٢) المائدة ٥: ٨٠.

(٣) التوبة ٩: ٢٣.

(٤) المائدة ٥: ٨١.

(٥) الجاثية ٤٥: ١٩.

وقوله تعالى : ﴿**وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُم وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً**﴾(١) .

وغير ذلك من الآيات الكثيرة الناهية عن اتّخاذ الظالمين والمنافقين والفاسقين أولياء ، فضلاً عن الكافرين والمشركين .

وأمّا الأخبار: فهي كثيرة جدّاً ، وغير محصورة عدّاً .

منها : ما رواه شيخنا الكليني قدّس الله روحه الطيّبة الطاهرة في « **الكافي** » : بسنده عن أبي الجارود ، قال : « قلت لأبي جعفر عليه السلام : يابن رسول الله ، هل تعرف مودّتي لكم ، وانقطاعي إليكم ، وموالاتي إيّاكم ؟

قال : فقال : **نعم** .

قال : فقلت : فإنّي أسألك مسألة تجيبني فيها ، فإنّي مكفوف البصر ، قليل المشي ، ولا أستطيع زيارتكم كلّ حين .

قال : **هات حاجتك** .

قلت : أخبرني بدينك الذي تدين الله عزّ وجلّ به أنت وأهل بيتك ، لأدين الله عزّ وجلّ به .

قال : **إن كنت أقصرت الخطبة فقد أعظمت المسألة ، والله لأعطينّك ديني ودين آبائي الذي ندين الله عزّ وجلّ به : شهادة أن لا إله إلّا الله ، وأنّ محمّداً رسول الله صلّى الله عليه وآله ، والإقرار بما جاء به من عند الله ، والولاية لوليّنا ، والبرائة من عدوّنا ، والتسليم لأمرنا ، وانتظار قائمنا ، والاجتهاد والورع** »(٢) .

---

(١) النساء ٤ : ٨٩.

(٢) الكافي : ٢/٢٢.

وفيه أيضاً: بسنده عن إسماعيل الجعفي، قال: «دخل رجل على أبي جعفر عليه السلام ومعه صحيفة، فقال أبو جعفر عليه السلام: **هذه صحيفة مخاصم يسأل عن الدين الذي يقبل فيه العمل**.

فقال: رحمك الله، هذا الذي أُريد.

فقال أبو جعفر عليه السلام: **شهادة أن لا إلـه إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً** صلى الله عليه وآله **عبده ورسوله، وتقرّ بما جاء من عند الله، والولاية لنا أهل البيت، والبراءة من عدوّنا، والتسليم لأمرنا، والورع والتواضع، وانتظار قائمنا، فإنّ لنا دولة إن شاء الله جاء بها**»(١).

وفيه أيضاً في الصحيح: عن عجلان أبي صالح، قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أوقفني على حدود الإيمان.

إلى أن قال عليه السلام: **وولاية وليّنا، وعداوة عدوّنا**»(٢).

قال شيخنا الإمام الصدوق رحمه الله في رسالة العقائد: «اعتقادنا في الظالمين أنّهم ملعونون، والبراءة منهم واجبة».

إلى أن قال رحمه الله: «والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه ممّن ادّعى الإمامة وليس بإمام، فهو الظالم الملعون، ومن وضع الإمامة في غير أهلها فهو ظالم ملعون».

إلى أن قال رحمه الله: «واعتقادنا في البرائة أنّها من الأوثان الأربعة، والإناث الأربع، ومن جميع أشياعهم وأتباعهم، وأنّهم خلق الله، ولا يتمّ الإقرار بالله وبرسوله والأئمّة إلّا بالبراءة من أعدائهم»(٣)، انتهى.

---

(١) الكافي: ٢/٢٣ ـ ٢٤.

(٢) الكافي: ٢/١٨.

(٣) حكاه عنه في بحار الأنوار: ٨/٣٦٥.

وراجع « **فروع الكافي** »[١] لتجد أنّ الإمام الصادق عليه السلام كان يلعن أربعة من الرجال ، وأربعة من النساء .

وأمّا العقل: فهو حاكم مستقلّ بذلك ، حيث إنّك تجد من نفسك أنّ صديق عدوّك الذي يريد قتلك ، ونهب أموالك ، أنّه عدوّك أيضاً ، وهل تصدّق منه أنّه محبّك وصديقك أيضاً ، كلّا ثمّ ألف كلّا .

وعدم تحقّق المحبّة الصادقة ، والمودّة الكاملة ، إلّا بالبراءة من أعداء المحبوب .

وأمّا الإجماع: فقد انعقد من جميع المسلمين على أنحاء واختلاف مذاهبهم على وجوب البرائة من أعداء الله وأعداء رسوله وأهل بيته (عليهم أفضل الصلاة والسلام) ، ولا شكّ في كفر من والى أعداءهم ، كما هو المستفاد من الكتاب والسنّة .

ولا تتحقّق البرائة إلّا بلعنهم ، والتنفّر من أعمالهم ، وقد لعن الله الظالمين والكافرين في كتابه ، فيجب لذلك لقوله تبارك وتعالى : ﴿ **أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ** ﴾[٢] ، والأمر للوجوب ، ولوجوب التأسّي بالنبيّ صلى الله عليه وآله وأولي الأمر ، ولا شكّ أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وعترته لعنوا الظالمين والغاصبين والمدّعين ما ليس لهم بحقّ .

اللّهمّ العن أوّل ظالم ظلم حقّ محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله ، وآخر تابع لهم على ذلك ، من الجنّ والإنس ، آمين ربّ العالمين .

وصلّى الله على محمّد وآله الأطهار ، حشرنا الله وجميع من يتولّاهم معهم في دار السلام عند مليك مقتدر غفّار ، آمين ثمّ آمين .

---

(١) فروع الكافي : ٣٤٢/٣.

(٢) النساء ٤ : ٥٩.

ومع هذا كلّه نرى بعض المستعمرين المتلبّسين بلباس أهل العلم، والمنتسبين إلى الشيعة، يتفوّه كما هو المسموع في هذه الأيّام بكلام من حادّ الله ورسوله، ويريد أن يخرج بغض من أوجب الله بغضه من قلوب أيتام آل محمّد صلى الله عليه وآله وذلك في مهد التشيّع، ومعدن الموالين للأئمّة من قديم الزمان وسالف العصر والأوان، ألا فضّ الله فاه، وحشره مع من يتولّاه، وفضحه كفضيحة آل أبي سفيان، وأذاقه الخزي وسوء العذاب والهوان.

المطلب الثالث

تعظيم الشعائر، وحرمة الاستخفاف بها

اعلم وفّقك الله لكلّ خير : أنّ الله تبارك وتعالى أمر عباده بتعظيم شعائره ، وجعل ذلك من علائم المتّقين ، وأهل اليقين .

حيث قال عزّ من قائل : ﴿**وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوب**﴾[١] ، ونهى عن الاستخفاف بها .

وقال عزّ من قائل : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ**﴾ الآية[٢] .

قال شيخنا الإمام العلّامة الطبرسي ﷺ ما هذا نصّه : « اختلف في معنى شعائر الله على أقوال :

أحدها : أنّ معناه لا تحلّوا حرمات الله ، ولا تتعدّوا حدود الله ، وحملوا الشعائر على المعالم ، أي معالم حدود الله ، أمره ونهيه وفرائضه ، عن عطا وغيره » ، ثمّ نقل بقيّة الأقوال ، وقال : « وأقوى الأقوال هو القول الأوّل ؛ لأنّه يدخل فيه جميع الأقوال من مناسك الحجّ وغيرها ، وحمل الآية على ما هو الأعمّ أوْلى »[٣] ، انتهى .

---

(١) الحجّ ٢٢ : ٣٢.

(٢) المائدة ٥ : ٢.

(٣) مجمع البيان : ٢٧٩.

وقال رحمه الله ما هذا نصّه: «ثمّ اختلف في ذلك ـ أي معنى الشعائر ـ فقيل: هي مناسك الحجّ كلّها، عن ابن زيد، وقيل: هي البدن، وتعظيمها استسمانها واستحسانها، عن مجاهد، وعن ابن عبّاس، وفي رواية مقسم والشعائر جميع شعيرة، وهي البدن إذا أُشعرت، أي اعلمت عليها، بأن يشقّ سنامها من الجانب الأيمن ليعلم أنّها هدي، فالذي يهدى مندوب وإلى طلب الأثمن[١] والأعظم، وقيل: شعائر الله دين الله كلّه، وتعظيمها التزامها، فإنّها ـ أي فإنّ تعظيمها ـ يعظم عليه، ثمّ حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه»[٢]، فراجع.

وقال في «**الصحاح**»: «والشعائر أعمال الحجّ، وكلّ ما جعل علماً لطاعة الله»[٣]، فراجع.

وعلى أي حال، لا يهمنّا هنا نقل الأقوال بعد أنّ المستفاد منها أربعة أقوال:

الأوّل: علامات طاعة الله وأعلام دينه.

الثاني: مناسك الحجّ وأعماله كلّها.

الثالث: مواضع مناسكه ومعالمه.

الرابع: البدن خاصّة.

والمعنى الذي يصحّ الاستدلال به في المقام هو المعنى الأوّل دون بقيّة معانيه، وهو جمع مضاف يفيد العموم، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿**وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِن شَعَائِرِ اللهِ**﴾[٤]؛ لأنّ كلمة «من» للتبعيض، وهو يبعد الاختصاص بالبدن خاصّة.

---

(١) في نسخة: «الأسمن».

(٢) عوائد الأيّام: ٢٥.

(٣) الصحاح: ٢/٦٩٨.

(٤) الحجّ ٢٢: ٣٦.

قال العلّامة المراغي ﷺ في «**عناوين الأُصول**» ما هذا نصّه : «واستدلّ على ذلك ـ أي وجوب التعظيم ـ بقوله تعالى : ﴿**وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾ ، والكلام في كيفيّة دلالته وما ذكر فيه اللغويّون والمفسّرون طويل ، ولا حاجة إلى ذكره ، ونذكر ما هو المحتاج إليه في ضمن الردّ والبحث ، فنقول : قد أورد على دلالته بوجوه :

أحدها : أنّ الظاهر ممّا ذكره أهل اللغة والتفسير ، أنّ الشعائر محتملة لمعان أربعة ـ إلى أن قال ﷺ ـ : والذي يمكن الاستدلال به على المدّعى إنّما هو المعنى الأوّل (الذي قد ذكرناه) ، وهو أبعد المعاني ؛ لأنّ الآية الشريفة إنّما هي في مقام البدن ، كما هو الظاهر من صدرها ، وكذلك ذيلها ، فإنّه قال ـ بعد ذلك ـ : ﴿**لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى**﴾[1] ، والمراد منافع البدن من لبن وركوب ، ونحو ذلك إلى أن ينحر ، وكذلك قوله : ﴿**ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ**﴾ ، أي محلّ الشعائر المراد به البدن هو الكعبة ، أو ما يليها من الأماكن ، كمنى .

مضافاً إلى تصريح صاحب القاموس والصحاح وابن الأثير إلى أنّ الشعرة البدنة ، والجمع شعائر .

وما عن ابن عبّاس : «إنّ الشعائر جمع شعرة ، إذا أشعرت وشقّ سنامها عن الجانب الأيمن ليعلم أنّها هدي ، وتعظيمه طلب الأسمن والأعظم ، وكذلك ذكره جماعة من المفسّرين مع ما في الروايات وتفسيرها بالبدن ، والتعظيم بمراعاة السمن وعظم الجثّة ، والمنافع الركوب من غير عنف واللبن ، فالحمل على عموم معنى علامات دين الله مخالف للظاهر .

والجواب عن ذلك : بأنّ المفسّرين ذكروا أيضاً معنى العلائم ، وإرادة تعظيم معالم

---

(١) الحجّ ٢٢ : ٣٣.

دين الله في حجّ وغيره ، وذكروا كون المنافع حينئذٍ الأجر والثواب إلى القيامة ، وكون البيت العتيق الجنّة ، أو البيت المعمور ، أو يراد ربّ البيت العتيق على حذف مضاف ، كما ذكر ذلك البيضاوي والطبرسي والكاشاني وغيرهم .

فهذه الأُمور لا ينافي ذلك ، مضافاً إلى أنّ قوله تعالى : ﴿**وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِن شَعَائِرِ اللهِ**﴾ دالّ على أنّ المراد بالشعائر جميع المعالم لا نفس البدن ؛ لأنّ كلمة « من » ظاهرة في التبعيض .

مع أنّ ظاهر الآية مطلوبيّة التعظيم للشعائر من كلّ أحد ، مع أنّه جمع مضاف ولا يراد من المحرّم إلّا بدنة واحدة غالباً ، وهذا يدلّ على كون المراد جميع المعالم لا خصوص البدن .

وبعبارة أُخرى : تكون الآية بمنزلة كبرى كلّيّة تثبت بها مطلوبيّة تعظيم البدن أيضاً ، فإذا انتفى احتمال الاختصاص بالبدن فلا وجه لتخصيصه بمناسك الحجّ أو محال أعماله ؛ لكونهما أيضاً مخالفين لصدر الآية وذيلها ، فالحمل على العموم ، وكون الشعائر بمعنى العلامة أوْلى وأوْفق معنى ولفظاً ، فتدبّر .

وبالجملة : لا إجمال في ظاهر الآية بحيث يسقطها عن الاستدلال عند التأمّل الصحيح ، ورواية عمّار الآتية أيضاً لا دلالة فيها على أنّ المراد بخصوص البدن من الشعائر ، بل يدلّ على أنّه منها كما في الآية .

وثانيها: أنّ الآية على فرض ثبوت العموم في الشعائر لا يثبت الوجوب ، بل ظاهرها أنّ تعظيمها من تقوى القلوب ، وأين ذلك من الوجوب .

والجواب عنه: بأنّ ذلك علم أنّه من التقوى ، فيمكن إثبات الوجوب بأحد أمرين :

أحدهما: أنّ التقوى إنّما الحذر عن أمر مخوف ، فعلم من ذلك أنّ هناك شيء يخاف منه ، فينبغي الحذر عنه بتعظيم الشعائر ، وكلّما هو كذلك فهو واجب ؛

إذ لا خوف في مخافة المستحبّ حتّى يحذر عنه ، فكونه من التقوى والحذر أمارة العقاب على تركه .

وثانيهما: أنّ هذه الآية نجعلها صغرى ، ونثبت وجوب التقوى بقول مطلق بالآيات الكثيرة الآمرة بالتقوى لقوله تعالى : ﴿**وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ**﴾[١] ، وقوله تعالى : ﴿**وَاتَّقُوا اللهَ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ**﴾[٢] ، وغير ذلك ممّا لا يحصى ، وبما دلّ على الذم بمخالفة التقوى والعتاب واللوم على غير المتّقين في الآيات والروايات .

فنقول : تعظيم الشعائر من التقوى للآية ، وكلّ تقوى واجب للاطلاق بالأوامر ، فتعظيم الشعائر واجب ، وهو المطلوب .

وثالثها: أنّه على فرض إفادته الوجوب لا يفيد إلّا وجوب مطلق التعظيم لا جميع أفراده ، والذي ينفع في مقام الاستدلال إنّما هو إثبات العموم .

والجواب: أنّ ظاهر الآية أنّ التعظيم مطلقاً من تقوى القلوب ، ففي كلّ فرد من أفراده نقول هو من التقوى بالآية ، وكلّ تقوى واجب ، فيفيد وجوبه إلّا في مقام دلّ الدليل على عدم وجوبه .

وقد يستدلّ أيضاً بما في « **الكافي** » عن ابن عمّار ، قال : « قال أبو عبدالله عليه السلام : **إذا رميت الجمرة فاشتر هديك إن كان من البدن أو من البقرة ، وإلّا فاجعل كبشاً سميناً ، وإن لم تجد فما وجد من الضأن ، وإن لم تجد فما تيسّر عليك ، وعظّم شعائر الله** » ، فإنّ ظاهر الأمر هو الوجوب »[٣] ، فلاحظ .

أقول: لا اختصاص للآية بقرينة صدرها وذيلها بأعمال الحجّ ، كما عرفت في

---

(١) البقرة ٢ : ٤١ .

(٢) المائدة ٥ : ٥٧ .

(٣) العناوين : ٥٦١/١ .

كلام الطبرسي قدس‌سره ، بل الظاهر منها إرادة العموم بقرينة كلمة « من » التي هي للتبعيض .

وقد يقال أيضاً بعدم إرادة العموم أنّ الشعائر جمع للشعيرة ، وبه لا يثبت المطلوب ، وإن لم نعلم بأنّ المراد أنّه جمع للشعار أو للشعيرة[١] .

ولكن قد عرفت أيضاً أنّ إرادة العموم يكون أوْلى من إرادة بعض أفراده مع وجود القرينة المقاميّة عليه .

نعم ، الاستدلال بها على الوجوب لا يخلو من تأمّل ، لعدم الوجوب في كثير من أفراد التعظيم ، وعدم القائل به ، وأنّ للتعظيم مراتب كثيرة ، وما من مرتبة إلّا وفوقها مرتبة اُخرى ، كما لا يخفى .

وأنّ المراد من التعظيم هو حفظ مرتبته الخاصّة به ، ولعلّه لهذا قال قدس‌سره في آخر كلامه : « والحقّ أن يقال إنّ التعظيم الذي له مدخل في حفظ مرتبة ذلك الشيء المحرم ، وله ربط في احترامه ، فهو واجب ، وتركه محرم ، وإليه ينصرف إطلاق التعظيم في الآية والرواية ، وما زاد على ماهيّة التعظيم فليس بواجب ، بل هو راجح بالعقل والنقل .

وهذا المقدار يكفي في استدلال الأصحاب في خصوص المساجد ، والمشاهد ، والتربة ، وسائر شعائر العبادة ، ومواقف الحجّ ، واحترام المؤمن والقرآن ، وكيفيّة الزيارات ، وعدم جواز بيع المصحف ، والمسلم على الكافر ، أو رهنه عنده ، وعدم

---

(١) هكذا جاءت عبارة الكتاب ، وهي لا تخلو عن اضطراب ، والظاهر أنّ مراد سيّدنا الاُستاذ قدس‌سره منها : أنّ (الشعائر) في الآية الشريفة تدور بين معنيين ، فهي إمّا جمع للشعار ـ بمعنى العلامة ـ وإمّا جمع للشعيرة ـ بمعنى البدنة ـ وليس يصحّ الاستدلال بالآية إلّا بالبناء على المعنى الأوّل ، إلّا أنّه غير متعيّن ، فتكون الآية محتملة لكلا المعنيين ، وحينئذٍ لا تكون صالحة للاستدلال .

جواز استئجار الكافر رقبة المسلم، أي عينه بخلاف ذمّته، ونحو ذلك من الفروع المنتشرة، ولا يخفى على المتتبّع الفقيه، إنّ ما حكموا بوجوبه إنّما هو ذلك القسم من التعظيم، وما حكموا بتحريمه إنّما هو ترك ذلك القسم، وما زاد على ذلك من التعظيمات فجعلوها من المستحبّات، كما لا يخفى على من لاحظ أحكام المسجد والكعبة وكيفيّة الدخول والخروج فيهما، وفي المساجد، وهذا هو تحقيق هذا المحلّ، ينتشر من هذه القاعدة فروع لا تحصى»[1]، انتهى.

أقول: لا يخفى أنّ التقابل بين التعظيم والإهانة تقابل الضدّين مع وجود الواسطة بينهما؛ إذ يمكن ترك التعظيم مع عدم تحقّق الإهانة، ولا عكس، وما دلّ عليه الدليل إنّما هو حرمة الإهانة والاستخفاف.

قال في العناوين: «والحقّ أنّ ترك التعظيم أعمّ من الإهانة؛ إذ قد يكون بعض أفراد التعظيم لو ترك ويعدّ إهانة وإن كان فعله تعظيماً.

فينبغي أن يقال: إنّ التعظيم قسمان:

أحدهما: مراعاة مرتبة الشيء والسلوك معه على مقتضى شأنه ومرتبته عرفاً وعادة، أو شرعاً، وترك هذا يسمّى إهانة، وهي محرّمة.

وثانيهما: مراعاته زائداً على ذلك، فإنّه أمر مطلوب، فإنّه لو جاء عالم فالقيام له، أو جعل مكان لائق له، حفظ لمرتبته، وأمّا تقبيل يده والقعود عنده في غاية التأدّب، والكلام معه في غاية الحياء، ومشايعته وقت الذهاب، وإحضار بعض التعارفات له زيادة تعظيم، لو ترك لا يسمّى إهانة.

فهذا القسم من التعظيم لا يمكن القول بوجوبه باستلزام تركه الإهانة، لما قد عرفت أنّه لا يعدّ تركه إهانة، إلّا أن يقوم دليل على وجوب التعظيم، فلاحظ.

---

(١) العناوين: ٥٦٢/١.

هذا ولا يخفى أنّ التعظيم يتحقّق بما هو المتعارف[١]، فلاحظ.

وأمّا حرمة الاستخفاف بالشعائر، فقد دلّ عليها الإجماع محصّلاً ومنقولاً، كما لا يخفى على من لاحظ كلمات فقهائنا في الموارد المختلفة والأماكن المتعدّدة في كتب الفقه، كحرمة إدخال النجاسة في المسجد إذا كانت متعدّية لاستلزام الهتك، وعدم الحرمة في غير المتعدّية لعدمه، فإنّ حرمة إدخال النجاسة وإجماعهم عليه ليس إلّا لحرمة الهتك المفروغ عنه عندهم، لا لأجل خصوصيّة في المسجد.

وكذلك ترك الجماعة والصلاة في المسجد القريب من داره تهاوناً.

وما دلّ على حرمة هتك المؤمن وإهانته حيّاً وميّتاً.

وكذلك حرمة إهانة التربة الحسينيّة، والمصحف الشريف، والكعبة المعظّمة، والمشاهد المقدّسة، والعتبات التي على التقوى مؤسّسة، وقبور العلماء الأعلام والأولياء الكرام، ومجالس العزاء التي تقام على سيّد الشهداء، والمنابر الموضوعة للوعظ والإرشاد، وغير ذلك ممّا ينسب إلى الدين وشريعة خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله؛ لأنّ هتك هذه الأشياء يؤول إلى هتك الله ورسوله والأئمّة عليهم السلام، وهذا ممّا يستنكره العقل ويستقبحه، ويعدّ فاعله عند العرف والمتشرّعة من أفسق الفسقة، بل يعدّونه في بعض الموارد من الكفرة.

قال مولانا المحقّق النراقي (أعلى الله مقامه) في «عوائد الأيّام» ما هذا نصّه: «نعم، قد ثبت بالعقل والنقل حرمة الاستخفاف والإهانة بأعلام الدين مطلقاً، وانعقد عليها الإجماع، بل الضرورة، بل يوجب في الأكثر الكفر»[٢]، فلاحظ.

---

(١) العناوين: ٥٥٨/١.

(٢) عوائد الأيّام / النراقي: ١١.

وقال العلّامة السيّد المراغي ﷺ في « **العناوين** » ما هذا نصّه : « عنوان : لا كلام في أنّ إهانة ما هو المحرّم شرعاً ، والاستخفاف به حرام ، وقد دلّ على ذلك العقل ، فإنّ العبد يستحقّ بالاستخفاف بما هو محرّم عند مولاه الذمّ والعقاب ، ويحكم عقله بأنّ ذلك مبغوض عند مولاه ، وكذلك النقل ممّا دلّ على المنع من استخفاف المؤمن أو النبيّ أو القرآن ، ونحو ذلك من الكتاب والسنّة ، وقد انعقد على ذلك الإجماع ، بل يمكن دعوى الضرورة أيضاً عليه ، فإنّه شيء يعرفه الصبيان والنساء ، فضلاً عن الأعوام (كذا) ، وعلى هذا يتفرّع فروع كثيرة من حرمة تلويث المساجد والمشاهد المشرّفة ، وقبور الأولياء والعلماء ، وحرمة الاستهزاء بهم ، والتخفيف عليهم ، وإلقاء النجاسة على القرآن ، وإلقائه فيها ، وكذلك التربة الحسينيّة ، وأنواع المأكولات ، ونظير ذلك كثيرة ... الخ »[١] ، فراجع فلاحظ .

هذا ، ولا يخفى أنّ مراتب الإهانة والاستخفاف تتفاوت في نظر العرف شدّة وضعفاً ، مثلاً : إذا رأوا أحداً يدخل الحرم الشريف والمرقد المنيف في مشهد الرضا عليه السلام أو حرم الأئمّة عليهم السلام في قم لابساً حذاءه يمنعونه من الدخول ، وينكرون عليه ، بل ربّما ينجرّ الأمر عند امتناعه إلى ضربه وشتمه ، وفي بعض الأماكن يرونه كافراً أو واجب القتل ، الكاشف كلّ ذلك عن صدور حكم من الشارع في ذلك ، وأمّا في مثل الإهانة بالقرآن والكعبة زادها الله شرفاً ، والمؤمن منصوص عليه بالخصوص .

والإهانة تارة تتحقّق بالقصد والنيّة ، وأُخرى يعدّ بنفسه إهانة واستخفافاً وإن لم يقصد بفعله ذلك .

فالأوّل مثل : المدح أو القيام لأحد في المجلس مع قصد السخريّة والاستهزاء به ، فإنّه وإن كان يعدّ بنفسه لو خلي عن قصده تعظيماً ، لكن قصده بذلك يكون حراماً .

---

(١) العناوين / المراغي : ١/٥٥٦ .

والثاني : الذي يعدّ بنفسه إهانة وإن لم يقصد بفعله ذلك مثل : إلقاء المصحف الشريف في القاذورات أو البالوعة ، أو وضع النجاسة عليه ، نعوذ بالله من ذلك ، أو سحقه برجله ونحوه ممّا هو متمحّض لذلك .

وتارة يكون الفعل مشتركاً ، مثل : مدّ الرجلين أمام القرآن ، أو الضريح المقدّس لأحد الأئمّة عليهم السلام ، فإنّه يمكن أن يكون حراماً إذا قصد الإهانة ، ويمكن أن يكون لتعب أو وجع أو غير ذلك .

وتارة رابعة يكون الفعل إهانة بحسب عنوانه الأوّلي ، ولكن النيّة الحسنة تزيل حرمته ، مثل من يضع ذكره في ضريح الإمام ، أو يضع شيئاً من التربة الحسينيّة عليه ، أو على دبره ، فإنّ هذا الفعل سواء قصد الإهانة أم لا ، يكون حراماً ؛ لأنّه يعدّ استخفافاً وهتكاً ظاهراً ، ولكنّه لو قصد بفعله ذلك الشفاء من وجع به ، أو طلباً للأولاد ، كما يفعله بعض العوام لشدّة اعتقاده ، ورسوخ عقيدته وإيمانه ترتفع الحرمة ، ويتغيّر حكمه الأوّلي ، وتنصرف الظواهر عن ظواهرها نسبيّة ، ولأجل ذلك حكم فقهاؤنا بتغيّر الحكم الأوّلي بالنيّة ، وانصرافه عن ظاهره ، كما لا يخفى على من راجع كلماتهم ، فلاحظ وراجع العناوين والعوائد والقواعد وغيرها .

المطلب الرابع

استحباب إقامة المآتم ومجالس العزاء على سيّد الشهداء، وبيان الفوائد المترتّبة عليها

اعلم وفّقك الله للصواب، وثبّتك على ولاية محمّد وآله الأطياب (عليهم جميعاً صلوات الملك الوهّاب).

إنّ هذه المجالس الشريفة، والمحافل المنيفة، التي تعقد لبيان مصائب سيّد الشهداء، وبيان فضائل الأئمّة عليهم السلام من أعظم المثوبات، وأفضل القربات، وأحسن الطاعات، وأجلّ السعادات إلى الله تبارك وتعالى، وأنّها ممّا يباهي الله بها ملائكته، والملائكة تتمنّى المشاركة والنزول إليها.

كيف وأئمّتنا قد ترحّموا على من أقامها، وشيّد دعائمها، وحثّوا شيعتهم على إقامتها، والسعي في ترويجها، والروايات الواردة في ذلك كثيرة جدّاً، وغير محصورة عدّاً، ونحن ننقل لك جملة منها في المقام بعون الملك العلّام، فنقول:

من جملة تلك الأخبار: ما رواه شيخنا الصدوق (أعلى الله مقامه) في «**الخصال**»: بسنده عن محمّد بن حمران، عن خيثمة، قال: « قال أبو جعفر عليه السلام: **تزاوروا في بيوتكم، فإنّ ذلك حياة لأمرنا، رحم الله عبداً أحيا أمرنا** »[1].

---

(١) الخصال / الصدوق: ٢٢.

أقول: وحيث أنّ الإنسان مدني بالطبع، لا بدّ له من الاستئناس مع نوعه، وأهل لسانه، وبلدته، ليتعارف بعضهم على بعض، ويساعد أحدهم الآخر عند المهمّات، ويسعى له عند الحاجات التي لا تتيسّر إلّا بسبب الزيارة والصداقة التي تحدث بينهم، وما لها من الأهمّية في رفع التباغض والشحناء والحسد من بينهم، وما يترتّب عليها من الفوائد مثل التحدّث عن فضائل أهل البيت، وتعلّم المسائل، وغير ذلك، لذلك أكّد عليها الإمام عليه السلام بأُسلوب الدعاء.

ودعاؤه (روحي لتراب نعله الفداء) دعاء تعظيم لشيعته، الذين يقيمون هذه المجالس لخصوص إحياء أمر أئمّتهم، وهي سعادة لا ينالها إلّا ذو حظّ عظيم.

وإحياء أمرهم إمّا بتعلّم المسائل الشرعيّة من الحلال والحرام، أو المباحث الفقهيّة التي تكون بين الأعلام، أو بيان فضائلهم ونشر مناقبهم ودلائل إمامتهم ومثالب أعدائهم وغيرها، ولا يخفى عدم حصول ذلك إلّا في مجالس العزاء المقامة لمصاب سيّد الشهداء روحي له الفداء.

وأحاديثهم تكشف الكروب، وتزيل الهموم والغموم عن القلوب، ودواء لجميع الأمراض والعيوب.

كما رواه شيخنا الصدوق أيضاً في «**الخصال**»: بسنده عن الفضيل بن يسار، قال: «قال أبو جعفر عليه السلام: **يا فضيل، إنّ حديثنا يحيي القلوب**»[١].

وفيه أيضاً ـ في حديث الأربعمائة ـ: عن عليّ (عليه أفضل الصلاة والسلام): «**ذكرنا أهل البيت شفاء من العلل والأسقام ووسواس الريب**[٢]»[٣].

وقد أجاد من قال:

---

(١) الخصال / الصدوق: ٢٢.

(٢) في نسخة: «وسواس الصدور».

(٣) الخصال / الصدوق: ٦٢٥/٢.

تراب أبي تراب كحل عيني إذا رمدت جلوت به قذاها
تلذّ إلى الملامة في هواه لذكراه واستحلي أذاها

ومنها : ما رواه شيخنا الإمام الكليني قدس سره في « **أُصول الكافي** » : بسنده عن شعيب العرقوفي ، قال : « سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول لأصحابه : **اتّقوا الله وكونوا إخوة بررة ، متحابّين في الله ، متواصلين ، متراحمين . تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا وأحيوه** »(١) .

قال شيخنا الإمام العلّامة المجلسي (أعلى الله مقامه) في « **مرآة العقول** » ما هذا نصّه : « والمراد بأمرهم إمامتهم ، ودلائلها وفضائلهم وصفاتهم ، أو الأعمّ منها ومن رواية أخبارهم ، ونشر آثارهم ، ومذاكرة علومهم ، وإحياؤها تعهدها ونسخها وروايتها وحفظها عن الاندراس ، وهذا أظهر »(٢) انتهى .

أقول : وحفظها عن الاندراس تارة يكون بكتابتها ونشرها ، وأُخرى بمذاكرتها ، ويكون أعظم حفظ لها بإحياء مجالس العزاء التي تعقد في أيّام السنة لأجل سيّد شباب أهل الجنّة روحي وأرواح العالمين له الفداء .

ومنها : ما رواه في « الكافي » أيضاً : بسنده عن خيثمة ، قال : « دخلت على أبي جعفر عليه السلام أُودّعه ، فقال : **يا خيثمة ، أبلغ من ترى من موالينا السلام ، وأوصفهم بتقوى الله العظيم ، وأن يعود غنيّهم على فقيرهم ، وقويّهم على ضعيفهم ، وأن يشهد حيّهم جنازة ميّتهم ، وأن يتلاقوا في بيوتهم ، فإنّ لُقْيا بعضهم بعضاً حياة لأمرنا ، رحم الله عبداً أحيا أمرنا** » الحديث(٣) .

قال شيخنا الإمام العلّامة المجلسي قدس سره في « **مرآة العقول** » : « **حياة لأمرنا** :

---

(١) و (٣) الكافي : ٢/١٧٥ .

(٢) مرآة العقول : ٩/٥٠ .

أي سبب لأحياء ديننا وعلومنا وورايتنا، والقول بإمامتنا»[١]، فراجع.

ومنهـا ـ أي ومن جملة تلك الأحاديث التي تحثّ الشيعة على عقد المجالس لاحياء أمرهم (صلوات الله عليهم) ـ:

ما رواه في «**أُصول الكافي**»: بسنده عن عليّ بن أبي حمزة، قال: «سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: **شيعتنا الرحماء بينهم، الذين إذا خلوا ذكروا الله (إنّ ذكرنا من ذكر الله) إنّا إذا ذكرنا ذكر الله، وإذا ذكر عدوّنا ذكر الشيطان**»[٢].

بيان: قال شيخنا العلّامة المجلسي رحمه الله في «**مرآة العقول**» ما هذا نصّه: «**شيعتنا الرحماء**: الرحماء جمع رحيم، أي يرحم بعضهم بعضاً.

الذين: خبر بعد خبر، أو صفة للرحماء.

إنّا إذا ذكرنا: أي ذكر الله المذكور يشمل ذكرنا؛ لأنّ ذكر صفاتهم وكمالاتهم، ونشر علومهم وأخبارهم شكر لأعظم نِعم الله تعالى وعبادة له بأفضل العبادة.

أو باعتبار كمال الاتّصال بينهم وبينه تعالى كان ذكرهم ذكر الله، وإذا ذكر عدوّهم ذكر الشيطان؛ لأنّه من أعوانه، فإن ذكره بخير فكأنّما ذكر الشيطان بخير، وإن لعنه كان له ثواب لعن الشيطان»[٣]، فلاحظ.

أقول: كلّ ذلك يكون بواسطة مجالس أبي عبدالله الحسين عليه السلام؛ لأنّ الناس يتذاكرون أعمال بني أُميّة وأعوانهم، ومن حذا حذوهم من الظالمين لحقّ آل محمّد صلى الله عليه وآله، وما جرى على أهل البيت عليهم السلام من المصائب والمحن، فليعنونهم ويتبرّؤن منهم، ويتقرّبون إلى الله بحبّ أهل البيت عليهم السلام فيكتب الله لهم الأجر

---

(١) مرآة العقول: ٥٣/٩.

(٢) أُصول الكافي: ١٨٦/٢.

(٣) مرآة العقول: ٨٣/٩.

والثواب ، ويكونون من الذاكرين لله تبارك وتعالى .

ومنها : في « **الكافي** » أيضاً : بسنده عن يزيد بن عبدالملك ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : **زاوروا ، فإنّ من زيارتكم إحياء لقلوبكم ، وذكراً لأحاديثنا ، وأحاديثنا تعطف بعضكم على بعض ، فإن أخذتم بها رشدتم ونجوتم ، وإن تركتموها ظللتم ، فخذوا بها وأنا بنجاتكم زعيم** »[(١)] .

أقول: لا شكّ أنّه بعد ما ثبتت أحقّيّة أهل البيت عليهم السلام ، وأنّهم لا ينطقون عن الهوى ، وأنّهم العروة الوثقى لمن استمسك بهم ، وسفن النجاة لمن لجأ إليهم ، لا ريب أنّ أحاديثهم وأقوالهم تكون سبباً للنجاة لمن أخذ بها في الدنيا والآخرة ، ولا يسعنا إلّا الأخذ بها ، وأنّ ما جاء عنهم (صلوات الله عليهم) من بيان آداب المعاشرة والمجالسة وغيرهما ، وما رسموه لنا من أوّل يوم يلد الإنسان إلى أن يوضع في حفرته من الآداب والمحاسن التي يعجز القلم عن بيان عدّها ووصفها ، وكلّها على طبق دستور العقل الصحيح ، والمنطق الصريح ، بعد ما عجز العقل عن بيان ذلك ، ولم يخطر على قلب بشر ، تدلّ كلّها على أنّهم أئمّة حقّ وصدق ، وهذا الحديث الشريف يحتّم على المسلم الأخذ بأحاديث أهل البيت ، والرجوع إليهم دون غيرهم ، وأنّ كيفيّة التعاطف والمحبّة الصادقة والمودّة الكاملة لا تحصل إلّا ببركات مارسموه لنا (صلوات الله عليهم) .

كما لا شكّ أيضاً أنّ حياة الإنسان وقلبه بالحكمة والمعرفة والعلم الذي لا يوجد ذلك بالضرورة إلّا في علوم آل محمّد صلى الله عليه وآله ، فانظر أنت أيّها القارئ الكريم لو اشتغلت بمذاكرة علومهم ـ مضافاً إلى ما يحصل لك من العلم والفهم والأدب وتفريح النفس وتسليتك عن مصائب الدنيا الدنيّة ، وذخيرة الأجر والثواب الأُخروي ـ كيف تلمس فيها ما يمنعك عن معصية خالقك الجبّار ، من الكذب والغيبة والحقد والحسد

---

(١) الكافي : ٢/١٨٦ .

والتفاخر والحرص ، وغير ذلك من الأخلاق الرذيلة التي تكون سبباً لهلاكك في الدنيا والآخرة .

وأي عاقل يرضى لنفسه أن يترك النفع ، ويأخذ ما يضرّه ، ولو كان احتمالياً .

فعليكم ـ يا إخواني ومعاشر خلّاني ـ بمطالعة كتب أخبار أهل البيت ، والأخذ عنهم ، والمشي على منهاجهم ، بدل أن تقضون أوقاتكم الغالية ، وتصرفون أعماركم الشريفة في أخبار الراديو والتلفزيون وقرائة المجلّات والجرائد التي تشوّش الأفكار ، وتبتر الأعمار ، فها أنتم قد أخذتم بتقاليد الغرب فما نفعكم شيء ، فخذوا اليوم وجرّبوا فوائد الأخذ بقول الأئمّة الإثني عشر الأطهار (صلوات الله عليهم) لتجدوا بالحسّ والوجدان أيّهما أقرب نفعاً إليكم ، وأياً منهما سبب للترقي والسعادة في الدنيا والآخرة ، وأي واحد منهما يكون أقرب إلى العقل .

قال الطبيب الكرماني في « **دقائق العلاج في الطب البدني** » ما هذا نصّه : « ونِعم الشيء لتفريح النفس : مراجعة فضائل آل محمّد عليهم السلام ، وأخبار نجاة شيعتهم ، وما أعدّ الله لهم ، لقوله سبحانه : ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾[١] ، وهو مجرّب عملاً »[٢] ، انتهى .

إذا عرفت هذا فاعلم أنّه لا يحصل هذا الاجتماع والتزاور والتعاطف والأخذ بقولهم غالباً، إلّا بعقد مجالس العزاء لسيّد الشهداء (روحي وأرواح العالمين له الفداء) .

ومنها : ما رواه في « **الكافي** » أيضاً : عن عبّاد بن كثير ، قال : « قلت لأبي عبدالله عليه السلام : إنّي مررت بقاصّ يقصّ وهو يقول هذا المجلس (الذي) لا يشقى به

---

(١) يونس ١٠ : ٥٨ .

(٢) الطب البدني : ١٤٧ ، في بيان علاج مرض القلب .

جليس ، قال : فقال أبو عبدالله عليه السلام : **هيهات ، هيهات ، أخطأت أستاهم الحفرة ؟ إنّ لله ملائكة سيّاحين سوى الكرام الكاتبين ، فإذا مرّوا بقوم يذكرون محمّداً وآل محمّد قالوا : قفوا فقد أصبتم حاجتكم ، فيجلسون فيتفقّهون معهم ، فإذا قاموا عادوا مرضاهم ، وشهدوا جنائزهم ، وتعاهدوا غائبهم ، فذلك المجلس الذي لا يشقى به جليس** »[١] .

المراد بذكر آل محمّد صلى الله عليه وآله أعمّ من ذكر فضائلهم ومناقبهم وبيان معاجزهم ودلائل إمامتهم ، أو ذكر مصائبهم ، وما جرى عليهم من المحن والمصائب من أيدي أعدائهم أئمّة الضلال وأتباع الكفر ، كبني اُميّة ، وبني العبّاس وغيرهم (لعن الله الظالمين لحقّ آل محمّد صلى الله عليه وآله من الأوّلين والآخرين) .

قال شيخنا الإمام العلّامة المجلسي قدس سره في « **مرآة العقول** » : « والقاصّ راوي القصص ، والمراد هنا القصص الكاذبة الموضوعة ، وظاهر أكثر الأصحاب تحريم استماعها ، كما يدلّ عليه قوله تعالى : ﴿ **سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ** ﴾[٢] ، ويمكن أن يكون المراد هنا وعظ العامّة ومحدّثوهم ، فإنّ روايتهم من هذا القبيل »[٣] .

هذا ، والحديث الشريف بصدد الردّ على مجالس اللهو والاجتماع على استماع الحكايات الباطلة ، والأخبار الكاذبة ، وهذا يشمل أخبار الراديو في عصرنا هذا .

وقوله عليه السلام : **هيهات ، هيهات أخطأت أستاهم الحفرة** شبّه أفواههم بالأستاه تفضيحاً لهم ، وأنّهم أخطأوا فيما يقولون ، وبعيدون عن الصواب ، وأنّ المجلس الذي لا يشقى جليسه هو مجلس ذكر آل محمّد صلى الله عليه وآله ، حيث لا يوجد الحقّ ولن يوجد إلّا بما صدر عنهم عليهم السلام .

---

(١) الكافي : ٢/١٨٦ .

(٢) المائدة ٥ : ٤١ و ٤٢ .

(٣) مرآة العقول : ٩/٨٤ .

وعليه فينبغي على كلّ موالي أن يسعى في عقد هذه المجالس، ويبذل خالص ماله في تشييد هذه المحافل، خصوصاً في هذا العصر الذي شاعت وذاعت فيه العقائد الفاسدة والمذاهب الكاسدة، وروّجت الآراء المنحرفة عن صراط آل محمّد، وظهر بعض الأراذل من الذين باعوا آخرتهم لدنيا غيرهم، وهم شرّ الناس، يسعون السعي الحثيث في تخريب عقائد الشيعة، وهدم قواعد الشريعة، بشتّى الطرق، واختلاف الألبسة، واللازم على الدعاة وطلّاب مدرسة الإمام الصادق، وجند الحجّة بن الحسن عجّل الله فرجه، أن يقفوا أمام هذا التيّار الفاسد، والداء العضال، بقمعه وقلعه من الأرض بجذوره، ويردّوا عليه ترّهاته التي تلقّنها من أسياده اليهود، وأعداء الشيعة ومذهب أهل الحقّ.

ومنها: في «**الكافي**» أيضاً: عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: **إنّ من الملائكة الذين في السماء ليطّلعون إلى الواحد والاثنين والثلاثة، وهم يذكرون فضل آل محمّد.**

قال: فتقول: أما ترون إلى هؤلاء في قلّتهم، وكثرة عدوّهم يصفون فضل آل محمّد صلى الله عليه وآله؟

قال: فتقول الطائفة الأُخرى من الملائكة: ﴿ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[(١)]»[(٢)].

أقول: نعم إنّ الذاكرين لفضائل آل محمّد، والناشرين لعلومهم في كلّ عصر وزمان قليلون جدّاً، بل لا يمكن قياسهم بكثرة أعدائهم مع ما هم عليه من المطاردة والقتل والزجّ في السجون ونهب أموالهم وتخريب بيوتهم ومصادرة ما يملكونه، لأجل ما يسعون له من نشر الحقّ والحقيقة والمذهب الصحيح، مضافاً إلى قرضهم بألسنة الحسّاد وتعييرهم من قِبل أهل الكفر والإلحاد، خصوصاً في عصرنا الحاضر

---

(١) الحديد ٥٧: ٢١. الجمعة ٦٢: ٤.

(٢) الكافي: ١٨٧/٢.

الذي بّدل فيه الكفرة ألبستهم بلباس الشيعة ، ومزجوا كلامهم بشمّة من الحقّ ، وحيث إنّهم قد عجزوا عن تخريب عقائد الشيعة بزيّهم ، لردّهم من قِبل المتيقّظين منّا وفضح خزعبلاتهم وأباطيلهم من نفس كتبهم ، لذلك عدلوا إلى مخالطة الشيعة ، وادّعوا القول بعقيدتهم ، حتّى يتمكّنوا من ترويج الباطل ، وقمع الحقّ ، وغفلوا عن وجود رجال أخيار ، وفرسان أبرار ، يدفعون أباطيلهم إلى نحورهم ، ويردّون الباطل في صدورهم ، ويقمعونهم بكلام الحقّ ، ويصبّون عليهم النار الحامية ، والحقّ يعلو ولا يُعلى عليه ، والله يأبى أن يطفأ نوره إلى قيام الساعة .

وفيه أيضاً : عن ابن مسكان ، عن ميسر ، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : « قال لي : **أتخلون وتتحدّثون وتقولون ما شئتم ؟**

فقلت : إي والله إنّا لنخلو ونتحدّث ونقول ما شئنا .

فقال : **أما والله لوددت أنّي معكم في بعض تلك المواطن ، أما والله إنّي لأُحبّ ريحكم وأرواحكم ، وأنّكم على دين الله ودين ملائكته فاعينوا بورع واجتهاد** »(١) .

قال العلّامة المجلسي رحمه الله في « **مرآة العقول** » : « **ما شئتم** : أي من فضائلنا ، وذمّ أعادينا ولعنهم ، ورواية أحاديثنا من غير تقيّة . **لوددت** ـ بكسر الدالّ الأُولى وفتحها ـ أي أحببت أو تمنّيت .

وفيه غاية الترغيب والتحريص عليه . **لأُحبّ ريحكم** : وسيأتي في الروضة رياحكم ، أي ريحكم الطيّبة ، و**أرواحكم** جمع الروح ـ بالضمّ أو بالفتح ـ بمعنى النسيم ، وكأنّ الأوّل كناية عن عقائدهم ونيّاتهم الحسنة ، كما سيأتي : **إنّ المؤمن إذا قصد فعل الطاعة يستشمّ الملك منه رائحة حسنة** . والثاني عن أقوالهم الطيّبة .

وفي « **القاموس** » الروح ـ بالضمّ ـ ما به حياة النفس ، وبالفتح : الراحة والرحمة ،

---

(١) الكافي : ١٨٧/٢ .

ونسيم الريح، والريح جمعه أرواح وأرياح ورياح والريحة الغلبة والقوّة والرحمة والنصرة والدولة والشيء الطيّب والرائحة. **فاعينوا** أي فأعينوني على شفاعتكم وكفالتكم. **بورع** عن المعاصي. **واجتهاد** في الطاعات»(١)، انتهى.

أقول: ولا شكّ عندنا اليوم أنّ النبيّ والزهراء والأئمّة (عليهم أفضل الصلاة والسلام) يحضرون هذه المجالس التي نقيمها لأجل بيان فضائلهم، وذكر مصائبهم (صلوات الله عليهم)، وأي مجلس ومحفل يكون أعظم وأشرف من هذه المجالس، وأنت لو تأمّلت ونظرت بعين البصيرة لرأيت إعانتهم لعقد هذه المجالس، وإقامة المآتم الحسينيّة، كما هو المشاهد بالحسّ والعيان، خصوصاً في هذا العصر والزمان الذي كثر فيه أعوان الشيطان.

وفي «**الكافي**» أيضاً: عن أبي المغرا، قال: «سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: **ليس شيء أنكى لأبليس وجنوده من زيارة الإخوان في الله بعضهم لبعض**، قال: **وإنّ المؤمنَين يلتقيان فيذكران الله ثمّ يذكران فضلنا أهل البيت، فلا يبقى على وجه إبليس مضغة لحم إلّا تخدّد، حتّى إنّ روحه لتستغيث من شدّة ما يجد من الألم، فتحسّ ملائكة السماء وخزّان الجنان فيلعنونه، حتّى لا يبقى ملك مقرّب إلّا لعنه، فيقع خاسئاً حسيراً مدحوراً**»(٢).

بيان: وفي «**القاموس**»: «نكى العدو، وفيه نكاية: قتل وجرح»(٣).

وفي «**النهاية**»: «يقال: نكيت في العدوّ أنكى نكاية فأنا ناكٍ: إذا كثرت فيهم الجراح والقتل فوهنوا لذلك، وقد يهمز لغةً»(٤).

---

(١) مرآة العقول: ٨٦/٩.

(٢) الكافي: ١٨٨/٢.

(٣) القاموس المحيط: ٣٩٧/٤.

(٤) القاموس المحيط: ١١٣/٣.

وفي « **القاموس** » : « المضغة ـ بالضمّ ـ قطعة لحم وغيره ، وقال : خدّد لحمه وتخدّد : هزل ونقص ، وخدّده السير لازم متعدّ . قال : خسأ الكلب ـ كمنع ـ خسئاً وخسوءً : طرده ، والكلب بعد كانخسأ وخسئ .

وقال : حسر ـ كفرح ـ عليه حسرة ، وحسراً تلهّف فهو حسير ، و ـ كضرب وفرح ـ أعيا كاستحسر فهو حسير ، وقال : الدحر الطرد والإبعاد كما في « **مرآة العقول** » .

أقول : واعلم أنّ الشياطين على قسمين : قسم من الجنّ ، وقسم من الإنس ، وأنّ بعض شياطين الإنس أضرّ من الجنّ بكثير ، وهم الذين يسعون لإطفاء هذه الأنوار ، وإخماد تلك الأنفاس ، وجمع هذه المجالس ، وعليه فإقامة هذه المجالس ، والسعي في تشييدها من أشدّ السياط القارعة على رؤوسهم والتنكيل بهم ، وأوجع لقلوبهم ، وأشدّ عذاباً لأرواحهم ، واللازم على المسلمين التيقّظ والانتباه من أقوالهم ، والحذر من مطالعة كتبهم ، والإصغاء إلى أباطيلهم .

ومنها : ما روي عن مولانا الباقر عليه السلام ، قال : « **رحم الله عبداً اجتمع مع آخر فتذاكرا في أمرنا ، فإنّ ثالثهما ملك يستغفر لهما ، وما اجتمع اثنان على ذكرنا إلّا باهى الله بهما الملائكة ، فإذا اجتمعتم فاشتغلوا بالذكر ، فإنّ في اجتماعكم ومذاكرتكم إحيائنا ، وخير الناس بعدنا من ذاكر بأمرنا ، ودعا إلى ذكرنا** »(١) .

وقال الصادق عليه السلام للفضيل بن يسار : « **تجلسون وتتحدّثون ؟**

قال : نعم ، جعلت فداك .

فقال عليه السلام : **تلك المجالس أُحبّها ، فأحيوا أمرنا ، رحم الله من أحيى أمرنا** »(٢) .

وروى شيخنا الإمام الكليني رضي الله عنه في « **أُصول الكافي** » : بسنده عن أبي بصير ،

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي : ٢٢٤.

(٢) وسائل الشيعة : ٨/٤١٠.

عن أبي عبدالله عليه السلام : « **ما اجتمع في مجلس قوم لم يذكروا الله عزّ وجلّ ، ولم يذكرونا ، إلّاكان ذلك المجلس عليهم حسرة يوم القيامة .**

ثمّ قال أبوجعفر عليه السلام : **إنّ ذكرنا من ذكر الله ، وذكر عدوّنا من ذكر الشيطان** »[١] .

أقول: هذه نبذة يسيرة من هاتيك الروايات الكثيرة ، وقطرة من تلك البحار الوفيرة ، نقلناها لك في هذا المختصر ، لتكون على بصيرة من أمرك ، ولا تصغي بعد ذلك إلى أقوال الجهلاء اللعناء ، بعد صحّة رواتها ، مضافاً إلى القطع بصدورها لو قلنا بضعف إسنادها ، لما عليها من آثار الصدق ، ولهجة الحقّ ، ونور الفصاحة ، وآية البلاغة .

كما لا شكّ أنّ هذه المجالس التي تقام على مصائب سيّد شباب أهل الجنّة من أعظم محافل أهل الإيمان ، بل هي روضة من رياض الجنان ، فإنّ نشر الأحكام ، وبيان الحلال والحرام ، وتنبيه العوامّ ، وإرشاد الغافلين النيام ، وببركاتها وواسطتها تردّ شبهات المجادلين ، وترّهات المجانين والملحدين ، فإنّه لو لم تكن هذه المجالس أو عطّلت نستجير بالله لمدّة سنة أو سنتين ، لرأيت كيف يخيّم الجهل والبؤس والشقاء على الناس ، ويستولي عليهم الوسواس الخنّاس ، ويتقبّلون الشياطين وأجلاف الأمويّين الذين يسعون في الليل والنهار لإطفاء هذه الأنوار المقدّسة ، وعلى الإسلام والمسلمين .

وأقول عوداً على بدء: أيّها الشيعة الموالون ، انتبهوا من نومتكم ، واستيقظوا من غفلتكم ، وقوموا قيام رجل واحد أمام هؤلاء الطغاة والكفرة العتاة ، ولا تمهلوهم في تدعيم مبانيهم ، ولا تفسحوا المجال لنشر أباطيلهم وعقائدهم ، فإنّ السكوت عنهم أعظم خيانة للدين والإسلام والقرآن ، وأنّ اليوم يجب على العالِم إظهار علمه ،

---

(١) اُصول الكافي : ٤٩٦/٢.

كما جاء في الحديث الشريف : « **إذا ظهرت البدع في أُمّتي فليظهر العالِم علمه ، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله** »[١].

أيّها الناس ، إنّ مذهب الشيعة الإثني عشريّة قد ضحّى له مئات العلماء الأعلام ، وقتل لأجل نشره اُلوف الشخصيّات العظيمة في الإسلام ، فكم قطعت الرؤوس ، وفصلت الأيدي ، وأُزهقت النفوس ، لأجل هذه المحافل الشريفة ، وفي سبيل إعلاء هذه القباب المنيفة .

فيا أهل الغيرة والحميّة ، وأصحاب الكلمة النافذة ، عليكم بحفظ هذه الراية التي قُتل لأجلها الأئمّة وأصحابهم ، وعليكم ـ أيّها الشيعة ـ بالتمسّك بولاء أهل البيت أوّلاً ؛ لأنّ الأدلّة القاطعة ، والحجج الساطعة معكم ، والقرآن يساندكم ويعاضدكم ، وهذه المحافل التي تقام لذكرى سيّد الشهداء ثانياً ؛ لأنّ نهضة الحسين عليه السلام وقيامه المقدّس هو العلّة الكاملة لبقاء دين الإسلام ، وإحياء شريعة سيّد الأنام ، ولولاها لما رأيت من يعتنق الدين أو يدخل في زمرة المسلمين ، ولهذا قيل وأجاد القائل فيما قال : الإسلام بدؤه محمّدي ، وبقاؤه حسيني .

قال العلّامة المكرّم المتتبّع المقرّم (أعلى الله مقامه) : « ولذلك لم يجد أئمّة الهدى وسيلة لنشر أمرهم في الإصلاح ، ونفوذ كلمتهم في إحياء شرع جدّهم الأقدس ، إلّا لفت الأنظار إلى هذه النهضه الكريمة ؛ لما اشتملت عليه من فجائع تفطّر الصخر الأصمّ ، ويشيب لها فود الطفل ، ويذوب الفؤاد ، فطفقوا عليهم السلام يحثّون الأُمّة على تأييدها ، والقيام بذكر ما لاقاه شهيد الإصلاح من القسوة والاضطهاد ، وإعلام الأُمّة بما حدث في تلكم المشاهد الدمويّة من مظلوميّة الحسين وأهله وذويه ؛ لأنّهم (صلوات الله عليهم) علموا أنّ في إظهار مظلوميّته مجلبة للعواطف ، واسترقاقاً للأفئدة ، فبطبع الحال يتحرّى السامع لتلكم الفجائع الوقوف على مكانة

---

(١) الكافي : ١/٥٤ .

هذا المضطهد ، وأسباب ما ارتكب من أعمال قاسية ، وطبعاً يعلم أنّ سبط النبوّة إمام العدل لم يرضخ للدنيا ، ولم يصخ إلى دعوة المبطلين ، وأنّ إمامته موروثة له من جدّه وأبيه (الوصي) ، وأنّ من ناوأه لا يملك من منصّة الخلافة موضع قدمه ، وكذا كلّ من حذا حذوه ، وذهب على شاكلته .

وإذا عرف السامع هذا علم الحقّ كلّه في جانب الحسين ، ومن خلفه من أئمّة الدين ، فلم تدع له عقليته إلّا السير معهم ، واعتناق طريقتهم المثلى ، وبذلك تتوطّد اُسس الإسلام والوئام .

لقد أقعدت السلطة الغاشمة من بني اُميّة وبني العبّاس أهل البيت عليهم السلام في دورهم ، وأوصدت عليهم أبواب الاجتماع بشيعتهم ، فلاقوا ضروب الأذى والتنكيل ، فآثروا العزلة على الخروج بالسيف في وجه دعاة الباطل مع ما يشاهدونه من تمادي اُولئك في الطغيان ، وظلم شيعة أمير المؤمنين وأبنائه ، وتتبّعهم تحت كلّ حجر ومدر ، وإبادتهم العلويّين من جديد الأرض ، وكان بمرأى منهم بناء المنصور والرشيد الاسطوانات على ذرّيّة فاطمة عليها السلام ظلماً وعدواناً .

ولكن لم يفتهم الجهاد الأكبر بتحريض شيعتهم على عقد المحافل لذكر حادثة الطفّ الخالدة ، وتواصل الاستياء لما هنالك من فجائع ومصائب وإسبال الدموع لكارثتها المؤلمة ، وأكثروا من بيان فضل ذلك إلى حدّ بعيد ؛ لأنّهم علموا أنّ هذا هو العامل القوي في إبقاء الرابطة الدينيّة التي لأجلها لاقى أمير المؤمنين عليه السلام ما لاقاه ، وأصاب ولده الحسن عليه السلام ما أصابه ، ومصاب الحسين يدكدك الجبال الرواسي ، فكان أهل البيت عليهم السلام يتحرّون أساليب مختلفة من البيان توجب توجيه النفوس نحو التذكارات الحسينيّة ؛ لما لها من العلاقة التامّة لحفظ المذهب عن الاندراس ، فعبّروا عنها بالعموم ، وبالخصوص اُخرى .

إلى أن قال قدس سره :

« فالأئمّة عليهم السلام أرادوا بهذا النحو من البيان حمل الأُمّة على الاعتقاد بإمامتهم ، وما أوجبه المولى سبحانه من عصمتهم ، وما أهّلهم له من الفضائل والفواضل ، وأنّ الدعوة إليهم ملازمة لاعتقاد خلافتهم دون من اغتصب ذلك المنصب الإلهي .

إنّ التذكارات الحسينيّة على اختلاف أطوارها من عقد العزاء والمآتم واللطم على الصدور في الدور والشوارع أوجبت تقدّم الطائفة ، وكان عمل الشبيه أوضح المصاديق والحجج على القساوة التي جاء بها الأمويّون ، وتعيّنهم من تلاوة الشعر ، وذكر المصاب لتسرّب ذلك بوضوح إلى أدمغة الأطفال والعامّة الذين لا يفهمون ما يشتمل عليه القريض والكتب من دقائق الحادثة ، وهو أحكم وآكد في تأثير النفوس ، واحتدام القلوب في حفظ الروابط المذهبيّة بين الأئمّة ومواليهم ، وله نصيب وافر في رسوخ العقيدة »(١) ، انتهى محلّ الحاجة من كلامه حشره الله مع أجداده .

وقال سيّدنا العلاّمة شرف الدنيا والدين في كتابه القيّم : « مقدّمة المجالس الفاخرة في إقامة المآتم على العترة الطاهرة » ما هذا نصّه :

« فصل : علم الباحثون من مدقّقي الفلاسفة أنّ في مآتمنا المختصّة بأهل البيت عليهم السلام أسراراً شريفة تعود على الأُمّة بصلاح آخرتها ودنياها ، أُنبّهك إليها بذكر بعضها :

فمنها : أنّها جامعة إسلاميّة ، ورابطة إماميّة باسم النبيّ وآله صلى الله عليه وآله ينبعث عنها الاعتصام بحبل الله عزّ وجلّ ، والتمسّك بثقلي رسول الله صلى الله عليه وآله .

وفيها من اجتماع القلوب على أداء أجر الرسالة بمودّة القربى ، وترادف العزائم على إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام ما ليس في غيرها .

وحسبك في رجحانها ما يتسنّى بها للحكيم من إلقاء المواعظ والنصائح ، وإيقاف

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام : ٩٥ و ٩٦.

المجمعين على الشؤون الإسلاميّة والأُمور الإماميّة، ولو إجمالاً، وبذلك يكون أمل العاملي نفس أمل إخوانه في العراق وفارس والبحرين، وغيرها من بلاد الإسلام.

ولا تنس ما يتهيّأ للمجتمعين فيها من الاطّلاع على شؤونهم، والبحث عن شؤون إخوانهم النائين عنهم، وما يتيسّر لهم حينئذٍ من تبادل الآراء فيما يعود عليهم بالنفع، ويجعلهم كالبنان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً، أو كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو أنّت له سائر الأعضاء، وبذلك يكونون مستقيمين في السير على خطّة واحدة يسعون فيها وراء كلّ ما يرمون إليه.

ومنها: أنّ هذه المآتم دعوة إلى الدين بأحسن صورة، وألطف أُسلوب، بل هي صرخة للإسلام توقظ الغافل من سباته، وتنبّه الجاهل من سكراته، بما تشربه في قلوب المجتمعين، وتنفثه في آذان المستمعين، وتبثّه في العالم، وتصوّره قالباً لجميع بني آدم من أعلام الرسالة، وآيات الإسلام، وأدلّة الدين، وحجج المسلمين، والسيرة النبويّة، والخصائص العلويّة، ومصائب أهل البيت في سبيل الله، وصبرهم على الأذى في إعلاء كلمة الله، فأولوا النظر والتحقيق يعلمون أنّ خطباء هذه المآتم كلّهم دعاة إلى الدين من حيث لم يقصدوا ذلك، بل لا مبشّر بالإسلام على التحقيق سواهم، وأنت تعلم أنّ الموظّفين لهذا العمل الشريف لا يقصّرون في أنحاء البسيطة عن الأُلوف المؤلّفة.

فلو بذل المسلمون شطر أموالهم ليوظّفوا دعاة إلى دينهم بعدد أُولئك الخطباء ما تيسّر ذلك لهم، ولو تيسّر فلا يتيسّر من يستمع الدعوة على ممرّ الدهور استماع الناس لما يتلى في هذه المآتم بكلّ رغبة وإقبال.

ومنها: ما قد أثبته العيان، وشهد به الحسّ والوجدان، من بثّ روح المعارف بسبب هذه المآتم، ونشر أطراف العلوم ببركاتها؛ إذ هي بشرط كونها على أُصولها أرقى مدرسة للعوامّ، يستضيئون فيها بأنوار الحِكم من جوامع الكلم، ويلتقطون منها

درّة السير ، ويقفون بها على أنواع البصيرة ، ويتلقّون فيها من الحديث والتفسير والفقه ، وما يلزمهم حمله ، ولا يسعهم جهله .

بل هي المدرسة الوحيدة للعوامّ في جميع بلاد الإسلام ، وقد تفنّن خطباؤها في ما يصدعون به أوّلاً على أعوادها ، ثمّ يتخلّصون منه إلى ذكر المصيبة وتلاوة الفاجعة .

فمنهم : من يشفّ ما يقرّب المستمعين إلى الله ، ويأخذ بأعناقهم إلى تقواه .

ومنهم : من يتلو أوّلاً من سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله وتاريخ أوصيائه عليهم السلام ما يبعث المستمعين على مودّتهم ، ويضطرّهم إلى بذل الجهد في طاعتهم .

ومنهم : من ينبّه الأفكار أوّلاً إلى فضل رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومقام أوصيائه عليهم السلام بما يسرده من الأحاديث الصحيحة ، والآيات المحكمة الصريحة .

ومنهم : من يتلو أوّلاً من الأحكام الشرعيّة ، والعقائد الدينيّة ما تعمّ به البلوى المكلّفين ، ولا مندوحة عن معرفته لأحد من العاملين ، هذه سيرتهم المستمرّة أيّام حياتهم ، فهل ترى بجدّك للعوامّ مدرسة تقوم مقامها في جسيم فوائدها ، وعظيم مقاصدها ؟[١]

لا وسرّ الحكماء الذين بعثوا شيعتهم عليها ، وحكمة الأوصياء الذين أرشدوا أوليائهم إليها .

ومنها : الارتقاء في الخطابة ، والعروج إلى منتهى البراعة ، كما يشهد به الوجدان ، ولا نحتاج فيه إلى برهان .

ومنها : العزاء على كلّ مصيبة ، والسلوة لكلّ فادحة ؛ إذ تهون الفجائع بذكر

---

(١) **أقول** : ومنهم : من يثبت فظائع أعمال الظالمين ، ومثالب مناوي العترة الطاهرة من آل يس لكي يكون المستمع على بصيرة من أمره ، حتّى لا يكون شبكة صيد الشياطين ـ منه عفي عنه .

فجائعهم، وتُنسى القوارع بتلاوة قوارعهم، كما قيل في رثائهم عليهم السلام:

أنست رزيّتكم رزايانا التي سلفت وهوّنت الرزايا الآتية

ومنها: إنعاش أهل الفاقة، وإثلاج أكباد حرّا من أهل المسكنة على الدوام بما ينفق في هذه المآتم من الأموال في سبيل الله عزّ جلّ، وما يبذل فيها لأهل المسغبة وغيرهم، وأنت تعلم أنّه لا وسيلة لقرّاء تلك المآتم للتعيّش غالباً إلّا هذه الوظيفة، وهم من الرجال والنساء ـ بقطع النظر عمّن يقومون بنفقته ـ اُلوف مؤلّفة يعيشون ببركة أهل البيت، ويتنعّمون بيمن مآتمهم عليهم السلام.

ومنها: أنّ المصلحة التي استشهد الحسين ـ بأبي واُمّي ـ في سبيلها، وسفك دمه الزكيّ تلقاءها تستوجب استمرار هذه المآتم، وتقضي دوامها إلى يوم القيامة.

وبيان ذلك أنّ المنافقين حيث دفعوا أهل البيت عن مقامهم، وأزالوهم عن مراتبهم التي رتّبهم الله فيها، ظهروا للناس بمظاهر النيابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وأظهروا التأييد لدينه، والخدمة لشريعته، فوقع الالتباس، واغترّ بهم أكثر الناس، ولما ملكوا من الاُمّة أزمّتها، واستسلمت لهم برمّتها حرّموا ـ والناس في سنة عن سوء مقاصدهم ـ من حلال الله ما شاؤوا، وحلّلوا حرامه ما أرادوا، وعاثوا في الدين، وحكّموا فيه القاسطين، فسملوا أعين أولياء الله، وقطعوا أيديهم وأرجلهم من خلاف، وصلبوهم على جذوع النخل، ونفوهم عن عقر ديارهم حتّى تفرّقوا أيدي سبا، ولعنوا أمير المؤمنين عليه السلام، وكنّوا به عن أخيه الصادق الأمين صلى الله عليه وآله، فلو دامت تلك الأحوال وهم أولياء السلطة المطلقة، والرئاسة الروحانيّة، لما أبقوا للإسلام عيناً ولا أثراً، لكن ثار الحسين عليه السلام فادياً دين الله عزّ وجلّ بنفسه وأحبّائه حتّى وردوا حياض المنايا، ولسان حاله يقول:

إن كان دين محمّد لم يستقم إلّا بقتلي يا سيوف خذيني

فاستنقذ الدين من أيدي الظالمين ، وانكشف الغطاء ـ بوقوع تلك الرزايا ـ عن نفاق القوم ، حتّى تجلّت عداوتهم لله عزّ وجلّ ، وظهر انتقامهم من رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ إذ لم يكتفوا بقتل الرجال من بنيه عطاشا والماء تعبث فيه خنازير البرّ وكلابه ، ولم يقنعوا بذبح الأطفال من أشباله أحياء وقد غارت أعينهم من شدّة العطش ، ولا اكتفوا باستئصال العترة الطاهرة ونجوم الأرض من شيبة الحمد حتّى وطأوا جثّتهم بسنابك الخيل ، وحملوا رؤوسهم على أطراف الأسنّة ، وتركوا أشلائهم الموزّعة عارية بالعراء ، مباحة لوحوش الأرض وطير السماء .

ثمّ أبرزوا ودائع النبوّة ، وحرائر الوحي مسلّبات ، وطافوا البلاد بهنّ سبايا كأنّهنّ من كوافر البربر ، حتّى أدخلوهنّ تارة على ابن مرجانة ، واُخرى على ابن آكلة الأكباد ، وأوقفوهنّ على درج الجامع في دمشق حيث تباع جواري السبي .

فلم تبق بعدها وقفة في عداوتهم لله ، ولا ريبة بنفاقهم في دين الإسلام ، وعلم حينئذٍ أهل البحث والتنقيب من اُولي الألباب أنّ هذه اُمور دبّرت بليل ، وأنّها عهد السلف بها إلى خلفه ، وماكنت ارتجالاً من يزيد ، وما المسبّب لو لم ينجح السبب ، ثمّ لم تزل أنوار هذه الحقيقة تتجلّى لكلّ من نظر نظراً فلسفيّاً في فجائع الطفّ ، وخطوب أهل البيت ، أو بحث بحث مدقّق عن أساس تلك القوارع ، وأسباب هاتيك الفظائع .

وقد علم أهل التدقيق من اُولي البصائر أنّه ما كان لهذا الفاجر أن يرتكب من أهل البيت ما ارتكب لولا ما مهّده سلفه من هدم سورهم ، وإطفاء نورهم ، وحمله الناس على رقابهم ، وفعله الشنيع يوم بابهم »[١] ، انتهى محلّ الحجة من كلامه أعلى الله مقامه ، ورفع في الخلد أعلامه[٢] .

---

(١) مقدّمة المجالس الفاخرة في إقامة المآتم على العترة الطاهرة : ٣٤.

(٢) وقد ذكر جملة من هذه الفوائد الكثيرة العلّامة الأمين قدس سره في إقناع اللائم ، فراجع .

نعم والله لولا هذه المجالس والمحافل التي تقام في أيّام السنة مدى الدهر، وما تخرجه المواكب الحسينيّة في أيّام العشرة من محرّم من ضرب الصدور، ولطم الخدود، وغير ذلك، لما رأيت اليوم للإسلام إسماً، ولا للكتاب رسماً، ولا للدين حسّاً.

نعم، هي أمان من الضلال، وموجب للترقّي والكمال، كيف لا وبها تدفع البليّات، وترتفع الآفات، ويرزق بيمنها العباد، وتأمن البلاد، وتمطر السماء، وتنبت الأرض.

وقد اعترف كتّاب الإفرنج وفلاسفة الغرب أنّ أعظم دعاية للدين هي هذه المجالس والمآتم التي تقام باسم سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام.

قال الدكتور جوزف الفرنسي في كتابه «**الإسلام والمسلمون**»، والميسو ماربين الألماني في كتابه «**السياسة الإسلاميّة**» المترجمين باللغتين: الفارسيّة[١] ـ في جريدة «الحبل المتين»[٢] في فصلين من ذينيك الكتابَين الفاخرَين المحتويين على النكات المهمّة من أسرار شهادة أبي الأئمّة عليه السلام، وبيان فلسفة المجالس التي تقام لذكره ـ والعربيّة بقلم العلّامة المغفور له السيّد محسن الأمين العاملي أعلى الله مقامه، والعلّامة السيّد صدرالدين رحمه الله، ونقلهما عنه سيّدنا العلّامة في هامش كتابه «مقدّمة المجالس» بعدما نشرت مجلّة العلم فصلاً، ومجلّة العرفان فصلاً آخر، وها نحن ننقل لك ما ترجمه سيّدنا الصدر، وذكره سيّدنا شرف الدنيا والدّين تحت عنوان الشيعة وترقيّاتها المحيّرة للعقول، قال من جملة كلام طويل له: «لم تكن هذه الفرقة ـ يعني الشيعة ـ ظاهرة في القرون الأولى الإسلاميّة كأُختها، ويمكن أن تنسب

---

(١) وترجما بالتركية والهندية أيضاً، وأخذا في الشرق دوراً مهمّاً، وأحدثا دويّاً قويّاً رنّت الأسماع لصداه ـ منه عفي عنه.

(٢) جريدة الحبل المتين: العدد ٨٢ من أعداد السنة ١٧.

قلّتهم إلى سببين :

أحدهما : أنّ الرئاسة والحكومة التي هي سبب ازدياد تابعي المذهب كانت بيد الفرقة الأُخرى ، والسبب الآخر هو القتل والغارات التي كانت تتوالى عليهم .

ونظراً لحفظ نفوس الشيعة حكم أحد أئمّتهم في أوائل القرن الثاني عليهم بالتقيّة(١) ، فزادت في قوّتهم، لعدم تمكّن العدوّ القوي الشكيمة من قتلهم ، والإغارة عليهم ، بعد أن لم يكونوا ظاهرين ، وصاروا يعقدون المجالس سرّاً ، ويبكون على مصائب الحسين ، واستحكمت هذه العاطفة في قلوبهم على وجه لم يمضِ زمان قليل إلّا وارتقوا حتّى صار منهم الخلفاء والسلاطين والوزراء .

وهؤلاء بين من أخفى مذهبه وتشيّعه ، وبين من أظهره ، وبعد أمير تيمور حيث رجعت السلطنة في إيران إلى الصفويّة(٢) صارت إيران مركز فرقة الشيعة .

وبمقتضى تخمين بعض سوّاح فرنسا : أنّ الشيعة فعلاً سدس المسلمين أو سبعهم ، ونظراً إلى هذا الترقّي الذي حازته فرقة الشيعة في زمان قليل من دون جبر وإكراه يمكن أن يقال : إنّهم سيفوقون سائر فرق الإسلام بعد قرن أو قرنين .

والسبب في ذلك هو إقامة عزاء الحسين الذي قد جعله كلّ واحد منهم داعياً إلى مذهبه ، ولا يوجد اليوم مكان فيه الواحد أو الاثنان من الشيعة إلّا ويقيمان فيه عزاء الحسين ، ويبذلان في هذا السبيل الأموال الكثيرة .

فقد رأيت في منزل « مارسل » شيعيّاً عربيّاً من أهالي البحرين يقيم مأتم الحسين

---

(١) التقيّة ممّا شرّعها الله في كتابه والنبيّ صلى الله عليه وآله في خطابه ، والإمام في بيانه ، كما لا يخفى ـ منه عفي عنه .

(٢) وهم الذين روّجوا الشريعة ، ووكّدوا دعائم الشيعة ، وأعلنوا الحقّ في أرجاء إيران الوسيعة ، وخدموا الدين ، وألقوا زمام أُمور المملكة إلى الفقهاء والمجتهدين ، كما أثبته التاريخ ، كما لا يخفى ـ منه عفي عنه .

وهو منفرد ويرقى المنبر ويقرأ في كتاب ويبكي ، ثمّ يقسّم ما أحضره من الطعام على الفقراء ، هذه الطائفة تبذل الأموال في هذا السبيل على وجهين :

فبعضهم يبذلها من خالص أمواله في كلّ سنة بقدر استطاعته ، وصرفيّات هذا القسم تزيد على ملايين فرنك .

وبعضهم يعين أوقافاً لهذا المشروع ، فخصوص هذه الطائفة وهذا القسم أضعاف الأوّل .

ويمكن أن يقال : إنّ جميع فِرق الإسلام من حيث المجموع لا يبذلون في سبيل تأييد مذهبهم بمقدار ما تبذله هذه الفرقة في سبيل ترقيات مذهبها وموقوفات هذه الفرقة أوقاف سائر المسلمين أو ثلاثة أضعافها ، كلّ واحد من هذه الفرقة هو في الحقيقة داعٍ إلى مذهبه من حيث يخفى على سائر المسلمين ، بل إنّ الشيعة أنفسهم لا يدركون هذه الفائدة المترتّبة على عملهم ، وليس في نظرهم إلّا الثواب الأُخروي .

ولكن حيث إنّ كلّ عمل في هذا العالم لا بدّ وأن يكون له أثر طبيعي في العالم الاجتماعي ، قصده الفاعل أو لم يقصده ، لم تحرم هذه الفرقة فوائد هذا العمل الطبيعيّة في هذا العالم ، ومن المعلوم أنّ مذهباً دعاته خمسون أو ستّون مليوناً لا بدّ وأن يرتقي أربابه على وجه التدريج إلى ما يليق بشأنهم ، حتّى إنّ الرؤساء الروحانيّين من هذه الفرقة وسلاطينها ووزرائها لم يخرجوا عن صفة كونهم دعاة .

وسعى الفقراء والضعفاء في المحافظة على إقامة عزاء الحسين من حيث انتفاعهم من هذا الباب أكثر من الأعيان والأكابر ؛ لأنّهم يرون في ذلك خير الدنيا والآخرة .

لهذا ترى جماعة كثيرين من عقلاء هذه الفرقة قد تركوا أشغالهم المعاشيّة ، وتفرّغوا لهذا العمل ، وهم يكابدون المشاقّ في تحرّي العبارات الرائعة ، والجمل الواضحة ، عند إلقاء فضائل رؤساء دينهم ، ومصائب أهل البيت على

المنابر في المجالس العموميّة .

ولأجل هذه المشقّات التي اختارتها هذه الجماعة ، فاق خطباء هذه الفرقة على خطباء جميع فرق المسلمين .

وحيث إنّ تكرار الواحد يوجب اشمئزاز القلوب ومللها ، وعدم التأثير ، تسعى هذه الجماعة في ذكر تمام المسائل الإسلاميّة الراجعة إلى مذهبهم بهذا العنوان على المنابر ، حتّى آل الأمر إلى عوامّ الشيعة بفضل هؤلاء الخطباء أن أصبحوا أعرف بمسائل مذهبهم من معرفة كلّ فرقة من فرق المسلمين بمذهبها .

كما أنّ اكتساب الشيعة واحترافهم بهذه الوسيلة وسائر الوسائل الراجعة إليها أيضاً أكثر من سائر المسلمين ، ولو نظرنا اليوم في أقطار العالم لرأينا أنّ الأفراد التي هي أوْلى بالمعرفة والعلم والصنعة والثروة ، إنّما توجد بين الشيعة ، والدعوة التي قام بها الشيعة إلى مذهبهم أو سائر الفرق الإسلاميّة غير محدودة ، بل إنّ آحاد وأفراد الطائفة دعاة ، وما دخلوا بين أُمّة إلّا وسرى هذا الأثر في قلوبها .

وليس العدد الذي نراه اليوم في الهند من الشيعة إلّا هو أثر إقامة هذه المآتم .

الشيعة لم تؤيّد دينها بقوّة ولا سيف حتّى زمن الصفويّة ، بل إنّهم بلغوا هذه الدرجة من الترقّي المحيّر للعقول بقوّة الكلام ، والدعوة التي أثرها أمضى من السيف .

ولقد بلغ اهتمام هذه الفرقة في أداء مراسم مذهبها مبلغاً عظيماً حتّى جعلت ثلثي المسلمين من أتباع سيرتها ، بل اشترك معها كثير من الهنود والمجوس وسائر المذاهب .

ومن المعلوم بعد مضيّ قرن لو وصلت هذه الأعمال بالإرث إلى أبناء أُولئك الطوائف ، ليذعنون بها ، ويصدّقون المذهب .

وبما أنّ فرقة الشيعة تعتقد بأنّ جميع المطالب والمقاصد موكول نجاحها إلى أكابر مذهبهم ، وهم يفزعون إليهم في قضاء الحوائج ، ويستمدّون منهم عند

الشدائد، سرت هذه الروح أيضاً إلى سائر الفرق التي اشتركت معهم في تلك الأعمال والأفعال، ومن المعلوم أنّ بقضاء حاجتهم، وبلوغ آمالهم، تزداد عقيدتهم بهذا المذهب رسوخاً.

من هذه القرائن والأسباب يمكننا أن نقول: لا يمضي على هذه الفرقة زمان قليل إلّا وتفوق سائر المسلمين من حيث العدد، وكانت هذه الفرقة قبل قرن أو قرنين تلازم التقيّة فيما عدا إيران(١) نظراً لقلّتهم، وعدم قدرتهم على إظهار شعائر مذهبهم، ولكن من يوم استولت الدولة الغربيّة على الممالك الشرقيّة، ومنحت جميع هذه المذاهب الحريّة، قامت هذه الفرقة تقيم شعائر مذهبها علناً في كلّ مكان، واستفادوا من هذه الحريّة فائدة تامّة، حتّى إنّهم تركوا التقيّة.

لهذه الأسباب المذكورة كانت هذه الفرقة أعرف من غيرها بمقتضيات العصر الحاضر، وأكثر سعياً باكتساب المعاش، وتحصيل المعارف، لذلك ترى من العمّال في هذه الفرقة أكثر ممّا تراه في سائر فرق المسلمين من الاشتغال الغالب المستلزم لمتابعة غير الغالب، مضافاً إلى أنّ مثابرتهم على العمل ممّا توجب احتياج الغير إليهم، كما أنّ اختلاطهم مع سائر الفِرق، وصلاتهم الودادية مع غيرهم، تلازم غالباً اشتراك الغير في مجالسهم ومحافلهم، فيسمعون اُصول مذهبهم، ويصغون إلى كلماتهم وعباراتهم، وبتكرار ذلك يأنسون بطريقتهم ومذهبهم، وهذا عمل الدعاة، والأثر الذي يترتّب على هذه السيرة هو الأثر الذي يتطلّبه جميع ساسة الغرب

---

(١) وهي الدولة الوحيدة في العالم في التمسّك بمذهب آل الرسول صلى الله عليه وآله، وقد اُسّس قانونها الأساسي على مذهب الشيعة الإماميّة الإثني عشريّة من قديم الزمان، وسالف العصر والأوان، من ابتداء سلطنة الصفويّة أنار الله برهانهم، كما كانت جميع بلاد إيران صانها الله عن الحدثان من أهمّ مراكز الشيعة الإماميّة الإثنى عشريّة في عصور الأئمّة عليهم السلام، كما لا يخفى على من راجع التاريخ ـ منه عفي عنه.

في رقيّ دين المسيح مع تلك المصارف الباهضة .

ومن جملة الأُمور السياسيّة التي أظهرها أكابر فرقة الشيعة بصبغة مذهبيّة منذ قرون ، وأوجبت جلب البعيد والغريب ، هو قاعدة التمثيل باسم الشبيه في مأتم الحسين ، وقد قرّر حكماء الهند التمثيل لأغراض ليس هذا موضع ذكرها ، وجعلوه من أجزاء عباداتهم ، فأخذته أوروبا وأخرجته بمقتضى السياسة بصورة التفرّج ، وصارت تمثّل الأُمور المهمّة السياسيّة في دور التمثيل الخاصّة والعامّة ، وجلبت القلوب بسببه ، وأصابت بسهم غرضين : تفريح النفوس ، وجلب القلوب في الأُمور السياسيّة .

والشيعة قد استفادت من ذلك فوائد كاملة ، وأظهرته بصبغة دينيّة .

ويمكن القول بأنّ الشيعة قد أخذت ذلك من الهنود(١) .

---

(١) وفي بالي ما يدلّ عليه من الإمام الصادق عليه السلام ، وإن لم يحضرني الآن محلّه ـ منه عفي عنه .

وما يشير إليه السيّد الأُستاذ قدس سره هو ما ورد عن الكميت الأسدي رحمه الله أنّه قال : « دخلت على الإمام الصادق عليه السلام يوم عاشوراء ، فأنشدته في جدّه الحسين عليه السلام شعراً ، فبكى وبكى الحاضرون ، وكان قد ضرب ستراً في المجلس ، وأجلس خلفه الفاطميّات ، فبينما أنا أُنشد والإمام يبكي إذ خرجت جارية من وراء الستار ، وعلى يدها طفل رضيع ملفوف في قماطه ، فوضعته في حجر الإمام الصادق عليه السلام ، فلمّا نظر الإمام عليه السلام إليه اشتدّ بكاؤه ، وعلا نحيبه ، وكذلك الحاضرون» .

ومثلها ما ورد عن سفيان العبدي ، قال : «دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقال : **قولوا لأُمّ فروة تجيئ فتسمع ما صنع بجدّها** .

قال : فجاءت فقعدت خلف الستر ، ثمّ قال : أنشدنا .

قال : فقلت : **فرو جودي بدمعك المسكوب** ، فصاحت وصحن النساء .

فقال أبو عبدالله عليه السلام : **الباب الباب** ، فاجتمع أهل المدينة على الباب .

قال : فبعث إليهم أبو عبدالله عليه السلام بصبي غشي عليه ، فصحن النساء» . الكافي : ٢١٦/٨ .

وكيف كان ، فالأثر الذي ينبغي أنّ يعود من التمثيل إلى قلوب الخواصّ والعوامّ قد عاد ، ومن المعلوم أنّ تواتر إقامة المآتم ، وذكر المصائب الواردة على أكابر دينهم ، والمظالم التي وردت على الحسين عليه السلام مع تلك الأخبار الواردة في فضل البكاء على مصائب آل محمّد صلى الله عليه وآله إذا انضمّت إلى تمثيل تلك المصائب تكون شديدة الأثر ، وتوجب رسوخ عقائد خواصّ هذه الفرقة وعوامها فوق ما يتصوّر ، وهذا هو السبب الذي من أجله لم يسمع من ابتداء ترقّي مذهب الشيعة إلى الآن أن ترك بعضهم دين الإسلام أو دخل في سائر الفِرق الإسلاميّة .

هذه الفرقة تقيم التمثيل على أقسام مختلفة ، فتارة في مجالس خصوصيّة وأمكنة معيّنة ، وحيث إنّ الفرق الأُخرى قلّما تشترك معهم في المجالس اخترعوا تمثيلاً خاصّاً ، وصاروا يدورون به في الأزقّة والطرقات ، وبين جميع الفرق ، فتتأثّر قلوب جميع الفرق من القريب والبعيد عين الأثر الذي يحصل من التمثيل ، ولم يزل هذا العمل يزداد إليه توجّه الأنظار من الخاصّ والعامّ حتّى قلّد الشيعة فيه بعض الفرق الإسلاميّة والهنود ، واشتركوا معهم في ذلك ، وهو في الهند أكثر رواجاً من جميع الممالك الإسلاميّة .

كما أنّ سائر فرق الإسلام هناك أكثر اشتراكاً مع الشيعة في هذا العمل من سائر البلاد ، ويغلب على الظنّ أنّ أُصول التمثيل بين الشيعة قد تداول في زمن الصفويّة الذين هم أوّل من نال السلطنة بقوّة المذهب ، وأجاز العلماء والرؤساء الروحانيّون هذه الأُصول .

ومن جملة الأُمور التي أوجبت رقيّ هذه الفرقة وشهرتهم في كلّ مكان ، هو تعرفهم ، بمعنى أنّ هذه الطائفة قد جلبت إليها قلوب سائر الفرق من حيث الجاه والقوّة والشوكة والاعتبار بواسطة المجالس والمآتم والشبيه واللطم والدوران وحمل الرايات والألويّة في عزاء الحسين ، فإنّ من المعلوم أنّ كلّ جمعيّة وجماعة تجلب

إليها الأنظار والخواطر بدرجة ما ، مثلاً لو كان في بلدة عشرة آلاف متفرّقين ، وفي محلّ ألف نفس مجتمعة ، كانت شوكة الألف المجتمعين وأُبّهتهم في أنظار الخاصّة والعامّة أكثر من العشرة آلاف المتفرّقين .

مضافاً إلى أنّه لو اجتمع ألف نفس وانضمّ إليهم من غيرهم مثل عددهم ، إمّا للتفرّج أو لأجل صداقة ورفاقة ، أو لأغراض أُخرى ، وبهذا الانضمام تزيد شوكة الألف وقوّتهم في الأنظار وتتضاعف .

ومن الأُمور الطبيعيّة المؤيّدة لفرقة الشيعة في تأثير قلوب سائر الفرق هو إظهار مظلوميّة أكابر دينهم ، وهذا التأثير من الأُمور الفطريّة ؛ لأنّ كلّ أحد بالطبع يأخذ بيد المظلوم ، ويحبّ نصرة الضعيف والمظلوم على القويّ ، والطبائع البشريّة أميل إلى الضعيف والمظلوم ـ ولو كان مبطلاً ـ من الظالم وإن كان محقّاً ، ولا سيّما إذا مرّت عليه السنون والأعوام .

وهؤلاء مصنّفو أوروبا الذين ذكروا في كتبهم تفصيل مقاتلة الحسين وأصحابه وقتله ، مع أنّهم لا يعتقدون بهم ، يذعنون بالمظلوميّة لهم ، ويعترفون بظلم وتعدّي قاتليهم ، وعدم رحمتهم ، ولا يذكرون أسماءهم إلّا مشمئزّين ، وهذه الأُمور الطبيعيّة لا يقف أمامها شيء ، وهذا السرّ من المؤيّدات الطبيعيّة لفرقة الشيعة » ، انتهى ، فلاحظ .

أقول : انظر بالله عليك إلى الكفّار الذين لا يعرفون الله ولا رسوله صلى الله عليه وآله يشمئزّون من أعمال بني أُميّة ، وما ارتكبوه من الجرائم البشعة الغير الإنسانيّة ، وطائفة من المسلمين ، كالغزالي وابن حجر وأضرابهما من الأمويّين ، يحسنون أفعالهم ، ويمنعون الناس عن لعنهم ، والبرائة منهم ، ومع ذلك يدّعون محبّة أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً .

والعجب العجاب الذي هو أعجب من هذا كلّه ، أنّ جماعة من الذين يدّعون

التشيّع واعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام يسعون في تشكيك عقائد المؤمنين تارة بحرمة إقامة المآتم والعزاء، وعدم فائدة في ذلك، ويمنعون من البكاء عليه، وضرب الصدور والظهور لأجل مصابه، ويخلطون كلامهم الباطل بالحقّ، وأنّ الواجب علينا السير على منهاج الحسين عليه السلام، وأنّه قُتل (صلوات الله عليه) لا لأجل البكاء عليه، بل لأجل إراءة الناس والأجيال الآتية طريق الجهاد والكفاح مع الأعداء.

وغفلوا هؤلاء الأقشاب عن أنّ السير على منهاجه، وسلوك طريقته روحي له الفداء لا يمكن إلّا بإقامة عزائه، والبكاء عليه؛ لأنّهما العاملان المهمّان على التمسّك بولايتهم، وسلوك طريقتهم، والأخذ بأقوالهم، وأنّ البكاء عليه آية المحبّة والوداد له، ولكن كما قلنا: إنّ هؤلاء الأراذل يريدون أن يفصلوا الشيعة عن أئمّتهم، ويأخذون ولاءهم حتّى يرتفع اللعن والشتم عن آبائهم ومشايخهم.

وقال الميسو «ماربين» حكيم الألمان، وفيلسوف المستشرقين، ما هذا نصّ تعريبه: «إنّ عدم معرفة مؤرّخينا بحقيقة الحال أوجب أن ينسبوا في كتبهم طريقة إقامة الشيعة لعزاء الحسين إلى الجنون.

ولكن جهلوا مقدار تغيير هذه المسألة وتبديلها في الإسلام، فإنّا لم نرَ في سائر الأقوام ما نراه في شيعة الحسين من الحسبات السياسيّة، والثروة المذهبيّة بسبب إقامة عزاء الحسين، وكلّ من أمعن النظر في رقيّ شيعة عليّ الذين جعلوا إقامة عزاء الحسين شعارهم في مدّة مائة سنة يذعن أنّهم فازوا بأعظم الرقيّ، فإنّه لم يكن قبل مائة سنة من شيعة عليّ والحسين في الهند إلّا ما يعدّ بالأصابع، واليوم في الدرجة الثالثة من حيث الجمعيّة إذا قيسوا بغيرهم، وكذلك هم في سائر نقاط الأرض.

وإذا قسنا دعاتنا مع تلك المصارف الباهضة، والقوّة الهائلة، والشيعة ترى دعاتنا لم يحظوا بعُشر ترقيّات هذه الفرقة، وإن كان قسيسينا يحزنون القلوب بذكر مصائب

المسيح ، ولكن لا بذلك الشكل والأُسلوب المتداول بين شيعة الحسين .

ويغلب على الظنّ أنّ سبب ذلك هو : أنّ مصائب الحسين أشدّ حزناً ، وأعظم تأثيراً من مصائب المسيح .

فعلى مؤرّخينا أن يعرفوا حقيقة رسوم الأغيار وعاداتهم ، ولا ينسبوها إلى الجنون ، وأنّي أعتقد بأنّ بقاء القانون الإسلامي ، وظهور الديانة الإسلاميّة ، وترقّي المسلمين ، هو مسبّب عن قتل الحسين ، وحدوث تلك الوقائع المحزنة ، وهكذا ما نراه اليوم بين المسلمين من حسن السياسة ، وإباء الضيم ما هو إلّا بواسطة عزاء الحسين ، وما دامت في المسلمين هذه الملكة والصفة لا يقبلون ذلّاً ولا يدخلون في أسر أحد .

ينبغي لنا أن ندقّق النظر في ما يذكر من النكات الدقيقة الحيويّة في مجالس إقامة عزاء الحسين ، ولقد حضرت دفعات في المجالس التي يذكر فيها عزاء الحسين في إسلامبول مع مترجم ، وسمعتهم يقولون : الحسين الذي كان إمامنا ومقتدانا ، ومن تجب طاعته ومتابعته علينا ، لم يتحمّل الضيم ، ولم يدخل في طاعة يزيد ، وجاد بنفسه وعياله وأولاده وأمواله في سبيل حفظ شرفه ، وعلوّ حسبه ومقامه ، وفاز في قبال ذلك بحسن الذكر والصيت في الدنيا ، والشفاعة في يوم القيامة ، والقرب من الله ، وأعداؤه قد خسروا الدنيا والآخرة .

فرأيت بعد ذلك وعلمت أنّهم في الحقيقة يدرس بعضهم بعضاً علناً بأنّكم إن كنتم شيعة الحسين وأصحاب شرف . . إن كنتم تطلبون السيادة والفخر ، فلا تدخلوا في طاعة أمثال يزيد ، ولا تتحمّلوا الذلّ ، بل اختاروا الموت بعزّة على الحياة بذلّة حتّى تفوزوا بحسن الذكر في الدنيا والآخرة ، وتحظوا بالفلاح .

من المعلوم حال الأُمّة التي تلقى عليها أمثال هذه التعاليم من المهد إلى اللحد في أي درجة تكون في الملكات العظيمة ، والسجايا العالية .

نعم ، هكذا اُمّة تحوي كلّ نوع من أنواع السعادة والشرف ، ويكون جميع أفرادها جنداً مدافعين عن عزّهم وشرفهم .

هذا هو التمدّن الحقيقي اليوم ، هذا هو طريق تعليم الحقوق ، هذا هو معنى تدريس اُصول السياسة » ، انتهى .

أقول: نعم ، الحسين عليه السلام علّمنا كيفيّة الوقوف في وجه الظلم والطغيان ، وأرشدنا بدستوراته العالية ، وطريقته المثلى ،كيف نحارب الفساد ، وكيف نقف في وجه أئمّة الظلم والكفر ، ونردّ عليهم أباطيلهم ، وأنّه لا يمكننا المشي على سيرته إلّا بإقامة مأتمه ، والنياحة عليه .

وتالله لولا ما بذله الحسين عليه السلام في سبيل إحياء الدين من نفسه الزكيّة ، ونفوس أحبّائه بتلك الكيفيّة ، لأمسى الإسلام خبراً من الأخبار السالفة ، وأضحى المسلمون اُمّة من الاُمم التالفة ؛ إذ لو بقي المنافقون على ما كانوا عليه من الظهور للعامّة بالنيابة عن رسول الله والنصح لدينه صلى الله عليه وآله ، وهم أولياء السلطة المطلقة ، والإرادة المقدّسة ، لغرسوا من شجرة النفاق ما أرادوا ، وبثّوا من روح الزندقة ما شاؤوا ، وفعلوا بالدين ما توجب عداوتهم له ، وارتكبوا من الشريعة كلّ أمر يقتضيه نفاقهم .

أمّا وشيبة الحسين المخضوبة بدمه الطاهر ، لولا تحمّله سلام الله عليه في سبيل الله ما قامت لأهل البيت عليهم السلام ـ وهم حجج الله ـ قائمة ، ولا عرفهم وهم اُولو الأمر ممّن تأخّر عنهم أحد ، لكنّه ـ بأبي واُمّي ـ فضح المنافقين ، وأسقطهم من أنظار العالمين ، واستلفت الأبصار بمصيبته إلى سائر مصائب أهل البيت ، واضطرّ الناس بحلول هذه القارعة إلى البحث عن أساسها ، وحملهم على التنقيب عن أساسها ، والفحص عن جذرها وبذرها ، واستنهض الهمم إلى حفظ مقام أهل البيت عليهم السلام ، وحرّك الحميّة على الانتصار لهم ؛ لأنّ الطبيعيّة البشريّة ، والجبلة الإنسانيّة تنتصر للمظلومين ، وتنتقم بجهدها من الظالمين ، فاندفع المسلمون إلى موالاة أهل البيت ،

حتّى كأنّهم قد دخلوا ـ بعد فاجعة الطف ـ في دور جديد ، وظهرت الروحانيّة الإسلاميّة بأجلى مظاهرها ، وسطع نور أهل البيت بعد أن كان محجوباً بسحائب ظلم الظالمين ، وانتبه الناس إلى نصوص الكتاب والسنّة فيهم عليهم السلام ، فهدى الله بها من هدى لدينه ، وضلّ عنها من عمي عن سبيله .

وكان الحسين ـ بأبي وأُمّي ـ على يقين من ترتّب هذه الآثار الشريفة على قتله ، وانتهاب رحله ، وذبح أطفاله ، وسبي عياله ، بل لم يجد طريقاً لإرشاد الخلق إلى الأئمّة بالحقّ ، واستنقاذ الدين من أئمّة المنافقين ، الذين خفي مكرهم ، وعلا في نفوس العامّة أمرهم ، إلّا الاستسلام لتلك الرزايا ، والصبر على هاتيك البلايا .

وما قصد كربلاء إلّا لتحمّل ذلك البلاء ، عهد معهود عن أخيه ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الله عزّ وجلّ .

ويرشدك إلى ذلك ـ مضافاً إلى أخبارنا المتواترة من طريق العترة الطاهرة ـ دلائل أقواله ، وقرائن أفعاله »[1] ، إلى آخر بيانه ، فلله درّه ، وعليه أجره .

أقول : علم الحسين بقتله ، وموضع قتله ، ويومه وسنته ، لم يكد يخفى كلّ ذلك عليه ، وهو حجّة الله في أرضه وبلاده ، وكذلك بقيّة العترة الطاهرة من ذرّيّة عليّ وفاطمة أئمّة الحقّ ، كما سيأتي بيان ذلك مفصّلاً عن قريب إن شاء الله .

وبالإجمال أنّ الفوائد المترتّبة على نهضته المقدّسة وقيامه (صلوات الله عليه) كثيرة جدّاً وغير محصورة عدّاً .

وقد اعترف الأجانب وفلاسفتهم بأنّه لولا نهضة الحسين روحي له الفداء لما بقي للإسلام عمود ، وما اخضرّ له عود .

وحسبك فائدة لنهضته : هذه المجالس التي تقام في أيّام السنة كلّها ، مضافاً إلى

---

(١) مقدّمة المجالس الفاخرة للعلّامة شرف الدين قدس سره .

الشهرين محرّم وصفر ، حين ينفر الخطباء ، وأرباب العلم إلى القرى والأرياف والبلاد النائية في أيّام البرد القارص والحرّ الشديد لأجل تبليغ الرسالة المحمّديّة ، وبثّ الفضائل العلويّة ، وتعليم الناس أحكام الدين ، وبناء المساجد ، ودحض أقوال الزنادقة ، وردّ شبهاتهم الكاسدة ، التي يسعون طيلة ليلهم ونهارهم لأجل رسوخها في عقليّة القوم ، وجلب أنظارهم إلى ما يرمونه من مقاصدهم اللادينيّة ، فتذهب كلّها هباء منثوراً بواسطة عشرة أيّام .

ولهذا فكّر الأوباش وجراثيم الأرض المهلكة للحرث والنسل ، في محاربة هذه المنابر ، وتبديلها إلى التكلّم حول توحيد الكلمة ، واتّحاد الصفوف ، ويريدون بالحقّ كلمة الباطل .

ولهذا ينبغي على جميع شيعة آل محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله ، وكلّ من أقرّ برسالته ، ويحبّ تقدّم الإسلام والمسلمين أن يعقد هذه المجالس ، ويجلب أنظار الحاضرين إلى بثّ فضائل أهل البيت ، ودلائل إمامتهم ، وبيان فضائح الظالمين ، بدل ما ينقل لهم الحكايات التافهة ، والقصص الخياليّة ، فإنّ مجالس العزاء وإقامة المآتم هي السبب الوحيد لدفع كيد المستعمرين ، ودحض ترّهات الملحدين ، وكسر شوكة المنافقين ، وإبادة كلمة الكافرين .

فكما أحيى الحسين ـ بأبي وُمّي ونفسي ومالي وولدي ـ دين الإسلام بقتله ، وسبي حريمه ، وذبح أطفاله وأنصاره ، فالواجب على محبّيه ، وخصوصاً المعتقدين بإمامته ، أن يسعوا لتكثير هذه المجالس لأجله وباسمه (صلوات الله عليه) .

قال « ماربين » في كتابه « **السياسة الإسلاميّة** » ما هذا نصّ معرّبه في جملة كلام طويل : « لا يشكّ صاحب الوجدان إذا دقّق النظر في أوضاع ذلك العصر ، وكيفيّة نجاح بني اُميّة في مقاصدهم ، واستيلائهم على جميع طبقات الناس ، وتزلزل المسلمين .

أنّ الحسين قد أحيا دين جدّه وقوانين الإسلام ، وإن لم تقع تلك الواقعة ولم تظهر تلك الحسيّات الصادقة بين المسلمين لأجل قتل الحسين ، لم يكن الإسلام على ما هو عليه الآن قطعاً ، بل كان من الممكن ضياع رسومه وقوانينه ، حيث كان يومئذٍ حديث العهد .

عزم الحسين على إنجاح هذا المقصد ، وإعلان الثورة ضدّ بني اُميّة من يوم توفّي والده ، فلمّا قام يزيد مقام معاوية خرج الحسين عليه السلام من المدينة ، وكان يُظهر مقصده العالي ، ويبثّ روح الثورة في المراكز المهمّة الإسلاميّة ، كمكّة والعراق وأينما حلّ ، فازدادت نفرة قلوب المسلمين ـ التي هي مقدّمة الثورة ـ من بني اُميّة ، ولم يكن يجهل يزيد مقاصد الحسين ، وكان يعلم أنّ الثورة إذا اُعلنت في جهة والحسين قائدها ، مع تنفّر المسلمين عموماً من حكومة بني اُميّة ، وميل القلوب ، وتوجّه الأنظار إلى الحسين ، عمّت جميع البلاد ، وفي ذلك زوال ملكهم وسلطانهم ، فعزم يزيد قبل كلّ شيء من يوم بويع على قتل الحسين ، ولقد كان هذا العزم أعظم خطأ سياسي صدر من بني اُميّة ، الذي جعلهم نسياً منسياً ، ولم يبق منهم ولا خبر » .

أقول: وقد غفل اليوم أبناء يزيد وحثالة الأمويّين عن أنّ محاربتهم مجالس العزاء ، وطعنهم في قيام الحسين عليه السلام ، ومحاربتهم للشعائر الحسينيّة ، والمواكب العزائيّة سوف تجعلهم نسيّاً منسيّاً ، كأسلافهم ، وتبقي لهم العار ، ويصبحوا موضع لعن الخلائق ما دام للدنيا ليل ونهار .

فيا أصحاب حبّ الجاه والشهرة ، لا تغرّنّكم مساعدة المستعمرين ، ومساندة أعداء الدين ، وارجعوا إلى أحسابكم ، وانظروا بعين البصيرة إلى تاريخ أسلافكم ، واعتبروا إن كنتم من ذوي الاعتبار ، وإلّا فموتوا بغيضكم حتّى تردوا الحامية إن شاء الله .

وخلاصة الكلام: إنّ كلّ الدنيا قد اعترفت بأنّ قيامه كان لمصلحة إحياء الدين ،

وما يترتّب عليه من الفوائد إلى يوم يقوم الناس لربّ العالمين.

ويعرف هذا كلّ من نظر بعين البصيرة والتحقيق، وسبر كتب السير والتاريخ بيد التدقيق، ونبذ العصبيّة الجاهليّة.

وبكلّ صراحة: إنّ القوم منذ يوم اُلحق النبيّ صلى الله عليه وآله بالرفيق الأعلى، وفاضت نفسه الطاهرة إلى جنان الخلد، سعى مَن كان يريد محو الإسلام الذي دخل فيه كرهاً ورغماً على أنفه أن يطفئ نوره، ويطمس أعلامه، ويهدم قواعده وأساسه، وصاروا يفكّرون في ذلك حتّى أوصلتهم نتيجة الفكر إلى غصب الخلافة الشرعيّة الإلهيّة من عليّ عليه السلام لكي لا تتسنّى له تقوية الدين، وإعلاء شريعة خاتم النبيّين.

ولهذا نصّ الأوّل على الثاني، وجعلها الثاني شورى، لما أراد إيصالها إلى الثالث حتّى يتمهّد الطريق لمعاوية بن أبي سفيان، وتتوكّد له دعائم السلطنة في البلاد، لمّا عرفوا منه البغض لعليّ منذ بدء أمره، وما يعرفون من سابقته وسابقة أبيه واُمّه آكلة الأكباد، حتّى يتمكّن غاية التمكّن لمحاربة عليّ حينما تصل الخلافة الظاهريّة إليه.

وبالفعل قام معاوية لحربه، وغرس بغضه في قلوب العامّة، وطالبه بدم عثمان، وشهر قميصه، وقد ساعدته عائشة اُمّ المؤمنين بعد ما حرّضت الناس على قتل عثمان، وكانت تقول: «اقتلوا نعثلاً فقد كفر» حتّى مضى إلى سبيل ربّه صابراً محتسباً شهيداً بيد أعدائه، وبعده فعلوا ما فعلوا بنجله السبط الزكي عليه السلام، ولمّا أراد أن يهلك معاوية مهّد الأمر لنغله الزنيم يزيد، لمّا كان يعرف منه البغض الشديد للإسلام، والعداء لأهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله، وقد أخذ له البيعة بالقهر والغلبة، وأوصاه بأخذها من الحسين عليه السلام خصوصاً، حيث بها يحصل مرادهم، ويطيب لهم العيش الرغيد تحت ظلّ الكفر وزمن الجاهليّة الاُولى التي نشأوا عليها، ويقضون على الإسلام تماماً بجميع معنى الكلمة، حتّى لا تجد له نافخ رماد أصلاً.

وقد علم الحسين عليه السلام ذلك بعهد معهود إليه من أخيه، عن أبيه، عن جدّه،

عن الله تبارك وتعالى ، فقام ملبّياً للدعوة الإلهيّة ، وأدّى ذلك الثقل الذي حمله من أعباء الإمامة ورسالة الولاية ، وبلّغها على أحسن وجه ، وأتمّ نظام ، لأجل بقاء نظام القرآن وإحياء دين الإسلام .

أوَليس ينبغي لشيعته ، بل عامّة المسلمين ، أن يقيموا لأجله العزاء ، ويعقدون المجالس لتلك الرزايا والمصائب التي تحمّلها لأجل حفظ بيضة الإسلام ، ولما أسداه من خدمة عامّة إلى جميع المسلمين في شرق الدنيا وغربها ، ونجّاهم من تحت قيد الأسر والذلّ ، وما كانوا يكابدونه من المحن والهوان .

ومن المؤسف جدّاً أن تعترف النصارى واُمّة المسيح بذلك ، وينكره من يدّعي الإسلام أو التشيّع لما هنالك ، فالحديث ذو شجون ، والقريحة في سجون .

وإنّا لله وإنّا إليه راجعون

المطلب الخامس

إخبار الله تعالى الأنبياء بقتل الحسين عليه السلام

اعلم أيّها القارئ العزيز أنّ إخبار الله تعالى الأنبياء والملائكة بقتل الحسين عليه السلام ليس إلّا لعظم المصاب الذي اهتزّ من وقعته العرش وما دونه، وهي فاجعة عظمى، ورزيّة كبرى، أنست الرزايا كلّها، وأقامت الدنيا وأقعدتها، ولا يتصوّر فوق مصيبته مصيبة أعظم منها من أوّل يوم خلق الله الدنيا إلى أن تعود كما كانت في الأُولى، أوَليست تجدر بالذكر والبيان، والإخبار بها في كلّ صقع ومكان، وإعلانها في كلّ عصر وزمان؟ بلى والله يجدر ذلك، بل فوق ما يتصوّر هنالك.

واستمع الآن إلى ما ورد في هذا الشأن، لتعرف عظمة الحسين ومكانته عند الله تعالى، ولا تصغ بعدها إلى أقوال أعداء الحسين والمحاربين لنهضته والمنكرين لعلمه بموضع قتله ويومه وعامه، فلاحظ.

علم آدم عليه السلام بقتل الحسين عليه السلام

روى شيخنا الإمام العلّامة المجلسي قدس سره في «**البحار**»، ونقل عنه السيّد الشبّر في «**جلاء العيون**» مرسلاً: «إنّ آدم عليه السلام لمّا هبط إلى الأرض لم يرَ حواء، فصار يطوف الأرض في طلبها، فمرّ بكربلاء فاغتمّ وضاق صدره من غير سبب، وعثر في الموضع الذي قُتل فيه الحسين عليه السلام حتّى سال الدم من رجله، فرفع رأسه إلى السماء

وقال: «إلـهي، هل حدث منّي ذنب آخر فعاتبتني به، فإنّي طفت جميع الأرض وما أصابني سوء مثل ما أصابني في هذه الأرض ؟

فأوحى الله إليه: يا آدم، ما حدث منك ذنب، ولكن يُقتل في هذه الأرض ولدك الحسين ظلماً، فسال دمك موافقة لدمه.

فقال: يا ربّ، أيكون الحسين نبيّاً ؟

قال: لا، ولكنّه سبط النبيّ محمّد.

فقال: ومن القاتل له ؟

قال: قاتله يزيد لعين أهل السماوات والأرض.

فقال آدم: فأيّ شيء أصنع يا جبرئيل ؟

فقال: إلعنه يا آدم، فلعنه أربع مرّات، ومشى خطوات إلى جبل عرفات فوجد حوّاء هناك»(١).

علم نوح عليه السلام بقتل الحسين عليه السلام

وروي: «إنّ نوحاً لمّا ركب في السفينة طافت به جميع الدنيا، ولمّا مرّت بكربلاء أخذته الأرض وخاف نوح الغرق، فدعا ربّه وقال: إلـهي، طفت جميع الدنيا وما أصابني فزع مثل ما أصابني في هذه الأرض.

فنزل جبرئيل عليه السلام وقال: يا نوح، في هذا الموضع يُقتل الحسين سبط محمّد صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء وابن خاتم الأوصياء.

فقال: ومن القاتل له يا جبرئيل ؟

قال: قاتله لعين أهل سبع سماوات وسبع أرضين، فلعنه نوح عليه السلام أربع مرّات،

---

(١) بحار الأنوار: ٢٤٢/٤٤، الحديث ٣٧.

فسارت السفينة حتّى بلغت الجوديّ واستقرّت عليه »(١).

علم إبراهيم عليه السلام بقتل الحسين عليه السلام

وروي : « إنّ إبراهيم عليه السلام مرّ في كربلاء وهو راكب فرساً ، فعثرت به وسقط إبراهيم وشجّ رأسه وسال دمه ، فأخذ في الاستغفار وقال : إلٰهي ، أيّ شيء حدث منّي ؟

فنزل إليه جبرئيل وقال : يا إبراهيم ، ما حدث منك ذنب ، ولكن هنا يُقتل سبط خاتم الأنبياء وابن خاتم الأوصياء ، فسال دمك موافقة لدمه .

قال : يا جبرئيل ، ومن يكون قاتله ؟

قال : لعين أهل السماوات والأرضين ، والقلم جرى على اللوح بلعنه بغير إذن ربّه ، فأوحى الله تعالى إلى القلم : إنّك استحققت الثناء بهذا اللعن .

فرفع إبراهيم عليه السلام يديه ولعن يزيد لعناً كثيراً ، وأمّن فرسه بلسان فصيح .

فقال إبراهيم لفرسه : أيّ شيء عرفت حتّى تؤمّن على دعائي ؟

فقال : يا إبراهيم ، أنا أفتخر بركوبك علَيَّ ، فلمّا عثرت وسقطت عن ظهري عظمت خجلتي وكان سبب ذلك من يزيد (لعنه الله) »(٢).

علم إسماعيل عليه السلام بقتل الحسين عليه السلام

وروي : « إنّ إسماعيل عليه السلام كانت أغنامه ترعى بشطّ الفرات ، فأخبره الراعي أنّها لا تشرب الماء من هذه المشرعة منذ كذا يوماً ، فسأل ربّه سبب ذلك .

فنزل جبرئيل عليه السلام وقال : يا إسماعيل ، سل غنمك فإنّها تجيبك عن سبب ذلك ،

---

(١) بحار الأنوار : ٢٤٣/٤٤ ، الحديث ٣٨.

(٢) بحار الأنوار : ٢٤٣/٤٤ ، الحديث ٣٩.

فقال لها: لِمَ لا تشربين من هذا الماء ؟

فقالت بلسان فصيح: قد بلغنا أنّ ولدك الحسين عليه السلام سبط محمّد صلى الله عليه وآله يُقتل هنا عطشاناً، فنحن لا نشرب من هذه المشرعة حزناً عليه، فسألها عن قاتله، فقالت: يقتله لعين أهل السماوات والأرضين والخلائق أجمعين.

فقال إسماعيل عليه السلام: اللّهمّ العن قاتل الحسين »(١).

علم موسى عليه السلام بقتل الحسين عليه السلام

وروي: « إنّ موسى عليه السلام كان ذات يوم سائراً ومعه يوشع بن نون، فلمّا جاء إلى أرض كربلاء انخرق نعله، وانقطع شراكه، ودخل الحسك(٢) في رجليه وسال دمه، فقال: إلهي، أيّ شيء حدث منّي ؟

فأوحى إليه: إنّ هنا يُقتل الحسين عليه السلام سبط محمّد المصطفى وابن عليّ المرتضى.

فقال: ومن يكون قاتله ؟

فقيل: هو لعين السمك في البحار، والوحوش في القفار، والطير في الهواء.

فرفع موسى عليه السلام يديه ولعن يزيد ودعا عليه، وأمّن يوشع بن نون على دعائه، ومضى لشأنه »(٣).

علم عيسى عليه السلام بقتل الحسين عليه السلام

وروي: « إنّ عيسى عليه السلام كان سائحاً في البراري ومعه الحواريون، فمرّوا بكربلاء فرأوا أسداً كاسراً قد أخذ الطريق، فتقدّم عيسى عليه السلام إلى الأسد وقال له: لِمَ جلست

---

(١) بحار الأنوار: ٢٤٣/٤٤، الحديث ٤٠.

(٢) في نسخة: « الشوك ».

(٣) في نسخة أُخرى في بحار الأنوار: ٢٤٤/٤٤، الحديث ٤١.

في هذا الطريق ولا تدعنا نمرّ فيه ؟

فقال الأسد بلسان فصيح : إنّي لا أدع لكم الطريق حتّى تلعنوا يزيد قاتل الحسين .

فقال عيسى عليه السلام : ومن يكون الحسين ؟

قال : هو سبط محمّد النبيّ الأُمّيّ وابن عليّ الوليّ .

قال : ومن قاتله ؟

قال : قاتله لعين الوحوش والذئاب والسباع أجمع ، خصوصاً أيّام عاشوراء .

فرفع عيسى عليه السلام يديه ولعن يزيد ودعا عليه ، وأمّن الحواريون على دعائه ، فتنحّى الأسد عن طريقهم ومضوا لشأنهم »(١) .

علم سليمان عليه السلام بقتل سيّد شباب أهل الجنة

وروي : « إنّ سليمان عليه السلام كان يجلس على بساطه ويسير في الهواء ، فمرّ ذات يوم وهو سائر في أرض كربلاء ، فأدارت الريح بساطه ثلاث دورات حتّى خافوا السقوط ، فسكنت الريح ونزل البساط في أرض كربلاء .

فقال سليمان للريح : لِمَ سكنت ؟

فقالت : إنّ هنا يُقتل الحسين ؟

فقال : ومن يكون الحسين ؟

قالت : هو سبط محمّد المختار وابن عليّ الكرّار .

فقال : ومن قاتله ؟

---

(١) بحار الأنوار : ٤٤/٢٤٤ ، الحديث ٤٣ .

قالت : لعين أهل السماوات والأرض يزيد .

فرفع سليمان يديه ولعنه ودعا عليه ، وأمّن على دعائه الإنس والجنّ ، فهبّت الريح وسار البساط »[١] .

أقول : لا يخفى إنّا وإن كنّا لا نعتمد على المراسيل ، ولا ننقل إلّا عن كتاب معتبر ضَمِنَ مؤلّفه أن لا يروي فيه عن المجاهيل والضعاف ، وهذه الأخبار ـ كما عرفت ـ من المراسيل جاءت في دائرة المعارف الشيعيّة ، أعني البحار ، لمؤلّفه الإمام العلّامة المجلسي أعلى الله مقامه ، ونقلها عنه السيّد الشبّر قدس سره ـ كما مرّ ـ إلّا أنّه لا بعد في إخبار الله تعالى أنبياءه بقتل سبط النبيّ الأعظم وريحانته من الدنيا لعظم المصيبة ، وقدر جلالة الحسين عليه السلام عنده ، وما يبذله لأجل إحياء دينه ، وما يلقاه لسبب بقاء كلمة التوحيد .

وقد أخبر سبحانه الأنبياء عليهم السلام بما هو دون قتل الحسين عليه السلام مع أنّهم أنبيائه ورسله المطّلعون على أسرار وعيبة علمه تبارك وتعالى ، وهو منحهم ذلك .

كيف وقد أخبر النبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام أصحابهما عن قتله ، وما يجري عليه ، بل مولاي الحسين عليه السلام أخبر عن قتله ، كما سيأتي بيانه مفصّلاً ، وأخبروا أهل العالم عند وقوع الحادثة من الوحوش في البراري والبحار ، وبكت عليه السماء دماً عبيطاً أحمراً ، وضجّت الملائكة ، كما هو المشروح في محلّه ويأتي .

وعليه لا بعد في ذلك كلّه ، ولا مجال لإنكاره . نعم ، إنّ من ينكر الضروري ـ ألا وهو علم الإمام عليه السلام ، وأعظم منه علم جدّه صلى الله عليه وآله ـ مع وروده في الكتب المعتبرة عند الفريقين لا مانع له من إنكار ذلك ، وإن كان ذلك إمّا لجهله وغباوته ، أو لم يكن من الصالحين ، وكلّ طلحة طالح ، وكلّ نعمة عند أعداء أهل البيت عليهم السلام نغمة .

---

(١) بحار الأنوار : ٢٤٤/٤٤ ، الحديث ٤٢ .

هذا ، ومضافاً إلى صحّة بكاء الأنبياء عليهم السلام عليه ـ بأبي واُمّي ـ الذي لا يمكن ذلك إلّا بعد إخبارهم ، وبيان كيفيّة الفاجعة العظمى ، كما سيأتي بيان ذلك أيضاً .

قال سيّدنا شرف العترة الطاهرة قدس سره : « بل صحّ أنّه قد بكاه آدم ونوح وإبراهيم وإسماعيل وموسى وعسى وزكريّا ويحيى والخضر وسليمان عليهم السلام »[١] ، وكفى بقول هذا النحرير المتضلّع حجّة ودليلاً في المقام .

علم زكريا عليه السلام بقتل سليل النبوّة عليه السلام

روى شيخنا الطوسي قدس سره في الاحتجاج : بسنده عن سعد بن عبدالله : روى شيخنا الطوسي قدس سره في الاحتجاج : بسنده عن سعيد بن عبدالله ، قال : « سألت الحسن العسكري عليه السلام عن مسائل ، فقال : **فاسأل قرّة عيني** ـ وأومأ إلى القائم عليه السلام ـ **عمّا بدا لك** ، وكان القائم في ذلك الوقت صغيراً يلعب بين يدي والده ، فسألته عليه السلام عن تأويل ﴿**كهيعص**﴾[٢] .

فقال : **هذه الحروف من أنباء الغيب أطلع الله عليها عبده زكريا ، ثمّ قصّها على محمّد** صلى الله عليه وآله **؛ وذلك أنّ زكريّا** عليه السلام **سأل ربّه أن يعلّمه أسماء الخمسة ، فأهبط عليه جبرئيل فعلّمه إيّاها ، فكان زكريّا إذا ذكر محمّداً وعليّاً وفاطمة والحسن سُرّي[٣] عنه همّه ، وانجلى كربه ، وإذا ذكر اسم الحسين** عليه السلام **خنقته العبرة ، ووقعت عليه البهرة[٤]** .

فقال عليه السلام **ذات يوم : إلٰهي ، ما بالي إذا ذكرت أربعاً منهم تسلّيت بأسمائهم من همومي ، وإذا ذكرت الحسين تدمع عيني وتثور زفرتي** .

---

(١) المقدّمة : الصفحة ١٨ .

(٢) مريم ١٩ : ١ .

(٣) **سري عنه همّه** ـ بضمّ السين وكسر الراء المشدّدة ـ : انكشف .

(٤) **البهرة** ـ بضمّ ـ : تتابع النَّفَس .

فأنبأه الله تبارك وتعالى عن قصّته، فقال: ﴿كهيعص﴾، فالكاف: اسم كربلاء، والهاء: هلاك العترة الطاهرة، والياء: يزيد، وهو ظالم الحسين عليه السلام، والعين: عطشه، والصاد: صبره، فلمّا سمع ذلك زكريّا عليه السلام لم يفارق مسجده ثلاثة أيّام، ومنع فيهنّ النّاس من الدخول عليه، وأقبل على البكاء والنحيب، وكان يرثيه: إلٰهي، أتفجع خير جميع خلقك بولده، إلٰهي، أتنزل بلوى هذه الرزيّة بفنائه، إلٰهي أتلبس عليّاً وفاطمة ثوب هذه المصيبة، إلٰهي أتحلّ كربة هذه المصيبة بساحتهما.

ثمّ كان يقول: إلٰهي، ارزقني ولداً تقرّ به عيني على الكِبَر، فإذا رزقتنيه فافتنّي بحبّه، ثمّ افجعني به كما تفجع محمّداً حبيبك بولده، فرزقه الله يحيى، وفجعه به، وكان حمل يحيى ستّة أشهر وحمل الحسين كذلك»، الحديث[١]، فلاحظ.

أقول: وكتاب «**الاحتجاج**» من الكتب المعتبرة المعروفة لدى علمائنا، وكذلك مؤلّفه من أجلّاء الطائفة، أثنى عليه العلماء وعلى كتابه الشريف.

قال رحمه الله في أوّل الاحتجاج: «ولا نأتي في أكثر ما نورده من الأخبار بإسناده، إمّا لوجود الإجماع عليه، أو موافقته لما دلّت العقول عليه، أو لاشتهاره في السير والكتب بين المخالف والمؤالف»[٢].

وقال العلّامة المجلسي قدس سره في «**البحار**»: «وكتاب الاحتجاج وإن كان أكثر أخباره مراسيل، لكنّها من الكتب المعروفة المتداولة، وقد أثنى السيّد ابن طاووس على الكتاب وعلى مؤلّفه، وقد أخذ عنه أكثر المتأخّرين»[٣]، انتهى.

فاعتماد فقهائنا عليه، وأخذهم منه، مع ما عرفت من كلام المصنّف، ممّا يقوّي صحّة أخباره، وإنّا لو بنينا على أخبار الأُصول والكتب الأربعة لما وفت الأحكام

(١) الاحتجاج: ٢٧٢/٢.

(٢) الاحتجاج: ١٠/١.

(٣) بحار الأنوار: ١٢

والسنن كلّها ، كما لا يخفى .

وسعد بن عبدالله بن أبي خلف الأشعري القمّي ، قال العلّامة في « **الخلاصة** » : « يكنّى أبا القاسم ، جليل القدر ، واسع الأخبار ، كثير التصانيف ، ثقة ، شيخ هذه الطائفة وفقيهها ووجيهها ، ولقى مولانا أبا محمّد العسكري عليه السلام »[(١)].

وحكم الصدوق بصحّتها »[(٢)].

ونقل المحقّق الوحيد رحمه الله كلام جدّه ، وسكت عنه ، والسكوت علامة الرضا ، ووثّقه صاحب منهج المقال ، ولرواية ابن قولويه عنه بواسطة أبيه وأخيه عنه ، وبالإجمال المراجع لترجمته لا يشكّ في ثقته وجلالته ، وليس هنا محلّ بيانه ، فراجع ولاحظ .

وممّا يدلّ على علم الأنبياء ، بل أُممهم ، بقتل ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ما رواه شيخنا الصدوق رحمه الله في الأمالي : عن سالم بن جعدة ، قال : « سمعت كعب الأحبار يقول : إنّ في كتابنا أنّ رجلاً من ولد محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله يُقتل ولا يجفّ عرق دوابّ أصحابه حتّى يدخلوا الجنّة فيعانقوا الحور العين ، فمرّ بنا الحسن عليه السلام فقلنا هو هذا ؟

قال : لا ، فمرّ بنا الحسين فقلنا : هو هذا ؟

فقال : نعم »[(٣)].

وفيه أيضاً : عن إمام لبني سليم عن أشياخ لهم قالوا : « غزونا بلاد الروم فدخلنا كنيسة من كنائسهم ، فوجدنا فيها مكتوباً :

---

(١) خلاصة الأقوال : ١٥٦ .

(٢) ذكرها الشيخ الصدوق رحمه الله في كتابه كمال الدين وتمام النعمة : ٤٦١ ، ولكن لم أعثر على تصحيحه لها ، وهو نفسه لم يلتزم بصحّة جميع ما في كتابه هذا .

(٣) أمالي الصدوق : ٢٠٣ ، الحديث ٢٢٠ .

أيرجو معشرٌ قتلوا حسيناً شفاعة جدّه يوم الحساب

قالوا: فسألنا منذ كم هذا في كنيستكم؟

قالوا: قبل أن يبعث نبيّكم بثلثمائة عام»(١).

وفي «**حياة الحيوان**» للدميري ما هذا نصّه: «ثمّ إنّ عبيدالله بن زياد جهّز عليّ بن الحسين ومن كان مع الحسين من حرمه، أن اعتمدوا ما اعتمدوه من سبي الحريم وقتل الذراري ممّا تقشعّر من ذكره الأبدان، وترتعد منه الفرائص، إلى البغيض يزيد بن معاوية، وهو يومئذٍ بدمشق، مع الشمر بن ذي الجوشن في جماعة من أصحاب، فساروا إلى أن وصلوا إلى دير في الطريق، فنزلوا ليقيلوا به، فوجدوا مكتوباً على بعض جدرانه:

أترجو اُمّة قتلت حسيناً شفاعة جدّه يوم الحساب

فسألوا الراهب عن السطر ومن كتبه، فقال: إنّه مكتوب هنا قبل أن يبعث نبيّكم بخمسمائة عام»(٢).

وفي «**كامل الزيارات**»: عن خالد الربعي، قال: «حدّثني من سمع كعباً يقول: أوّل من لعن قاتل الحسين بن عليّ: إبراهيم خليل الرحمن، وأمر بذلك ولده، وأخذ عليهم العهد والميثاق.

ثمّ لعنه موسى بن عمران، وأمر اُمّته بذلك.

ثمّ لعنه داود، وأمر بني إسرائيل بذلك.

ثمّ لعنه عيسى وأكثر أن قال: يا بني إسرائيل، العنوا قاتله وإن أدركتم أيّامه فلا تجلسوا عنه، فإنّ الشهيد معه كالشهيد مع الأنبياء مقبلاً غير مدبر، وكأنّي أنظر

---

(١) أمالي الصدوق: ١٩٣، الحديث ٢٠٣.

(٢) حياة الحيوان: ٧٨.

إلى بقعته ، وما من نبيّ إلّا وقد زاركربلاء ووقف عليها .

وقال : إنّكِ لبقعة كثيرة الخير ، فيك يدفن القمر الأزهر »[١] ، انتهى .

ما نزل من القرآن في قتل الحسين عليه السلام

منها : قوله تبارك وتعالى : ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً**﴾[٢] .

روى شيخنا الأجلّ ابن قولويه في «**كامل الزيارات**» : بسنده عن صالح بن سهل ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى : ﴿**لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ**﴾ ، قال : «**قتل أمير المؤمنين عليه السلام ، وطعن الحسن بن عليّ عليه السلام ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً﴾ قتل الحسين بن عليّ عليه السلام** »[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ** ﴾[٤] .

عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : « **نزلت في الحسين بن عليّ عليهما السلام** »[٥] .

وقوله تعالى : ﴿**وَمَن قُتِلَ مُظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِف فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً**﴾[٦] .

عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : « **ذلك قائم آل محمّد يخرج فيقتل بدم الحسين عليه السلام** ،

---

(١) كامل الزيارات : ١٤٢ ، الحديث ١٦٧ . وانظر الباب ١٩ علم الأنبياء بقتل الحسين بن عليّ عليهما السلام ، الصفحة ٦٤ .

(٢) الإسراء ١٧ : ٤ .

(٣) كامل الزيارات / ابن قولويه : ٦٢ .

(٤) التكوير ٨١ : ٨ و ٩ .

(٥) كامل الزيارات : ١٣٤ .

(٦) الإسراء ١٧ : ٣٣ .

فلو قتل أهل الأرض لم يكن مسرفاً».

وقوله: ﴿**فَلا يُسْرِف فِي الْقَتْلِ**﴾ «**لم يكن ليصنع شيئاً يكون سرفاً»**.

ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام: «**يقتل والله ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائها**»(١).

وستأتي جملة أُخرى من الآيات في طيّ مباحث هذا الكتاب إن شاء الله تعالى، فراجع.

علم النبيّ صلى الله عليه وآله وإخباره بقتل سبطه الحسين

في «**الصواعق المحرقة**»، قال: وأخرج ابن سعد أنّه صلّى الله عليه [وآله] وسلّم كان له مشربة درجتها في حجرة عائشة، يرقى إليها إذا أراد لقاء جبرئيل، فرقى إليها وأمر عائشة أن لا يطّلع إليها أحد، فرقى حسين عليه السلام ولم تعلم به، فقال جبرئيل عليه السلام: من هذا؟

قال: **ابني**، فأخذه رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم فجعله على فخذه.

فقال جبرئيل: ستقتله اُمّتك.

فقال صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: **ابني**.

قال: نعم، وإن شئت أخبرتك الأرض التي يُقتل فيها، فأشار جبرئيل بيده إلى الطفّ بالعراق، فأخذ منها تربة حمراء فأراه إيّاها، وقال: هذه تربة مصرعه»(٢).

وفي مستدرك الصحيحين: بسنده عن شدّاد بن عبدالله، عن أُمّ الفضل بنت الحارث: أنّها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله، رأيت حلماً منكراً الليلة.

---

(١) كامل الزيارات: ١٣٥.

(٢) الصواعق المحرقة: ١١٥.

قال : **وما هو ؟**

قالت : إنّه شديد .

قال : **وما هو .**

قالت : رأيت كأنّ قطعة من جسدك قُطعت ووضعت في حجري .

فقال رسول الله : **خيراً رأيت ، تلد فاطمة غلاماً فيكون في حجرك** ، فولدت فاطمة عليها السلام الحسين .

قالت : وكان في حجري كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ، فدخلت به يوماً على النبيّ فوضعته في حجره ، ثمّ حانت منّي التفاتة فإذا عينا رسول الله صلى الله عليه وآله تهرقان بالدموع ، فقلت : بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله ، ما لك ؟

قال : **أتاني جبرئيل فأخبرني أنّ أُمّتي ستقتل ابني هذا، وأتاني بتربة حمراء من تربته** »(١) . هذا حديث صحيح على شرط الشيخين .

وفيه أيضاً : بسنده عن عبدالله بن وهب بن زمعة ، قال : « أخبرتني أُمّ سلمة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله اضطجع ذات ليلة للنوم فاستيقظ وهو خائر ، ثمّ اضطجع فرقد ثمّ استيقظ وهو خائر دون ما رأيت به المرّة الأُولى ، ثمّ اضطجع فاستيقظ وهو في يده تربة حمراء يقبّلها ، فقلت : ما هذه التربة يا رسول الله ؟

قال : **أخبرني جبرئيل** عليه السلام **أنّ هذا يقتل بأرض العراق ـ الحسين ـ فقلت لجبرئيل : أرني تربة الأرض التي يُقتل بها ، فهذه تربتها** »(٢) .

وفي « **مسند أحمد بن حنبل** » : بسنده عن أنس بن مالك : أنّ ملك المطر استأذن ربّه أن يأتي النبيّ صلى الله عليه وآله ، فأذن له .

---

(١) مستدرك الصحيحين : ٣/١٧٦ . ورواه الشبلنجي في نور الأبصار : ١٢١ .

(٢) مستدرك الصحيحين : ٤/٣٩٨.

فقال لأُمّ سلمة : **أملكي علينا الباب لا يدخل علينا أحد** .

قال : وجاء الحسين عليه السلام ليدخل ، فمنعته ، فوثب فدخل ، فجعل يقعد على ظهر النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم وعلى منكبه وعلى عاتقه .

قال : فقال الملك للنبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : أتحبّه ؟

قال : **نعم** .

قال : أما إنّ أُمّتك ستقتله ، وإن شئت أريتك المكان الذي يُقتل فيه ، فضرب بيده ، فجاء بطينة حمراء ، فأخذتها أُمّ سلمة فصرّتها في خمارها .

قال : قال ثابت ـ يعني أحد رواة الحديث ـ بلغنا أنّها كربلاء[١] .

وفي « **مسند أحمد بن حنبل** » : بسنده عن عائشة (أو أُمّ سلمة) : أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لإحداهما : **لقد دخل علَيَّ البيت ملك لم يدخل علَيَّ قبلها فقال لي : إنّ ابنك هذا حسين مقتول ، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يُقتل بها** .

قال : فأخرج تربة حمراء[٢] .

وفي « **ذخائر العقبى** » : عن أُمّ سلمة ، قالت : كان جبرئيل عند النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم والحسين معه ، فبكى فتركته ، فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال جبرئيل : أتحبّه يا محمّد ؟

قال : **نعم** .

قال : إنّ أُمّتك ستقتله ، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يُقتل بها ، فبسط جناحه إلى الأرض فأراه أرضاً يقال لها كربلاء .

---

(١) مسند أحمد بن حنبل : ٣/٢٤٢.

(٢) مسند أحمد بن حنبل : ٦/٢٦٤.

قال : أخرجه ابن بنت منيع[١].

وفي «**كفاية الطالب**» : بسنده عن أبي وائل شقيق بن سلمة ، عن أُمّ سلمة ، قالت : «كان الحسن والحسين يلعبان بين يدي النبيّ صلى الله عليه وآله في بيتي ، فنزل جبرئيل وقال : يا محمّد ، إنّ أُمّتك تقتل ابنك من بعدك ، وأومأ بيده إلى الحسين عليه السلام ، وناوله كفّاً من التراب ، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وضمّه إلى صدره ، وشمّ رسول الله صلى الله عليه وآله التراب وقال : **ويح كرب وبلا**.

ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **وديعة عندك هذه التربة يا أُمّ سلمة إذا تحوّلت هذه التربة دماً فاعلمي انّ ابني قد قُتل**.

قال : فجعلتها أُمّ سلمة في قارورة ، ثمّ جعلت تنظر إليها كلّ يوم وتقول : إنّ يوماً تحوّلين دماً ليوم عظيم »[٢].

قلت : رواه الطبراني في معجمه ، وأخرجه محدّث الشام عنه ، وعن غيره ، في كتابه بطرق شتّى بألفاظ مختلف.

وفيه أيضاً : بسنده عن أشعث بن سحيم ، عن أبيه ، قال : « سمعت أنس بن الحرث يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : **إنّ ابني هذا ـ يعني الحسين ـ يُقتل بأرض كربلاء ، فمن شهد ذلك منكم فلينصره**.

قال : فخرج أنس بن الحرث إلى كربلاء فقتل مع الحسين عليه السلام ».

قلت : رواه محدّث الشام في كتابه »[٣] ، انتهى.

أقول: ورواه ابن الأثير في «**أُسد الغابة**» بترجمة أنس والحارث ، وابن حجر

---

(١) ذخائر العقبى : ١٤٧.

(٢) كفاية الطالب : ٢٧٩.

(٣) كفاية الطالب : ٢٨١.

في «**الإصابة**» في ترجمة أنس، والمحبّ الطبراني في «**ذخائر العقبى**».

وفي «**كفاية الطالب**» أيضاً: بسنده عن جبير، عن ابن عبّاس، قال: «أوحى الله تعالى إلى محمّد صلى الله عليه وآله: إنّي قتلت بيحيى بن زكريّا سبعين ألفاً، وإنّي قاتل بابن بنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً».

قلت: أخرجه مؤرّخ العراق في كتابه، وأخرجه عنه محدّث الشام في تاريخه.

وقلت: ورواه ابن حجر في صواعقه أيضاً.

وفي «**أعلام النبوّة**»: ما رواه عن عروة، عن عائشة، قالت: «دخل الحسين بن عليّ رضي الله تعالى عنهما على رسول الله وهو يوحى إليه، فبرك على ظهره وهو منكب ولعب على ظهره.

فقال جبرئيل: يا محمّد، إنّ أُمّتك ستفتن بعدك ويُقتل ابنك هذا من بعدك، ومدّ يده فأتاه بتربة بيضاء، وقال: في هذه الأرض يقتل ابنك، اسمها الطفّ، فلمّا ذهب جبرئيل خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أصحابه والتربة في يده، وفيهم أبو بكر وعمر وعليّ وحذيفة وعمّار وأبو ذرّ، وهو يبكي، فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله.

فقال: **أخبرني جبرئيل أنّ ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطفّ، وجائني بهذه التربة فأخبرني أنّها فيها مضجعه**»[١].

أقول: وما أشبه هذا المجلس بمجالسنا التي نعقدها اليوم لأجل مصيبة الحسين عليه السلام، ولا ينبغي الشكّ لموحّد في حضور النبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ في مجالسنا، كيف وقد بكى صلى الله عليه وآله قبل قتله، وأقام مأتماً قبل وقوع الحادثة فبعده أوْلى، وانظر واحكم أنّ الذين منعوا البكاء ويمنعون إقامة العزاء هل يواسون النبيّ صلى الله عليه وآله؟ أم نحن الشيعة الإماميّة الإثني عشريّة؟ كذبت أُمّهاتهم بما يدّعونه من قولهم الإفك والزور.

---

(١) أعلام النبوّة: ٨٣.

وفي «**كنز العمّال**» بهامش مسند أحمد بن حنبل : قال : أخرج الطبراني في الكبير عن المطلّب بن عبدالله بن حنطب ، عن أُمّ سلمة ، قالت : «كان النبيّ صلى الله عليه وآله جالساً ذات يوم في بيتي ، فقال : **لا يدخلنّ علَيَّ أحد** .

فانتظرت ، فدخل الحسين ، فسمعت نشيج النبيّ صلى الله عليه وآله يبكي ، فاطّلعت فإذا الحسين في حجره أو إلى جنبه يمسح رأسه وهو يبكي ، فقلت : والله ما علمت به حتّى دخل .

قال النبيّ صلى الله عليه وآله : **إنّ جبرئيل كان هنا فقال : إنّ أُمّتك ستقتل هذا بأرض يقال لها كربلاء .**

فتناول جبرئيل من ترابها فأراه النبيّ صلى الله عليه وآله ، فلمّا أُحيط بالحسين حين قتل قال : **ما اسم هذه الأرض ؟**

قالوا : أرض كربلاء .

قال : **صدق رسول الله صلى الله عليه وآله أرض كرب وبلاء** »(١) ، انتهى .

وفي «**العقد الفريد**» ، قال : ومن حديث أُمّ سلمة زوج النبيّ صلى الله عليه وآله قالت : «كان عندي النبيّ صلى الله عليه وآله ومعي الحسين ، فدنا من النبيّ صلى الله عليه وآله فأخذته فبكى ، فتركته ، فدنا منه فأخذته فبكى ، فتركته ، فقال جبرئيل : أتحبّه يا محمّد ؟

قال : **نعم** .

قال : أما إنّ أُمّتك ستقتله ، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يُقتل بها ، فبسط جناحيه فأراه منها ، فبكى النبيّ صلى الله عليه وآله » ، انتهى .

وفي الصواعق المحرقة : أخرج ابن سعد والطبراني عن عائشة : « أنّ النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم قال : **أخبرني جبرئيل أنّ ابني الحسين يُقتل بعدي بأرض**

---

(١) كنز العمّال : ١١٢/٥.

الطفّ ، وجاءني بهذه التربة فأخبرني أنّ فيها مضجعه »[١] .

وفيه أيضاً : أخرج أبو داود والحاكم عن اُمّ الفضل بنت الحرث : « أنّ النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم قال : **أتاني جرئيل فأخبرني أنّ اُمّتي ستقتل ابني هذا ـ يعني الحسين ـ وأتاني بتربة حمراء** » .

وأخرج أحمد : « **لقد دخل علَيَّ البيت ملك لم يدخل علَيَّ قبلها فقال : إنّ ابنك هذا حسيناً مقتول ، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يُقتل بها ، فأخرج تربة حمراء** » .

وفيه أيضاً ، قال : أخرج البغوي في معجمه من حديث أنس : أنّ النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم قال : **استأذن ملك القطر ربّه أن يزورني ، فأذن له ، وكان في يوم اُمّ سلمة** ، فقال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : **يا اُمّ سلمة ، احفظي علينا الباب لا يدخل أحد** ، فبينا هي على الباب إذ دخل الحسين ، فاقتحم ، فوثبت على رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ، فجعل رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يلثمه ويقبّله فقال له الملك : أتحبّه ؟

قال : **نعم** .

قال : إنّ اُمّتك ستقتله ، وإن شئت اُريك المكان الذي يُقتل به ، فأراه ، فجاء بسهلة أو تراب أحمر فأخذته اُمّ سلمة فجعلته في ثوبها ، قال ثابت : كنّا نقول إنّها كربلاء » .

وأخرجه أيضاً أبو حاتم في صحيحه ، وروى أحمد نحوه ، وروى عبدالحميد وابن أحمد نحوه أيضاً ، لكن فيه : إنّ الملك جبرئيل ، فإن صحّ فهما واقعتان .

وزاد الثاني أيضاً : أنّه صلّى الله عليه [وآله] وسلّم شمّها وقال : **ريح كرب وبلاء** .

قالت : ثمّ ناولني كفّاً من تراب أحمر وقال : **إنّ هذا من تربة الأرض التي يُقتل بها ، فمتى صار دماً فاعلمي أنّه قد قتل** .

---

(١) الصواعق المحرقة : ١٥٥.

قالت أُمّ سلمة : فوضعته في قارورة عندي ، وكنت أقول : إنّ يوماً يتحوّل فيه دماً ليوم عظيم .

وفي رواية : « فأصبته يوم قُتل الحسين وقد صار دماً » .

وفي أُخرى : « ثمّ قال ـ يعني جبرئيل ـ : ألا أُريك تربة مقتله ، فجاء بحصيّات فجعلهنّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم في قارورة .

قالت أُمّ سلمة : فلمّا كانت ليلة قُتل الحسين سمعت قائلاً يقول :

أيّها القاتلون جهلاً حسيناً ابشروا بالعذاب والتذليل

قد لعنتم على لسان بن داود وموسى وحامل الإنجيل

قالت : فبكيت وفتحت القاروة فإذا الحصيّات قد جرت دماً » ، انتهى .

أقول: لا يخفى أنّ هذه الأخبار التي نقلناها لك قد اشتملت على مطلبين :

أحدهما: إخبار النبيّ صلى الله عليه وآله أصحابه بقتل ولده ، وفلذّة كبده (صلوات الله عليه) .

وثانيهما: بكاؤه عليه ، وبكاء كلّ من الصحابة ، وأُمّ سلمة ، فعليه ينبغي على كلّ مسلم يعتقد بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله أن يواسيه بالبكاء على الحسين عليه السلام ، ولكم برسول الله أُسوة حسنة ، مضافاً إلى علم الملائكة بقتله عليه السلام ، والدلالة الواضحة على حسن هذه المجالس التي تقام لأجل ذكره ومصابه عليه السلام كما عرفت ذلك .

هذا ، وأمّا الأخبار الواردة عن طرقنا في الكتب المعتبرة من إخباره صلى الله عليه وآله بقتله ، فكثيرة جدّاً ، جاءت في كتب المناقب والمقاتل .

فمنها : ما رواه الصدوق أعلى الله درجته في « **الأمالي** » : بسنده عن ابن عبّاس ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **من سرّه أن يحيى حياتي ، ويموت ميتتي ، ويدخل جنّة عدن منزلي ، فكان يتمسّك قضيباً غرسه ربّي عزّ وجلّ ، ثمّ قال له : كن ، فيكون ، فليتولّ عليّ بن أبي طالب والأوصياء وليأتمّ بالأوصياء من ولده ، فإنّهم عترتي ، خلقوا من**

طينتي ، إلى الله أشكو أعدائهم من أُمّتي ، المنكرين لفضلهم ، القاطعين فيهم صلتي ، وأيم الله ليقتلنّ ابني بعدي الحسين لا أنالهم الله شفاعتي »[١] .

وفي « **الأمالي** » : بسنده عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : « **كان النبيّ صلى الله عليه وآله في بيت أُمّ سلمة رضي الله عنها فقال لها : لا يدخل علَيَّ أحد ، فجاء الحسين وهو طفل ، فما ملكت معه شيئاً حتّى دخل على النبيّ صلى الله عليه وآله ، فدخلت أُمّ سلمة على أثره ، فإذا الحسين على صدره ، وإذا النبيّ يبكي ، فإذا في يده شيء يقلّبه .**

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : يا أُمّ سلمة ، إنّ هذا جبرئيل يخبرني أنّ هذا مقتول ، وهذه التربة التي يُقتل عليها ، فضعيها عندك ، فإذا صارت دماً فقد قُتل حبيبي .

فقالت أُمّ سلمة : يا رسول الله ، سل الله أن يدفع ذلك عنه ؟

قال : قد فعلت ، فأوحى الله عزّ وجلّ إليَّ أنّ له درجة لا ينالها أحد من المخلوقين ، وأنّ له شيعة يشفعون فيشفّعون ، وأنّ المهدي من ولده ، فطوبى لمن كان من أولياء الحسين وشيعته ، هم والله الفائزون يوم القيامة »[٢] ، انتهى .

وفي تفسير مولانا عليّ بن إبراهيم « **القمّي** » : بإسناده إلى الصادق عليه السلام ، قال : « **كان الحسين عليه السلام مع أُمّه تحمله ، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : لعن الله قاتليك ، ولعن الله سالبيك ، وأهلك الله المتآزرين عليك ، وحكم الله بيني وبين من أعان عليك .**

فقالت فاطمة عليها السلام : يا أبةِ ، أيّ شيء تقول ؟

قال : يا بنتاه ، ذكرت ما يصيبه بعدي وبعدك من الأذى والظلم والغدر والبغي ،

---

(١) أمالي الصدوق : ٨٩ ، الحديث ٦٠ . كامل الزيارات : ١٤٦ ، الحديث ١٧١ و١٤٨ ، الحديث ١٧٥ . ولم نجده في كتب المفيد . بصائر الدرجات : ٦٩ ، الحديث ٥ و : ٧٢ ، الحديث ١٧ . الإمامة والتبصرة : ٤٢ ، الحديث ٢٣ .

(٢) أمالي الصدوق : ٢٠٣ ، الحديث ٢١٩ .

وهو يومئذٍ في عصبة كأنّهم نجوم السماء يتهادون إلى القتل ، وكأنّي أنظر إلى معسكرهم وإلى موضع رحالهم وتربتهم .

فقالت : يا أبةِ ، وأين هذا الموضع الذي تصف ؟

قال : موضع يقال له كربلاء ، وهي دار كرب وبلاء . . . »(١) .

وسيأتي تتمّة في فضل البكاء عليه ، وثواب لعن قاتليه ، وخلدوهم في النار ، وفي فضل زيارته ، فراجع ، وهو حديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة ، فلاحظ .

ورواه شيخنا الأجلّ ابن قولويه في الكامل .

هذا ، وراجع إخبار عائشة بقتل الحسين عليه السلام من «**كامل الزيارات**» من إخبار النبيّ الحسين بقتله .

علم أمير المؤمنين عليه السلام بقتل ولده وإخباره بذلك

في «**الصواعق المحرقة**» ، قال : وأخرج ابن سعد عن الشعبي ، قال : « مرّ عليّ رضي الله عنه بكربلاء عند مسيره إلى صفّين ، وحاذى نينيوى قرية على الفرات ، فقوف وسأل عن اسم هذه ، فقيل : كربلاء ، فبكى حتّى بلّ الأرض من دموعه ، ثمّ قال : **دخلت على رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم وهو يبكي ، فقلت : يا يبكيك ؟**

قال : كان عندي جبرئيل آنفاً وأخبرني أنّ ولدي الحسين يقتل بشاطئ الفرات ، بموضع يقال له كربلاء ، ثمّ قبض جبرئيل قبضة من تراب شمّني إيّاه ، فلم أملك عيني أن فاضتا »(٢) .

ورواه أحمد مختصراً عن عليّ ، قال : « **دخلت على النبيّ . . .** » الحديث .

---

(١) بحار الأنوار : ٤٤/٢٦٤ .

(٢) الصواعق المحرقة : ١١٥ .

وروى الملّا : « إنّ عليّاً مرّ بقبر الحسين فقال : **هاهنا مناخ ركابهم ، وهاهنا موضع رحالهم ، وهاهنا مهراق دمائهم ، فتية من آل محمّد يقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض** » ، انتهى .

وفي « **مسند أحمد بن حنبل** » : عن عبدالله ابن نجا ، عن أبيه : « أنّه سار مع عليّ عليه السلام ، وكان صاحب مطهرته ، فلمّا حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفّين فنادى عليّ عليه السلام : **اصبر أبا عبدالله ، اصبر أبا عبدالله بشطّ فرات .**

قلت : وماذا ؟

قال : **دخلت على النبيّ صلى الله عليه وآله ذات يوم وعيناه تفيضان .**

قلت : يا نبيّ الله ، أغضبك أحد ، ما شأن عينيك تفيضان ؟

قال : بل قام من عندي جبرئيل فحدّثني أنّ الحسين يقتل بشطّ الفرات .

قال : فقال : هل لك أن أُشمّك من تربته ؟

قال : قلت : نعم ، فمدّ يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها ، فلم أملك عيني أن فاضتا »(١) .

أقول : ورواه في « **منتخب كنز العمّال** » بهامش مسند أحمد بن حنبل أيضاً ، فراجع(٢) .

وفي « **أُسد الغابة في معرفة الصحابة** » في ترجمة غرفة الأزدي ، قال : روى عنه أبو صادق ـ وكان من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ، ومن أصحاب الصفّة ، وهو الذي دعا النبيّ صلى الله عليه وآله أن يبارك له في صفقته ـ قال : دخلني شكّ من شأن عليّ عليه السلام ، فخرجت معه على شاطئ الفرات ، فعدل عن الطريق ووقف ووقفنا

(١) مسند أحمد بن حنبل : ١/٨٥.

(٢) كنز العمّال : ٥/١١٢.

حوله ، فقال بيده : **هذا موضع روحلهم ، ومناخ ركابهم ، ومهراق دمائهم ، بأبي من لا ناصر له في الأرض ولا في السماء إلّا الله** ، فلمّا قتل الحسين عليه السلام خرجت حتّى أتيت المكان الذي قتلوه ، فإذا هو كما قال ما أخطأ شيئاً .

قال : فاستغفرت الله ممّا كان منّي من الشكّ ، وعلمت أنّ عليّاً عليه السلام لا يقدّم إلّا بما عهد إليه »[1] ، انتهى .

أقول : ويستفاد من هذه الرواية أيضاً أحقّيّته بالخلافة من غيره ، وأنّه وصيّ وخليفة حقّ بعد النبيّ صلى الله عليه وآله بلا فصل ؛ لأنّه عليه السلام نازع القوم بحقّه ، وأقدم على طلبه ، حتّى امتنع عن البيعة ، وما بايع إلّا بعد وفاة فاطمة عليها السلام بالجبر والإكراه كما لا يخفى ، وليس ذلك إلّا بما عهد إليه النبيّ صلى الله عليه وآله من أمر الخلافة .

وفي « **كنز العمّال** » : عن عليّ عليه السلام ، قال ـ يعني عليّ ـ : « **ليقتلنّ الحسين قتلاً ، وإنّي لأعرف تربة الأرض التي بها يقتل قريباً من النهرين** » . أخرجه ابن أبي شيبة[2] .

وفي « **مجمع الزوائد** » : عن أبي خيرة ، قال : « صحبت عليّاً عليه السلام حتّى أتى الكوفة ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : **كيف أنتم إذا نزل ذرّيّة نبيّكم بين ظهارانيكم ؟**

قالوا : إذا نبلي في الله فيهم بلاءً حسناً .

فقال : **والذي نفسي بيده ، لينزلنّ بين ظهرانيكم ولتخرجنّ إليهم فلتقتلنهم** ، ثمّ أقبل يقول :

هم أوردوه بالغرور وعربدوا ... أجيبوا دعاه لا نجاة ولا عذرا »[3]

---

(١) أُسد الغابة : ٤/١٦٩ .

(٢) كنز العمّال : ٧/١١٠ .

(٣) مجمع الزوائد : ٩/١٩١ .

وفي «**شرح النهج**» ـ عند بيان جملة من كلامه عليه‌السلام الذي صحّ عنده، ونقله ولم يذكر في أصل النهج الذي جمعه السيد رحمه‌الله ـ قال: «ومن ذلك أنّ تيم بن اُسامة بن زهير بن دريد التميمي اعترضه وهو يخطب على المنبر، ويقول: **سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله ما تسألوني عن فئة تضلّ مائة أو تهدي مائة، إلّا اُنبئكم بناعقها وسائقها، ولو شئت لأخبرت كلّ واحد منكم مخرجه ومدخله، وجميع شأنه**.

فقال له: فكم في رأسي طاقة شعر؟

فقال: **أما والله إنّي لأعلم ذلك، ولكن أين برهانه لو أخبرتك به. ولقد أخبرتك بقيامك دفعاً لك، وقيل لي: إنّ على كلّ شعرة من شعر رأسك ملكاً يلعنك، وشيطاناً يستفزّك، وآية ذلك أنّ في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله، ويحرّض على قتله** فكان الأمر بموجب ما أخبر به عليه‌السلام، حيث كان ابنه حصين ـ بالصاد المهملة ـ يومئذٍ طفلاً صغيراً يرضع اللبن، ثمّ عاش إلى أن صار على شرطة عبيدالله بن زياد لعنه الله، وأخرجه عبيدالله إلى عمر بن سعد يأمره بمناجزة الحسين عليه‌السلام، ويتوعدّه على لسانه، أن ارجع ذلك، فقُتل عليه‌السلام صبيحة اليوم الذي ورد فيه الحصين بالرسالة في ليلته[١].

وفيه أيضاً: قال في شرح إحدى خطبه عليه‌السلام التي يشير فيها إلى ما يقع بأهل البيت عليهم‌السلام، وكأنّه كان يرمز إلى ما سيقع من قتل الحسين عليه‌السلام وأهله، وكأنّه يشاهد ذلك عياناً[٢].

وفي «**شرح النهج**»: عن أبي عبيدة، عن هرثمة بن سليم، قال: «غزونا مع عليّ عليه‌السلام صفّين، فلمّا نزل كربلاء صلّى بنا، فلمّا سلّم رفع إليه من تربتها فشمّها،

---

(١) شرح النهج: ٢/٥٠٨.

(٢) المصدر المتقدّم: ٥٠٩.

ثمّ قال : **واهاً لك يا تربة ، ليحشرن منك قوم يدخلون الجنّة بغير حساب** .

قال : فلمّا رجع هرثمة من غزاته إلى امرأته جرداء بنت سمير ، وكان من شيعة عليّ عليه السلام ، حدّثها هرثمة فيما حدث ، فقال لها : ألا أعجبك من صديقك أبي حسن قال : لما نزلنا كربلاء وقد أخذ حفنة من تربتها فشمّها وقال : **واهاً لك أيّتها التربة ليحشرنّ منك قوم يدخلون الجنّة بغير حساب** ، وما علمه بالغيب ؟

فقالت المرأة له : دعنا منك أيّها الرجل ، فإنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يقل إلّا حقّاً .

قال : فلمّا بعث عبيدالله بن زياد البعث الذي بعثه إلى الحسين عليه السلام كنت في الخيل التي بعث إليهم ، فلمّا انتهيت إلى الحسين عليه السلام وأصحابه عرفت المنزل الذي نزل فيه مع عليّ عليه السلام ، والبقعة التي رفع إليه من تربتها ، والقول الذي قاله »[١] .

في « **شرح النهج** » أيضاً ، قال نصر : « وحدّثنا مصعب ، قال : حدّثنا الأجلح بن عبدالله الكندي ، عن أبي مجيفة ، قال : جاء عروة البارقي إلى سعد بن وهب فسأله ، فقال : حديث حدّثتناه عن عليّ بن أبي طالب .

قال : نعم ، بعثني مخنف بن سليم إلى عليّ عند توجّهه إلى صفّين ، فأتيته بكربلاء ، فوجدته يشير بيده ويقول : **هاهنا** .. **هاهنا** ، فقال له رجل : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟

فقال : **ثقل آل محمّد** صلى الله عليه وآله **ينزل هاهنا ، فويل لهم منكم ، وويل لكم منهم** .

فقال له الرجل : ما معنى هذا الكلام يا أمير المؤمنين ؟

قال : **ويل لهم منكم تقتلونهم ، وويل لكم منهم يدخلكم الله بقتلهم النار** » .

قال نصر : وقد روي هذا الكلام على وجه آخر ، فقال : « **ترونهم يقتلون**

---

(١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد : ٢٧٨/١ .

لا تستطيعون لنصرهم »[١].

وفيه أيضاً: عن الحسن بن كثير، عن أبيه: « أنّ علياً عليه السلام أتى كربلاء فوقف بها، فقيل له: يا أمير المؤمنين هذه كربلاء ؟

فقال: **ذات كرب وبلاء**.

ثمّ أومأ بيده إلى مكان فقال: **هاهنا موضع رحالهم، ومناخ ركابهم**.

ثمّ أومأ بيده إلى مكان آخر فقال: **هاهنا مهراق دمائهم**، ثمّ مضى إلى ساباط »[٢]، انتهى.

وفي « **أمالي الصدوق** »: عن الأصبغ، قال: « بينا أمير المؤمنين عليه السلام يخطب الناس وهو يقول: **سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله لا تسألوني عن شيء مضى، ولا عن شيء يكون، إلّا أنبأتكم به**.

فقام إليه سعد بن أبي وقّاص فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة.

فقال له: **أما والله لقد سألتني عن مسألة حدّثني خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله أنّك ستسألني عنها، وما في رأسك ولحيتك من شعرة إلّا وفي أصلها شيطان جالس، وأنّ في بيتك لسخلاً يقتل الحسين ابني**. وعمر بن سعد يومئذٍ يدرج بين يديه »[٣]، انتهى، فلاحظ.

علم فاطمة الزهراء بقتل الحسين عليه السلام

في « **المناقب** »: عن كتاب الأنوار: « أنّ الله تعالى هنّأ النبيّ عليه السلام بحمل الحسين عليه السلام

(١) شرح نهج البلاغة: ٣/١٧٠.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٣/١٧١.

(٣) أمالي الصدوق: ١٩٦.

وولادته ، وعزّه بقتله ، فعرفت فاطمة ، فكرهت ذلك ، فنزلت : ﴿**حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً**﴾(١) ، ولم يولد مولود لستّة أشهر عاش ، غير عيسى والحسين عليهما السلام »(٢).

وروى الصدوق وغيره : بإسناد معتبر عن أبي بصير ، عن الصادق عليه السلام ، قال : « **لمّا ولدت فاطمة الحسين عليه السلام أخبرها أبوها أنّ أُمّته ستقتله من بعده ، قالت : فلا حاجة لي فيه .**

فقال : إنّ الله عزّ وجلّ قد أخبرني أنّه سيجعل الأئمّة من ولده .

قالت : رضيت »(٣).

وفي « **كامل الزيارات** » : بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام : « **إنّ جبرئيل نزل على محمّد صلى الله عليه وآله فقال : يا محمّد ، إنّ الله يقرأ عليك السلام ويبشّرك بمولود يولد من فاطمة تقتله أُمّتك من بعدك .**

فقال : يا جبرئيل ، وعلى ربّي السلام ، لا حاجة لي في مولود يولد من فاطمة تقتله أُمّتي من بعدي .

قال : فعرج جبرئيل إلى السماء ، ثمّ هبط فقال له مثل ذلك .

فقال : يا جبرئيل ، وعلى ربّي السلام ، لا حاجة لي في مولود تقتله أُمّتي من بعدي .

فعرج جبرئيل إلى السماء ثمّ هبط ، فقال له : يا محمّد ، إنّ ربّك يقرؤك السلام ويبشّرك أنّه جاعل في ذرّيّته الإمامة والولاية والوصيّة ، فقال : قد رضيت .

ثمّ أرسل إلى فاطمة عليها السلام : إنّ الله يبشّرني بمولود يولد منك تقتله أُمّتي من بعدي ،

---

(١) الأحقاف ٤٦ : ١٥.

(٢) المناقب : ١٧٩/٢.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة : ٤١٥.

فأرسلت إليه : أن لا حاجة لي في مولود منّي تقتله اُمّتك من بعدك ، فأرسل إليها : إنّ الله جاعل في ذرّيّته الإمامة والولاية والوصيّة ، فأرسلت إليه : إنّي قد رضيت ، فحملته كرهاً ووضعته كرهاً » ، الحديث[١].

وروى في حديث آخر : « أنّ الصادق عليه السلام قال : **هل رأيتم في الدنيا اُمّاً تلد غلاماً فتكرهه ، ولكنّها كرهته لأنّها علمت أنّه سيقتل »**[٢].

علم الإمام الحسن عليه السلام بقتل أخيه عليه السلام

في « **المناقب** » : عن الصادق عليه السلام : « **دخل الحسين عليه السلام على أخيه الحسن يوماً ، فلمّا نظر إليه بكى .**

فقال له الحسن : ما يبكيك يا أبا عبدالله ؟

قال : أبكي لما يصنع بك .

فقال له الحسن : إنّ الذي يؤتى إليَّ بسمّ يرمى (يومي) إليَّ فأُقتل به ، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبدالله ، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل يدّعون أنّهم اُمّة جدّك محمّد ، وينتحلون دين الإسلام ، فيجتمعون على قتلك وسفك دمك ، وانتهاك حرمتك ، وسبي ذراريك ونسائك ، وانتهاب ثقلك ، فعندها تحلّ بني اُميّة اللعنة ، وتمطر السماء دماً ورماداً ، ويبكي عليك كلّ شيء حتّى الوحوش في الفلوات ، والحيتان في البحار »[٣].

علم الإمام الحسين عليه السلام بقتله

قد عرفت سابقاً علم الحسين عليه السلام بقتله ، وأنّه خرج على يقين ما يصنع به القوم ،

---

(١) كامل الزيارات : ١٢٣ ، الحديث ١٣٧.

(٢) كامل الزيارات : ١٢٢.

(٣) رواه الصدوق قدس سره في الأمالي : ٧١.

واعتراف أُمّة المسيح بذلك، وغرضه عليه السلام من ذلك طلب الإصلاح في أُمّة جدّه صلى الله عليه وآله ، وأنّه لا يمكن ذلك إلّا بسفك دمه الطاهر، كما سمعه عن أخيه وأبيه، عن جدّه، عن الله تعالى، وكيف يمكن أن يخفى ذلك عليه وهو حجّة الله على عباده.

وممّا يدلّ على ذلك أقواله عليه السلام بالتصريح مرّة، وبالتلويح أُخرى:

فمنها: جوابه لأُمّ سلمة؛ إذ قالت له ـ كما في البحار وجلاء العيون ـ «يا بنيّ، لا تحزني بخروجك إلى العراق، فإنّي سمعت جدّك صلى الله عليه وآله يقول: **يُقتل ولدي الحسين بأرض يقال لها كربلاء**.

فقال لها: **يا أُمّاه، والله أعلم ذلك، وأنّي مقتول لا محالة، وليس لي منه بدّ، وقد شاء الله أن يراني مقتولاً، ويرى حرمي مشرّدين، وأطفالي مذبوحين**»(١).

ومنها: جوابه لأخيه محمّد بن الحنفيّة ـ بعد قوله: «ألم تعدني النظر؟» ـ قال له عليه السلام: «**بلى، ولكن أتاني رسول الله بعد ما فارقتك فقال: يا حسين، اخرج إلى العراق، فإنّ الله شاء أن يراك قتيلاً**.

فقال ابن الحنفيّة: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فما حملك هذه النسوة وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟

فقال له: **قال لي: إنّ الله شاء أن يراهنّ سبايا**»(٢).

ومنها: قوله عليه السلام في خطبته حين عزم على الخروج إلى العراق: «**كأنّي بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات بين النواميس وكربلاء**».

وقول عبدالله بن عمر له: «إنّك مقتول في وجهك هذا»، وما ظهر له ما كان ليخفى على الحسين عليه السلام.

---

(١) بحار الأنوار: ٣٣١/٤٤.

(٢) بحار الأنوار: ٣٦٤/٤٤.

وجوابه لابن عبّاس وابن الزبير إذ أشارا عليه بالإمساك ، فقال لهما ـ كما في اللهوف ـ : « **إنّ رسول الله أمرني بأمر وأنا ماضٍ فيه** ، فخرج ابن عبّاس وهو يقول : واحسيناه »(١) .

وجوابه لأخيه عمر إذ قال له حين امتنع من البيعة ليزيد لعنه الله : « حدّثني أخوك أبو محمّد عن أبيه ، ثمّ بكى حتّى علا شهيقه ، فضمّه الحسين عليه السلام إليه وقال : **حدّثك أنّي مقتول** .

قال : حوشيت يابن رسول الله صلى الله عليه وآله .

فقال : **بحقّ أبيك بقتلي أخبرك** .

قال : نعم ، فلو بايعت .

فقال الحسين عليه السلام : **حدّثني أبي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره بقتله ، وأنّ تربتي بقرب تربته** »(٢) .

ومنها : رؤياه (صلوات الله عليه) عندما أراد أن يودّع قبر جدّه النبيّ صلى الله عليه وآله ويخرج من المدينة ، وقوله صلى الله عليه وآله : « **بأبي أراك مرمّلاً بدمك بين عصابة من هذه الأُمّة ما لهم عند الله من خلاق** »(٣) .

وما رآه في الثعلبيّة ، وسؤال الحسين الفرزدق وجوابه له : « قلوبهم معك ، والسيوف مع بني أُميّة »(٤) .

ومنها : لقاؤه بشر بن غالب ، وسؤاله عن أهل الكوفة ، قال : « السيوف مع

---

(١) بحار الأنوار : ٣٦٤/٤٤ .

(٢) اللهوف : ١٢ .

(٣) بحار الأنوار : ٣١٣/٤٤ .

(٤) تاريخ الطبري : ٢١٨/٦ . الكامل في التاريخ / ابن الأثير : ١٠٠/٤ .

بني أُميّة ، والقلوب معك ، قال عليه السلام : **صدقت** »[١] .

وقوله عليه السلام في ذات العرق : « **أنّ هؤلاء أخافوني ، وهذه كتب أهل الكوفة ، وهم قاتلي ، فإذا فعلوا ذلك ولم يدعوا لله محرماً إلّا انتهكوه بعث الله إليهم من يقتلهم حتّى يكونوا أذلّ من قوم الأمَة** »[٢] .

ومنها : رؤياه عليه السلام في بطن عقبة وبعدها ، قال لأصحابه : « **ما أراني إلّا مقتولاً ، فإنّي رأيت في المنام كلاباً تنهشني ، وأشدّها علَيَّ كلب أبقع** »[٣] .

ومنها : لمّا أشار عليه عمرو بن لوذان بالرجوع إلى المدينة ، لما عليه أهل الكوفة من الغدر والخيانة ، فقال عليه السلام : « **ليس يخفى علَيَّ الرأي ، وإنّ الله غالب على أمره** »[٤] .

ومنها : قوله عليه السلام للحرّ بن يزيد الرياحي لمّا جعجع به الطريق ، وقال للحسين : إنّي أُذكّرك الله في نفسك ، فإنّي أشهد لئن قاتلت لتقتلنّ .

فقال الحسين عليه السلام : « **أفبالموت تخوّفني ، وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني ، وسأقول ما قال أخو الأوس لابن عمّه وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله** :

سأمضي وما بالموت عار على الفتى … إذا ما نوى حقّاً وجاهد مسلما
وواسى الرجال الصالحين بنفسه … وفارق مبتوراً وخالف مجرما
فإن عشت لم أندم وإن متّ لم أُلم … كفى بك ذلّاً أن تعيش وترغما »[٥]

ومنها : قوله عليه السلام لأبي هرم لمّا سأل الحسين عليه السلام من الخروج عن حرم جدّه صلى الله عليه وآله ،

---

(١) بحار الأنوار : ٣٦٧/٤٤.

(٢) بحار الأنوار : ٣٦٨/٤٤.

(٣) الكامل في التاريخ / ابن الأثير : ٧٥.

(٤) الإرشاد : ٧٦/٢.

(٥) الإرشاد : ٨١/٢.

فقال: «**يا أبا هرم، إنّ بني اُميّة شتموا عِرضي فصبرت، وأخذوا مالي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت، وأيم الله ليقتلونني فيلبسهم الله ذلاً شاملاً**»(١).

ومنها: قول اُخته زينب الكبرى (صلوات الله عليها) لمّا سمعته حين نزلوا الخزيميّة(٢).

ومنها: ما سمعه (صلوات الله عليه) في أثناء رحيله من قصر بني مقاتل؛ إذ سمع الحسين يقول: «**إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والحمد لله ربّ العالمين**»، وكرّره، فسأله ولده عليّ الأكبر عليه السلام عن سبب استرجاعه، فقال: «**إنّي خفقت برأسي فعنّ لي فارس وهو يقول: القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم، فعلمت أنّها أنفساً نعيت إلينا**»(٣).

ومنها: قوله عليه السلام: «**والله لا يدعوني حتّى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي**»(٤).

وقوله عليه السلام: «**وأيم الله، لو كنت في جحر هامة من هذه الهوامّ لاستخرجوني حتّى يقتلوني**»(٥).

وكتابه إلى بني هاشم: «**من لحق بي استشهد، ومن تخلّف عنّي لم يبلغ الفتح**»(٦)

وقوله عليه السلام لمّا أخبر بقتل قيس بن مسهّر: «**فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر**»(٧).

---

(١) أمالي الصدوق: ٢١٨.

(٢) قال عليه السلام: «**يا اُختاه، كلّ الذي قضي فهو كائن**». بحار الأنوار: ٣٧٢/٤٤.

(٣) بحار الأنوار: ٣٧٩/٤٤.

(٤) بحار الأنوار: ٣٧٥/٤٤.

(٥) بحار الأنوار: ٩٩/٤٤.

(٦) بحار الأنوار: ٨٥/٤٥.

(٧) لواعج الأشجان: ٨٠.

ومنهـا : أنّه عليه السلام ما نزل منزلاً إلّا وذكر يحيى بن زكريّا وقتله(١).

ومنهـا : قوله عليه السلام بعد نهي عبدالله بن جعفر له ، وإشفاقه عليه من ذلك الوجه أن يكون فيه هلاكه ، واستئصال أهل بيته ، أنّه رأى جدّه صلى الله عليه وآله في المنام وأخبره بما هو ماضٍ له ، وامتناعه من إخباره بالرؤيا (٢).

ومنهـا : سؤاله حين نزل كربلاء عن اسمها ، وقال له زهير : تسمّى الطفّ ، فقال : « **هل لها اسم غيره ؟** » ، فقال : تُعرف بكربلاء ، فدمعت عيناه بأبي وأُمّي ، وقال عليه السلام : « **اللّهمّ أعوذ بك من الكرب والبلاء ، هاهنا محطّ ركابنا ، وسفك دمائنا ، ومحلّ قبورنا ، بهذا حدّثني جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله** »(٣).

ومنهـا : خطبته عليه السلام حين نزل كربلاء ، وما أجابه أصحابه من الوقوف إلى جنبه ، والموت دونه لمّا أخبرهم بقتله(٤).

ومنهـا : إخباره عليه السلام ليلة عاشوراء بقوله : « **وقد أخبرني جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله بأنّي سأُساق إلى العراق ، فأنزل أرضاً يقال لها عمورا ، أو كربلاء ، وفيها استشهد ، وقد قرب الموعد** »(٥).

وغير ذلك ممّا يجده القارئ المتتبّع من كلامه وبيانه ، وإخباره عليه السلام عن قتله وقتل أصحابه ، وأنّهم معيّنون ، لا يزيدون ولا ينقصون قبل خلقهم ، وما يجري على أهل بيته عليهم السلام من الأسر والنهب ، وغير ذلك تارة بالتصريح ، وأُخرى بالتلويح ، بحيث لو أردنا بيان ذلك لخرجنا عن وضع الكتاب ، واحتجنا إلى تأليف مجلّد كبير

---

(١) بحار الأنوار : ٣٦٥/٤٤ و : ٩٠/٤٥.

(٢) بحار الأنوار : ٣٦٦/٤٤.

(٣) بحار الأنوار : ٣٨٣/٤٤ ، مع بعض الاختلاف.

(٤) بحار الأنوار : ٣١٦/٤٤.

(٥) بحار الأنوار : ٨٠/٤٥ ، مع بعض الاختلاف.

في هذا الباب.

هذا، مضافاً إلى النصوص المستفيضة الكثيرة الواردة عن أهل البيت عليهم‌السلام الدالّة على علم الأئمّة بقتلهم، وموضعه، ويومه، وعامّه، وكيفيّته، المرويّة كلّها في الكافي، وغيره من كتب الأخبار والمناقب، فراجع ولاحظ.

آية التهلكة وموردها والجواب عنها:

لا يخفى أنّ هذه الآية الشريفة، وهي قوله تعالى: ﴿**وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾[1] ممّا تمسّك بها شرذمة من الجهلاء الأغبياء لإلقاء الشبهة في أذهان العوامّ والسذّج، الذين لا يستطيعون الحيلة إلى الجواب؛ وذلك لأجل ترويج بضاعتهم الكاسدة، والحصول على مقاصدهم الفاسدة، من إطفاء هذه الأنوار الإلهيّة، وجمع المجالس والمحافل التي تعقد لأجل بيان فضائل الأئمّة وتاريخ حياتهم المشرق، وما لا قوه من الأذى والاضطهاد من أيدي الأمويّين والعبّاسيّين، ومن يحذو حذوهم لعنهم الله جميعاً، وهذه الشبهة يجدّدها من تأخّر عنهم من أذيال المستعمرين، وهم غافلون عن أنّ الدهر قد أكل عليها وشرب، وأجاب عنها علماؤنا الفحول، وأرباب المعقول والمنقول، بجوابات شافية، وتوضيحات كافية تكون في الحقيقة كالسياط القارعة على رؤوسهم، ونحن تبعاً لعلمائنا نوضّح المطلب هنا لكي لا يبقى لهم بعد ذلك مجال، وهذا هو توضيح لما أعقدوه، وإجمالاً لما فصّلوه، جزاهم الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء، فنقول:

إنّ هذه الآية الشريفة موردها هو حفظ النفس عمّا يضرّها، ويوجب هلاكها عبثاً، ومن دون فائدة تترتّب عليه، كإقدام الإنسان على قتل نفسه، أو أكل ما يضرّه إذا ما كان مقدوراً له من الحفظ ومتمكّناً من ذلك.

---

(١) البقرة ٢: ١٩٥.

وهذا الإطلاق لا يمكن أن يتمسّك به فيما إذا عارض ما هو أهمّ من حفظ النفس ، ولذلك فإنّ آيات تشريع الجهاد والدفاع عن النفس والمال والعِرض تصرّح بأنّ الذي قُتل دون ذلك فهو شهيد ،كما وتصرّح بلزوم الإقدام على ما إذا خيف على بيضة الإسلام وإن بلغ قتل النفوس إلى ما بلغ .

بل وأثنت على ما أقدم عليه النبيّون والأوصياء والصالحون لأجل الدعوة الإلهيّة ، وإرشاد الناس إلى التوحيد ، والإيمان به تبارك وتعالى ، وما لاقوه من القتل وأنواع التعذيب والمطاردة والزجّ في السجون .

وبشّرتهم الآيات بما أعّد الله لهم لأجل ذلك من المثوبات التي لا تخطر على قلب بشر ، وأثنى عليهم غاية الثناء بقوله عزّ وجلّ : ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾(١) .

وقوله تعالى : ﴿**إِنَّ اللهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ**﴾ الآية(٢) ، وهذه معاملة منه سبحانه معهم بجعل المثمن القتل في سبيله والثمن الجنّة .

وغير ذلك من الآيات التي نوّهت بمقام المجاهدين في سبيله ، لأجل إعلاء كلمته ، وحفظ شعائره .

ولو أغمضنا عن ذلك كلّه لكانت الآيات المشرعة للجهاد والدفاع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لغواً ، لا تترتّب على إنزالها وبيانها فائدة ؛ إذ هذه كلّها ممّا تستلزم القتل والمُثلة والمطاردة وذهاب النفوس والأموال الطائلة ، بل ربّما توجب غلبة الأعداء على البلاد ، وكسر صفوف المجاهدين ، ومع هذا لم تقيّد

---

(١) آل عمران ٣: ١٦٩.

(٢) التوبة ٩: ١١١.

بشيء يستلزم ذلك ؛ إذ ليس كلّ من قتل غلب ، وذهبت ضحيّته هباء منثوراً ، بل أوقفنا التاريخ على أنّ كثيراً من الذين قُتلوا لأجل الدعوة إلى الله وحفظ الإسلام والدين ، كانوا هم الفاتحين المنتصرين في الواقع ، وإن كان ظاهر الحال الغلبة للأعداء .

وقد نفى الشيباني في «**أحكام القرآن**» البعد في جواز إقدام رجل واحد على الألف ، ونفى عنه البأس إذا كان إقدامه ممّا يرهب العدوّ ويقلق الجيش ، معلّلاً بأنّ هذا الإقدام أفضل من النكاية ؛ لأنّ فيه منفعة للمسلمين(١) .

فكيف إذا علم علم اليقين أنّ الإقدام ممّا يوجب إحياء الدين وبقاءه إلى أن يبعث الناس لربّ العالمين ، كقيام سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام ، وهذا المعنى كما عرفت قد اعترف به النصارى وأُمّة المسيح وفلاسفة الغرب الذين لا يدينون بدين أصلاً .

مع أنّ أئمّتنا (صلوات الله عليهم) قد اختصّهم الله سبحانه وتعالى بمزايا وألطاف خاصّة ، ومصالح لم يشاركهم فيها أحد من البشر ، ولا تدرك عقولنا تلك المختصّات بهم عليهم السلام ، ولهذا لا يقاس بهم أحد من الناس .

ومن جملة تلك المختصّات بهم التضحية في سبيل إعلاء كلمة الله ، وإبقاء شريعة جدّهم صلى الله عليه وآله ، وأن يرخصوا لأجله كلّ ما يملكونه من النفائس : من القتل ، والسجن ، والإجلاء عن أوطانهم ، والخوف من أعدائهم ، حتّى يلحقوا بالرفيق الأعلى .

وأيم الله ، لولا إقدامهم على قتل نفوسهم بيد أعدائهم ، وزجّها في ظلم المطامير وقعر السجون ، لذهب الدين والإسلام أدراج الكفر والإلحاد ، وأمسى خبراً من الأخبار الماضية التي نسجت عليها أوتار العنكبوت ، شأن غيرها كما لا يخفى .

---

(١) أحكام القرآن / الجصّاص : ٣٠٩/١.

هذا ، مضافاً إلى إخبار جدّهم صلى الله عليه وآله لهم بذلك ، وما عندهم من الصحيفة النازلة من السماء إلى جدّهم وإليهم ، المكتوب فيها ما يختصّ بفعل كلّ واحد منهم من القيام أو السكوت ، وإخبارهم عليهم السلام أصحابهم بما يرد عليهم .

فهذا أمير المؤمنين عليه السلام قد أخبر كرّات ومرّات أنّ ابن ملجم لعنه الله قاتله ، وما أخبر بذلك في تلك الليلة ، وما أجاب به ولده الإمام الحسن عليه السلام .

وهذا مولانا الإمام السابع ، والنور الساطع ، باب الحوائج إلى الله ، موسى بن جعفر عليهما السلام لمّا قدّم الرشيد الرطب المسموم إليه ، فتناول منه غير المسموم ، وألقى المسموم إلى كلبة الرشيد ، فماتت[١] ، وأراد بفعله عليه السلام هذا إخبار الزنديق أنّه على علم بالسمّ ، وإنّما وقت القضاء لم يحضر بعد ، ولمّا طال به الحبس وعلم اقتراب الموعد دعا ربّه في أن يخلّصه منه ، واستجاب له ربّه أنّي فاعل ذلك .

وقد أعلم الإمام الرضا عليه السلام أهل بيته بأنّ موته وقتله يكون على يد المأمون ، ولا بدّ من الصبر حتّى يبلغ الكتاب أجله[٢] .

قال مولانا الإمام أبوجعفر الباقر عليه السلام : « **إنّي لأعجب من قوم يتولّونا ويجعلونا أئمّة ، ويصفون أنّ طاعتنا مفترضة كطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثمّ يكسرون محبّتهم ، ويخصمون أنفسهم لضعف قلوبهم فينقصونا حقّنا ، ويعيبون ذلك على من أعطاه الله برهان حقّ معرفتنا ، والتسليم لأمرنا ، أترون أنّ الله تعالى افترض طاعة أوليائه على عباده ثمّ يخفى عليهم أخبار السماء ، ويقطع مواد العلم فيما يرد عليهم ممّا فيه قوام دينهم .**

فقال له حمران : يابن رسول الله ، أرأيت ما كان من قيام أمير المؤمنين والحسن والحسين وخروجهم وقيامهم وما أُصيبوا به من قِبل الطواغيت والظفر بهم

---

(١) أمالي الصدوق : ٢٧٧ .

(٢) الإمام الرضا عليه السلام / المقرّم : ٤٥ .

حتّى قتلوا وغلبوا.

فقال له أبوجعفر عليه السلام : **يا حمران ، إنّ الله تبارك وتعالى قدّر ذلك عليهم وقضاه وأمضاه وحتمه على سبيل الاختيار ، ثمّ أجراه عليهم ، فبتقدّم علم إليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله قام عليّ والحسن والحسين ، وبعلم منه صمت من صمت منّا ، ولو أرادوا أن يدفع الله تعالى عنهم ، وألحّوا عليه في إزالة ملك الطواغيت لكان ذلك أسرع من سلك منظوم انقطع فتبدّد ، وما الذي أصابهم لذنب اقترفوه ولا لمعصية خالفوا الله فيها ، ولكن لمنازل وكرامة من الله أراد أن يبلغهم إيّاها ، فلا تذهبنّ بك المذاهب يا حمران**»[١].

ولو لم يكن في هذا الباب غير هذا الحديث الشريف لكفى في إلجام الشياطين ، وأجلاف الأمويّين ، والناظر إليه يرى بكلّ وضوح تجلّي أسرار غامضة ، وحكم ربّانيّة ، خصّ الله بها حججه على عباده ، وأُمنائه في بلاده ، كيف تنقطع عنهم الأخبار وهم خزّان علمه ، ومهبط وحيه ، فعدم انقطاع أخبار السماء عنهم عامّ شامل لكلّ الموضوعات بأسرها ، وأنّ كلّ ما صدر عنهم من القيام بالسيف أو السكوت هو بأمر من الله ، وعلم من جدّهم ، ومشياً على طبق الدستور المودع عندهم في تلك الصحيفة النازلة إليهم ، طاعةً منهم لأوامر المولى سبحانه وتعالى الخاصّة بهم ، وانقياداً لتكليفه ، بلا إلجاء من الله لهم في شيء من ذلك ، وإنّما هم مختارون فيه كاختيار غيرهم في جميع التكاليف.

ولذلك تجسّد في ذواتهم المقدّسة التسليم للقضاء المحتوم ، والأجل المبرم ، وعدم التوسّل إلى الباري تعالى في إزاحة العلّة لينالوا بالشهادة ـ التي هي أشرف الموت ـ الدرجات الرفيعة ، والمنازل العالية التي لا تحصل إلّا بهذا النوع من إزهاق النفس.

---

(١) أُصول الكافي : ١/٢٦٢.

وفي نفس هذه أجاب أبوالحسن الرضا عليه السلام من سأله عن جواز تعريض أمير المؤمنين عليه السلام نفسه للقتل مع علمه بالساعة والقاتل ، فقال عليه السلام : « **لقد كان كلّ ذلك ، ولكنّه خير تلك الليلة لتمضي المقادير** »[١] .

فدلّنا هذا وأمثاله على أنّ إقدام أهل البيت على ما فيه التهلكة إنّما هو من باب الطاعة ، وامتثال التكليف الموجّه إليهم خاصّة ، فلا يتطرّق ساحة علمهم نقص ، ولا أنّ إقدامهم على ما فيه الهلكة ممّا يأباه العقل ، وإليه ذهب المحقّقون من أعلام الإماميّة[٢] .

ولهذا ترى أنّهم عليهم السلام كانوا قبل بلوغ الكتاب أجله ، إذا دهمهم أمر أو أخافهم سلطان ، وعرفوا منه العزم على قتلهم دعوا الله ، وتشفّعوا إليه وإلى جدّهم ، في دفع ذلك عنهم ، والخلاص منه ، كما لا يخفى على من لاحظ كتب الفضائل والدعاء ، وكما يرشد إليه الحديث الشريف .

قال شيخنا المفيد (عطّر الله مرقده) في جواب المسائل العكبريّة : « لسنا نمنع أن يعلم الإمام أعيان ما يحدث على التفصيل والتمييز ، ويكون بإعلام الله تعالى ، كما لا نمنع أن يتعبّد الله أمير المؤمنين بالصبر على الشهادة ، والاستسلام للقتل ، فيبلّغه بذلك علو الدرجة ما لا يبلغه إلّا به ، فيطيعه في ذلك طاعة لو كلّفها سواه لم يردّها ، ولا يكون أمير المؤمنين ملقياً بيده إلى التهلكة ، ولا معيناً على نفسه معونة تستقبح في العقول ، ولا يلزم فيه ما يظنّه المعترضون .

كما لا نمنع أن يكون الحسين عليه السلام عالماً بموضع الماء ، وأنّه قريب منه بقدر ذراع ، فلو حفر لنبع له الماء ، فامتناعه من الحفر لا يكون إعانة على نفسه بعد أن يكون متعبّداً بترك السعي في طلب الماء حيث يكون ممنوعاً منه ، ولا يستبعد

---

(١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام / المقرّم : ٦٢.

(٢) المصدر المتقدّم : ٤٤.

العقل ذلك ولا يقبّحه.

وكذلك علم الحسن عليه السلام بعاقبة موادعة معاوية، فقد جاء الخبر بعلمه به، وكان شاهد الحال يقضي به، غير أنّه دفع به عن تعجيل قتله وتسليم أصحابه إلى معاوية، ودفع فساد الدين أعظم من الفساد الذي حصل عند هدنته، وكان عليه السلام عالماً بما صنع، ولكنّ الله تعبّده بذلك »[١]، فلاحظ.

وقال العلاّمة (أعلى الله مقامه) في جواب من سأله عن تعريض أمير المؤمنين نفسه للقتل: «بأنّه يحتمل أن يكون أُخبر بوقوع القتل في تلك الليلة، وفي أي مكان يقتل، وأنّ تكليفه مغاير لتكليفنا، فجاز أن يكون بذل مهجته في ذات الله واجباً، كما يجب الثبات على المجاهد، وإن كان ثباته يفضي إلى القتل »[٢].

وقال شيخنا العلاّمة المحدّث البحراني قدس سره في «**الدرر النجفيّة**» ـ بعد ذكر مقدّمات ثلاث ـ ما هذا نصّه: «فنقول: إنّ رضاهم (صلوات الله عليهم) لما ينزل بهم من القتل بالسيف والسمّ، وكذا ما يقع بهم من الهوان على أيدي أعدائهم، والظلم مع كونهم عالمين وقادرين على دفعه، إنّما هو لما علموه من كونه مرضياً له سبحانه وتعالى، ومختاراً له بالنسبة إليهم، وموجباً للقرب من حضرة قدسه، والجلوس على بساط أُنسه، وحينئذٍ فلا يكون من قبيل الإلقاء باليد في التهلكة الذي حرّمته الآية؛ إذ هو ما اقترن بالنهي عن الشارع نهي تحريم، وهذا ممّا علم رضاه به، واختياره له، فهو على النقيض من ذلك ».

ألا ترى أنّه ربّما نزل بهم شيء من تلك المحذورات قبل الوقت المعدود، والأجل المحدود، فلا يصل إليهم منه شيء من الضرر، ولا يتعقّبه المحذور والخطر، فربّما امتنعوا منه ظاهراً، وربّما احتجبوا منه باطناً، وربّما دعوا الله سبحانه

---

(١) المسائل العكبريّة: ٦٩ ـ ٧٠.

(٢) حكاه عنه المجلسي قدس سره في مرآة العقول: ١٨٩، وفي بحار الأنوار: ٦٦٣/٩.

في رفعه فيرفعه عنهم ، وذلك لما علموا أنّه غير مراد له سبحانه في حقّهم ولا مقدّر لهم .

وبالجملة : فإنّهم (صلوات الله عليهم) يدورون مدار ما علموه من الأقضية والأقدار ، وما اختاره لهم القادر المختار »(١) ، فإنّه رحمه الله أخذ بنقل الأخبار ، فلاحظ .

وبالإجمال : إنّ من راجع كتب الأخبار المرويّة عن ساداتنا الأطهار يتّضح له الحال جليّاً أنّ إقدامهم على القتل ، والخروج بالسيف ، كأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام ، والخروج بأهل بيته ، كلّ ذلك كان بأمر من الله تبارك وتعالى ، ولا يبقى له بعد ذلك ريب أو شكّ يختلجه ، مع ما عرفت من ترتّب فوائد من حفظ نظام الإسلام ، وبقاء الشريعة إلى يوم القيام ، بسبب قتلهم بالسيف أو السمّ ، وافتضاح دولة الباطل ، وتخريب بنيانه حتّى اعترفت النصارى بذلك .

وأنّي لأعجب والله من غباوة وحمق بعض أجلاف الأمويّين ، وأرذال أذناب المستعمرين الوهابيّين ، أن يذهب إلى ظنّ الحسين موافقة أهل الكوفة له ، ويغضّ النظر عن تمام هذه الأخبار الساطعة الأنوار ، وأقوال علمائنا الأخيار ، هب أنّه عليه السلام ظنّ ذلك ، ولكنّ لا يكاد يفوته إخبار جدّه النبيّ صلى الله عليه وآله ، وأبيه الوصيّ ، وأخيه الزكي ، وأُمّه الصدّيقة الطاهرة (صلوات الله عليهم أجمعين) .

ولكنّ القوم في قلوبهم مرض ، فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم .

قال العلّامة المكرّم السيّد عبدالرزّاق الموسوي المقرّم قدس سره في « **مقتله** » : « فلم يكن إقدامهم على القتل ، وتناول السموم جهلاً منهم بما صنعه سلطان الجور وقدّمه إليهم ، بل هم على يقين من ذلك ، فلم يفتهم العلم بالقاتل ، وما يقتلون به ، واليوم والساعة ، طاعة منهم لأمر بائهم(٢) تعالى ، وانقياداً للحكم الإلهي الخاصّ بهم ،

---

(١) الدرر النجفيّة : ١/٤١٠ و ٤١١ .

(٢) هكذا في النسخة المطبوعة ، والصواب بارئهم ، كما لا يخفى ، وقد أثبتناه حذراً من ⇦

وليسوا في هذا الحال إلّا كحالهم في امتثال أوامر المولى سبحانه الموجّهة إليهم من واجبات ومستحبّات.

والعقل حاكم بلزوم انقياد العبيد لأمر المولى والانزجار عن نهيه، من دون إلزام بمعرفة المصلحة أو المفسدة الباعثة على الحكم، وأمّا إذا كان المولى حكيماً في أفعاله ﴿**لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ**﴾(١)، فبالأحرى يكون الخضوع له من دون فحص عن أسباب أحكامه»(٢)، فلاحظ.

وبالإجمال لو أردنا بسط المقال بنقل الأخبار والأقوال لخرجنا عن حدّ الاعتدال الذي التزمنا به في وضع الكتاب، والله الهادي إلى طريق الصواب، وأنّ فيما ذكرناه كفاية لأُولي الألباب، فلاحظ.

إخبار أبي ذرّ رضوان الله عليه بقتل الحسين عليه السلام

في «**كامل الزيارات**»: بإسناده عن عبدالله بن الحسين، عن عروة بن الزبير، قال: «سمعت أبا ذرّ، وهو يومئذٍ قد أخرجه عثمان إلى الربذة، فقال له الناس: يا أبا ذرّ، ابشر، فهذا قليل في الله تعالى.

فقال: ما أيسر هذا، ولكن كيف أنتم إذا قُتل الحسين بن عليّ عليهما السلام قتلاً ـ أو قال: ذبحاً ـ والله لا يكون بعد قتل الحسين الخليفة أعظم قتلاً(٣)، وأنّ الله سيسلّ سيفه على هذه الأُمّة لا يغمده أبداً، أو يبعث ناقماً(٤) من ذرّيّته فينتقم من الناس،

⇦ خيانة النقل ـ منه عفي عنه.

(١) الأنبياء ٢١: ٢٣.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم: ٥٧.

(٣) في نسخة: «أعظم قتيلاً منه».

(٤) في نسخة: «قائماً»

وأنّكم لو تعلمون ما يدخل على البحار وسكّان الجبال في الغياض والآكام وأهل السماء من قتله لبكيتم ، والله حتّى تزهق أنفسكم ، وما من سماء يمرّ بها روح الحسين عليه السلام إلّا فزع له سبعون ألف ملك يقومون قياماً ، ترعد مفاصلهم إلى يوم القيامة ، وما من سحابة تمرّ وترعد وتبرق إلّا لعنت قاتله ، وما من يوم إلّا وتعرض روحه على رسول الله صلى الله عليه وآله فيلتقيان »[١] ، انتهى .

إخبار ميثم التمّار رضوان الله عليه بقتل الحسين عليه السلام

روى شيخنا الصدوق في « **الأمالي** » : بسنده عن جبلة المكّيّة ، قالت : « سمعت ميثم التمّار قدّس الله روحه يقول : والله لتقتلن هذه الأُمّة ابن نبيّها في المحرّم لعشر مضين منه ، وليتّخذن أعداء الله ذلك اليوم يوم بركة ، وأنّ ذلك لكائن قد سبق في علم الله تعالى ذكره »[٢] ، فلاحظ .

هذا ، وقد علم الملائكة ذلك ، والأصحاب ، والأعداء ، كما عرفت ، فلا حاجة إلى التطويل والإكثار ، فالذي يعترف بالإسلام ، ويؤمن بالنبيّ وآله الأطهار ، لا يسوغ له الإنكار ، وإلّا فهو ممّن ينتحل الباطل ، ويسلك مسلك الأشرار ، فلا يقنع إلّا بسياط النار ، سلب الله منهم القرار في الليل والنهار .

---

(١) كامل الزيارات : ٧٣ ، الحديث ٧٤ .

(٢) أمالي الصدوق : ٧٧ .

المطلب السادس

بيان جواز البكاء واستحبابه على الحسين عليه السلام

قد عرفت بكاء النبيّ والوصي (صلوات الله وسلامه عليهما وآلهما) على الحسين عليه السلام قبل وقوع الحادثة العظمى، والمصيبة الكبرى، فلا حاجة هنا إلى إعادة ذكره مرّة ثانية، وإنّما نذكر ما لم نذكره سابقاً، ثمّ نعقبه بفضل ذلك، وبيان من بكى عليه من الجنّ والإنس والملائكة والسموات والأرض ووحش الفلا وحيتان البحار، وغير ذلك.

إذا عرفت هذا فاعلم أنّ البكاء قد يكون أمراً قهريّاً ليس باختيار الإنسان ووسعه عند ورود مصيبة عليه، أو فقد عزيز منه، أو عند سماع أوصافه وتذكّر إحسانه، أو عندما يتذكّر مصائب النبيّ، وما جرى على أهل بيته عليهم السلام من المحن والمصائب التي لو نزلت على الجبال لتدكدكت، أو صبّت على النهار لأظلم، من القتل والسجن والخوف والنفي عن أوطانهم، وغير ذلك ممّا يجري دمعته، ويصب عبرته لفرط محبّته، وشدّة اتصّاله بهم، وما يرى من النعم التي أسدوها تجاه شيعتهم، حيث إنّهم خلقوا من فاضل طينتهم، يوالون من والاهم، ويعادون من عاداهم، ويفرحون لفرحهم، ويحزنون لحزنهم، وهذا لا يتعلّق به التكليف لخروجه عن نطاقه، وإن تعلّق به فهو تكليف ما لا يطاق، والحكيم يمتنع عليه ذلك.

لا كأمثال من يدّعي محبّتهم ويوالي عدوّهم وألدّ خصامهم، كابن حجر والرازي

والبخاري والزمخشري والغزالي، وغيرهم، فإنّهم كاذبون في دعواهم، وكيف يمكن القبول منهم وهم يعادون شيعتهم، ومن تمسّك بحبل ولايتهم، ويبيحون دمائهم، ويتقرّبون إلى الله ببغضهم، ويبرؤون ساحة معاوية ونغله يزيد الخمر، وغيرهم من الكفرة الفجرة، كالجبت والطاغوت، وابنتيهما، ويؤلّفون في الدفاع عنهم الكتب المفصّلة، ويمنعون الناس من لعنهم والبرائة منهم.

ولو ثبت على فرض المحال عدم كفرهم أليس هم من الفسقة والظالمين، ويجوز لعن الفاسق والظالم بنصّ الكتاب، وما لهم يمنعون عن البكاء، وتذكّر مصائبهم، وعقد المآتم لأجلهم إن كانوا صادقين، ألا لعنة الله على القوم الكاذبين.

وقد يكون البكاء اختيارياً كما لو استمع إلى ما يوجب الحزن والبكاء، ولا شكّ في جوازه بالأدلّة الأربعة من الكتاب والسنّة والإجماع والعقل، ولو ثبت عدمه فأصالة الإباحة محكمة حتّى يرد دليل على المنع، وليس فليس، وأنّه دليل حيث لا دليل.

أمّا الكتاب: فقد ثبت فيه بكاء يعقوب على ولده يوسف عليهما السلام، وغيره.

وأمّا السنّة: فكثيرة جدّاً، فمنها: فعل النبيّ صلى الله عليه وآله، كما عرفت في المطلب الخامس، فإذا ثبت ذلك وجبت متابعته لقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾(١)، وغيره ممّا يدلّ على وجوب متابعته، وفعله حجّة، والمنكر له كافر بإجماع المسلمين، وما عرفت من بكاء عليّ عليه السلام وفعله أيضاً حجّة، وأي حجّة، وإنّ من اقتدى في دينه بعليّ فقد استمسك بالعروة الوثقى، كما عرفت في كلام الرازي، وبكاء الزهراء عليها السلام وفعلها أيضاً حجّة، لثبوت عصمتها، وكلّ ذلك قبل قتله (صلوات الله عليه).

---

(١) الأحزاب ٣٣: ٢١.

ولا شكّ في جوازه بعده، بل هو أوْلى لأنّه إظهار لكمال الموالاة والمحبّة لهم، وتركه من الجفاء، فأي مسلم يرى ويرضى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وعلياً عليه السلام يبكيان على الحسين قبل قتله، وهو لا يبكي بعده، وما المنع إلّا ردّ على الله ورسوله وأوليائه عليهم السلام، مضافاً إلى ما ثبت من بكائه صلى الله عليه وآله على عمّه حمزة، وفاطمة بنت أسد اُمّ عليّ عليه السلام، وعلى ولده إبراهيم، وبناته، وعلى بنت صغيرة له، وعلى حليمة السعديّة مرضعته، وعثمان بن مظعون، وعلى سعد في حال مرضه.

بكاؤه صلى الله عليه وآله على عمّه حمزة رضي الله عنه وأمره بذلك

فقد جاء في «**الاستيعاب**»: عن جابر بن عبدالله، قال: «لمّا رأى النبيّ (عليه الصلاة والسلام) حمزة قتيلاً بكى، فلمّا رأى ما مثّل به شهق»(١).

وفي «**السيرة الحلبيّة**»: عن ابن مسعود: «ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وآله باكياً أشدّ من بكائه على حمزة، وضعه في القبلة، ثمّ وقف على جنازته وانتحب، حتّى نشق (أي شهق) حتّى بلغ الغشي، يقول: **يا عمّ رسول الله، وأسد الله، وأسد رسول الله، يا حمزة، يا فاعل الخيرات، يا حمزة يا كاشف الكربات، يا ذابّ، يا مانع عن وجه رسول الله**»(٢)، فلاحظ.

أقول: ومضافاً إلى أنّه صلى الله عليه وآله بكاه انتدبه أيضاً، وذكر محاسنه، فما هو الفرق بين ما فعله صلى الله عليه وآله وبين ما تفعله شيعة عترته من قولهم: واحسيناه، وامظلوماه، وأمثال ذلك، والبكاء عليه، وذكر فضائله ومناقبه المأثورة؟

وفي «**تاريخ الطبري**»: بسنده عن أشياخ بني سلمة: «أنّه مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله بدار من دور الأنصار من بني عبدالأشهل وبني ظفر، فسمع البكاء والنوائح على

---

(١) الاستيعاب: في ترجمة حمزة سيّد الشهداء عليه السلام.

(٢) السيرة الحلبيّة: ٢/٢٦٠.

قتلاهم ، فذرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله ، فبكى ، ثمّ قال : **لكن حمزة لا بواكي له** ، فلمّا رجع سعد بن معاذ وأسيد بن خضير إلى دار بني عبدالأشهل أمرا نساءهم أن يتحزمن ثمّ يذهبن فيبكين على عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله »[١] .

وفي « **مسند أحمد بن حنبل** » : عن نافع بن عمر : « أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا رجع من اُحد فجعلت نساء الأنصار يبكين على من قتل من أزواجهنّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : **ولكن حمزة لا بواكي له** .

قال : ثمّ نام فاستنبه وهنّ يبكين . قال : **فهنّ اليوم إذا يبكين يندبن (كذا) بحمزة** »[٢] ، انتهى .

أقول : انظر إلى رضائه صلى الله عليه وآله ببكائهنّ ، وقوله : « **حمزة لا بواكي له** » في نفسه صلى الله عليه وآله طلب للبكاء عليه ، كما فهمه سعد بن معاذ وأسيد بن خضير ، وقوله صلى الله عليه وآله في الحديث الثاني صريح فيما نحن فيه .

وفي بعض كتب السيرة والتاريخ : « ولمّا بكت نساء أهل المدينة على قتلى اُحد قال النبيّ صلى الله عليه وآله : **لكن حمزة لا باكية له ذلك اليوم** ، فسمع ذلك أهل المدينة ، فلم يقم لهم مأتم إلى اليوم إلّا ابتدأن فيه البكاء على حمزة »[٣] .

وفي « **السيرة الحلبيّة** » : « سمع رسول الله صلى الله عليه وآله نساء الأنصار يبكين على أزواجهنّ وأبنائهنّ وإخوانهنّ ، فقال : **حمزة لا بواكي له** ، وبكى صلى الله عليه وآله ، ولعلّه لم يكن له بالمدينة زوجة ولا بنت ، فأمر سعد بن معاذ ونساء قومه أن يذهبن إلى بيت رسول الله صلى الله عليه وآله يبكين حمزة بين المغرب والعشاء .

وكذلك أسيد بن خضير أمر نساءه ونساء قومه أن يذهبن إلى بيت رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) تاريخ الطبري : ٣/٢٧ ، ونحوه ذكره ابن الأثير في كامله .

(٢) مسند أحمد بن حنبل : ٢/٤٠ .

(٣) مجمع الزوائد : ٦/١٢٠ . الطبقات الكبرى : ٢/٤٤ . السيرة النبويّة / ابن هشام : ٣/١٠٤ .

يبكين حمزة ـ إلى أن قال ـ: فلمّا رجع صلى الله عليه وآله من المسجد من صلاة المغرب سمع البكاء ، فقال : **ما هذا ؟**

فقال : نساء الأنصار يبكين حمزة .

فقال صلى الله عليه وآله **رضي الله عنكنّ ، وعن أولادكن ، وأمر أن تردّ النساء إلى منازلهنّ . . .** » ـ إلى أن قال ـ: وفي رواية اُخرى : « فلمّا ذهب ثلث الليل نادى بلال : الصلاة يا رسول الله ، فقام من نومه وخرج وهنّ على باب المسجد يبكين حمزة ، فقال لهنّ : **ارجعن رحمكن الله ، لقد واسيتنِ معي رحم الله الأنصار ، فإنّ المواساة فيهم كما علمت قديمة** ـ إلى أن قال ـ: وصارت الواحدة من نساء الأنصار بعد لا تبكي على ميّتها إلّا بدأت بالبكاء على حمزة ، ثمّ بكت على ميّتها ، ولعلّ المراد بالبكاء النوح »(١) ، انتهى .

أقول: انظر أيّها المسلم إلى دعائه صلى الله عليه وآله لهنّ لأجل البكاء وإقامة النوح والعزاء على حمزة رضي الله عنه ، وهل يدعو النبيّ صلى الله عليه وآله لفعل غير محبوب إلى الله تبارك وتعالى ، حاشاه ، وإذا ثبت محبوبيّة الفعل لله ولرسوله ترتّب عليه الثواب وترفيع الدرجات ، ولا شكّ في حبّه صلى الله عليه وآله لسبطه وفلذّة كبده وريحانته ، كما لا شكّ في دعائه لمن بكى عليه ، وأقام مجلس العزاء لأجله ، وتشفّع له في أن يغفر الله ذنوبه ، ويدخله الجنّة برحمته ، كما ورد في جملة من أخبارنا المعتبرة ، وأي فعل يكون كهذا حتّى يدع لنا النبيّ صلى الله عليه وآله ويترحّم علينا ، ولا شكّ في استجابة دعائه ، ومن رغب عن هذا فقد رغب عن الإسلام .

وفي « **شرح النهج** » : « قال الواقدي : روي أنّ صفيّة لمّا جاءت حالت الأنصار بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : **دعوها** ، فجلست عنده فجعلت إذا بكت يبكي رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإذا نشجت ينشج رسول الله صلى الله عليه وآله ، وجعلت فاطمة عليها السلام تبكي ،

(١) السيرة الحلبيّة : ٢/٥٤٦ .

فلمّا بكت بكى رسول الله صلى الله عليه وآله »[١]، فراجع.

أقول: قد عرفت أنّ فعل النبيّ صلى الله عليه وآله حجّة كقوله، فإنّ بكاءه على عمّه حمزة وشهقه صلى الله عليه وآله حتّى بلغ الغشي وندبه، وذكر أوصافه، مضافاً إلى جوازه يدلّ على استحبابه ورجحانه إذا كان الميّت من أهل الفضل والفضيلة والعلم والشرف والمقام، كحمزة وأمثاله (صلوات الله وسلامه عليه)، لأنّه صلى الله عليه وآله لا يفعل المباح فضلاً عن المكروه.

وأنّ النوح تعظيم للميّت، واحترام له، فيدلّ العقل على جوازه ويستحسنه، فكيف ظنّك أيّها المسلم الموالي بسبط النبوّة، وفلذّة كبد صاحب الرسالة، وقرّة عين المرتضى، وثمرة مهجة فاطمة الزهراء، أتظنّ أنّه لو كان صلى الله عليه وآله حاضراً وتجري هذه المصائب على الحسين ينظر إليه ولا يهمل الدموع، ولم يشهق حتّى يغشى عليه، لا والله ما ذلك اعتقادنا ولا اعتقاد كلّ مسلم، أو هل ترى كان يمنع عنه، حاشاه ثمّ حاشاه.

نعم، يمنع ذلك من لم يجعل الله في قلبه رحمة وإيماناً، كما سيأتي من النبيّ صلى الله عليه وآله هذا البيان.

بكاؤه صلى الله عليه وآله على فاطمة بنت أسد رضي الله عنها

وعن عليّ عليه السلام، قال: « **لمّا ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم كفّنها رسول الله صلى الله عليه وآله في قميصه، وصلّى عليها سبعين تكبيرة، ونزل في قبرها، فجعل يومي في نواحي القبر كأنّه يوسّعه، ويسوّي عليها، وخرج من قبرها وعيناه تذرفان، وحثا في قبرها، فلمّا ذهب قال له عمر بن الخطّاب: يا رسول الله، رأيتك فعلت هذه المرّة شيئاً لم تفعله على أحد؟**

---

(١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ٣/٣٨٧.

فقال : يا عمر ، هذه المرأة كانت بعد أُمّي التي ولدتني ، إنّ أبا طالب كان يصنع الصنيع وتكون له المأدبة ، وكان يجمعنا على طعامه ، فكانت هذه المرأة تفضل منه كلّه نصيباً ، فأعود فيه ، وأنّ جبرئيل أخبرني عن ربّي أنّها من أهل الجنّة ، وأخبرني جبرئيل أنّ الله تعالى أمر سبعين ألفاً من الملائكة يصلّون عليها »(١) .

بكاؤه صلى الله عليه وآله على ولده إبراهيم

وعن أنس بن مالك : وذكر دخول النبيّ صلى الله عليه وآله وإبراهيم يجود بنفسه ، قال : فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله تذرفان ، فقال له عبدالله بن عوف : وأنت يا رسول الله **؟ !**

فقال : **يابن عوف ، إنّها رحمة** ، ثمّ أتبعها بأُخرى ، فقال صلى الله عليه وآله : **إنّ العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلّا ما يرضي ربّنا ، وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزنون »**(٢) .

قال القسطلاني في « **إرشاد الساري** » في شرح صحيح البخاري : « أي اتّبع الدمعة الأُولى بدمعة أُخرى ، أو أتبع الكلمة الأُولى الجملة ، وهو قوله : **إنّها رحمة** بكلمة أُخرى مفصّلة ، فقال : **إنّ العين تدمع** »(٣) .

وفي « **سنن ابن ماجة** » : عن أنس بن مالك ، قال : « لمّا قبض إبراهيم ابن النبيّ صلى الله عليه وآله قال لهم : **لا تدرجوه في أكفانه حتّى أنظر إليه** ، فأتاه فانكبّ عليه وبكى »(٤) .

وفي « **سنن ابن ماجة** » أيضاً : عن أسماء بنت يزيد ، قالت : لمّا توفّي ابن رسول الله صلى الله عليه وآله إبراهيم ، بكى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال له المعزّي ـ إمّا أبو بكر

---

(١) منتخب كنز العمّال : ٢٨٠/٥ بهامش مسند أحمد بن حنبل .

(٢) صحيح البخاري : ٢٨٠/٥.

(٣) إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري : ٣٩٨/٢.

(٤) سنن ابن ماجة : ٢٣٢/١.

وإمّا عمر ـ: أنت أحقّ من عظّم الله حقّه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الربّ، لولا أنّه وعد صادق، وموعود جامع، وأنّ الآخر تابع للأوّل، لوجدنا عليك يا إبراهيم أفضل ما وجدنا، وإنّا بك لمحزونون**»[١].

بكاء النبيّ صلى الله عليه وآله على ابن بنته

وفي «**صحيح البخاري**»: عن أُسامة بن زيد، قال: «أرسلت ابنة النبيّ صلى الله عليه وآله إليه: أنّ ابناً لي قبض ـإلى أن قال ـ: فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأُبيّ بن كعب وزيد بن ثابت، ورجال، فرفع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله الصبي ونفسه تتقعقع، قال: حسبته أنّه قال كأنّها شنّ، ففاضت عيناه.

فقال سعد يا رسول الله، ما هذا؟

فقال: **هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنّما يرحم الله من عباده الرحماء**»[٢].

وقوله صلى الله عليه وآله: «**إنّها رحمة**»، أي العبرة والبكاء هي رحمة من الله تعالى، وهو كذلك، فإنّ البكاء مسبّب عن قلوب أهل الشفقة والرحمة، بخلاف القلوب القاسية التي هي أقسى من الحجارة، وأقسى منها قلب من يمنع البكاء وليس في قلب القاسي لله حاجة.

بكاؤه صلى الله عليه وآله على قبر أُمّه آمنة بنت وهب

وروى مسلم في صحيحه: بسنده عن أبي هريرة، قال: «زار النبيّ صلى الله عليه وآله قبر أُمّه

---

(١) سنن ابن ماجة: ٢٤٨/١.

(٢) صحيح البخاري: ٨٠/٢، وأخرجه مسلم في صحيحه: ٣٤٩/٢، والنسائي في سننه: ٣٦٣/١، وإرشاد الساري: ٣٨٥/٢، وابن ماجة في سننه: ٢٤٨.

فبكى وأبكى من حوله » ـ الحديث(١).

بكاء النبيّ صلى الله عليه وآله على مرضعته حليمة السعديّة

وعن ابن أثير في « **تاريخه** » ـ عند ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وآله ـ: « أنّه لمّا فتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكّة قدمت عليه اُخت لحليمة فسألها عنها ، فأخبرته بموتها ، فذرفت عيناه ، فسألها عمّن خلّفت ، فأخبرته ، فسألته نحلة وحاجة فوصلها » .

بكاؤه صلى الله عليه وآله على عثمان بن مظعون

وفي « **سنن ابن ماجة** » ـ باب ما جاء في تقبيل الميّت : بسنده عن عائشة ، قالت : « قبّل رسول الله صلى الله عليه وآله عثمان بن مظعون وهو ميّت ، فكأنّي أنظر إلى دموعه تسيل على خدّيه »(٢).

أقول: قال السندي في حاشيته عليه : « قوله : على خدّيه ، أي خدّي النبيّ صلى الله عليه وآله ، أو خدّي عثمان ، ويؤيّد الثاني ما جاء : حتّى سال دموع النبيّ صلى الله عليه وآله على وجه عثمان ، والله تعالى أعلم »(٣)، انتهى .

بكاؤه صلى الله عليه وآله على سعد حال مرضه

وفي « **صحيح البخاري** » ـ باب البكاء عند المريض : عن عبدالله بن عمر ، قال :

---

(١) صحيح مسلم : ٢/٦٧١، ورواه ابن ماجة في سننه : ١/٥٠١.

قال النووي في شرح صحيح مسلم بهامش إرشاد الساري : ٣٢٥: « رواه أبو داود في سننه بهذا الإسناد ، ورواه النسائي ، ورواه ابن ماجة ، وهؤلاء الذين رووا عنهم كلّهم ثقات ، فهو حديث صحيح بلا شكّ » ، انتهى .

(٢) سنن ابن ماجة : ١/٤٦٨.

(٣) ورواه الترمذي في صحيحه : ٣/٣١٥.

« اشتكى سعد بن عبادة شكوى له ، فأتاه النبيّ صلى الله عليه وآله يعوده مع عبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقّاص وعبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، فلمّا دخل عليه فوجده في غاشية من أهله ، فقال : **قد قضى** ، قالوا : لا يا رسول الله ، فبكى النبيّ صلى الله عليه وآله ، فلمّا رأى القوم بكاء النبيّ صلى الله عليه وآله بكوا ، فقال : **ألا تسمعون إنّ الله لا يعذّب بدمع العين ، ولا بحزن القلب ، ولكن يعذّب بهذا** ، وأشار إلى لسانه **أو يرحم** »[١].

أقول: وقوله صلى الله عليه وآله هذا ردّ على من منع البكاء ، والمانع هو عمر بن الخطّاب ، ومن ثمّ أتباعه ، وقال : « الميّت يعذّب ببكاء أهله عليه ».

بكاؤه صلى الله عليه وآله على ابن عمّه جعفر رضي الله عنه وزيد بن الحارثة

وقال ابن عبدالبرّ في « **الاستيعاب** » ما هذا نصّه : « ولمّا أتى رسول الله صلى الله عليه وآله نعي جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة بكى ، وقال : **أخواي ومؤنساي ومحدّثاي** »[٢].

وفي « **صحيح البخاري** » : عن أنس بن مالك ، قال : « **قال النبيّ** صلى الله عليه وآله **أخذ الراية زيد فأُصيب ، ثمّ أخذها جعفر فأُصيب ، ثمّ أخذها عبدالله بن رواحة فأُصيب** ، وأنّ عيني رسول الله صلى الله عليه وآله لتذرفان »[٣].

وفي « **سنن النسائي** » : عن أنس : « أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نعى زيداً وجعفراً قبل أن يجيئ خبرهم ، فنعاهم وعيناه تذرفان »[٤].

وفي « **الاستيعاب** » : « ولمّا أتى نعي جعفر أتى امرأته أسماء بنت عميس فعزّاها في زوجها ، ودخلت فاطمة وهي تبكي وتقول : **وا عمّاه** ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : **فعلى**

---

(١) وانظر صحيح مسلم : ٣٤١/٢.

(٢) الاستيعاب : ٥٤٦/٢ ، ترجمة زيد بن الحارثة.

(٣) صحيح البخاري : ٧٢/٢.

(٤) سنن النسائي : ٢٦٥/١.

مثل جعفر فلتبك البواكي »(١) .

هذه جملة من الموارد التي وقفنا عليها عجالة ، وحسبك من الدلالة على الاستحباب ، فضلاً عن الجواز ، لفعله وتقريره وأمره صلى الله عليه وآله بذلك .

أيبكي صلى الله عليه وآله على مثل عثمان وسعد ومرضعته وغيرهم ، ويبكون أصحابه لبكائه ولا يبكي على ولده الحسين ، أو يمنع عنه ، كيف وقد بكى صلى الله عليه وآله قبل بلوغ الحسين عليه السلام ، وبمجرّد إخباره ، وما ظنّك برسول الله صلى الله عليه وآله لو كان حاضراً في كربلاء حضوراً ظاهريّاً ـ وإن كان صلى الله عليه وآله حاضراً واقعاً ـ أكان يمنع من يبكي عليه وينظر إليه من دون أن تأخذه رأفة ، حاشا نبيّ الرحمة ، وحاشا مقامه العظيم ، وقلبه الرؤوف الرحيم ، فيالله أيّها المسلمون ، ما لكم كيف تحكمون ، أتدرون أي فرية عليه تفترون ، وأي ذنب ترتكبون ، وأي جرم وعظيم باطل تدّعون ، أوَليس بعد هذا كلّه يكون المنع من البكاء والنوح وإقامة العزاء ، من البغض والعداء ، وتثبيتاً لفعل أبناء الطلقاء وخائنات البعول ، وهل هو غير السعي في إطفاء نور الحسين ، والكفّ عن لعن ظالمي آل محمّد صلى الله عليه وآله .

نعم ، يشهد لك تشييد يزيديّة الإفساد ، ونشر كتب أهل الضلال والعناد ، وما الله بغافل عمّا يعمله الطالحون والظالمون العتاد .

وقد روى البخاري في « **صحيحه** » ـ باب الدخول على الميّت إذا أُدرج في أكفانه : بكاء أبي بكر ، فراجع ، وإن كنّا لا نعتبر فعله لعدم حجّيّته ، ولكن ذكرناه من باب إلزام الخصم المنكر لذلك ، وسوف يأتي بكاء المانع ، فلاحظ .

هذا ، مضافاً إلى بكاء الصدّيقة الطاهرة (صلوات الله عليها على أبيها) ، وفعلها حجّة لثبوت عصمتها ، كما ورد ذلك عن طريق الفريقين .

---

(١) الاستيعاب : ٢٤٣/١ ، ترجمة جعفر بن أبي طالب .

قال الرفاعي في ضوء الشمس : « وقد كانت رضي الله تعالى عنها دائمة البكاء بعد وفاته (عليه الصلاة والسلام) ، متواصلة الأحزان ، حتّى لحقت به صلّى الله تعالى عليه وسلّم بعد وفاته بستّة أشهر ، وعلى ذلك كان الأصحاب العظام عليهم رضوان الله الملك العلّام »(١) ، فلاحظ .

---

(١) ضوء الشمس : ٧٤.

مناقشة أحاديث: الميّت يعذّب ببكاء أهله عليه

هناك عدّة أحاديث نسبت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله افتعلها عمر بن الخطّاب الخليفة الثاني لأغراض ومقاصد هو أعلم بها ، كما هو دأبه في كثير من الموارد التي حكم فيها برأيه ، خلاف ما أنزل الله وسنّه رسول الله صلى الله عليه وآله ، فالبخاري ومسلم خرّجوا عنه وعن ابنه عبدالله بن عمر أخباراً : أنّ الميّت يعذّب ببكاء أهله عليه ، أو ببعض بكاء أهله عليه ، أو أنّ الميّت ليعذّب ببكاء الحيّ ، أو ببكاء الحيّ عليه ، أو من نيح عليه يعذّب ، أو الميّت يعذّب في قبره بما نيح عليه ، أو من يبك عليه يعذّب ، أو المعول عليه يعذّب .

ففي « **صحيح مسلم** » : عن عبدالله : « أنّ حفصة بكت على عمر ، فقال : مهلاً يا بنيّة ، ألم تعلمي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إنّ الميّت يعذّب ببكاء أهله عليه »(١) .

وفيه : عن ابن عمر ، عن عمر ، عن النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ، قال : الميّت يعذّب في قبره بما نيح عليه »(٢) .

وغير ذلك ، وهذه الأحاديث قد تفرّد هو بنقلها ، ولم يشاركه أحد في سماعها عن النبيّ صلى الله عليه وآله ، وكان رأيه هذا في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله من دون نسبته إليه ، وأنت مضافاً إلى ما سمعت من فعل النبيّ صلى الله عليه وآله وتقريره وأمره بذلك ، فإنّه صلى الله عليه وآله قد نهى عمر عن هذا القول ، وردّ عليه ونهره .

كما أخرج البيهقي في « **سننه** » : عن ابن عبّاس ، قال : « بكت النساء على رقيّة بنت رسول الله رضي الله عنها ، فجعل عمر ينهاهنّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : **مه يا عمر** .

---

(١) صحيح مسلم : ٣٤١/٢.

(٢) المصدر المتقدّم : ٣٤٢/٢.

قال : ثمّ قال : **إيّاكن ونعيق الشيطان ، فإنّه مهما يكن من العين والقلب فمن الرحمة** .

إلى أن قال : وجعلت فاطمة رضي الله عنها تبكي على شفير قبر رقيّة ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يمسح الدموع على وجهها باليد ، أو قال بالثوب »(١) .

وأخرج النسائي وابن ماجة عن أبي هريرة أنّه قال : « مات ميّت في آل رسول الله صلى الله عليه وآله ، فاجتمع النساء يبكين عليه ، فقام عمر ينهاهنّ ويطردهنّ ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وآله : **دعهنّ يا عمر ، فإنّ العين دامعة ، والقلب مصاب ، والعهد قريب** »(٢) .

أقول : وإنّ تعجب فوالله اعجب من الخليفة أن ينهاه النبيّ صلى الله عليه وآله عن قوله فلم ينته ، ويردعه ولم يكن يرتدع ، بل يزيد على قوله فعله ، ويضرب النساء الباكيات بالدرّة ، ويسقط خمار امرأة منهنّ ، ويقول : دعوها لا حرمة لها (٣) .

وكان عمرو بن دينار يعجب من قوله : لا حرمة لها ، والمسلمون يلزم أن يتعجّبوا من صنعه وأعماله ، إذ هي كلّها عجائب ، وبعد النبيّ صلى الله عليه وآله نسب القول زوراً إليه صلى الله عليه وآله ، وردّت عليه عائشة وخطّأته فيما يقول .

قال الفاضل النووي حيث أورد هذه الروايات في باب الميّت يعذّب ببكاء أهله عليه من « **شرح صحيح مسلم** » : « هذه الروايات كلّها من رواية عمر بن الخطّاب وابنه عبدالله .

قال : وأنكرت عائشة عليهما ونسبتهما إلى النسيان والاشتباه ، واحتجّت بقوله تعالى : ﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ**﴾(٤) .

---

(١) سنن البيهقي : ٤/٧٠ ، وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده : ١/٣٣٥ و : ٢/٣٣٣ ، وفيه : « فجعل عمر يضربهنّ بسوطه » ، فراجع .

(٢) سنن النسائي : ٤/١٩ .

(٣) كنز العمّال : ٨/١١٨ .

(٤) الأنعام ٦ : ١٦٤ . الإسراء ١٧ : ١٥ . فاطر ٣٥ : ١٨ . الزمر ٣٩ : ٧ .

وراجع «**صحيح مسلم**»[١] تجد هناك ردّ عائشة عليه، وكذلك ردّ وأنكر عليه ابن عبّاس، هذا وناقض عمر قوله وفعله.

حيث أخرج البخاري في «**صحيحه**»[٢] أنّه أجاز النياحة والبكاء على خالد بن الوليد واستحسنه، وقال: «دعهنّ يبكين على أبي سليمان ما لم يكن نقع ولا لقلقة لسان، والنقع التراب على الرأس، واللقلقة الصوت»، وراجع الاستيعاب والإصابة بترجمة خالد.

وفي «**العقد الفريد**»: «لمّا توفّي خالد بن الوليد أيّام عمر بن الخطّاب، وكان بينهما هجرة، فامتنع النساء من البكاء عليه، فلمّا انتهى ذلك إلى عمر قال: وما على نساء بني المغيرة أن يرقن من دموعهنّ على أبي سليمان ما لم يكن لغو ولا لقلقة»، انتهى.

وفي «**إقناع اللائم**»: «وبكى هو على النعمان بن مقرن حين قُتل في فتح نهاوند، ووضع يده على رأسه من شدّة الحزن»[٣].

وبكى ابنه عبدالله بن عمر على حجر بن عديّ لمّا قتله معاوية[٤].

وفي «**صحيح مسلم**» ـ بعد نقل قول: إنّ الميّت يعذّب ببعض بكاء أهله عليه ـ قال ابن عبّاس: «فلمّا مات عمر ذكرت ذلك لعائشة فقالت: لا والله ما حدّث رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ الله يعذّب المؤمن ببكاء أحد، ولكن قال: **إنّ الله يزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه**.

قال: وقالت عائشة: حسبكم القرآن ﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ**﴾.

---

(١) صحيح مسلم: ٣٤٢/٢.

(٢) صحيح البخاري: ٨١/٢.

(٣) إقناع اللائم: ٨.

(٤) الاستيعاب: ترجمة حجر بن عدي.

قال : وقال ابن عبّاس عند ذلك : والله أضحك وأبكى .

قال ابن مليكة : « فوالله ما قال ابن عمر من شيء »[١] .

وفيه : عن حفصة ، عن اُمّ عطيّة ، قالت : « لمّا نزلت هذه ﴿ **يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ** ﴾[٢] قالت : كانت منه النياحة .

فقالت : فقلت : يا رسول الله ، إلّا آل فلان فإنّهم كانوا أسعدوني في الجاهليّة فلا بدّ لي من أن اُسعدهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : **إلّا آل فلان** »[٣] .

فإنّ النياحة لو كانت غير جائزة لما كان يصحّ استثناؤه ، كما لا يخفى .

وبالإجمال : فانحصار الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله بانفراد عمر وابنه عنه مع ما عرفت من ردع النبيّ إيّاه ، وإنكار عائشة وابن عبّاس عليه عجيب جدّاً في مثل هذا الأمر المبتلي به كلّ فرد من أفراد البشر ، ولا بدّ من أن تكون في نظره مقاصد كان ينظر إليها من بعيد ، وانكشفت للملأ بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله ، وبكاء الصدّيقة الطاهرة على أبيها ، ومنه تعلم السرّ في منعها البكاء ، وقطع الشجرة ، فلاحظ ولا تغفل[٤] .

---

(١) صحيح مسلم : ٣٣٤/٢.

(٢) الممتحنة ٦٠ : ١٢.

(٣) صحيح مسلم : ٣٤٦/٢ ، وراجع الطبقات الكبرى : ٣/٨.

(٤) إنّ ما فعله عمر من منع بكاء الصدّيقة الطاهرة عليها السلام على أبيها صلى الله عليه وآله إنّما كان لما كان في قلبه من الحقد على النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا نصّ على ابن عمّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام بأمر الخلافة والإمامة ، كما يفصح لك عن ذلك منعه كتابة النبيّ صلى الله عليه وآله الكتاب ، وتخلّفه عن جيش اُسامة حتّى شملته اللعنة من النبيّ صلى الله عليه وآله ، كما وشملت صاحبه ، وسعيه لإسكات الزهراء إنّما هو لعظيم ما ارتكبه من الجرم من ضرب حبيبة النبيّ ، وإحراق دارها ، كي لا يشتهر في المدينة ، كما لا يخفى . منه عفي عنه .

بكاء الأئمّة عليهم السلام على الحسين عليه السلام

أمّا بكاء عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام على ولده الحسين عليه السلام ، فقد تقدّم نقله في ضمن إخباره بقتل ولده الحسين عليه السلام ، فراجع .

بكاء عليّ بن الحسين عليهما السلام على أبيه

وفي « **المناقب** » : عن الصادق عليه السلام أنّه قال : « **بكى عليّ بن الحسين عشرين سنة ، وما وضع بين يديه طعام إلّا بكى ، حتّى قال له مولى له : جعلت فداك يابن رسول الله ، إنّي أخاف أن تكون من الهالكين .**

قال عليه السلام : **﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾**(١) **، إنّي لم أذكر مصرع بني فاطمة إلّا خنقتني العبرة** »(٢) .

في «**كامل الزيارات**» : بسنده عن إسماعيل بن منصور ، عن بعض أصحابنا : « قال أشرف مولى لعليّ بن الحسين عليه السلام وهو في سقيفة له ساجد يبكي ، فقال له : يا عليّ بن الحسين ، أما آن لحزنك أن ينقضي .

فرفع رأسه إليه فقال : **ويلك ، أوَ ثكلتك اُمّك ، أما والله لقد شكا يعقوب إلى ربّه في أقلّ ممّا رأيت حين قال : ﴿يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾**(٣) **وأنّه فقد ابناً واحداً ، وأنا رأيت أبي وجماعة أهل بيتي يذبحون حولي .**

قال : وكان عليّ بن الحسين عليه السلام يميل إلى ولد عقيل ، فقيل له : ما بالك تميل إلى

(١) يوسف ١٢ : ٨٦.

(٢) المناقب / ابن شهرآشوب : ٣/٣٠٣.

(٣) يوسف ١٢ : ٨٤.

بني عمّك هؤلاء دون آل جعفر ؟

فقال : **إنّي أذكر يومهم مع أبي عبدالله عليه السلام فأرقّ لهم** »[١] .

وبكاء الإمام الباقر عليه السلام يأتي في فضل البكاء ، فراجع .

بكاء الإمام الصادق عليه السلام على جدّه الحسين عليه السلام

وفي «**كامل الزيارات**» : بسنده عن ابن خارجة ، قال : «كنّا عند أبي عبدالله جعفر الصادق عليه السلام فذكرنا الحسين بن عليّ عليهما السلام ، فبكى أبو عبدالله وبكينا ، ثمّ رفع رأسه فقال : **قال الحسين بن عليّ : أنا قتيل العبرة ، لا يذكرني مؤمن إلّا بكى** »[٢] .

أقول: ومفهوم هذا الحديث الشريف أنّ غير المؤمن لا يبكي عليه ، ولو في

---

(١) كامل الزيارات : ٢١٤ ، الحديث ٣٠٧.

وفي روايه : « أما آن لحزنك أن ينقضي ؟ فقال له : **ويحك، إنّ يعقوب النبيّ عليه السلام كان له إثنا عشر ابناً، فغيّب الله واحد منهم فابيضّت عيناه من كثرة بكائه، واحدودب ظهره من الغمّ، وكان ابنه حيّاً في الدنيا، وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمّي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي، فكيف ينقضي حزني** » ـ كامل الزيارات : ٢١٣ ، الحديث ٣٠٧. مناقب ابن شهرآشوب : ٣٠٣/٣. الخصال : ٥١٨ ، الحديث ٤. اللهوف في قتلى الطفوف : ١٢٢. مسكن الفؤاد : ٩٢.

وكان إذا أخذ إناءً يشرب الماء بكى حتّى يملأها دمعاً ، فقيل له في ذلك ، فقال : **وكيف لا أبكي وقد منع أبي من الماء الذي كان مطلقاً للسباع والوحوش** .

وقيل له : إنّك لتبكي دهرك ، فلو قتلت نفسك لما زدت على هذا ؟

فقال : **نفسي قتلتها وعليها أبكي** » ، انتهى ، فلاحظ ـ منه عفي عنه .

كامل الزيارات : ٢١٣ ، الحديث ٣٠٦. مناقب ابن شهرآشوب : ٣٠٣/٣. أمالي الصدوق : ٢٠٤ ، الحديث ٢٢١. الخصال : ٢٧٣ ، الحديث ١٥. مكارم الأخلاق : ٣١٦.

(٢) كامل الزيارات : ١٠٨.

تمام عمره مرّة .

وفي « **المصباح** » : عن عبدالله بن سنان ، قال : « دخلت على سيّدي أبي عبدالله جعفر بن محمّد عليهما السلام في يوم عاشوراء فلقيته كاسف اللون ، ظاهر الحزن ، ودموعه تنحدر من عينه كاللؤلؤ المتساقط ، فقلت : يابن رسول الله ، ممّ بكاؤك لا أبكى الله عينيك ؟

فقال : **أوَ في غفلة أنت ، أما علمت أنّ الحسين بن عليّ أُصيب في مثل هذا اليوم**»(١).

وفي « **كامل الزيارات** » : بسنده عن أبي عمارة المنشد ، قال : « ما ذكر الحسين عليه السلام عند أبي عبدالله عليه السلام في يوم قطّ فرؤي أبو عبدالله عليه السلام متبسّماً في ذلك اليوم إلى الليل ، وكان يقول : **الحسين عبرة كلّ مؤمن** »(٢) .

وسيأتي أيضاً ما ينفع المقام في فضل ثواب إنشاء الشعر ، وشرب الماء ، وزيارة قبره المطهّر ، فلاحظ .

بكاء الإمام الكاظم وابنه الرضا عليهما السلام على جدّهما

في « **أمالي الصدوق** » : عن الرضا عليه السلام أنّه قال : « **إنّ المحرّم شهر كان أهل الجاهليّة يحرّمون فيه القتال فاستحلّت فيه دماؤنا ، وهتكت فيه حرمتنا ، وسبي فيه ذرارينا ونساؤنا ، واُضرمت النيران في مضاربنا وانتُهب ما فيها من ثقلنا ، ولم تُرع لرسول الله صلى الله عليه وآله حرمة في أمرنا . إنّ يوم الحسين عليه السلام أقرح جفوننا ، وأسبل دموعنا ، وأذلّ عزيزنا بأرض كرب وبلا ، أورثتنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء ، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون ، فإنّ البكاء عليه يحطّ الذنوب العظام** » .

ثمّ قال : « **كان أبي عليه السلام إذا دخل شهر المحرّم لا يرى ضاحكاً ، وكانت الكآبة تغلب**

---

(١) مصباح المتهجّد / الشيخ الطوسي : ٧٨٢.

(٢) كامل الزيارات : ٢١٤ ، الحديث ٣٠٩.

عليه حتّى تمضي منه عشرة أيّام ، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه ويقول : هو اليوم الذي قُتل فيه الحسين عليه‌السلام »[1] .

بكاء الإمام الحجّة عجّل الله فرجه على جدّه عليه‌السلام

على ما ورد في زيارة الناحية عنه عليه‌السلام : **فَلَاَنْدُبَنَّكَ صَباحاً وَمَساءً ، وَلَاَبْكِيَنَّ لَكَ بَدَلَ الدُّمُوعِ دَماً .**

قال العلّامة الطباطبائي الحائري قدس‌سره في رسالته الموضوعة في « **استحباب لبس السواد على الحسين** عليه‌السلام » المخطوطة[2] : « خاتمة : ربّما يظهر من بعض فقرات الزيارة الواردة عن الناحية عن مولانا الحجّة عجّل الله فرجه التي يخاطب بها جدّه الحسين (صلوات الله عليه) ما يدلّ على الجواز ، بل الرجحان المفرط من نحو الجزع والندبة والصياح والنياح في مصابه عليه‌السلام الموجبة لتشويه العين ونحوها من الأعضاء ممّا عساه يدخل في عنوان الضرر المسقط للتكاليف الموجبة له » .

إلى أن قال ـ بعد قوله عليه‌السلام بمثل ما نقلناه ـ : « ومن المعلوم أنّ تبدّل الدمعة بالدم لا يمكن عادة إلّا بعد عروض آفة من جرح ونحوه في العين من شدّة البكاء والجزع الموجبين لذلك .

وتعبيره (عليه الصلاة والسلام) عنهما بنحو التأكيد البليغ الصريح في دوام ذلك منه عجّل الله فرجه في مصاب جدّه المظلوم أرواحنا له الفداء ، يدلّ دلالة واضحة على أنّه (صلوات الله عليه) يحقّ لذلك ولأمثاله ممّا يدخل في عنوان الحزن في مصابه ، فضلاً عن غيره ممّا هو دونه مع صدق العنوان المطلوب عليه في العرف والعادة الذي منه لبس السواد في مصابه ، فإنّه أوْلى بالرجحان ممّا هو أعظم منه

---

(١) أمالي الصدوق : ١٩٠ ، الحديث ١٩٩ .

(٢) طبعت هذه الرسالة ـ بعد ذلك ـ بتحقيق سماحة العلّامة المؤلّف قدس‌سره .

الذي قد عرفت أنّه ممّا عساه يدخل في عنوان الضرر الممنوع عنه شرعاً لولا الرخصة فيه ».

إلى أن قال قدس سره : « واحتمال كون المراد من الفقرة المشار إليها غير ظاهر، كإغراق ونحوه، لا يتأتّى ولا يتصوّر على مذهبنا معشر الإماميّة »(١).

بكاء أهل البيت عليهم السلام عموماً على الحسين عليه السلام

في «**كامل الزيارات**» : بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام ـ في حديث طويل ـ أنّه قال : « **وما اختضبت منّا امرأة ، ولا ادّهنت ، ولا اكتحلت ، ولا رجّلت ، حتّى أتانا رأس عبيدالله بن زياد (لعنه الله) ، وما زلنا في عبرة بعده ، وكان جدّي (يعني الإمام السجّاد عليه السلام) إذا ذكره بكى حتّى تملأ عيناه لحيته ، وحتّى يبكي لبكائه رحمةً له من رآه** »(٢).

أقول: وبالإجمال : المتتبّع في بطون الكتب والتاريخ يجد أنّ أهل البيت عليهم السلام لم يكن لهم يوم سرور وعيد بعد قتل الحسين عليه السلام ، وكانت الكآبة وآثار الحزن عليهم ظاهرة ، وما رقدت لهم دمعة في الليل والنهار ، وكان كلّ يوم عندهم عاشوراء ، وقد جاءت الرواية : أنّ أعياد آل محمّد صلى الله عليه وآله بعد قتل الحسين مآتم إلى أن تظهر دولة الحقّ إن شاء الله تعالى ، كما عرفت في قول الإمام الرضا عليه السلام .

بكاء الزهراء عليها السلام على ولدها الحسين عليه السلام

في «**كامل الزيارات**» : عن أبى بصير ، قال : «كنت عند أبي عبدالله الصادق عليه السلام أُحدّثه ، فدخل عليه ابنه فقال له : **مرحباً** ، وضمّه وقبّله ، وقال : **حقّر الله من حقّركم ،**

---

(١) إرشاد العباد : ٥٨.

(٢) كامل الزيارات : ١٦٧ ، الحديث ٢١٩.

وانتقم ممّن وتركم ، وخذل الله من خذلكم ، ولعن الله من قتلكم ، وكان الله لكم وليّاً وحافظاً وناصراً ، فقد طال بكاء النساء وبكاء الأنبياء والصدّيقين والشهداء وملائكة السماء .

ثمّ بكى وقال : **يا أبا بصير ، إذا نظرت إلى وُلد الحسين عليه السلام أتاني ما لا أملكه بما أُتي إلى أبيهم وإليهم .**

يا أبا بصير ، إنّ فاطمة عليها السلام لتبكيه . . .

إلى أن قال : **أما تحبّ أن تكون فيمن يُسعد فاطمة عليها السلام** ، فبكيت حين قالها ، فما قدرت على النطق وما قدر على كلامي من البكاء . . . » الحديث[١] .

وفي « **أمالي المفيد** رحمه الله » : عن النيسابوري : « أنّ ذرّة النائحة رأت فاطمة عليها السلام فيما يرى النائم أنّها وقفت على قبر الحسين عليه السلام تبكي وأمرتها أن تنشد :

« أيُّها العينان فيضا واستهلّا لا تغيضا
وابكيا بالطفّ ميتاً تُرك الصدرُ رضيضا
لم أُمرّضه قتيلاً لا ولا كان مريضا »[٢]

هذا ، وقد بكى عليه الصحابة والتابعون ، كأُمّ سلمة رضي الله عنها ، كما في تذكرة الخواصّ والصواعق المحرقة ، وابن عبّاس ، ومالك بن أنس ، وزيد بن أرقم ، والحسن بن أبي الحسن البصري ، والربيع بن خيثم ، وغيرهم ، ممّا يطول المقام بذكرهم .

وهذه هي السيرة المستمرّة إلى يومنا الحاضر ، التي هي إحدى الأدلّة القاطعة على الجواز ، بل الاستحباب .

---

(١) كامل الزيارات : ١٦٩ ، الحديث ٢٢٠.

(٢) مناقب ابن شهرآشوب : ٣/٢٢٠.

بكاء السموات والأرضين وتفجّرها دماً على الحسين عليه السلام

في «**المناقب**» : عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى : **﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾**(١) «**يعني عليّ بن أبي طالب** عليه السلام ، **وذلك أنّ عليّاً خرج قبل الفجر متوكّئاً على عزة ، والحسين خلفه يتلوه حتّى أتى حلقة رسول الله** صلى الله عليه وآله **فرمى بالعزّة ، قال : إنّ الله تعالى ذكر أقواماً فقال : ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ والله ليقتلنّه ولتبكي السماء عليه**»(٢).

وذكر أبو نعيم في «**دلائل النبوّة**» ، والنسوي في «**المعرفة**» : قالت نضرة الأزديّة : «لمّا قُتل الحسين عليه السلام أمطرت السماء دماً ، وحبابنا وجرارنا صارت مملوّة دماً»(٣).

وقال طرفة بن عبدالله : «أمطرت السماء دماً نصف النهار على شملة بيضاء ، فنظرت فإذا هو دم ، وذهبت الإبل إلى الوادي لتشرب ، فإذا هو دم ، وإذا هو اليوم الذي قُتل (قتله ـ كذا) فيه الحسين عليه السلام »(٤).

وعن الصادق عليه السلام ، قال : «**بكت السماء على الحسين بن عليّ أربعين يوماً بالدم**»(٥).

وعن زرارة بن أعين ، عن الصادق عليه السلام ، قال : «**بكت السماء على يحيى بن زكريّا وعلى الحسين بن عليّ** عليهما السلام **أربعين صباحاً ، ولم تبك إلّا عليهما** .

قلت : فما بكاؤها ؟

---

(١) الدخان ٤٤ : ٢٩.

(٢) المناقب : ٢ / ١٨٢ ، ولاحظ الدرّ المنثور للسيوطي في تفسير الآية أيضاً.

(٣) و (٥) مناقب ابن شهرآشوب : ٣ / ٢١٢.

(٤) مناقب ابن شهرآشوب : ٣ / ٢١٢. بحار الأنوار : ٤٥ / ٢١٥.

قال: **فكانت الشمس تطلع حمراء، وتغيب حمراء**»[١].

وعن اُسامة بن شبيب: بإسناده عن اُمّ سليم[٢]، قالت: «لمّا قُتل الحسين عليه السلام مطرت السماء مطراً كالدم، احمرّت منه البيوت والحيطان»[٣].

وفي «**تفسير القشيري والفتّال**»، قال السدّي: «لمّا قتل الحسين بكت عليه السماء، وعلامتها حمرة أطرافها»[٤].

وعن محمّد بن سيرين، قال: «أخبرنا أنّ حمرة أطراف السماء لم تكن قبل قتل الحسين عليه السلام»[٥].

وفي «**تاريخ النسوي**»: روى حمّاد بن زيد، عن هشام، عن محمّد، قال: «تعلم هذه الحمرة في الأُفق ممّ هي، ثمّ قال: من يوم قُتل الحسين عليه السلام»[٦].

وفي حديث ميثم التمّار رضوان الله عليه المروي في «**الأمالي للصدوق**»: «اعلم ذلك بعهد عهده إلى مولاي أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، ولقد أخبرني أنّه يبكي عليه كلّ شيء حتّى الوحوش في الفلوات، والحيتان في البحار، والطير في جوّ السماء، وتبكي عليه الشمس والقمر والنجوم والسماء والأرض ومؤمنو الإنس والجنّ وجميع ملائكة السموات ورضوان ومالك وحملة العرش وتمطر السماء دماً ورماداً»[٧].

وفي «**الصواعق المحرقة**»: وذكر أبو نعيم الحافظ في كتاب دلائل النبوّة عن نصرة الأزديّة أنّها قالت: «لمّا قتل الحسين بن عليّ أمطرت السماء دماً، فأصبحنا

---

(١) بحار الأنوار: ٤٥/٢١١.

(٢) في نسخة: «سلمة».

(٣) مناقب ابن شهرآشوب: ٣/٢١٢. وروي قريباً من ذلك في الإبانة.

(٤ - ٦) بحار الأنوار: ٤٥/٢١٥.

(٧) أمالي الصدوق: ١٨٩، الحديث ١٩٨. علل الشرائع: ١/٢٢٩، الحديث ٣.

وجبابنا وجرارنا مملوءة دماً »[١].

ومما ظهر يوم قتله من الآيات أيضاً : « أنّ السماء اسودّت اسوداداً عظيماً حتّى رؤيت النجوم نهاراً ، ولم يرفع حجر إلّا وجد تحته دم عبيط »[٢].

وأخرج الشيخ إلى أن قال : « وأنّ السماء احمرّت لقتله »[٣].

وفيه أيضاً : وأخرج عثمان بن أبي شيبة : « أنّ السماء مكثت بعد قتله سبعة أيّام ترى على الحيطان كأنّها ملاحف معصفرة من شدّة حمرتها »[٤].

وفي « **الأمالي** » : بسنده عن أبي عبدالله جعفر بن محمّد عليهما السلام في حديث قال : « **إنّ أبا عبدالله لمّا قتل بكت عليه السموات السبع والأرضون السبع وما فيهنّ وما بينهنّ ومن ينقلب في الجنّة والنار ، وما يرى ولا يرى** »[٥].

وفي « **تهذيب التهذيب** » : قال خلف بن خليفة ، عن أبيه ، قال : « لمّا قُتل الحسين اسودّت السماء وظهرت الكواكب نهاراً »[٦].

وفي « **كامل الزيارات** » : بسنده عن جماعة كلّهم قالوا : « سمعنا أبا عبدالله عليه السلام جعفر الصادق عليه السلام يقول : **إنّ أبا عبدالله الحسين بن عليّ لمّا مضى بكت عليه السموات السبع والأرضون السبع ، وما فيهنّ ، وما بينهنّ ، ومن ينقلب عليهنّ ، والجنّة والنار ، وما خلق ربّنا ، وما يُرى ولا يُرى** »[٧].

وفي « **قرب الإسناد** » : عن أبي عبدالله جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال : « **كان قاتل يحيى بن زكريّا ولد زناً ، وقاتل الحسين ولد زناً ، ولم تبك السماء على أحد إلّا عليهما .**

---

(١) الصواعق المحرقة : ١١٦.

(٢ ـ ٣) الصواعق المحرقة : ١٩٤.

(٥) أمالي الطوسي : ٥٤.

(٦) تهذيب التهذيب : ٢/٣٥٤.

(٧) كامل الزيارات : ٨٠.

قلت : وكيف تبكي ؟

قال : **تطلع في حمرة وتغيب في حمرة** »[١] .

أقول: قاتل الحسين عليه السلام ولد زناً لا شكّ فيه ، ولا ريب يعتريه ، بل مبغض الحسين ومظهر العداوة له ولسائر الأئمّة عليهم السلام ولد زناً أيضاً .

كما روى شيخنا الصدوق رحمه الله في « **الأمالي** » : عن ابن عبّاس ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله ، قال : **يا عليّ ، لا يحبّك إلّا طاهر الولادة ، ولا يبغضك إلّا خبيث الولادة** »[٢] .

وفيه أيضاً : عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام : « **علامات ولد الزنا ثلاث : سوء المحضر ، والحنين إلى الزنا ، وبغضنا أهل البيت** »[٣] .

وفيه : قال النبيّ صلى الله عليه وآله : « **لا يحبّنا إلّا من طابت ولادته** »[٤] .

وفيه أيضاً : عن الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام ، عن أبيه ، عن آبائه عليهم السلام ، قال : « **قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أحبّنا أهل البيت فليحمد الله على أوّل النعم .**

قيل : وما أوّل النعم ؟

قال : طيب الولادة ، ولا يحبّنا إلّا من طابت ولادته »[٥] .

وفيه : عن المفضّل بن عمر ، قال : « قال الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام : **بليّة الناس عظيمة إن دعوناهم لم يجيبونا ، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا**[٦] .

قال المفضّل : وسمعت الصادق عليه السلام يقول لأصحابه : **من وجد برد حبّنا على قلبه**

---

(١) بحار الأنوار : ٢١٢/٤٥ .

(٢) أمالي الصدوق : ٣٨٣ .

(٣) أمالي الصدوق : ٤١٨ .

(٤) المصدر المتقدّم : ٤٥٠ و ٥٦٢ .

(٥) المصدر المتقدّم : ٥٦٢ .

(٦) المصدر السابق : ٧٠٧ .

فليكثر الدعاء لأُمّه ، فإنّها لم تخن أباه »(١) .

وفي « **الخصال** » : عن عليّ عليه السلام ، قال : « **قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من لم يحبّ عترتي فهو لإحدى ثلاث : إمّا منافق ، وإمّا لزنية ، وإمّا امرئ حملت أُمّه به في غير طهر** »(٢) .

وفي « **سنن ابن ماجة** » : بسنده عن زرين بن حبش ، عن عليّ عليه السلام ، قال : « **عهد إليَّ النبيّ صلى الله عليه وآله لا يحبّني إلّا مؤمن ، ولا يبغضني إلّا منافق** »(٣) .

وفي « **معاني الأخبار** » : عن موسى بن جعفر عليه السلام ، قال : « **إنّما شيعتنا المعادن والأشراف وأهل البيوتات ، ومن مولده طيّب** »(٤) .

وقد قيل في هذا المجال وأجاد من قال فيما قال :

يا لك من متجرة كاسدة … بين شياطين عتت ماردة
إذا تذكّرت بني أحمد … تنافروا كالإبل الشاردة
فقل لمن يلحاك في حبّهم … خانتك في مولدك الوالدة

وقال دعبل :

قل لابن خائنة البعول … وابن الجوادة والبخيل
إنّ المذمّة للوصيّ … هي المذمّة للرسول
أتذمّ أولاد النبيّ … وأنت من ولد النغول(٥)

---

(١) أمالي الصدوق : ٧٠٧ ـ ٧٠٨.

(٢) الخصال : ١١٠.

(٣) سنن ابن ماجة : ١/٤٢.

(٤) معاني الأخبار : ١٦١ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « **يا عليّ، من أحبّني وأحبّك وأحبّ الأئمّة من ولدك فليحمد الله على طيب مولده، فإنّه لا يحبّنا إلّا من طابت ولادته، ولا يبغضنا إلّا من خبثت ولادته** » ـ منه دام ظلّه .

(٥) نقلهما في المحاسن والمساوئ : ٥٠ ، وهناك أحاديث وردت في كتب القوم في هذا ⇦

وهناك روايات أُخر تدلّ على هذا المضمون ، بأنّ مبغضهم إمّا من أولاد العاهرات وإمّا مأبون ، والحمد لله الذي جعل ذلك علامة لأعدائهم ليعرفهم الناس ، حتّى يجتنبوا عن أقوالهم وأفعالهم ، وأنّ بعضاً اختبر نسب بعض المبغضين لأهل البيت عليهم السلام ، فوجده كذلك .

عوداً على بدء :

وفي « **الدرّ المنثور** » : قال : « وأخرج ابن عساكر ، عن قرّة ، قال : ما بكت السماء على أحد إلّا على يحيى بن زكريّا والحسين بن عليّ ، وحمرتها بكاؤها »(١) .

وفي ذخائر العقبى : عن جعفر بن سليمان ، قال : « حدّثتني خالتي أُمّ سالم ، قالت : لمّا قتل الحسين عليه السلام مطرنا مطراً كالدم على البيوت والجدر »(٢) .

وفي تفسير ابن جرير : عن السدّي ، قال : « لمّا قتل الحسين بن عليّ عليه السلام بكت السماء عليه ، وبكاؤها حمرتها »(٣) .

وفي « **قرب الإسناد** » : عن الصادق عليه السلام : « **كان الذي قتل الحسين** عليه السلام **ولد زنا ، والذي قتل يحيى بن زكريا ولد زنا** »(٤) .

وقال : « **احمرّت السماء حين قتل الحسين** عليه السلام **سنة** » ، ثمّ قال : « **بكت السموات والأرض على الحسين ، وعلى يحيى بن زكريّا ، وحمرتها بكاؤها** »(٥) .

وفي « **تفسير القمّي** » : في قوله تعالى : ﴿**لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا**﴾(٦) ،

⇦ الباب ، فلاحظ ، وراجع ديوان دعبل الخزاعي : ٢٣٦ .

(١) الدرّ المنثور : ٤/٢٦٤ .

(٢) ذخائر العقبى : ١٤٥ .

(٣) تفسير الطبري : ٢٥/١٦٠ .

(٤) و (٥) بحار الأنوار : ٤٥/٢١٣ .

(٦) مريم ١٩ : ٧ .

عن جابر ، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام ، قال : **يحيى بن زكريّا : لم يكن له سمّي قبله ، والحسين بن عليّ لم يكن له سمّي قبله ، وبكت عليهما السماء أربعين صباحاً ، وكذلك بكت الشمس عليهما ، وبكاؤها أن تطلع حمراء ، وتغيب حمراء** »[١] .

وفي « **الصواعق المحرقة** » : قال : ونقل ابن الجوزي عن ابن سيرين : « أنّ الدنيا أظلمت ثلاثة أيّام ، ثمّ ظهرت الحمرة في السماء » .

وقال أبو سعيد : ما رفع حجر من الدنيا إلّا وتحته دم عبيط ، ولقد مطرت السماء دماً بقي أثره في الثياب مدّة حتّى تقطّعت »[٢] .

وفيه أيضاً : وأخرج الثعلبي وأبو نعيم ما مرّ من أنّهم مُطروا دماً . زاد أبو نعيم : « فأصبحنا وحبابنا وجرارنا مملوّة دماً »[٣] .

وفي رواية : « أنّه مطر كالدم على البيوت والجدر بخراسان والشام والكوفة ، وأنّه لمّا جيء برأس الحسين إلى دار زياد سالت حيطانها دماً »[٤] .

وأخرج الثعلبي : « أنّ السماء بكت ، وبكاؤها حمرتها » .

وقال غيره : « احمرّت آفاق السماء ستّة أشهر بعد قتله ، ثمّ لا زالت الحمرة ترى بعد ذلك »[٥] .

وأنّ ابن سيرين قال : « أخبرنا أنّ الحمرة التي مع الشفق لم تكن قبل قتل الحسين »[٦] .

وذكر ابن سعد : « أنّ هذه الحمرة لم ترَ في السماء قبل قتله » .

قال ابن الجوزي : « وحكمته أنّ غضبنا يؤثّر حمرة الوجه ، والحقّ تنزّه عن الجسميّة ، فأظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين بحمرة الأُفق إظهاراً

(١ - ٦) الصواعق المحرقة : ١١٦ .

لعظم الجناية »[١]، فلاحظ .

أقول : انظر بالله عليك أيّها القارئ كيف أنّ ابن الجوزي يعترف بغضب الله على من قتل الحسين ، ويقبله ابن حجر ، ثمّ مع ذلك يمنع عن لعن قاتل الحسين ويشهد له بنجاته من النار ، ويحكم بخلاف ما أنزل الله ، ويهب ما لا يملك ، أوَليس ينبغي على كلّ موالٍ ومحبّ للحسين عليه السلام أن يبكي دماً بدل الدموع ، ويقيم له العزاء ، ويظهر النوح والبكاء ، ويلطم على الخدود والصدور ، ويحثّ التراب على الرؤوس ، بلى والله ينبغي ذلك ويجدر بكلّ مسلم أن يفعل ذلك ، وإلّا لما أدّى حقّ المحبّة والوداد ، ولا وفى بأجر الرسالة التي أمرنا الله بها ، كما لا يخفى على أهل السداد .

وعن الصادق عليه السلام ، قال : « **إنّ السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً بالدم ، وأنّ الأرض بكت أربعين صباحاً بالسواد ، وأنّ الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف** » الحديث[٢] .

ولزيادة الاطّلاع راجع « **تاريخ الخلفاء** » للسيوطي ، و« **الكامل** » لابن أثير ، وغيرهما في غيرها .

---

(١) الصواعق المحرقة : ١١٦ .

(٢) بحار الأنوار : ٢٠٦/٤٥ .

بكاء الوحوش والطير وكلّ شيء على الحسين عليه السلام

روى الصدوق في « **الأمالي** » : بسنده عن جبلة المكّية ، عن ميثم التمّار رضوان الله عليه ، أنّه قال : والله لتقتل هذه الأُمّة ابن نبيّها في المحرّم لعشرة يمضين منه ، وليتّخذنّ أعداء الله ذلك اليوم يوم بركة ، وإنّ ذلك لكائن ، قد سبق في علم الله تعالى ذكره ، أعلم ذلك بعهد عهده إليّ مولاي أمير المؤمنين عليه السلام ، ولقد أخبرني أنّه يبكي عليه كلّ شيء حتّى الوحوش في الفلوات ، والحيتان في البحر ، والطير في السماء ، وتبكي عليه الشمس ، والقمر ، والنجوم ، والسماء ، والأرض ، ومؤمنو الإنس والجنّ ، وجميع ملائكة السماوات والأرضين ، ورضوان ، ومالك ، وحملة العرش ، وتمطر السماء دماً رماداً .

ثمّ قال : وجبت اللعنة على قتلة الحسين عليه السلام كما وجبت على المشركين الذين يجعلون مع الله إلٰهاً آخر ، وكما وجبت على اليهود والنصارى والمجوس »[١] .

أقول : ووجبت اللعنة أيضاً على من منع البكاء ، وإقامة العزاء ، وأنكر فضل ذلك .

في « **كامل الزيارات** » : عن يونس وأبي سلمة والمفضّل بن عمر ، قالوا : « سمعنا أبا عبدالله عليه السلام يقول : **لمّا مضى الحسين بن عليّ بكى عليه جميع ما خلق الله إلّا ثلاثة أشياء : البصرة ودمشق وآل عثمان** »[٢] .

أقول : آل عثمان هم الأمويّون ومن والاهم ، ولم يكتفوا بعدم البكاء عليه حتّى ظهرت حثالة منهم في هذا العصر يمنعون المؤمنين من البكاء عليه عليه السلام ، منعهم الله من رحمته ، وحرمهم شفاعة نبيّه وأوليائه عليهم السلام .

---

(١) أمالي الصدوق : ١٨٩ ، الحديث ١٩٨ . علل الشرائع : ٢٢٩/١ ، الحديث ٣ .

(٢) كامل الزيارات : ١٦٦ .

وفيه أيضاً: عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «**بكت الإنس والجنّ والطير والوحش على الحسين بن عليّ عليهما السلام حتّى ذرفت دموعها**»[(١)].

وفيه أيضاً: بسنده عن الحارث الأعور، قال: «قال عليّ عليه السلام: **بأبي وأُمّي الحسين المقتول بظهر الكوفة، والله لكأنّي أنظر إلى الوحش مادّة أعناقها على قبره من أنواع الوحش يبكونه ويرثونه ليلاً حتّى الصباح، فإذا كان كذلك فإيّاكم والجفاء**»[(٢)].

أقول: قوله عليه السلام: «**فإذا كان كذلك**» يعني إذا كانت الوحش التي لم يكلّفها الله بشيء تبكي عليه وترثيه فأنتم معاشر المسلمين أوْلى بالبكاء عليه، والرثاء له، وإقامة العزاء لأجله، وأيم الله، منع الإنسان نفسه من همل الدموع ولو بعدم التباكي، وتشبّهه بأهل العزاء جفاء، والمنع منه ردّ على الله ورسوله، وجزاء من فعل ذلك جهنّم وبئس المصير.

كيف وقد بكى عليه الأنبياء والمرسلون، والملائكة المقرّبون، والأوصياء الصالحون، كما عرفت ذلك، وستعرف أيضاً.

---

(١) كامل الزيارات: ١٦٥.

(٢) كامل الزيارات: ١٦٥، الحديث ٢١٤.

ثواب البكاء على الحسين عليه السلام

إذا عرفت ما ذكرناه ، وأحطت خبراً بما تلوناه ، فاستمع الآن إلى ما ورد في فضل البكاء عليه ، وما أعدّ الله للباكين من الثواب .

ففي « **ثواب الأعمال** » : بسنده عن محمّد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : « **كان عليّ بن الحسين عليهما السلام يقول : أيّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين عليه السلام حتّى تسيل على خدّه بوّأه الله تعالى بها في الجنّة غرفاً يسكنها أحقاباً ، وأيّما مؤمن دمعت عيناه حتّى تسيل على خدّه فيما مسّنا من الأذى من عدوّنا في الدنيا بوّأه الله منزل صدق ، وأيّما مؤمن مسّه أذى فينا فدمعت عيناه حتّى تسيل على خدّه من مضاضة ما أُوذي فينا صرف الله عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخط النار** »[١] .

وفي « **ثواب الأعمال** » : بسنده عن بكر بن محمّد الأزدي ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : « **تجلسون وتتحدّثون ؟**

قال : قلت : جعلت فداك ، نعم .

قال : **إنّ تلك المجالس أُحبّها ، فأحيوا أمرنا ، من ذكرنا أو ذكرنا عنده ، فخرج من عينه مثل جناح الذبابة غفر الله ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر** »[٢] .

وفي « **كامل الزيارات** » : بسنده عن أبي حمزة ، عن أبيه ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : « سمعته يقول : **البكاء والجزع مكروه للعبد في كلّ ما جزع ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن عليّ عليه السلام ، فإنّه فيه مأجور** »[٣] .

---

(١) ثواب الأعمال : ٤٧. تفسير القمّي : ٢/٢٩١.

(٢) ثواب الأعمال : ١٠١.

(٣) كامل الزيارات : ١٠٠.

وفيه أيضاً: بسنده عن أبي هارون المكفوف، قال: «قال أبو عبدالله: **ومن ذكر الحسين عليه السلام عنده فخرج من عينيه[1] من الدموع مقدار جناح ذباب كان ثوابه على الله عزّ وجلّ، ولم يرضَ له بدون الجنّة**»[2].

وفي «**الخصال**»: عن عليّ عليه السلام: «**كلّ عين يوم القيامة باكية، وكلّ عين يوم القيامة ساهرة، إلّا عين من اختصّه الله بكرامته، وبكى على ما ينتهك من الحسين وآل محمّد عليهم السلام**»[3].

وفي «**الأمالي**»: عن الرضا عليه السلام: «**فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، فإنّ البكاء عليه يحطّ الذنوب العظام**»[4].

وفي «**كامل الزيارات**»: عن الصادق عليه السلام: «**وما من عين أحبّ إلى الله، ولا عبرة من عين بكت عليه، ودمعت عليه، وما من باكٍ يبكيه إلّا وقد وصل فاطمة عليها السلام وأسعدها عليه، ووصل رسول الله، وأدّى حقّنا، وما من عبد يحشر إلّا وعيناه باكية إلّا الباكين على جدّي الحسين عليه السلام، فإنّه يحشر وعينه قريرة، والبشارة تلقاه، والسرور بيّن على وجهه، والخلق في الفزع، وهم آمنون، والخلق يعرضون، وهم حدّاث الحسين عليه السلام تحت العرض، وفي ظلّ العرش لا يخافون سوء الحساب يقال لهم: ادخلوا الجنّة فيأبون ويختارون حديثه**»[5].

وفيه أيضاً: عن أبي بصير، قال: «كنت عند أبي عبدالله عليه السلام، دخل عليه ابنه، فقال له: **مرحباً**، وضمّه وقبّله، وقال: **حقّر الله من حقّركم، وانتقم ممّن وتركم،**

---

(١) في نسخة: «عينه».

(٢) كامل الزيارات: ٢٠٢.

(٣) الخصال: ٦٢٥، حديث الأربعمائة.

(٤) أمالي الصدوق: ١٩١ ـ ١٩٢.

(٥) كامل الزيارات: ١٦٨.

وخذل الله من خذلكم ، ولعن الله من قتلكم ، وكان الله لكم وليّاً وحافظاً وناصراً ، فقد طال بكاء النساء وبكاء الأنبياء والصدّيقين والشهداء وملائكة السماء .

ثمّ بكى وقال : **يا أبا بصير ، إذا نظرت إلى وُلد الحسين عليه السلام أتاني ما لا أملكه بما أُتي إلى أبيهم وإليهم .**

يا أبا بصير ، إنّ فاطمة عليها السلام لتبكيه وتشهق . . .

إلى أن قال : **فلا تزال الملائكة مشفقين يبكون لبكائها ، ويدعون الله ويتضرّعون إليه ، ويتضرّع أهل العرش ومن حوله ، وترتفع أصوات الملائكة بالتقديس . . .**

إلى أن قال : ثمّ قال لي : **يا أبا بصير ، أما تحبّ أن تكون فيمن يُسعد فاطمة عليها السلام** ، فبكيت حين قالها ، فما قدرت على النطق وما قدر على كلامي من البكاء ، ثمّ قام إلى المصلّى يدعو ، فخرجت من عنده على تلك الحال ، فما انتفعت بطعام ، وما جاءني النوم ، وأصبحت صائماً وجلاً حتّى أتيته ، فلمّا رأيته قد سكن سكنت وحمدت الله حيث لم تنزل بي عقوبة »(١) .

أقول: قد مرّ بعضه في بكاء الزهراء سلام الله عليها .

هذا ، وقوله : « وحمدت الله . . .الخ » يعني ظنّ أنّه يلزمه البكاء دائماً وأبداً عليه عليه السلام ، وإلّا تنزل عليه عقوبة من السماء ، ولمّا رأى مولانا الصادق عليه السلام قد سكن ، وكفّ عن البكاء سكن ما به من الفزع والخوف ، وشتّان ما بينه وبين من يمنع البكاء على سيّد الشهداء ولا يخاف أن تنزل به العقوبات ، ولكنّ الله يمهل الكافرين ويمدّهم في طغيانهم يعمهون ، ثمّ يأخذهم بغتة فإذا هم مبلسون ، ويقول لهم هذه جهنّم التي كنتم بها تكذّبون ، فأنتم اليوم فيها خالدون ، والحمد لله ربّ العالمين .

وفيه : عن الصادق عليه السلام : « **وأنّه ـ**يعني الحسين عليه السلام **ـ لينظر إلى من يبكيه فيستغفر**

---

(١) كامل الزيارات : ١٦٩ ، الحديث ٢٢٠.

له ، ويسأل أباه الاستغفار له ، ويقول : أيّها الباكي ، لو علمت ما أعدّ الله لك لفرحت أكثر ممّا حزنت ، وأنّه ليستغفر له من كلّ ذنب وخطيئة »(١) .

وفيه أيضاً : عن الفضيل بن يسار ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : « **من ذكرنا عنده ففاضت عيناه ولو مثل جناح بعوضة**(٢) **غفر الله له ذنوبه ، ولو كانت مثل زبد البحر »**(٣) .

وفيه أيضاً : بسنده عن محمّد بن فضيل ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : « **من ذكرنا عنده ففاضت عيناه حرّم الله وجهه على النار »**(٤) .

وفيه أيضاً : « وروي عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : **لكلّ شيء ثواب إلّا الدمعة فينا »**(٥) .

أقول : ولعلّ المراد منه أنّ لكلّ شيء ثواب معيّن محدود ، إلّا البكاء على أهل البيت ، فإنّ ثوابه لا يعيّن لكثرته ، ولا يعلمه إلّا الله .

وفي « **الأمالي** » : عن عليّ بن فضال ، عن أبيه ، قال : « قال الرضا عليه السلام : **من تذكّر مصابنا وبكى لما ارتكب منّا كان معنا في درجتنا يوم القيامة ، ومن ذكّر بمصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون ، ومن جلس مجلساً يحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب »**(٦) .

وفي « **تفسير القمّي** » : بسنده عن بكر بن محمّد ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : « **من ذكرنا أو ذكرنا عنده ، فخرج من عينه دمع مثل جناح بعوضة غفر الله له ذنوبه**

---

(١) كامل الزيارات : ٢٠٦ .

(٢) في نسخة : « الذباب » .

(٣) و (٤) كامل الزيارات : ٢٠٧ .

(٥) كامل الزيارات : ٢١١ .

(٦) أمالي الصدوق : ١٣١ .

ولو كانت مثل زبد البحر»[١].

وفي «**أمالي المفيد**» و«**أمالي الطوسي**» : عن أبان بن تغلب ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : «**نفس المهموم لظلمنا تسبيح ، وهمّه لنا عبادة ، وكتمان سرّنا جهاد في سبيل الله**.

ثمّ قال أبو عبدالله : **يجب أن يكتب هذا الحديث بالذهب**[٢].

قلت : بالذهب على الأحداق لا بالحبر على الأوراق ، وبالنور على وجنات الحور».

وفي «**كامل الزيارات**» : بسنده عن مسكان بن خارجة ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : «**قال الحسين بن عليّ** عليهما السلام : **أنا قتيل العبرة قتلت مكروباً ، وحقيق علَيَّ أن لا يأتيني مكروب إلّا ردّه الله ، أو أقلبه إلى أهله مسروراً**»[٣].

بيان: قوله عليه السلام : «**أنا قتيل العبرة**» أي قتيل منسوب إلى العبرة والبكاء ، وسبب لها ، أو أُقتل مع العبرة والحزن ، وشدّة الحال ، والأوّل أظهر ، انتهى.

أقول: إنّ قوله عليه السلام : «**أنا قتيل العبرة**» أي لا يذكرني مؤمن إلّا بكى ، لما جرى عليه من المصائب ، كما جاء في الحديث : «**إنّ الحسين قتيل العبرة لا يذكره مؤمن إلّا بكى**» ، فيكون البكاء لازماً للمؤمن عند تذكّره ، وأمّا غير المؤمن فلا يبكي عليه.

وفي «**الخصال**» : قال عليّ عليه السلام : «**إنّ الله تبارك وتعالى اطّلع إلى الأرض فاختارنا واختار لنا شيعة ينصروننا ، ويفرحون لفرحنا ، ويحزنون لحزننا ، ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا ، أُولئك منّا وإلينا**»[٤].

---

(١) تفسير القمّي : ٢/٢٩٢.

(٢) أمالي الطوسي : ١١٥.

(٣) كامل الزيارات : ٢١٦.

(٤) الخصال : ٦٣٥.

وفي «**البحار**»: عن ابن عبّاس، قال: «قال عليّ لرسول الله صلى الله عليه وآله: **يا رسول الله، إنّك لتحبّ عقيلاً.**

قال: **إي والله إنّي لأُحبّه حبّين: حبّاً له، وحبّاً لحبّ أبي طالب له، وأنّ ولده لمقتول في محبّة ولدك، فتدمع عليه عيون المؤمنين، وتصلّي عليه الملائكة المقرّبون**، ثمّ بكى رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى جرت دموعه على صدره، ثمّ قال: **إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي**»(١).

وفي «**ذخائر العقبى**»: عن الربيع بن المنذر، قال: «كان الحسين بن عليّ عليه السلام يقول: **من دمعت عيناه فينا دمعة، أو قطرت عيناه فينا قطرة، آتاه الله عزّ وجلّ الجنّة**»(٢).

وفي «**البحار**»: قال السيّد ابن طاووس: «روي عن آل الرسول أنّهم قالوا: **من بكى وأبكى فينا مائة فله الجنّة، ومن بكى وأبكى خمسين فله الجنّة، ومن بكى وأبكى ثلاثين فله الجنّة، ومن بكى وأبكى عشرين فله الجنّة، ومن بكى وأبكى عشرة فله الجنّة، ومن بكى وأبكى واحداً فله الجنّة**»(٣).

وفي «**الأمالي**»: عن الربيع بن المنذر، عن أبيه، عن الحسين بن عليّ عليهما السلام، قال: «**ما من عبد قطرت عيناه أو دمعت عيناه فينا دمعة إلّا بوّأه الله بها في الجنّة حقباً**».

وقال أحمد بن يحيى الأودي: فرأيت الحسين بن عليّ عليه السلام في المنام فقلت: حدّثني مخول عن إبراهيم، عن الربيع بن المنذر، عن أبيه، عنك، قلت: **ما من عبد قطرت عيناه فينا قطرة أو دمعت فينا دمعة إلّا بوّأه الله بها في الجنّة حقباً**.

---

(١) بحار الأنوار: ٢٨٨/٢٢.

(٢) ذخائر العقبى: ١٩.

(٣) بحار الأنوار: ٢٨٨/٤٤.

قال : **نعم** » .

قلت : سقط الإسناد بيني وبينك[١] .

وفي « **أمالي الطوسي** » : بسنده عن أبي عمارة الكوفي ، قال : « سمعت جعفر بن محمّد عليهما السلام يقول : **مَن دمعت عينه دمعة لدم سفك لنا ، أو حقّ لنا أُنقصناه ، أو عرض انتهك لنا ، أو لأحد من شيعتنا ، بوّأه الله تعالى بها في الجنّة حقباً** »[٢] .

أقول : ويستفاد من هذا الحديث استحباب البكاء حتّى بالنسبة إلى العالم والمؤمن ومطلق شيعة أهل البيت عليهم السلام ، ويدلّ عليه غيره أيضاً كما لا يخفى .

قال شيخنا الإمام العلّامة المجلسي قدس سره ما هذا نصّه : « أقول : رأيت في بعض تأليفات بعض الثقات من المعاصرين : روي أنّه لمّا أخبر النبيّ صلى الله عليه وآله ابنته فاطمة بقتل ولدها الحسين عليه السلام ، وما يجري عليه من المحن بكت فاطمة بكاءً شديداً ، وقالت : **يا أبتِ متى يكون ذلك ؟**

قال : **في زمان خالٍ منّي ومنك ومن عليّ** عليه السلام ، فاشتدّ بكاؤها ، وقالت : **يا أبتِ ، فمن يبكي عليه ، ومن يلتزم بإقامة العزاء له ؟**

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : **يا فاطمة ، إنّ نساء أُمّتي يبكين على نساء أهل بيتي ، ورجالهم يبكون على رجال أهل بيتي ، ويجدّدون العزاء جيلاً بعد جيل**[٣] **في كلّ سنة ، فإذا كان يوم القيامة تشفعين أنت للنساء ، وأنا أشفع للرجال ، وكلّ من بكى منهم على مصاب الحسين** عليه السلام **أخذنا بيده وأدخلناه الجنّة .**

يا فاطمة ، كلّ عين باكية يوم القيامة إلّا عين بكت على مصاب الحسين ، فإنّها

---

(١) أمالي الطوسي : ١١٧ .

(٢) أمالي الطوسي : ١٩٤ .

(٣) **الجيل** ـ بالكسر ـ : صنف من الناس ـ القاموس المحيط .

ضاحكة مستبشرة بنعيم الجنّة »[١]، انتهى فلاحظ.

وقال قدّس الله تربته: «ورأيت في بعض مؤلّفات أصحابنا أنّه حكي عن السيّد عليّ الحسيني، قال: كنت مجاوراً في مشهد مولاي عليّ بن موسى الرضا عليه السلام مع جماعة من المؤمنين، فلمّا كان اليوم العاشر من شهر عاشورا ابتدأ رجل من أصحابنا يقرأ مقتل الحسين عليه السلام، فوردت رواية عن الباقر أنّه قال: **مَن ذرفت عيناه على مصاحب الحسين ولو كان**[٢] **مثل جناح البعوضة غفر الله له ذنوبه، ولو كانت مثل زبد البحر**، وكان في المجلس معنا جاهل مركّب يدّعي العلم ولا يعرفه، فقال: ليس هذا بصحيح، والعقل لا يعتقده، وكثر البحث بيننا، وافترقنا من ذلك المجلس، وهو مصرّ على العناد في تكذيب الحديث.

فنام ذلك الرجل تلك الليلة، فرأى في منامه كأنّ القيامة قد قامت وحشر النّاس في صعيد صفصف لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، وقد نصبت الموازين، وامتدّ الصراط، ووضع الحساب، ونشرت الكتب، وأُسعرت النيران، وزخرف الجنان، واشتدّ الحرّ عليه، فإذا هو قد عطش عطشاً شديداً، وبقي يطلب الماء فلا يجده، فالتفت يميناً وشمالاً وإذا هو بحوض عظيم الطول والعرض.

قال: فقلت في نفسي: هذا هو الكوثر، فإذا فيه ماء أبرد من الثلج، وأحلى من العذب، وإذا عند الحوض رجلان وامرأة أنوارهم تشرق على الخلائق، وهم مع ذلك لباسهم السواد، وهم باكون محزونون، فقلت: من هؤلاء؟

فقيل لي: هذا محمّد المصطفى، وهذا الإمام عليّ المرتضى، وهذه الطاهرة فاطمة الزهراء.

فقلت: ما لي أراهم لابسين السواد وهم باكون محزونون؟

---

(١) بحار الأنوار: ٢٩٣/٤٤.

(٢) في نسخة: «في».

فقيل لي : أليس هذا يوم عاشوراء يوم مقتل الحسين عليه السلام ، فهم محزونون لأجل ذلك .

قال : فدنوت إلى سيّدة النساء فاطمة وقلت لها : يا بنت رسول الله ، إنّي عطشان ، فنظرت إليّ شرزاً .

وقالت لي : **أنت الذي تنكر فضل البكاء على مصاب ولدي الحسين** عليه السلام ، **ومهجة قلبي ، وقرّة عيني ، الشهيد المقتول ظلماً وعدواناً ، لعن الله قاتليه وظالميه ومانعيه من شرب الماء .**

قال الرجل : فانتبهت من نومي فزعاً مرعوباً ، واستغفرت الله كثيراً ، وندمت على ما كان منّي ، وأتيت إلى أصحابي الذين كنت معهم وخبّرت برؤياي ، وتبت إلى الله عزّ وجلّ »(١) ، انتهى ، فلاحظ .

أقول: وهذا الرجل قد أدركته السعادة ببركة ولائه لأهل البيت عليهم السلام ، وإنّما كان قوله مجرّد استبعاد لا إنكار وعناد .

هذا ، ولا يخفى أنّه لا ينبغي لمسلم أن يستبعد كثرة الثواب على مجرّد البكاء ، ولو كان بقدر جناح بعوضة أو ذبابة ، أن يغفر الله جميع ذنوبه ، ويستر عيوبه ، ويدخله الجنّة مهما كثرت بعد أن اعترفنا بأنّهم سادات الخلق ، وأئمّة الحقّ ، لا يدعون باطلاً ، ولا يقولون شططاً ، وحاشاهم ذلك ، فيجب علينا أن نتلقّى ذلك منهم بالقبول ، سواء قبله العقل أو لم يقبله ، كما في بقيّة أوامر الشارع التي يجب علينا قبولها .

وثانياً: أنّ المبكي عليه لمّا كان عظيماً عند الله غاية العظمة ، بحيث لا يتصوّر كنه عظمته غير الله وجدّه وأبيه وأُمّه وأخيه ، والتسعة المعصومين من ذرّيّته

---

(١) بحار الأنوار : ٤٤/٢٩٣.

وبينه (صلوات الله عليهم أجمعين)، يكون البكاء لأجله جليلاً، وثوابه كثيراً، وإن قلّ ذلك، فإنّ البكاء عندنا شيء يسير، وعنده جلّت عظمته كثير، فإنّك لو طلبت حاجة عظيمة عندك وكانت عند غيرك يسيرة، وأتاك بها، فهل كنت تكرمه بقدر ما في نظره أو بقدر ما عندك من أهمّيتها، ولعمري هذا واضح لا يخفى أمره على أحد.

ولكنّ أبالسة الإنس، ومرتزقة اليهود كيف يسوغ لهم وتسعهم إقامة شعائر الدين، ونشر فضائل الأئمّة الطاهرين، بل لو صدر عن الشارع المقدّس النهي عن البكاء، خصوصاً على سيّد الشهداء عليه السلام، لرأيتهم كيف كانوا يحرّضون الناس على البكاء، ويرتّبون عليه فوائداً تخرج عن حدّ الإحصاء، كما لا يخفى.

هذا، ولكنّ الحسين عليه السلام لمّا أظهر الدين بشهادته، ودكّ عروش الكفر والأمويّين بقتله، قام أبناؤهم ومرتزقة الوهابيّين بالمنع من ذلك.

وحقّ لي أن أقول لهم: تعساً لعقولكم أيّها السفلة، وتبّاً لقولكم أيّها العصابة الجهلة، أما اعتبرتم ما فعله أشياخكم من قبل فضلّوا وأضلّوا، ثمّ صاروا عبرة للعالم، ناطحوا الجبل العالي، فانفلقت هامتهم، وخرّبوا بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، وذاقوا وبال أمرهم في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى.

هذا، ولا يخفى أيضاً أنّ البكاء عليه عليه السلام يستحبّ حتّى لو كان سبباً لإيذاء بصره، وذهاب نوره؛ لما عرفت من هذه الأخبار الساطعة الأنوار، كيف وأنّ يعقوب نبيّ الله بكى على ولده يوسف حتّى ذهب بصره، واحدودب ظهره، وشاب رأسه، كما أخبر سبحانه بقوله تعالى: ﴿**وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيم * قَالُوا تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ**﴾(١)، مع علمه ببقاء ولده، وأنّه حيّ موجود يرزق، وعدم القدح في

---

(١) يوسف ١٢: ٨٤ و ٨٥.

نبوّته ، وإحباط أجره وثوابه ، وبكى زين العابدين حتّى خيف على بصره ، بل على نفسه المقدّسة من الهلاك .

وما عرفت من بكائه دماً على أبيه عليه السلام ، وهكذا مولانا الرضا الذي تقرّحت عينه الشريفة ، وليس يمكن ذلك إلّا بعد عروض آفة في العين كما لا يخفى ، مع ثبوت بكاء آدم على فراق الجنّة حتّى سالت الأودية من دموعه ، وذهب لحم خدّيه ، وقول الإمام الحجّة : « **ولأبكينّك بدل الدموع دماً** » ، وغير ذلك ممّا يدلّ عليه كما لا يخفى على الفقيه الماهر ، وإليه ذهب جماعة من الفقهاء ، فلاحظ قامعة أهل الباطل ، ورسالة العلّامة الطباطبائي الحائري رحمه الله .

المطلب السابع

استحباب رثاء الحسين وإنشاد الشعر له وللأئمّة عليهم السلام

لا يخفى أنّ البكاء والتباكي لا يحصل إلّا بقراءة مصيبته، والتذكّر لما جرى عليه، إمّا برثائه وإنشاده من عند نفسه أو بقراءة شعر غيره.

واعلم أنّ الأصل يقتضي جوازه، والعقل يدلّ على رجحانه، والنصوص متواترة بفضله وثوابه، كيف وقد جرت السيرة المستمرة من زمان آدم إلى يومنا الحاضر على ذلك.

وقد رثى آدم ولده هابيل، ورثى الصحابة والتابعون النبيّ صلى الله عليه وآله بمراثي كثيرة، وكذلك سيّدة النساء فاطمة الزهراء ومولانا أمير المؤمنين عليهما السلام وغيرهم، ممّن يعسر حصرهم وعدّهم.

ونكتفي هنا بذكر مراثي عليّ والزهراء (صلوات الله عليهما) لحجّية فعلهما بالإجماع من المسلمين، ونوكل القارئ إلى الكتب المبسوطة، وما سنذكره في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

رثاء أمير المؤمنين عليه السلام للنبيّ صلى الله عليه وآله

بنقل «**المناقب لابن شهر آشوب** رحمه الله»:

نَفْسِي على زَفَراتِها مَحْبُوسَةٌ   يا لَيْتَها خَرَجَتْ مَعَ الزَّفَراتِ

لاخَـيْرَ بَـعْدَكَ فـي الحَـياةِ وإِنَّـما أَبْكِي مَـخافَةَ أَنْ تَـطُولَ حَـياتِي[١]

رثاء الزهراء عليها السلام لأبيها صلى الله عليه وآله

رثاؤها (صلوات الله عليها) لأبيها صلى الله عليه وآله نقله الفريقان، ففي «**البحار**»: وروي أنّها ـ يعني فاطمة عليها السلام ـ أخذت قبضة من تراب قبره صلى الله عليه وآله فوضعتها على عينيها وأنشدت:

مَاذَا عَلَى مَنْ شَـمَّ تُـرْبَةَ أَحْـمَدٍ أَنْ لَا يَشَمَّ مَدَى الزَّمَانِ غَـوَالِـيا
صُـبَّتْ عَـلَيَّ مَـصَائِبٌ لَـوْ أَنَّـهَا صُبَّتْ عَلَى الْأَيَّامِ صِرْنَ لَيَالِيا[٢]

وفي «**المناقب**» من رثاء الزهراء لأبيها:

قُلْ لِـلْمُغَيَّبِ تَـحْتَ أَطْـبَاقِ الثَّـرىَ إِنْ كُنْتَ تَسْـمَعُ صَـرْخَتِي وَنِـدَائِـيا
صُــبَّتْ عَــلَيَّ مَــصَآئِبٌ لَوْ أَنَّـهَا صُــبَّتْ عَـلَى الْأَيَّـامِ صِـرْنَ لَـيَالِيا
قَدْ كُنْتُ ذَاتَ حِـمىً بِظِلِّ مُـحَمَّدٍ لَا أَخْشَ مِـنْ ضَـيْمٍ وَكَـانَ جَـمَالِيا
فَــالْيَوْمَ أَخْشَـعُ لِـلْذَلِيلِ وَأَتَّـقِي ضَـيْمِي وَأَدْفَـعُ ظَـالِمِي بِـرِدَائِـيا
فَــلَأَجْعَلَنَّ الْـحُزْنَ بَـعْدَكَ مُـونِسِي وَلَأَجْــعَلَنَّ الدَّمْـعَ فِـيكَ وِشَـاحِيا
فَــــإِذَا بَكَتْ قُـمْرِيَّةٌ فِــي لَــيْلِهَا شَجَناً عَلَى غُصْنٍ بَكَيْتُ صَبَاحِيا[٣]

ولها عليها السلام أيضاً:

كـنت السـواد لمـقلتي يــبكي عـليك النـاظر

(١) السيرة النبوية ٣٦٤/٣، المطبوع بهامش السيرة الحلبية.
(٢) تاريخ الخميس ١٧٣/٢. نزهة المجالس ١٦٦/٢.
(٣) مناقب آل أبي طالب ٢٠٨/١. المواهب اللدنية ١٦٠/٣.

من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أُحاذر(١)

ولها عليها السلام أيضاً بنقل ابن عبدربّه في «**العقد الفريد**»، قال: «وقفت فاطمة عليها السلام على قبر أبيها وقالت:

إنّا فَقَدْناكَ فَقْدَ الْأَرْضِ وابِلَها وَغابَ مُذْ غِبْتَ عَنّا الوَحي والْكُتُبُ
فَلَيْتَ قَبْلَكَ كانَ الْمَوْتُ صادَفَنا لَمّا نُعِيْتَ وَحالَتْ دونَكَ الْكُثُبُ

وقال عليها السلام أيضاً بنقل «**النهاية**» لابن الأثير:

قَدْ كانَ بَعْدَكَ أَنْباءٌ وَهَنْبَثَةٌ لَوْ كُنْتَ شاهِدَها لَمْ تَكثُرِ الْخُطَبُ
إنّا فَقَدْناكَ فَقْدَ الْأَرْضِ وابِلَها وَاخْتَلَّ قَوْمُكَ فَاشْهَدْهُمْ وَلَا تَغِبُ

وقالت عليها السلام أيضاً:

اِغْبَرَّ آفاقُ السَّماءِ وَكُوِّرَتْ شَمْسُ النّهارِ وَأَظْلَمَ الْعَصْرانِ
فَالْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ كَئِيْبَةٌ أَسَفاً عَلَيْهِ كَثِيرَةُ الرَّجَفانِ
فَلْيَبْكِهِ شَرْقُ البِلادِ وغَرْبُها وَلْيَبْكِهِ مُضَرٌ وَكُلُّ يَمانِ(٢)

هذا، ولاحظ رثاء صفيّة عمّته صلى الله عليه وآله له في «**الاستيعاب**»: «وممّن رثاه صلى الله عليه وآله أيضاً حسّان بن ثابت وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطّلب وأبو ذويب الهذلي وأبو الهيثم بن التهيان، وغيرهم، كما لا يخفى على المتتبّع لكتب السير وتاريخ النبيّ صلى الله عليه وآله، مضافاً إلى ما رثي به الشهداء، كحمزة سيّد الشهداء وجعفر بن أبي طالب وغيرهما.

---

(١) نقله الرفاعي في ضوء الشمس: ٧٤، البيتين لعليّ عليه السلام، وقال: «وبكى جهده حتّى كادتتزهق نفسه الكريمة»، فلاحظ ـ منه عفي عنه.

(٢) فاطمة الزهراء والفاطميّون: ٤٩.

ورثاء الخنساء لأخويها صخر ومعاوية ، وهما كافران ، وغيرهما أيضاً ، ولاحظ وفيات الأعيان لابن خلّكان في ترجمة وثيمة ، وقول عمر بن الخطّاب : « لوددت أنّك رثيت زيداً أخي بمثل ما رثيت به مالكاً ، ورثي متمم بعدها زيد بن الخطّاب » ، الخ ، فلاحظ .

إذا عرفت هذا فاعلم أنّه قد ورد من طريق العترة الطاهرة أحاديث كثيرة تدلّ على هذا المعنى :

ففي « **كامل الزيارات** » : بسنده عن أبي هارون المكفوف ، قال : « قال أبو عبدالله عليه السلام : **يا أبا هارون ، أنشدني في الحسين** عليه السلام ، فأنشدته ، فبكى ، فقال : **أنشدني كما تنشدون** ، يعني بالرقّة ، قال : فأنشدته : أمرر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكيّة .

قال : فبكى .

قال : **زدني** .

قال : فأنشدته القصيدة الأُخرى .

قال : فبكى ، وسمعت البكاء من خلف الستر .

فلمّا فرغت قال لي : **يا أبا هارون ، من أنشد في الحسين** عليه السلام **شعراً فبكى وأبكى عشراً كتبت له الجنّة ، ومن أنشد في الحسين** عليه السلام **شعراً فبكى وأبكى خمسة كتبت له الجنّة ، ومن أنشد في الحسين** عليه السلام **شعراً فبكى وأبكى واحداً كتبت له الجنّة ، ومن ذكر الحسين عنده فخرج من عينه**[1] **من الدموع مقدار جناح ذباب كان ثوابه على الله ، ولم يرضَ له بدون الجنّة** »[2] .

---

(١) في نسخة : « عينيه » .

(٢) كامل الزيارات : ٢٠٨ .

وفي «**رجال الكشّي**» : عن زيد الشحّام ، قال : «كنّا عند أبي عبدالله عليه السلام ـ يعني جعفر الصادق عليه السلام ـ ونحن جماعة من الكوفيّين ، فدخل جعفر بن عفّان على أبي عبدالله فقرّبه وأدناه ، ثمّ قال : **يا جعفر**.

قال : لبيّك ، جعلني الله فداك .

قال : **بلغني أنّك تقول الشعر في الحسين عليه السلام وتجيد** .

فقال له : نعم ، جعلني الله فداك .

قال : **قل** .

فأنشده فبكى ومن حوله حتّى صارت الدموع على وجهه ولحيته .

ثمّ قال : **يا جعفر ، والله لقد شهدت ملائكة الله المقرّبون هاهنا قولك في الحسين ، ولقد بكوا كما بكينا ، وأكثروا ، ولقد أوجب الله تعالى لك ـ يا جعفر ـ في ساعتك الجنّة بأسرها ، وغفر لك** .

فقال : **يا جعفر ، ألا أزيدك ؟**

قال : نعم يا سيّدي .

قال : **ما من أحد قال في الحسين شعراً فبكى وأبكى إلّا أوجب الله له الجنّة وغفر له**»(١) .

وفي «**ثواب الأعمال**» : عن صالح بن عقبة ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : «**من أنشد في الحسين عليه السلام بيتاً من شعر فبكى وأبكى عشرة فله ولهم الجنة** ، فلم يزل حتّى قال : **ومن أنشد في الحسين شعراً فبكى** ـ وأظنّه قال : أو تباكى ـ **فله الجنّة**»(٢) .

أقول : والتباكي هو فعل مَن لم تخرج الدمعة من عينه ، ولكن يشبّه نفسه بالباكي ،

---

(١) رجال الكشّي : ٥٧٥/٢ .

(٢) ثواب الأعمال : ٨٤ .

مع التأثّر والتوجّع.

قال العلّامة المقرّم رحمه الله: «ومعلوم أنّ التباكي إنّما يتصوّر فيمن تعسر عليه الدمعة، لكنّه لم يفقد التأثّر لأجل المصاب، كما يشاهد في كثيرين، فالتأثّر النفساني يتصوّر ما ورد على المحبوب من الآلام وفوادح يستلزم قهراً النفرة عمّن أورد ذلك العدوان».

وفي الحديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قرأ آخر الزمر: ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَراً**﴾[1] على جماعة من الأنصار، فبكوا إلّا شاباً منهم قال: لم تقطر من عيني قطرة، وإنّي تباكيت.

قال صلى الله عليه وآله: **من تباكى فله الجنّة**».

وروى جرير عنه صلى الله عليه وآله أنّه صلى الله عليه وآله قال: «**إنّي قارئ عليكم ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾[2] من بكى فله الجنّة، ومن تباكى فله الجنّة**».

وحدّث أبو ذرّ الغفاري عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**إذا استطاع أحدكم أن يبكي فليبك، ومن لم يستطع فليستشعر قلبه الحزن وليتباك، فإنّ قلب القاسي بعيد من الله**».

وهذه الأحاديث تدلّنا على أنّ التباكي منبعث عن حزن القلب، وتأثّر النفس كالبكاء، لكن في باب الرهبة منه سبحانه وتعالى يكون الحزن والتأثّر لأجل تصوّر ما يترتّب على مخالفة المولى من الخزي في الآخرة، فيتباعد عنه، ويعمل ما يقرّبه من المولى زلفة، وفي باب تذكّر مصائب آل الرسول يستوجب بغض من ناواهم، وأوقع بهم، وأساء إليهم، ولعلّ ما أشرنا إليه هو مراد الشيخ محمّد عبده، فإنّه قال: «التباكي تكلّف البكاء لا عن رياء».

---

(١) الزمر ٣٩: ٧١.

(٢) التكاثر ١٠٢: ١.

ويقول الشريف الجرجاني : « باب التفاعل أكثره إظهار صفة غير موجودة ، كالتغافل والتجاهل والتواجد ، وقد أنكره قوم لما فيه من التكلّف والتصنّع ، وأجازه قوم لمن يقصد به تحصيل الصفة ، والأصل فيه قوله صلى الله عليه وآله : **إن لم تبكوا فتباكوا** ، أراد به التباكي ممّن هو مستعدّ للبكاء لا تباكي الغافل اللاهي ، فالباكي والمتباكي مشتركان في احتراق القلب ، وتأثّر النفس لأجل تصوّر ما ورد من الظلم على أهل البيت عليهم السلام ، ومشتركان في لازمه ، وهو النفرة والتباعد عن كلّ من دفعهم عن مقامهم .

ومن لا يفقه مغازي كلام المعصومين يحكم بالرياء على المتباكي ، وبعدما أوضحناه من السرّ تعرف قيمة البلاغة ، وقدر البلغاء ، وكم لأهل البيت عليهم السلام من أسرار غامضة لا يقف عليها إلّا من مارس كلامهم ، ودرس مقتضيات الأحوال ، فإنّهم لم يزالوا يتحرّون الوسائل الدقيقة لتوجيه النفوس نحوهم ، وتعريف ما لهم من حقّ مغصوب »(١) ، انتهى المقصود من كلامه أعلى الله مقامه ، وعليه يكون مشتركاً في ثواب البكاء أيضاً .

وفي « **ثواب الأعمال** » أيضاً : عن أبي عمارة المنشد ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : « قال لي : **يا أبا عمارة ، أنشدني للعبدي في الحسين** عليه السلام .

قال : فأنشدته ، فبكى .

قال : **ثمّ أنشدني** ، فبكى .

قال : فوالله ما زلت أنشده ويبكي حتّى سمعت البكاء من الدار .

فقال لي : **يا أبا عمارة ، من أنشد في الحسين بن عليّ سلام الله عليهما فأبكى خمسين فله الجنّة ، ومن أنشد في الحسين** عليه السلام **فأبكى أربعين فله الجنّة ، ومن أنشد في الحسين** عليه السلام **فأبكى ثلاثين فله الجنّة ، ومن أنشد في الحسين** عليه السلام **فأبكى عشرين فله**

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام : ٩٩ و ١٠٠ .

الجنّة ، ومن أنشد في الحسين عليه‌السلام **فأبكى عشرة فله الجنّة ، ومن أنشد في الحسين** عليه‌السلام **فأبكى واحداً فله الجنّة ، ومن أنشد في الحسين** عليه‌السلام **شعراً فله الجنّة ، ومن أنشد في الحسين** عليه‌السلام **فتباكى فله الجنّة** »(١) ، انتهى .

وفي « **الأغاني** » : عن التميمي ، عن أبيه ، عن فضيل الرسّان ، قال : « أنشد جعفر بن محمّد قصيدة السيّد الحميري رحمه‌الله :

لأم عمرو باللوا مربع طامسة أعلامه بلقع

فسمعت النحيب من داره ، فسألني : لمن هي ، فأخبرته : إنّها للسيّد ، وسألني عنه فعرفته وفاته ، فقال : رحمه الله »(٢) .

(١) ثواب الأعمال : ٨٤.

(٢) الأغاني : ٧/٢٦١.

المطلب الثامن

جواز أخذ الأُجرة على قرائة المصائب

اعلم أنّي لم أرَ أحداً من الفقهاء تعرّض لذلك بخصوصه ، والظاهر جواز ذلك ، وعدم الإشكال ، كما هو مقتضى القاعدة لعدم ما يدلّ على المنع منه .

قد يقال : إنّ قرائة التعزية والتذكّر بمصائب أهل البيت عليهم السلام من قبيل تعليم الأحكام والقرآن ، والظاهر عدمه ، بل هو من باب النياحة ، وهو توصّلي بمعنى أنّه يمكن أن يقصد الثواب ، ويمكن أن يقصد أخذ الأُجرة ، كالنيابة عن الغير في فعل مستحب . **فهو ليس بواجب** كي يكون مقهوراً عليه ، أو استحبابي محض ينافي قصد الإخلاص ، وليس من قبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما لا يخفى ، وما دلّ على المنع إنّما هو في النوح بالباطل ، وإذا كان أصل النياحة جائزاً فأخذ الأُجرة جائز أيضاً ؛ لأنّه عمل محترم ، فيصحّ أخذ الأُجرة عليه ، ويدلّ عليه خبر أبي بصير عن الصادق عليه السلام ، قال : « **لا بأس بأجر النائحة التي تنوح على الميّت** »(١) .

وفي مرسلة الصدوق ، قال : « وسئل عن أجر النائحة ، قال : **لا بأس به قد نيح على رسول الله** صلى الله عليه وآله »(٢) .

---

(١) وسائل الشيعة : الباب ١٧ من أبواب ما يكتسب به ، الحديث ٧.

(٢) وسائل الشيعة : الباب ١٧ من أبواب ما يكتسب به ، الحديث ١٠.

ويدلّ عليه أيضاً : ما أوصى به الإمام الباقر عليه السلام ـ كما رواه الصدوق في « **الفقيه** » ، والشيخ في التهذيب من كتاب « **المكاسب** » ـ عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : « قال لي أبي : **يا جعفر ، أوقف لي مالي كذا وكذا للنوادب تندبني عشر سنين بمنى أيّام منى** »[١] .

ويؤيّده ، بل يدلّ عليه ، ما رواه شيخنا الصدوق رحمه الله في « **معاني الأخبار** » : عن حمزة بن حمران ، قال : « سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : **من استأكل بعلمه افتقر** .

فقلت : جعلت فداك ، إنّ في شيعتك ومواليك قوماً يتحمّلون علومكم ويبثّونها في شيعتكم فلا يعدمون على ذلك منهم الصلة والإكرام .

فقال عليه السلام : **ليس أُولئك بمستأكلين ، إنّما المستأكل بعلمه الذي يفتي الناس بغير علم ولا هدى من الله عزّ وجلّ ليبطل به الحقوق طمعاً في حطام الدنيا** »[٢] .

وعدم الفرق في بثّ علومهم ومناقبهم ، أو ذكر مصائبهم ، ولا فرق في أصل النياحة ، سواء كان على الأئمّة عليهم السلام أو غيرهم ، إلّا أنّ فيهم يكون عملاً عبادياً إذا قصد ذلك ، ويستحقّ الأجر عليه ، والأوْلى عدم الاشتراط لما في خبر حنّان لقوله عليه السلام : « **قل لها لا تشارط ، وتقبل ما أُعطيت** »[٣] ، وحمل على الاستحباب لنفي البأس عن أخذ الأُجرة في خبر أبي بصير المتقدّم ، فلاحظ .

---

(١) وسائل الشيعة : الباب ١٧ من أبواب ما يكتسب به ، الحديث ١ .

(٢) بحار الأنوار : ١١٧/٢ .

(٣) وسائل الشيعة : الباب ١٧ من أبواب ما يكتسب به ، الحديث ٣ .

المطلب التاسع

استحباب لبس السواد في عزاء الحسين عليه السلام

اعلم أنّ المشهور بين فقهائنا الإماميّة أعلى الله مقامهم، بل المدّعى عليه الإجماع بقسميه في كلام غير واحد، كراهة لبس السواد في خصوص الصلاة، بل مطلقاً، إلّا في ثلاث: الخفّ، والكساء، والعمامة، كما هو مورد النصّ، ومستندهم في ذلك جملة من الروايات، كما ذكروها في أبواب لباس المصلّي، وأبواب التزيّن باللباس من كتب الفقه والأخبار.

وها نحن ننقل تلك الأخبار برمّتها، وما دلّ على جواز لبسه، ثمّ بيان دلالتها على المدّعى وعدمه، فنقول:

فمنها: المرسل المروي في «**الكافي**»: قال: «وروي: **لا تصلّ في ثوب أسود، فأمّا الخفّ أو الكساء أو العمامة فلا بأس**»(١).

ومنها: مرفوعة أحمد بن محمّد المرويّة في «**الكافي**» أيضاً: عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «**يكره السواد إلّا في ثلاث: الخفّ، والعمامة، والكساء**»(٢).

وخبر أحمد بن أبي عبدالله عن بعض أصحابه، رفعه، قال: «**كان رسول الله** صلى الله عليه وآله

---

(١) الكافي: ٣/٤٠٣.

(٢) وسائل الشيعة: الباب ١٩ من أبواب لباس المصلّي، الحديث ١.

يكره السواد إلّا في ثلاث: الخفّ، والعمامة، والكساء»[١].

ومنها: ما رواه الشيخ الصدوق قدس سره في «**من لا يحضره الفقيه**» مرسلاً عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال فيما علّم أصحابه: «**لا تلبس السواد فإنّه لباس فرعون**»[٢].

وما رواه أيضاً في «**الفقيه**»: عن إسماعيل بن مسلم، عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «**أوحى الله إلى نبيّ من أنبيائه: قل للمؤمنين: لا تلبسوا ملابس أعدائي، ولا تطعموا مطاعم أعدائي، ولا تسلكوا مسالك أعدائي، فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي**»[٣].

وما رواه في «**الفقيه**» أيضاً: عن حذيفة بن المنصور أنّه قال: «كنت عند أبي عبدالله عليه السلام بالحيرة فأتاه رسول أبي العبّاس الخليفة يدعوه، فدعا بممطر أحد وجهيه أسود والآخر أبيض، فلبسه، ثمّ قال عليه السلام: **أما إنّي ألبسه وأنا أعلم أنّه لباس أهل النار**»[٤]، فلاحظ.

ويمكن أن يستدلّ لهم أيضاً بموثّق الحسين بن المختار، الوارد في الإحرام، قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: يحرم الرجل بالثوب الأسود؟

قال: **لا يحرم في الثوب الأسود، ولا يكفّن به الميّت**»[٥].

هذه هي جملة من الأخبار التي استدلّ بها الأصحاب، وجعلوها مستنداً لهم في الحكم بالكراهة، لما في مقابلها من الأخبار الدالّة على جواز لبسه، ومقتضى هذه النصوص الجواز على كراهة، لما يقتضيه الجمع بين ما دلّ على المنع والجواز، أو لاشتمالها على العلّة أو ضعف إسنادها.

---

(١) وسائل الشيعة: الباب ١٩ من أبواب لباس المصلّي، الحديث ٢.

(٢) وسائل الشيعة: الباب ١٩ من أبواب لباس المصلّي، الحديث ٥.

(٣) وسائل الشيعة: الباب ١٩ من أبواب لباس المصلّي، الحديث ٨.

(٤) وسائل الشيعة: الباب ١٩ من أبواب لباس المصلّي، الحديث ٧.

(٥) وسائل الشيعة: الباب ٢٦ من أبواب الإحرام، الحديث ١.

وذهب الصدوق قدس سره إلى حرمة لبسه في « **الفقيه** » حيث قال ـ بعد نقل رواية إسماعيل بن مسلم ـ: « فأمّا لبس السواد للتقيّة فلا إثم فيه »(١).

وتبعه بعض المعاصرين قدس سره في ذلك ، آخذاً بظاهر النصوص المانعة عن لبسه ، ولكنّ الإنصاف لمن ترك طريق الاعتساف بعد التدبّر فيها عدم الكراهة من حيث إنّه أسود فضلاً عن دلالة الحرمة ، كما لا يخفى .

لأنّ الخبر الأوّل ـ مضافاً إلى أنّه مرسل ، ولا يصلح أن يكون مستنداً للحرمة التي يحتاج فيها إلى دليل معتبر ، وإعراض الأصحاب عن القول بذلك ـ أنّه مخصوص بلبسه في حال الصلاة دون الأعمّ ، نظير قوله عليه السلام : « **لا تصلّ فيما لا يؤكل لحمه** » ، وغيره مثل : « **لا تصلِّ في الثوب النجس** » ، ونحوه .

وأمّا الثاني : فيدلّ على الكراهة المصطلحة لا الحرمة ، لما دلّ على جواز لبسه في غيره من الأخبار ، ولبسه الأئمّة عليهم السلام من دون ضرورة وتقيّة ، ولعلّه كان لبيان جواز لبسه ، إذ الإمام عليه السلام قد يفعل المكروه لبيان جوازه ، كما لا يخفى .

ووجود قرائن اُخر تدلّ عليه ، مع أنّها مرفوعة أيضاً لا تصلح أن تكون مستنداً للحرمة ، وكذلك الرواية الثالثة ، مع احتمال اتّحادها مع الرواية الثانية ، وأنّها رواية واحدة ، فلاحظ .

ومنه يظهر الوجه فيما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وقوله عليه السلام : « **إنّه لباس فرعون** » فإنّه ظاهر في النهي عن اتّخاذه شعاراً ، الذي لا يكون إلّا بعد انحصاره باللبس أو الغالب حتّى عرف به ، ورواية إسماعيل بن مسلم مع عدم صراحتها في خصوص لبس السواد ، واحتمال إرادة اللباس الخاصّ المشتمل على كيفيّة مخصوصة ، بقرينة المطعم والمسلك اتّخاذه شعاراً وزيّاً لهم ، بحيث عرفوا به ، كما يأتي هذا الاحتمال

---

(١) من لا يحضره الفقيه : ٢٥٢/١.

في خصوص قوله عليه السلام : «**إنّه لباس فرعون**» أيضاً ، كما عرفت .

وقوله عليه السلام ـ في لبس الممطر ـ : «**ألبسه وأنا أعلم أنّه لباس أهل النّار**» الظاهر في تعريضه عليه السلام بخلفاء بني العبّاس لعنهم الله ، الذين اتّخذوه شعاراً وزيّاً لهم ، مع احتمال إرادة خصوص الممطر المشتمل على هذه الكيفيّة لخاصّة ، فتأمّل .

وممّا يدلّ على أنّ الروايات الناهية عن لبسه إنّما هي على نحو اتّخاذه شعاراً وزيّاً ، أو النهي عن حصول التشبّه بهم : ما رواه في الفقيه والعلل والخصال على المحكيّ عنه : «**أنّه هبط جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وعليه قباء أسود ومنطقة فيها خنجر ، فقال صلى الله عليه وآله : يا جبرئيل ، ما هذا الزيّ ؟**

فقال : زيّ ولد عمّك العبّاس ـ يا محمّد ـ ويل لولدك من ولد عمّك العبّاس ، فخرج النبيّ صلى الله عليه وآله إلى العبّاس فقال : يا عمّ ، ويل لولدي من ولدك .

فقال : يا رسول الله ، أفأجب نفسي .

قال صلى الله عليه وآله : جرى القلم بما فيه»[١] .

فهذا يدل على أنّ المراد من الروايات الناهية عن لبسه على نحو اتّخاذه شعاراً ، وأنّه لباس أهل النّار ، كفرعون وبني اُميّة وبني العبّاس ، لعنهم الله جميعاً ، فكأنّه عليه السلام أراد من قوله : «**ألبسه وأنا أعلم أنّه لباس أهل النار**» التعريض بهم ، وبيان أنّهم من أهل الباطل المخلّدون في نار جهنّم ، ويرشد إليه أيضاً :

ما روي عن «**علل الشرائع**» : بسنده إلى داود البرقّي قال : «كانت الشيعة تسأل أبا عبدالله عليه السلام عن لبس السواد .

قال : فوجدناه قاعداً وعليه جبّة سوداء ، وقلنسوة سوداء ، وخفّ أسود مبطّن بسواد ، ثمّ فتق ناحية منه وقال : **أما إنّ قطنه أسود** ، وأخرج منه قطناً أسوداً .

---

(١) من لا يحضره الفقيه : ١/٢٥٢.

ثمّ قال : **بيّض قلبك ، والبس ما شئت**»[١] ، وفيه نكتة دقيقة بيّنها الإمام عليه السلام أنّ اللباس ليس له مدخليّة في اللبس بأيّ لون كان ، وإنّما اللازم عليك أن تبيّض قلبك بمعرفة الولاية ، وتنوّره بأخذك عن أئمّة الهدى الذين فرض الله طاعتهم عليك .

فمن هذا وأمثاله ينكشف عدم مدخليّة السواد بما هو سواد ، بل المقصود منها عدم اتّخاذه زيّاً وشعاراً لهم ، والاجتناب عن التشبّه بهم كي لا يعرف أنّه من الأعداء ، ويكون بلبسه مكثراً لسوادهم ، كما لا يخفى ، لا ما ذكره الصدوق رحمه الله من الحمل على التقيّة ، كما لا يخفى .

وقال بعض الأجلّة قدس سره : « وممّا يدلّ على عدم الكراهة ، فضلاً عن دلالة الحرمة : صحّة الاستثناء منها ، لعدم صحّة الاستثناء لو كان مكروهاً بما هو سواد .

وفيه : إنّ صحّة الاستثناء لا تدلّ على عدم الكراهة في المستثنى منه ، لصحّة الاستثناء في غيرها أيضاً ، كقوله : « **يكره سؤر ما لا يؤكل لحمه إلّا الهرّة** » ، وغيره ، كما لا يخفى .

وما دلّ على جواز لبسه بالخصوص ، مثل ما رواه في « **فروع الكافي** » : عدّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن محمّد بن عيسى ، عن سليمان بن راشد ، عن أبيه ، قال : « رأيت عليّ بن الحسين عليهما السلام وعليه درّاعة سوداء وطيلسان أزرق »[٢] .

بيان: الدرّاعة : واحدة الدراريع ، ومنه عليه درّاعة سوداء ، ورجل درّاع : عليه درع ، أي قميص ، كما في مجمع البحرين[٣] .

وما روي : « أنّ الحسين عليه السلام لمّا قتل كانت عليه جبّة خز دكناء » ، والدُّكن في « **القاموس** » ـ بالضمّ ـ : لون إلى السواد ، وفي الصحاح : لون يضرب إلى السواد ،

---

(١) علل الشرائع : ٢/٣٤٧.

(٢) وسائل الشيعة : الباب ١٨ من أبواب أحكام الملابس ، الحديث ٢.

(٣) مجمع البحرين : ٢/٢٦.

والقول بعدم عدّه من السواد في غير محلّه، لشهادة العرف مضافاً إلى تصريح أهل اللغة.

وما عرفت من لبس الإمام الصادق عليه السلام، وقوله: «**بيّض قلبك والبس ما شئت**»، مضافاً إلى ما يأتي غيرها من الأخبار الدالّة على استحباب لبسه في عزاء الحسين عليه السلام.

هذا، ولو كان لبسه حراماً بمجرّد لبس الأعداء له، للزم القول بحرمة غيره أيضاً ممّا هو مشترك بينهم وبين المؤمنين والمسلمين، كشمّ النرجس للصائم الذي هو من فعل المجوس، ومثل الأكل بالملاعق، كما يفعله الروم والمخالفون، كما في «**الحدائق**»(١).

إلى هنا ممّا ذكرناه عرفت أنّ حكمه الكراهة في حدّ نفسه.

وأمّا لبسه لأجل العزاء على سيّد الشهداء عليه السلام، فذهب جماعة من أعاظم علمائنا، وأكابر فقهائنا إلى استحبابه، لكونه مضافاً إلى ما دلّ على استحباب لبسه من العمومات، والأدلّة الخاصّة ولبس الأئمّة عليهم السلام أنّه من لباس أهل العزاء، وأنّه ممّا يلبس في أيّام المصيبة في العرف، وبحسب العادة الجارية عليه من قديم الزمان وسالف العصر والأوان، كما لا يخفى.

وكيف كان، فقد استدلّ عليه أو ما يمكن أن يستدلّ به على المطلوب: وجوه:

الأوّل: العمومات الكثيرة بالنسبة إلى إقامة العزاء، وإظهار الحزن الشاملة بإطلاقها للبس السواد أيضاً، وتكون كالاستثناء بالنسبة إلى ما دلّ على المنع من لبسه مطلقاً، وأنّه ممّا تتبدّل عناوينه الأوّليّة من الحرمة والكراهة بالعناوين الثانويّة المنطبقة عليها، وتكون حاكمة على الأدلّة الأوّليّة من المنع، كحكومة أدلّة العسر

---

(١) الحدائق الناضرة: ١١٧/٧.

والحرج على أدلّة الواجبات والمحرّمات ، فإنّ ما دلّ على كراهة لبس السواد يدلّ عليه فيما لو خلّي وطبعه من دون انطباق عنوان راجح أو أرجح عليه ، فتأمّل .

هذا ولا يخفى ، أنّ النسبة ـ بين ما دلّ على المنع من لبسه وبين ما دلّ على استحباب إقامة العزاء وإظهار الحزن على سيّد الشهداء عليه السلام ، الذي يكون لبس السواد أحد أفراد تلك المصاديق البارزة عند العرف ـ العموم من وجه ؛ لأنّ لبس السواد قد يكون لأجل إظهار الحزن على الحسين عليه السلام ، وقد يكون لغيره ، وكذلك إظهار الحزن قد يكون مع لبس السواد ، وقد يكون بغيره ، فيقع التعارض في مادّة الاجتماع في إظهار الحزن مع لبس السواد ، وعليه فإمّا أن نقول بوقوع التعارض بينهما والتساقط ، فيرجع في المنع إلى لبس السواد ، ولو على القول بالكراهة إلى أصالة الإباحة ؛ لأنّ الكراهة لا تخلو عن منقصة وحزازة في الفعل ، فيرفعها الأصل أيضاً لكون مورده امتنانيّاً لمقتضى رفعه .

وإمّا أن نقول بأرجحيّة إظهار الحزن مع لبس السواد ، لكثرة ما دلّ على استحباب إظهار الحزن وأهمّيته بنظر الأئمّة عليهم السلام ، فيكون لبسه مستحبّاً لأجل عزاء سيّد الشهداء عليه السلام .

إن قلت: إنّ إحدى مرجّحات باب التعارض تقديم ما ليس له بدل على ما له بدل .

قلت: إنّ المناط في تقديم أحدهما على الآخر هو ما كان ظاهراً بقوّته ، مضافاً إلى عدم ثبوت تقديم الإطلاق الشمولي على الإطلاق البدلي ، كما هو المذكور في محلّه ، فراجع .

إن قلت: إنّ تقديم النهي على الأمر أقوى من تقديم الأمر على النهي؛ لأنّ دفع المفسدة أهمّ من جلب المنفعة .

قلت: لو قلنا بامتناع اجتماع الأمر والنهي ووحدة المجمع وجوداً وماهيّة ،

لا محالة يكون الفعل إمّا مشتملاً على المصلحة أو المفسدة، فلو قدّمنا جانب النهي فلا مصلحة في الفعل، وكذلك العكس، ومنع الأولويّة، كما لا يخفى.

هذا، لو قلنا: إنّ اجتماع الأمر والنهي على القول بالامتناع من باب التعارض، وأمّا لو قلنا إنّه من باب التزاحم، فترجيح أحدهما على الآخر بأقوائيّة المناط في أحدهما، كما عرفت، والتفصيل في محلّه، فلاحظ.

وكلّ هذا في صورة عدم وجود دليل في الخارج على تقديم أحدهما على الآخر، وفي المقام قد عرفت وستعرف ما يدلّ عليه.

الثاني: إنّ النسبة بين ما دلّ على لبس السواد لأجل العزاء وإظهار الحزن على سيّد الشهداء ـ بأبي وأُمّي ـ بمقتضى اطلاق قوله: «**البسوا أثواب الحزن**» الشامل للسواد بمقتضى العرف والعادة، وبين ما دلّ على المنع من لبسه هي نسبة الإطلاق والتقييد، فيكون ما دلّ على لبسه لأجل إظهار الحزن مقيّداً لذلك الإطلاق، ومخصّصاً لعمومه، فيكون مستحبّاً.

وتوهّم: عموم الخطاب حتّى بالنسبة إلى حيوانات البحار، الدالّ على إظهار نوع الحزن، لعدم إرادة حقيقة اللبس إليهم.

مدفوع: باختلاف إرادة نحوي الحزن والعزاء الشامل لنا بالنسبة إلى لبس السواد.

هذا، وممّا دلّ على أنّ لبس السواد معدّ في العرف لأجل العزاء، واستحبابه في عزاء الحسين عليه السلام، بل سائر الأئمّة عليهم السلام، ما رواه السيّد المدني قدس سره في «**الدرجات الرفيعة**»: «إنّه لمّا توفّي أمير المؤمنين عليه السلام خرج عبيدالله بن العبّاس إلى الناس فقال: إنّ أمير المؤمنين توفّي، وقد ترك خلفاً، فإن أحببتم خرج إليكم، وإن كرهتم فلا أجد على أحد، فبكى الناس وقالوا: يخرج إلينا، فخرج الحسن عليه السلام وعليه ثياب سود، فخطب بهم فقال: **أيها النّاس، اتّقوا الله فإنّا أُمراؤكم وأولياؤكم، وإنّا أهل البيت الذين قال الله تعالى فينا: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**

﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾(١)، فبايعه الناس »(٢).

فإنّ هذه الرواية ـ كما قلنا ـ مضافاً إلى دلالتها على استحباب لبسه لأجل مصابهم وأنّ لبسه كان معروفاً ومتداولاً بين الناس عند المصيبة وفقد المحبوب ، تدلّ أيضاً على أنّ مساق تلك الروايات الناهية عن لبسه مطلقاً محمول على وجه اتّخاذه شعاراً ، والتزيّ بزيّهم ، لا كراهيّته من حيث نفسه ، وعليه فلا خصوصيّة في كراهته من حيث إنّه أسود ، بل على قصد حصول تلك الخصوصيّة ، أعني قصد المشابهة ، وهو جارٍ في غيره أيضاً ممّا علم اتّخاذه زيّاً لهم ، ولو على الشكل الخاصّ والكيفيّة المخصوصة .

الثالث : ما دلّ على استحباب لبسه في عزائه عليه السلام أيضاً : لبس الهاشميّات اللاتي فيهنّ مثل زينب بنت عليّ عليهما السلام التي هي تالية المعصوم في الكمالات والسيرة ، وقد قال في حقّها زين العابدين : « **أنت ـ بحمد الله ـ عالمة غير معلّمة ، وفهمة غير مفهّمة** »(٣) .

وما رواه في « **المحاسن** » : عن الحسن بن طريف بن ناصح ، عن أبيه ، عن الحسين بن زيد ، عن عمر بن عليّ بن الحسين ، قال : « لمّا قتل الحسين بن عليّ عليه السلام لبسن نساء بني هاشم السواد والمسوح ، وكنّ لا يشتكين من حرّ ولا برد ، وكان عليّ بن الحسين عليه السلام يعمل لهنّ الطعام للمأتم »(٤) ، ولو كان في لبسه حزازة من حرمة أو كراهة لمنعهنّ عليه السلام من لبسه ، وأمرهنّ بغيره ممّا هو معدّ للعزاء أيضاً ، وكيف لا يردعهنّ عن لبسه لو كان مكروهاً ، خصوصاً لأجل عزاء سبط الكائنات (صلوات

(١) الأحزاب ٣٣ : ٣٣ .

(٢) الدرجات الرفيعة : ١٤٧ .

(٣) أمالي المفيد : ٣٢٣ .

(٤) المحاسن : ٢/٤٢٠ .

الله عليه) حتّى يتّضح الأمر لباقي شيعته .

ومنها : قول زين العابدين عليه السلام لمّا سأله منهال وقال : كيف أصبحت يابن رسول الله صلى الله عليه وآله -في كلام طويل -: **فما تراني إلّا أسيراً ذليلاً ، قد عدمت الناصر والكفيل قد كسيت أنا وأهل بيتي ثياب الأسى ، وقد حرمت علينا جديد العرى** » ، فإنّ ثياب الأسى هي ثياب الحزن المنصرفة عند العرف إلى السواد من القديم إلى يومنا هذا ، كما ستعرف ذلك في كلام المحدّث النوري رحمه الله .

هذا ، مع ما يقال أيضاً : إنّه لا يراد من الأخبار الناهية عن لبس السواد الكراهة الحقيقيّة ، بل لأجل المصلحة في الترك ، لكونه سبباً توليديّاً لعنوان راجح من المخالفة لنوع تشبّه بأعداء أولياء الله تعالى ، كفرعون وبني اُميّة وبني العبّاس لعنهم الله جميعاً ، وإذا لم ينتزع منه عنوان المشابهة في لبسه في عزاء الحسين عليه السلام يكون مستحبّاً لعدم وجود مصلحة في الترك في المفروض .

وهذا الكلام ظاهر أيضاً في ما ذكرناه من عدم كراهته في حدّ نفسه ، إلّا إذا انطبق عليه عنوان المشابهة ، مع أنّ لبس السواد اليوم في عصرنا الحاضر ممّا اشتهر لبسه لأجل عزاء سيّد الشهداء ، وأنّه رمز للتشيّع ، حتّى عرفوا به عند غيرهم ، نظير الشهادة الثالثة بالولاية لعليّ عليه السلام في الأذان والإقامة ، كما لا يخفى .

هذا ، وبعد ما عرفت من صحّة التمسّك بالعمومات الدالّة على استحبابه -مضافاً إلى ما دلّ عليه بالخصوص ، بل على سائر الأئمّة عليهم السلام من فعلهم ولبسهم إيّاه ، ولبس الهاشميّات وحكاية الإمام الصادق عليه السلام فعلهنّ ، وتقرير ذلك وتأكيده في رواية ابن سدير ، وأنّ النسبة بين الدليلين نسبة الإطلاق والتقييد ، وأنّه ممّا يلبس في العرف من القديم إلى يومنا هذا ، حتّى إنّه شعار الدول في العالم عند موت السلطان أو حدوث كارثة مهمّة في الدنيا من رفع الرايات والأعلام السود ، واتّخاذهم منه علامة يعرف ذلك من نظر إليهم - لا ينبغي الإشكال في جواز لبسه واستحبابه في مصيبة

الحسين عليه السلام للفقيه العارف المحيط بالأخبار الواردة في المسألة بعد ما نظر إليها بعين التحقيق، وسبرها بيد التوفيق.

ولهذا ذهب جماعة كثيرة إلى استحبابه، كما عرفت في صدر الكلام، كالمحدّث الفقيه البحراني في «**الحدائق**»، والعلّامة الفقيه العقيلي النوري في «**شرح نجاة العباد**»، والمحدّث النوري في **المستدرك**، والفقيه الأُصولي المحقّق الكاظمي في «**هداية الأنام**» في شرح شرائع الإسلام، والفقيه العلّامة المتتبّع الطهراني نجل صاحب التقريرات في «**شفاء الصدور**»، والفقيه الدربندي في «**أسرار الشهادة**»، والعلّامة الفقيه الطباطبائي الحائري ووالده قدس سرهما، والفاضل المعاصر في «**شرح الشرائع**».

وهذا هو الحقّ الحقيق، الذي بالاتّباع يليق. قال العلّامة المحدّث الفقيه البحراني قدس سره ما هذا نصّه: «أقول: لا يبعد استثناء لبس السواد في مأتم الحسين عليه السلام من هذه الأخبار، لما استفاضت به الأخبار من الأمر بإظهار شعائر الأحزان، ويؤيّده ما رواه شيخنا المجلسي رحمه الله عن البرقي في كتاب المحاسن أنّه روي عن عمر بن زين العابدين عليه السلام: «**أنّه لمّا قتل جدّي الحسين المظلوم الشهيد لبس نساء بني هاشم في مأتمه لباس السواد، ولم يغيّرنها في حرّ أو برد**، وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يصنع لهنّ الطعام في المآتم».

وقال العلّامة الفقيه المحقّق الطبرسي قدس سره في «**وسيلة المعاد**» في شرح نجاة العباد ـ بعد نقل الأخبار والأقوال في كراهة لبس السواد ـ ما هذا نصّه: «أقول: وينبغي استثناء لبس السواد في مأتم الحسين عليه السلام.

إلى أن قال ـ بعد مثل قول المحدّث البحراني قدس سره ـ: ويؤيّده أيضاً ما ورد من الأمر بلبس الحزين على أهل البحار والبراري بعد شهادته عليه السلام بنداء الملائكة، كما هو مذكور في كتب المعصيبة»، انتهى.

وقال العلّامة الفقيه الدربندي قدس سره في «**أسرار الشهادة**» ما هذا نصّه: «ثمّ لا يخفى عليك أنّ من جملة ما يدلّ على استحباب التلبّس بالملابس السود في عشرة عاشوراء، هو الرواية المتقدّمة المتضمّنة لرؤيا ذلك الرجل في منامه، أي أنّه رأى في منامه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء قد تلبّسوا بالملابس السود.

فإن قلت: هل يمكن إثبات الحكم الشرعي الفرعي بالقضايا الواقعة بالمنامات.

قلت: نعم، فإنّ قول المعصوم وفعله وتقريره حجّة، سواء كان ذلك في اليقظة أو المنام، فمن أراد تحقيق الكلام المشبع في ذلك فليرجع إلى مصنّفاتنا في العلوم العقليّة والنقليّة»، انتهى.

أقول: ولعلّ مستنده قدس سره في ذلك الروايات الواردة عن النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام: «**من رآني فقد رآني، فإنّ الشيطان لا يتمثّل بي**»، ولكنّ إثبات حجّيته في غاية الإشكال، بل الإجماع على عدم اعتباره مسلّم، وما دلّ على حجّية قول المعصوم وتقريره منصرف عنه، كما لا يخفى، مع ما يقال من مباينة تكليف أهل الآخرة لتكاليف أهل الدنيا، فتأمّل.

هذا، ولا يخفى أنّ ما ورد من قوله عليه السلام: «**إنّ دين الله أجلّ من أن يرى في المنام**» وارد في الردّ على من زعم أنّ الأذان شرّع بالمنام، فلا يدلّ على عدم حجّية الرؤيا من مشاهدة المعصوم عليه السلام وأمره بفعل، كما لا يخفى.

وقال سيّدنا العلّامة الفقيه الميرزا جعفر الطباطبائي الحائري قدس سره[1] بعد كلام له

---

(١) كان أعلى الله مقامه، ورفع في الخلد أعلامه من أكابر فقهائنا المجتهدين، وأجلاء علمائنا المحقّقين، وأفاضل الفقهاء والأصوليّين، وأحد المراجع الإماميّة في عصره في الحائر الطاهر، ترجمه العلّامة الأمين في أعيان الشيعة، والطهراني في طبقات الأعلام، وغيرهم في غيرها، وكان رحمه الله من أخصّ أصدقاء جدّنا العلّامة الفقيه الربّاني السيّد ⇦

في رسالته المخطوطة : ما رجّحه شيخنا المحدّث البحراني قدس سره في « **حدائقه** » ، من رجحان لبسه في مأتم مولانا الحسين (عليه الصلاة والسلام) ومصيبته ، هو الأظهر ، لكن لا لتخصيصه أدلّة الكراهة كما هو قضيّة قوله : «لا يبعد استثناء لبس السواد في مأتم الحسين عليه السلام » معلّلاً باستفاضة الأخبار بشعار الحزن عليه مؤيّداً بالحديث الذي رواه عن خالنا العلّامة المجلسي رحمه الله المتضمّن على تقدير شمول عموم أدلّة الكراهة لمثله ودخوله في موضوعها .

وقد عرفت عدمها ، فلا حاجة معه إلى الاستثناء المذكور الذي لا يخلو على تقدير عن نوع تأمّل .

إلى أن قال قدس سره : وبالجملة : التأمّل في مساق أدلّة الكراهة بعد ضمّ بعضها إلى بعض يقضي بما اخترناه ، ويترتّب على ذلك صحّة النذر والعهد وانعقادهما على

⇦ حسين الموسوي الأصفهاني رحمه الله الذي كان من مشاهير علماء عصره ، وأعاظم فقهاء مصره ، وقد ذكره العلّامة الطهراني قدس سره في طبقاته أيضاً ، وعندنا تمثالهما الشريف ، أحدهما إلى جنب الآخر أعلى الله مقامهما في دار السلام ، ورسالته هذه مخطوطة موجودة عند بعض أصدقائنا سلّمه الله مع عدّة رسائل أُخرى له أيضاً بخطّه .

ونقلت رسالته هذه بخطّي عن خطّ الأصل ، وتوجد الآن في خزانة كتبنا ، وهي رسالة شريفة فريدة في بابها ، أثبت مصنّفها استحباب لباس السواد لأجل عزاء سيّد الشهداء عليه السلام ، وعدم كراهة لبسه من حيث هو ، بأدلّة كثيرة لا يستغني الفقيه والباحث عنها ، ونسأل الله التوفيق لطبعها ونشرها إن شاء الله تعالى .

هذا ، وقد ولد سيّدنا المشار إليه صاحب الرسالة قدس سره في الحائر الباهر سنة **١٢٥٨** في الثاني عشر من شهر ربيع الثاني ، كما وجد بخطّه على ظهر بعض مؤلّفاته ، وتوفّي سنة **١٣٢١** في اليوم الثاني والعشرين من شهر صفر المقارن للزوال يوم السبت ، كما وجد بخطّ ولده حسن المعروف بحاج آقا وحدّث بذلك صاحب أحسن الوديعة ، ووالده السيّد مير عليّ نقي قدس سره كان من الفقهاء المبرزين والمجتهدين الكمّلين قدس سره ـ منه عفي عنه .

لبسه في مأتمه عليه السلام فضلاً عن اليمين عليه »[١]، فلاحظ.

أقول: مبناه رحمه الله على عدم كراهة لبس السواد بما هو سواد كما لا يخفى.

ونقل في حاشيته القول بالاستحباب عن والده العلّامة أعلى الله مقامه، قال: «وكان والدي العلّامة أعلى الله مقامه في أواخر أمره وعمره يرى حسن التلبّس بهذا اللباس في أيّام مأتم مولانا الحسين عليه السلام المعهودة وندبيّته، فتوى وعملاً، إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى، بعكس ما كان عليه سابقاً.

وقال رحمه الله قبل كلامه هذا أيضاً: «وبالجملة: الإنصاف يقتضي الاعتراف بعدم شمول أدلّة كراهة لبس السواد ـ بعد الإحاطة بما ذكرناه ـ لما لو كان المقصود منه التحزّن بذلك على مولانا الحسين عليه السلام في أيّام مأتمه، بعد ما عرفت من كونه هو المعهود في العرف والعادة من قديم الزمان لكلّ مفقود عزيز جليل لهم، سيّما بعد صيرورته من شعار الشيعة قديماً وحديثاً من علمائهم، فضلاً عن غيرهم»[٢]، فلاحظ.

وقال العلّامة الفقيه المحقّق الكاظمي رحمه الله في «**هداية الأنام**» في شرح شرائع الإسلام ما هذا نصّه: «وفي استثناء لبسه في مأتم الحسين عليه السلام ونحوه، وجه غير بعيد، كما في الحدائق، لما دلّ على إظهار شعائر الحزن عليه عليه السلام، ولما روي من لبس نساء بني هاشم السواد ولم يغيّرنها في حرّ أو برد، وكان زين العابدين عليه السلام يصنع لهنّ الطعام في المآتم ولم ينكره عليه السلام عليهنّ».

وقال شيخنا العلّامة الميرزا أبو الفضل الطهراني رحمه الله في «**شفاء الصدور**» ما هذا نصّه: «ولبس جامة سياه و سياه پوشى خانها از بابت قيام به وظيفهٔ عزاداريست

---

(١) إرشاد العباد: ٥٣.

(٢) المصدر المتقدّم: ٣٩.

و تعظیم شعار و احیای امر ائمّه و ادلّهٔ کراهت لبس ثیاب سود با اینکه در بعض آنها اشعار به ترک سنّت بنی عبّاس است که شعار خود را سوادکرده بودند حکم واقعه فی نفسه ، ولولا المعارض با ملاحظه طریان عنوان عزاداری و مساعدت عرف این زمان بر اختیار سیاه برای عزا سخن داریم .

لهذا جماعتی از فقهاء مثل صاحب جواهر و غیره فتوی دادهاند در باب حدادکه بر معتدهٔ بعدّهٔ وفات واجب است ، و لازم او ترک تزیّن است به ملابس مصبوغه که این بحسب عادات مختلف می‌شود وظیفه آن است که او لباس عزا پوشد خواه سیاه باشد یا غیر او .

و در بعض اخبار وارد است که حضرت صادق روز عاشورا جامهٔ سفید پوشیده بود وبعض فقهای معاصرین به این عمل کرده در روز عاشورا بالخصوص جامهٔ سفید پوشیده بیرون آمده و این اشتباه است بلکه مؤیّد لبس سیاه جه جامه سفید در زمان بنی عبّاس جامه عزا بوده چنانچه در تواریخ مسطور است .

و آن‌حضرت بر عرف و عادت آن زمان جری کرده بود و چون دراین عهد لباس سیاه جامه معزی است پس پوشیدن جامه سیاه مستحب است نظر به عمومات باب ... الخ »[١] .

---

(١) جاءت ترجمة هذا النصّ الفارسي في النسخة العربيّة من شفاء الصدور : ٣٠٢/٢ بما هذا نصّه : «كما يستحبّ لبس السواد ، وكسوة البيت بالسواد طلباً للقيام بواجب العزاء ، ولتعظيم الشعائر وإحياء أمر الأئمّة عليهم السلام ، وما ورد من كراهة لبس السواد مع أنّ في بعضها ذكر السبب من كونه إشعاراً بترك سنّة بني العبّاس الذين جعلوا لبس السواد شعاراً لهم حكمٌ واقع في نفسه لولا المعارض ، ونحن بملاحظة طريان عنوان آخر وهو العزاء والاستعانة بعرف هذا الزمان ، حيث اتّخذ السواد شعاراً للحزن يكون مجرى حديثنا ، لهذا أفتى جماعة من الفقهاء ـ مثل صاحب الجواهر وغيره ـ في باب الحداد على المعتدّة عدّة الوفاة ⇦

وقال بعض المعاصرين سلّمه الله في «**شرح الشرائع**» ـ بعد ذكر عبارة صاحب الشرائع قدس سره ـ ما هذا نصّه: «ثمّ الظاهر استثناء ما إذا كان اللبس لعزاء الحسين عليه السلام فلا كراهة حينئذٍ، بل لعلّه يعدّ من العبادة، حيث إنّه لأجل العزاء في مصائب أهل البيت عليهم السلام»(١) انتهى.

ويدلّ على ما ذهب إليه هؤلاء الأعلام، مضافاً إلى ما مرّ، ما رواه في «**مستدرك الوسائل**»: الحسن بن سليمان الحلّي في كتاب المختصر، نقلاً عن الشيخ الفقيه الفاضل عليّ بن مظاهر الواسطي، بإسناد متّصل عن محمّد بن علاء الواسطي، ويحيى بن جريح البغدادي، عن أحمد بن إسحاق القمّي، عن أبي الحسن عليّ بن محمّد العسكري عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله في خبر طويل في فضل يوم التاسع من ربيع الأوّل وأساميه ـ إلى أن قال ـ: قال عليه السلام: «**ويوم نزع السواد**»(٢) المستفاد منه أنّ لبس السواد كان يلبس لأجل العزاء والتحزّن به.

وفيه: عن المنتخب ـ في حديث ـ: «**فلم تبق هاشميّة ولا قرشيّة إلّا ولبست**

⇦ ترك التزيّن بثياب مصبّغة، والألوان تختلف باختلاف العادات، ويجب عليها ارتداء ثياب العزاء، سواء كانت سواداً أو غيره.

وجاء في بعض الأخبار أنّ الإمام الصادق عليه السلام ارتدى ثياباً بيضاً يوم عاشوراء [أفاد معرّب الكتاب ومحقّقه ـ والحقّ كما أفاد ـ ما هذا نصّه: مع كثرة تتبّعنا لم نعثر على مصدره]، واقتفى بعض الفقهاء المعاصرين هذه السنّة فلبس ثياباً بيضاء وخرج على الناس يوم عاشوراء، وهذا خطأ؛ لأنّ المؤيّد في زماننا لبس السواد، وكان البياض شعار الحزن في العصر العبّاسي، كما هو وارد في التاريخ، وجرى الإمام عليه السلام على عرف أهل زمانه وعادتهم، ولمّا كان عرف اليوم يقضي بالسواد ثياباً للحداد استحبّ لبسها نظراً لعمومات الباب، مضافاً إلى وجود خبر خاصّ في المسألة.

(١) لم نعرف من يقصده المؤلّف قدس سره.

(٢) بحار الأنوار: ١٢٧/٣١.

الحداد على الحسين عليه السلام **، وندبوه »**[١] على ما نقل سبعة أيّام الخبر.

وفيه : عن هشام بن سعد ، عن المشيخة في خبر : أنّ ملكاً من ملائكة الفردوس الأعلى نزل على البحر ونشر أجنحته عليها ، ثمّ صاح صيحة وقال : يا أهل البحار ، البسوا أثواب الحزن ، فإنّ فرخ رسول الله مذبوح[٢].

قال شيخنا المحدّث النوري قدس سره ـ بعد نقل ذلك ـ ما هذا نصّه : « قلت : وفي هذه الأخبار والقصص إشارة أو دلالة على عدم كراهة لبس السواد ورجحانه حزناً على أبي عبدالله عليه السلام ، كما عليه سيرة كثير في أيّام حزنه ومأتمه.

ونقل ابن شهرآشوب في « **مناقبه** » عن « **تاريخ الطبري** » : « أنّ إبراهيم الإمام أنفذ أبي مسلم النصرة وظلّ السحاب ، وكان أبيض طوله أربعة عشر ذراعاً ، مكتوب عليها بالحبر : ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**﴾[٣] ، فأمر أبو مسلم غلامه أرقم أن يتحوّل بكلّ لون من الثياب ، فلمّا لبس السواد قال : معه هيبة ، فاختاره خلافاً لبني اُميّة ، وهيبة للناظر ، وكانوا يقولون : هذا السواد حداد آل محمّد عليهم السلام وشهداء كربلاء وزيد ويحيى ».

وقال ابن فهد في « **التحصين** » : « قيل لراهب رأى عليه مدرعة شعر أسود : ما الذي حملك على لبس السواد ؟

فقال : هو لباس المحزونين ، وأنا أكبرهم.

فقيل له : ومن أي شيء أنت محزون ؟

قال : اُصبت في نفسي أنّي قتلتها في معركة الذنوب ، فأنا حزين عليها ، ثمّ أسبل

---

(١) بحار الأنوار : ١٩٦/٤٥.

(٢) كامل الزيارات : ١٤٣.

(٣) الحجّ ٢٢ : ٣٩.

دمعه »[١]، انتهى، فلاحظ.

أقول: الغرض من نقل هذا كلّه بيان أنّ السواد لباس أهل الحزن والعزاء يلبس في أيّام المصيبة، كما عليه السيرة من القديم إلى يومنا هذا، ولهذا لا يتعارف لبسه في أيّام العيد والسرور، وإنّ لبسه أحد يظنّ في حقّه أنّه مصاب، مع عدم الخطور في ذهن أحد على من لبس السواد أنّه لبس لباس فرعون، أو تشبّه به، أو ببني العبّاس لعنهم الله، وإنّي قد رأيت جمعاً كثيراً من علمائنا يلبسونه في أيّام محرّم وشهر صفر.

وما قد يقال: من أنّ الأدلّة الدالّة على استحباب إظهار الحزن وإقامة العزاء، هو ما لم ينضمّ إليه فرد محرم، بل يجب أن يكون على النحو المقرّر في الشريعة، مثل قرائة القرآن، والتغنّي المحرّم، وكلّما كان من هذا القبيل يفهم المتشرّعة منه تقييده بغير الممنوع في الشرع حرمة أو كراهة، وما أشبه المقام باستحباب قضاء حاجة المؤمن وحرمة فعل الزنا إذا طلب ذلك.

في غير محلّه.

أوّلاً: لأنّ الفعل قد يتغيّر عن عنوانه الأوّلي فيما إذا انطبق عليه عنوان آخر، وتكون أدلّة العناوين الثانوية حاكمة على أدلّة العناوين الأوّليّة، وكلّما انطبق عليه عنوان راجح أو أرجح يفهم المتشرّعة منه في غير هذه الصورة، فتأمّل.

وثانياً: أنّ لبس السواد ممّا يشترك في لبسه الأعداء وأهل العزاء، وعليه تكون الأدلّة الدالّة على المنع من لبسه منصرفة عنه في هذا الخصوص، فيبقى ما دلّ على رجحان إقامة العزاء الذي يكون لبس السواد أحد أفراد تلك المصاديق البارزة عند العرف سليماً عن المعارض.

وأمّا ما مثّل به، فنقول: هذا هو في غير ما نحن فيه؛ لأنّ أصل الطلب حرام

---

(١) التحصين: ١٥ ـ ١٦.

ومنهيّ عنه ، ويجب ردعه عنه ، فكيف يكون مستحبّاً قضاء حاجة المؤمن مع طلبه الحرام ، كما لا يخفى .

وقوله عليه السلام : « **لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق** » لا دخل له بما نحن فيه ، وكذلك قوله : « **لا يطاع الله من حيث يُعصى** » مثل : أن يسرق الرغيف ويتصدّق به ، فكلّما كان من هذا القبيل فهو معصية لا طاعة أصلاً ، وأين هذا ممّا نحن فيه الذي يكون من قبيل الإطلاق والتقييد ، وكما عرفت من عدم صحّة الاستدلال بها على الكراهة من حيث إنّه أسود ، ولبسه الإمام الحسن عليه السلام في وفاة والده أمير المومنين عليه السلام ، وخصوصاً بعد أن صار شعار الشيعة في طيلة هذين الشهرين كما عرفت في كلام العلّامة الطباطبائي قدس سره .

ومن كلّ ما ذكرناه ثبت استحباب لبس السواد في عزاء الحسين ، بل استحباب لبسه في مصاب سائر الأئمّة الاثني عشر والنبيّ والزهراء (صلوات الله عليهم أجمعين) .

هذا ، وممّن ذهب إلى استحباب لبس السواد في عزاء الحسين عليه السلام شيخنا الفقيه الأُصولي الشيخ مجتبى اللنكراني دامت بركاته الذي هو اليوم من أعاظم العلماء ، وأكابر الفقهاء ، وله اليد الطولى في المعقول والمنقول والأدب ، والباع الممتدّ في التاريخ والحديث والتفسير ولغة العرب ، وقد ترجمته في الجزء الثاني من جلاء البصر ، وممّن ذهب إلى استحباب لبسه العلّامة الفقيه النخجواني قدس سره في « **الدعاة الحسينيّة** » ، وغيرهم ممّن يطول المقام بذكرهم ، وللعلّامة السيّد حسن الصدر (قدّس الله سرّه) رسالة في هذا الباب يظهر من اسمها الاستحباب ، حيث سمّاها « **تبيين الرشاد في لبس السواد على الأئمّة الأمجاد** » .

المطلب العاشر

استحباب لطم الصدور وضرب الظهور بالسلاسل
وجرح الرؤوس بالمدى والسيوف

لا يخفى أنّ لطم الصدور، وضرب السلاسل على الظهور، ما لم يبلغ حدّ الاحمرار أو السواد، فممّا لا إشكال فيه عند الكلّ بلاكلام.

وإنّما الإشكال ومورد النقض والإبرام، وما هو محلّ الكلام عند فقهائنا الأعلام (أعلى الله مقامهم في دار السلام)، هو ما إذا بلغ تلك المرتبة المذكورة.

فنقول: إنّ ما هو الثابت من الأدلّة، كتاباً وسنّة، من أدلّة نفي الضرر هو ضرب الغير؛ لثبوت الدية به، وما دلّ على حرمة الإيذاء، وأدلّة حرمة الضرب والضرر منصرفة عن ضرب النفس والإضرار به، فيكون مقتضى الأصل جوازه إلّا ما ثبت بدليل.

وقد ثبت بالدليل، كتاباً وسنّة وإجماعاً، حرمة إتلاف النفس، والضرب الذي يُخاف منه الضرر الكثير الذي لا يتحمّل عادة، أو نقص عضو منه.

وأمّا الضرر الخفيف اليسير، أو الذي يتحمّل عادة وغالباً، ولم يستلزم منه نقص عضو، فممّا لم تثبت حرمته.

وما دلّ على حرمة الغسل أو الوضوء الذي يسوغ معه التيمّم إنّما هو في وجود

خوف الضرر أو المرض الذي لا يتحمّل غالباً ، أو يكون سبباً لما يشين خلقته ، كما هو المذكور في كتب الفقه لفقهائنا الأعلام في أبواب الغسل والوضوء ، وما يسوغ معه الإفطار ، أو ما لا يتحمّل عادة للمشقّة الكثيرة المنفيّة بأدلّة نفي العسر والحرج .

وبالإجمال : الضرر الذي يحرم ارتكابه هو ما أدّى إلى تلف النفس أو المرض أو نقص عضو منه ، ومع عدمه ، بل الأمن منه ، لم يدلّ دليل على حرمته ، وإن بلغ إلى حدّ الاحمرار أو السواد والإدماء ، وما دلّ على حرمة الإيذاء منصرف إلى حرمة إيذاء الغير لا إيذاء النفس ، كما لا يخفى .

كيف ، وقد شققن ولطمن الخدود الفاطميّات على الحسين عليه السلام ، كما رواه الشيخ قدس سره في « **التهذيب** » عن الصادق عليه السلام ، قال : « **ولا شيء في اللطم على الخدود سوى الاستغفار والتوبة ، وقد شققن الجيوب ، ولطمن الخدود الفاطميّات على الحسين بن عليّ ٨ ، وعلى مثله تلطم الخدود وتشقّ الجيوب** »(١) ، فإنّ الإمام عليه السلام في مقام البيان والاحتجاج بفعلهنّ ، وطلبه من ذلك على الحسين عليه السلام صريح ، وإن بلغ المرتبة المذكورة لما هو لازم الضرب عند اشتداد المصيبة .

وقوله عليه السلام : « **كلّ الجزع والبكاء مكروه ما خلا الجزع على الحسين عليه السلام** » يدلّ على أنّ اللطم ، وشقّ الثوب ، والبكاء ، وغير ذلك ممّا يصدر من الجازع ، غير مكروه ، بل فيه الفضل والرجحان .

ومنه : يعلم وجه ضرب الرؤوس بالسيوف وجرحها المعبّر عنه بالتطبير ، فإنّه إذا أمن الضرر فالظاهر عدم الإشكال فيه ؛ لعدم ما يدلّ على حرمة الجرح ما لم يؤدّي إلى تلف النفس أو المرض الذي لا يتحمّل ، أو ما يشين خلقته .

إن قلت: قد ثبت كتاباً وسنّة حرمة الإيذاء ، أمّا بالنسبة إلى الغير فمسلّم بالأدلّة

---

(١) تهذيب الأحكام : ٨/٣٢٥.

الأربعة، وكذلك إيذاء النفس لعدم وجود المخصّص والتقييد بالنسبة إليه، ودعوى الانصراف ممنوعة، كيف وقد صرّح الشهيد ﷺ بحرمة الإعانة على الإثم والحرام وشموله للنفس أيضاً، ودعوى الاستفادة من دليل السلطنة على النفس: (النّاس مسلّطون على أنفسهم [١] وأموالهم) لإثبات الجواز، إن تمّت فهي لا تفيد إلّا الثبوت من حيث النفع دون الضرر؛ لعدم الإجمال في أدلّة حرمة الإيذاء.

قلت:

أوّلاً: إنّ الإيذاء يطلق على معانٍ، منها الظلم، وهو المراد منه ظاهراً من قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ**﴾[٢]، وإيذاء المؤمنين كأكل أموالهم، والتعدّي عليهم: من سجنهم، وضربهم، ونحوهما، وليس منه التعزيرات والحدود الشرعيّة، لكون الظلم من المستقلّات العقليّة، وليس كذلك فيما نحن فيه، لأنّه نفع كتحمّل الأعمال الشاقّة، وإتعاب النفس لأجل تحصيل المنافع الأُخرويّة، كمجاهدة النفس، والمشي إلى بيت الله الحرام، وأوليائه الكرام عليهم السلام، والصوم في أيّام الصيف، والحرّ الشديد، وغير ذلك، ومثل الاجتهاد الذي هو اليوم أبعد من طول الجهاد، فلا يقال لمن تحمّل ذلك أنّه ظلم نفسه.

وثانياً: يطلق الإيذاء على مطلق تحمّل المشاقّ والمضارّ الدنيويّة من جهة تحصيل المعاش وترميمه، فالأوّل مستحبّ، وأنّه من العبادة، والثاني مباح للأصل وعدم الدليل على حرمته، وكذلك يعدّ العزاء لأجل سيّد الشهداء بجميع أقسامه من القسم الأوّل، وعليه فانحصرت الحرمة بالظلم والتعدّي، وهو منصرف عن النفس.

وقول الشهيد ﷺ خارج عمّا نحن فيه، ودعوى (الناس مسلّطون) إنّما هو في مقام

---

(١) لم يوجد في ما هو المنقول في غير كلام المستشكل (وأنفسهم)، كما لا يخفى ـ منه عفي عنه.

(٢) الأحزاب ٣٣: ٥٧.

بيان عدم الحقّ لغير صاحبه وحرمة التعدّي ، مع أنّ ثبوته في خصوص النفع ممنوع ، بل ثبوته مطلقاً إلّا ما دلّ الدليل عليه كحرمة التبذير والإسراف .

هذا ، وممّا يدلّ على إثبات ما نحن بصدد إثباته : استحباب المشي على الأقدام إلى زيارة أبي عبدالله عليه السلام مع المسافات البعيدة ، وتحمّل الأذى ، خصوصاً في الأزمان السابقة ، وحثّ الأئمّة شيعتهم عليه مع وجود الخوف من السلاطين الكفرة ، كبني اُميّة وبني العبّاس وغيرهم ، ممّا سيأتي بيانه في استحباب تحمّل المشقّة لزيارته عليه السلام ، حتّى مع احتمال القتل والمثلة ، كما لا يخفى .

وتحمّل أبي الفضل عليه السلام العطش حتّى قتل تأسّياً بأخيه الحسين عليه السلام ، وما ثبت من ضرب الصدّيقة الصغرى زينب الكبرى (صلوات الله عليها) جبينها بعمود المحمل حتّى جرى الدم من تحت قناعها ، وهي العالمة غير المعلّمة ، ومعه كيف لا يجوز جرح الرؤوس الذي هو بالنسبة إلى ما ذكرنا لا شيء .

إن قلت : إنّ فعلهما عليهما السلام غير حجّة لعدم ثبوت عصمتهما ، وما يكون حجّة هو قول المعصوم وفعله .

قلت : سلّمنا عدم ثبوت عصمتهما .

أمّا قل لي : فهل هم يعصون الله تبارك وتعالى ، أو يكونا غير عالمين بحرمته ، حاشاهم عن ذلك ، كيف وقد ربّيا في حجر الرسالة ، وفطموا من ألبان الولاية ، ونشأوا في أحضان العصمة والإمامة .

وإن كان غير جائز مع عدم علمهما ـ والعياذ بالله ـ بالحرمة ، أمّا فهل كان الإمام عليه السلام لم يعلم بصنعهما ؟ فلماذا لم ينهَ عن ذلك ، بل أقرّهما ، واستحسن صنعهما ، فهذا الإمام الصادق عليه السلام يستشهد في مقام بيان الحكم بفعل الفاطميّات مع أنّ التجاسر عليهما كالتجاسر على مقام المعصوم .

هذا ، وإن أبيت عن كلّ هذا ، فلا يفوتك أنّ مطلق الخروج في المواكب الحسينيّة

العزائيّة ، وحمل المشاعل الثقيلة ، والرايات في أيّام الشتاء والبرد القارص والحرّ الشديد إيذاء يلزمك القول بحرمته ، مع أنّه لا أظنّ أن يتفوّه به أقلّ الطلبة فضلاً عمّن هو منسلك في سلسلة أعظام العلماء ، وأكابر الفقهاء ، فإذا لم تثبت من الأدلّة حرمته فقد ثبت استحبابه ؛ لعموم الأدلّة الدالّة على استحباب إقامة العزاء وشعائر الحزن على سيّد شباب أهل الجنّة ، وهذا من أجلى تلك المظاهر الحسينيّة والشعائر الدينيّة ، وقد استقرب بعض الفقهاء ﷺ(١) وجوبه الكفائي ، ولكن دليله غير ظاهر ، فتأمّل .

هذا ، وممّن ذهب إلى الاستحباب جماعة كثيرة من الفقهاء ، كالعلّامة الفقيه الربّاني مؤسّس الحوزة العلميّة الشيخ عبدالكريم الحائري ﷺ في رسالته الفارسيّة .

---

(١) هو العلّامة الفقيه الربّاني الشيخ محمّد علي النخچواني في الصفحة ٤٧ من الدعاة الحسينيّة ، وكان أعلى الله مقامه من أجلاّء علمائنا المجتهدين ، وأفاضل فقهائنا الأُصوليّين ، عارفاً بالحديث والرجال والأدب ، ممتدّ الباع في اختلاف الأقوال ومداركها ، ولغة العرب . ولد في نخچوان سنة ١٢٦٨ .

وحضر على جملة من أعاظم عصره ، كالفاضل الشربياني ، والمحقّق الكاظمي صاحب هداية الأنام ، والحاج ميرزا حبيب الله الرشتي ، حتّى صار من أجلّاء مقرّري بحث العلّامة الأيرواني .

وبعد وفاة أُستاذه الشربياني صار مرجعاً لأهالي قفقاز وآذربايجان وجملة من بلاد إيران والإسلام في الفتاوى والأحكام .

وله مؤلّفات كثيرة ، منها : حاشية على المكاسب من أوّل البيع إلى بيع أُمّ الولد ، ورسالة في خيار العيب ، وشرح جملة من كتب الشرائع ، وشرح طهارة الرياض من أوّله إلى حكم ماء الحمّام ، ورسالة في مقدّمة الواجب ، ورسالة في الإجماع المنقول ، ورسالة في اجتماع الأمر والنهي .

توفّي ﷺ سنة ١٣٣٤ في الحائر الطاهر ، ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف ، ودفن في الحجرة الملاصقة لمسجد عمران في الصحن العلوي ـ منه عفي عنه .

المطلب الحادي عشر

رجحان التشبيه في عزاء الحسين عليه السلام

لا يخفى أنّ الفوائد المترتّبة على التمثيل قلّما تترتّب على غيره ، حتّى إنّ بعض الأكابر أعلى الله مقامه من الذين كتبوا في هذا الباب رسالة ، وذهبوا إلى منع بعض الأُمور المذكورة ذهب إلى جوازه ورجحانه ما لم يشتمل على محرّم آخر .

وقال قدس سره في آخر كلامه : « نعم ، التمثيل المسمّى بالشبيه ممّا نقول بحسنه ورجحانه ، وبأنّه من أعظم أسباب إقامة شعائر الحزن ، لكن بشرط أن لا يشتمل على محرّم آخر ، ولا شيء ينافي الآداب ، ويوجب الشنعة من الأشياء المارّ ذكرها . . . أو غيرها ، فإنّما يتقبّل الله من المتّقين ، ولا يطاع الله من حيث يُعصى »[١] ، فلاحظ .

أقول: وقد اعترف بحسنه ، وأنّه أعظم دعاية لترويج الشعائر الحسينيّة ، ونشر فضائل العترة المحمّديّة فلاسفة الغرب وعلماء النصارى ، كما عرفت في المطلب الرابع .

هذا ، والأصل يقتضي جوازه وعدم ما يدلّ على المنع منه ، إلّا أنّه ممّا يمكن أن يكون مورد الكلام والنقض والإبرام هو تشبّه الرجال بملابس النساء ، مثل تشبّه الرجل ـ مثلاً ـ بالصدّيقة الصغرى زينب الكبرى ، ولبسه بما يختصّ بالنساء في

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه / السيّد محسن الأمين قدس سره : ١٩.

الثياب، ونحوه، غير الذهب، والظاهر المدّعى عليه الإجماع في كلام غير واحد، كالرياض والمسالك، ونحوهما، حرمته.

قال سيّد الفقهاء في «**الرياض**» ـ عند شرح قول المحقّق في المختصر: وتزيّن الرجال بما يحرم عليه ـ ما هذا نصّه: «كتزيينه بالذهب، وإن قلّ، والحرير إلّا ما استثني، ولبسه السوار والخلخال والثياب المختصّة بالنسوة في العادة، ويختلف باختلاف الأصقاع والأزمان إجماعاً في الأوّلين ـ أي الذهب والحرير ـ نصّاً وفتوىً، وعلى الأظهر الأشهر المحتمل فيه الإجماع في الباقي، لأنّه من لباس الشهرة المنهي عنه في المستفيضة منها الصحيح: «**إنّ الله يبغض شهرة اللباس**»، وفي المرسل كالموثّق: «**الشهرة خيرها وشرّها في النّار**».

والخبر: «**من لبس ثوباً بشهرة كساه الله تعالى يوم القيامة ثوباً من النار**»، وفي الآخر: «**كفى بالمرء خزياً أن يلبس ثوباً بشهرة**»، مضافاً إلى النصوص المانعة عن تشبّه كلّ من الرجال والنساء بالآخر.

ففي الخبر: «**لعن الله المتشبّهين من الرجال بالنساء، والمتشبّهات من النساء بالرجال**» مروي عن «**الكافي**» و«**علل الصدوق**».

وفي رواية أُخرى فيه: «**أخرجوهم من بيوتكم، فإنّه أقذر شيء**»، وقصور الأسانيد بالشهرة والاعتبار منجبر، مع التأييد بما فيه من إذلال المؤمن نفسه المنهيّ عنه اتّفاقاً، نصّاً وفتوىً واعتباراً.

ومنه الظاهر انسحاب الحكم في تزيّن المرأة بلباس الرجل مع عدم القائل بالفرق، فتأمّل بعض من تأخّر في حرمة ذلك لهما ليس في محلّه»[1]، انتهى.

أقول: وفي دلالتها على ما نحن فيه قصور؛ لأنّ الظاهر من التشبّه ـ كما تقتضيه

---

(١) رياض المسائل: ٨/٧٧.

صيغة التفعّل الذي قد جاء بمعنى التكلّف ـ هو تأنّث كلّ من الذكر، وتذكّر الأُنثى، وحصول المشابهة مع قصدهما ذلك، لا لبس أحدهما الآخر مع عدمه، مع اعتراف غير واحد بعدم العثور على دليل للحكم، عدا ما عرفت من النبوي المذكور، وضعفها سنداً، وغيره ممّا دلّ عليه ظاهر في الكراهة في غير ما نحن فيه، وما دلّ على حرمة لباس الشهرة هو لبس ما يشتهر به بين الناس، وعلى نحو اتّخاذه زيّاً حتّى يُعرف به ممّا هو خلاف العادة والعرف المختلف باختلاف الأصقاع والأزمان، كما لا يخفى.

قال شيخنا المحقّق أُستاذ الفقهاء في «**المكاسب**» ـ بعد ذكر رواية العلل ـ ما هذا نصّه: «لا مجرد لبس أحدهما لباس الآخر مع عدم قصد التشبّه.

ويؤيّده المحكي عن العلل أنّ عليّاً عليه السلام رأى رجلاً به تأنّث في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: **اخرج من مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لعن الله....**

وفي رواية يعقوب بن جعفر الواردة في المساحقة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **لعن الله المتشبّهات بالرجال من النساء**.

وفي رواية أبي خديجة، عن أبي عبدالله عليه السلام: **لعن رسول الله صلى الله عليه وآله المتشبّهين من الرجال بالنساء، والمتشبّهات من النساء بالرجال، وهم المخنّثون، واللائي ينحكن بعضهنّ بعضاً**.

وفي رواية سماعة عن أبي عبدالله عليه السلام عن الرجل يجرّ ثيابه، قال: **إنّي لأكره أن يتشبّه بالنساء**.

وعنه: عن آبائه عليهم السلام: **كان رسول الله صلى الله عليه وآله يزجر الرجل أن يتشبّه بالنساء، وينهى المرأة أن تتشبّه بالرجال في لباسها**.

وفيها ـ خصوصاً الأُولى بقرينة المورد ـ ظهور في الكراهة، فالحكم المذكور

لا يخلو عن إشكال »[١]، انتهى موضع الحاجة من كلامه قدس سره.

أقول: رواية سماعة ظاهرة في الكراهة لجواز تطويل الرجل ثوبه إجماعاً.

وظاهر قوله عليه السلام: «**كان صلى الله عليه وآله يزجر الرجل**» دلالته على الحرمة ظاهرة، لظهور الزجر في الممنوع عنه، وحكاية قول النبيّ صلى الله عليه وآله وفعله، وعلى كلّ حال، فالظاهر من النصوص في حرمة التشبّه وكلّمات الفقهاء هو فعل ما يحصل به المشابهة مع القصد، واتّخاذه زيّاً له على ما تتّخذه النساء، لا مجرّد لبس أحدهما لباس الآخر لغرض، كدفع الحرّ والبرد، أو غير ذلك من الأغراض، فليس هو من التشبّه المنهيّ عنه، كأن تلبس المرأة لباس زوجها في البيت لساعة أو ساعتين، ومنه يظهر عدم حرمة ما هو المتعارف من الشبيه لأجل عزاء سيّد الشهداء عليه السلام.

قال سيّد فقهاء عصره في «**مستمسك العروة الوثقى**» ما هذا نصّه: «نعم، ظاهر التشبّه فعل ما به تكون المشابهة بقصد حصولها، فلبس الرجل مختصّات النساء لا بقصد مشابهتهنّ ليس تشبّهاً بهنّ، ولا منهيّاً عنه، بل يحتمل انصراف النصّ عن التشبّه اتّفاقاً في مدّة يسيرة لبعض المقاصد العقلائيّة »[٢]، انتهى.

ولعلّ المقصود من كلامه (طاب ثراه) من بعض المقاصد العقلائيّة هو إخراج الشبيه والتمثّل ببنات الوحي والرسالة.

وقال سيّدنا العلّامة الخوئي (دامت بركاته) كما في بعض تقريراته لبعض أفاضل تلامذته قدس سره: وبما ذكرناه ظهر أنّه لا حرمة في التشبيه المتعارف في بعض البلاد، أعني تشبيه بعض الرجال أنفسهم بالمخدّرات حرائر الرسول المسبيّات في واقعة الطفّ، لأنه من باب الحكاية لا التزيّ بزيّهنّ، والفرق بين الأمرين واضح»[٣]، انتهى.

---

(١) المكاسب: ١/١٧٤ ـ ١٧٥.

(٢) مستمسك العروة الوثقى: ٥/٣٩٤ ـ ٣٩٥.

(٣) محاضرات في الفقه الجعفري: ١/٢٤٤.

⇦

المطلب الثاني عشر

استحباب تحمّل المشقّة والخوف في زيارته عليه السلام

لا يخفى أنّ من راجع كتب التاريخ والحديث يرى بكلّ وضوح أنّ زيارة الحسين عليه السلام ماكانت تتيسّر لكلّ من أراد ذلك، ولا حصلت له مع الأمن والاستقرار، فإنّ من أراد الخروج إلى الحائر الطاهر من شيعة أهل البيت عليهم السلام، وعزم على الرحيل إلى زيارته كان آيساً من الحياة والرجوع إلى وطنه سالماً، لما كان هناك من الضغط الشديد، ووقوف أرباب المسالح(١) على حدود تلك المنطقة الطيّبة من عمّال بني أُميّة، وبعدهم من بني العبّاس لعنهم الله جميعاً، وقلّما يفلت الزائر ويتمكّن من الزيارة إلّا بعد جهد شديد، والعبور إلى القبر من طرق غير اعتياديّة في الليل المظلم، أو من بين النخيل والطلل الترابيّة.

ثمّ ينصرف ليلاً خوفاً من الوقوع في أيدي الشرطة والمحافظين من القتل أو المثلة

⇦ ونحوه ذكر في الدعاة الحسينيّة، وهو كلام متين، فلله درّه، وعليه أجره، فلاحظ. وراجع الصفحة ٧٨٧ من جامع الشتات / العلّامة الفقيه الأُصولي المحقّق القمّي قدس سره، ولولا ضيق المجال لأوردنا كلامه بنصّه، وأنّه مشحون بجملة من التحقيقات المختصّة به، فحقيق بالمراجعة إليه، فلاحظ.

(١) أي: الذين يأخذون السلاح، ويقفون على الطريق من عمّال بني أُميّة حتّى لا يتمكّن أحد من الزيارة ـ منه عفي عنه.

به ، ومع ذلك تجد أيّها القارئ العزيز أنّ أئمّة أهل البيت الطاهر يحرّضون شيعتهم على زيارته ، ويقرعون مسامعهم بتلك الجمل الذهبيّة والأحاديث الناصعة بما أعدّ الله لهم من الثواب الجزيل ، والذكر الجميل ، والأمن من الفزع في يوم القيامة ، وأنّ الأجر يتضاعف لهم على قدر الخوف والمشقّة ، أو ما يلقونه من القتل والتمثيل بهم ؛ لأنّ عمّال بني اُميّة كانوا بعد قتل زيد بن عليّ عليه السلام يمثّلون بمن يجدونه في تلك المحالّ ،كما يستفاد ذلك من رواية مسمع بن عبدالملك كردين البصري المرويّة في «**كامل الزيارات**» .

قال : « قال لي أبو عبدالله عليه السلام : **يا مسمع ، أنت من أهل العراق ، أما تأتي قبر الحسين** عليه السلام **؟**

قلت : لا ، أنا رجل مشهور عند أهل البصرة ، وعندنا من يتّبع هوى هذا الخليفة ، وعدوّنا كثير من أهل القبائل من النصّاب وغيرهم ، ولست آمنهم أن يرفعوا حالي عند ولد سليمان فيمثّلون بي » الحديث(١) .

إذا عرفت هذا ، فهاك الآن النصوص الصريحة في هذا الخصوص عن الأئمّة عليهم السلام مع ما هم عليه من الشفقة والمحبّة لشيعتهم ، بحيث رضوا لأنفسهم الحبس والقتل والانجلاء عن أوطانهم لأجل سلامة شيعتهم من ذلك .

فمنها : ما رواه ابن قولويه قدس سره في «**كامل الزيارات**» : عن زرارة ، قال : « قلت لأبي جعفر عليه السلام : ما تقول فيمن زار أباك على خوف ؟

قال : **يؤمنه الله يوم الفزع الأكبر ، وتلقاه الملائكة بالبشارة ، ويقال له : لا تخف ولا تحزن ، هذا يومك الذي فيه فوزك** »(٢) .

---

(١) كامل الزيارات : ٢٠٣ .

(٢) المصدر المتقدّم : ٢٤٣ .

وفيه أيضاً : عن الأصمّ ، عن ابن بكير ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : « قلت له : إنّي أنزل الأرجان وقلبي ينازعني إلى قبر أبيك ، فإذا خرجت فقلبي وجل مشفق حتّى أرجع خوفاً من السلطان والسعاة وأصحاب المسالح .

فقال : **يابن بكير ، أما تحبّ أن يراك الله فينا خائفاً . أما تعلم أنّ من أُخيف لخوفنا أظلّه الله في ظلّ عرشه ، وكان محدّثه الحسين عليه السلام تحت العرش ، وآمنه الله من الفزع يوم القيامة ، يفزع النّاس ولا يفزع ، فإنّ فزع وقّرته الملائكة وسكنت قلبه بالبشارة** »[1] .

وفيه أيضاً : بسنده عن معاوية بن وهب ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : « قال لي : **يا معاوية ، لا تدع زيارة الحسين عليه السلام لخوف ، فإنّ من ترك زيارته رأى من الحسرة ما يتمنّى أنّ قبره كان عنده ، أما تحبّ أن يرى الله شخصك وسوادك فيمن يدعو له رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة والأئمّة عليهم السلام ، أما تحبّ أن تكون ممّن ينقلب بالمغفرة لما مضى ويغفر له[2] ذنوب سنة[3] ، أما تحبّ أن تكون ممّن يخرج من الدنيا وليس عليه ذنب يتّبع به ، أما تحبّ أن تكون غداً ممّن يصافحه رسول الله صلى الله عليه وآله** »[4] .

أقول : « قوله عليه السلام : « **فإنّ من تركه** » يعني لو ترك زيارة الحسين عليه السلام لأجل الخوف والقتل ، ليرى بعد موته ما يحبّ أن زاره وقتل عنده لأجل زيارته من الثواب والنعيم .

وأيضاً : عن محمّد بن مسلم ـ في حديث طويل ـ قال : « قال أبو جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام : **هل تأتي قبر الحسين عليه السلام ؟**

قلت : نعم ، على خوف ووجل .

---

(١) كامل الزيارات : ٢٤٣ .

(٢) في نسخة : « لك » .

(٣) في نسخة : « سبعين سنة » .

(٤) كامل الزيارات : ٢٣٠ .

فقال : **ما كان من هذا أشدّ فالثواب فيه على قدر الخوف ، ومن خاف في إتيانه آمن الله روعته يوم القيامة يوم يقوم الناس لربّ العالمين ، وانصرف بالمغفرة ، وسلّمت عليه الملائكة ، وزاره النبيّ صلى الله عليه وآله ودعا له ، وانقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسسه سوء ، واتّبع رضوان الله**»(١) ، ثمّ ذكر الحديث ، انتهى .

وفيه أيضاً : بإسناده عن هشام بن سالم ـ في حديث طويل ـ عن أبي عبدالله عليه السلام ـ بعد بيانه عليه السلام ثواب زيارته عليه السلام ـ قال ـ يعني هشام بن سالم ـ : « قلت : فما لمن قتل عنده ؟ جارَ عليه سلطان فقتله ؟

قال ـ يعني مولانا الصادق عليه السلام ـ : **أوّل قطرة من دمه يغفر له بها كلّ خطيئة ، وتغسل طينته التي خُلق منها الملائكة حتّى تخلص ، كما خلصت الأنبياء المخلصين ، ويذهب عنها ما كان خالطها من أجناس طين أهل الكفر ، ويغسل قلبه ويشرح صدره ، ويملأ إيماناً ، فيلقى الله وهو مخلص من كلّ ما تخالطه الأبدان والقلوب ، وتكتب له شفاعة في أهل بيته ، وألف من إخوانه ، وتولّى الصلاة عليه الملائكة مع جبرئيل وملك الموت ، ويؤتى بكفنه وحنوطه من الجنّة ، ويوسّع في قبره عليه ، ويوضع له مصابيح في قبره ، ويفتح له باب من الجنّة ، وتأتيه الملائكة بالطُّرف من الجنّة ، ويرفع بعد ثمانية عشر يوماً إلى حظيرة القدس ، فلا يزال فيها مع أولياء الله حتّى تصيبه النفخة التي لا تبقي شيئاً ، فإذا كان النفخة الثانية وخرج من قبره ، كان أوّل من يصافحه رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والأوصياء ، ويبشّرونه ويقولون له : الزمنا ، ويقيمونه على الحوض فيشرب منه ، ويسقي من أحبّ .**

قلت : فما لمن حبس في إتيانه ؟

قال : **له بكلّ يوم يحبس ويغتمّ فرحة إلى يوم القيامة ، فإن ضرب بعد الحبس في إتيانه كان له بكلّ ضربة حوراء ، وبكلّ وجع يدخل على بدنه ألف ألف حسنة ،**

---

(١) كامل الزيارات : ٢٤٥ .

ويمحى بها ألف ألف سيّئة ، ويرفع له بها ألف ألف درجة ، ويكون من محدّثي رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى يفرغ من الحساب فيصافحه حملة العرش .

ويقال له : سل ما أحببت ، ويؤتى ضاربه للحساب فلا يسئل عن شيء ولا يحتسب بشيء ، ويؤخذ بضبعه حتّى ينتهى به إلى ملك يحبوه ويتحفه بشربة من الحميم ، وشربة من الغسلين ، ويوضع على مثال[1] من النار فيقال له : ذق بما قدّمت يداك فيما أتيت إلى هذا الذي ضربته سبباً إلى وفد الله ووفد رسوله ، ويؤتى بالمضروب إلى باب جهنّم ، ويقال له : انظر إلى ضاربك وإلى ما قد لقى ، فهل شفيت صدرك وقد اقتصّ لك منه ، فيقول : الحمد لله الذي انتصر لي ولولد رسوله منه »[2] .

وروى رحمه الله عن قدامة بن زائدة ، عن أبيه ، قال : « قال عليّ بن الحسين : **بلغني يا زائدة أنّك تزور قبر أبي عبدالله الحسين عليه السلام أحياناً .**

فقلت : إنّ ذلك كما بلغك .

فقال لي : **فلماذا تفعل ذلك ، ولك مكان عند سلطانك الذي لا يحتمل أحداً على محبّتنا وتفضيلنا وذكر فضائلنا ، والواجب على هذه الأُمّة من حقّنا ؟**

فقلت : والله ما أُريد بذلك إلّا الله ورسوله ، ولا أحفل بسخط من سخط ، ولا يكبر في صدري مكروه ينالني بسببه .

فقال : **والله إنّ ذلك لكذلك .**

فقلت : إنّ ذلك لكذلك ، يقولها ثلاثاً وأقولها ثلاثاً .

---

(١) في نسخة : « مقال » .

(٢) كامل الزيارات : ٢٤٠ و ٣١٠.

أقول : ورواه رحمه الله في الصفحة **١٦٥** بسند آخر : عن صفوان الجمال ، عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل : « قلت : فما لمن قتل عنده ـ يعني قبر الحسين عليه السلام ـ جار عليه سلطان فقتله ... » ، فلاحظ .

فقال : **ابشر ، ثمّ ابشر ، ثمّ ابشر** » ـ الحديث[١].

قال العلّامة الأميني رحمه الله في حاشيته على الكتاب : « ذهب غير واحد من الفقهاء والمحقّقين إلى جواز زيارة الحسين عليه السلام مع أي خوف وضرر لإطلاق النصوص ، ولعلّ التاريخ يملي علينا دروساً من عمل الأصحاب على عهد الأئمّة (صلوات الله عليهم) منضمّة بتقريرهم له يؤكّد ما اختاره المحقّقون ، ولقد حمل إلينا عن اُولئك أنّهم ما صدّهم عن قصد مشهد الحسين عليه السلام ما كابدوه من المثلة والتنكيل والعقوبة بحبس ، وضرب ، وقطع يد ، وهتك حرمة ، وقابلوها بجأش طامن ، ولبّ راجح ، وشوق مؤكّد ـ إلى أن قال رحمه الله ـ :

ويدلّ على مختار المحقّقين حديث هشام بن سالم الثقة الجليل المروي عن الصادق عليه السلام المذكور بطوله في الصفحة **١٢٣** من الكتاب ، وفيه تفصيل بيان ثواب عظيم لمن يقتل دون الحسين عليه السلام ، وأجر جميل لا يستهان به لمن حبس في إتيانه ، وجزاء جزيل لمن ضرب بعد الحبس في قصد مشهده . إذن فلا ندحة من تعميم الحكم على جميع ما ذكر وإن صعد وصوب فيه المهملجون »[٢] ، انتهى .

---

(١) بحار الأنوار : ١٧٩/٤٥ .

(٢) كامل الزيارات (الطبعة الحجريّة) : ٢٦١ .

المطلب الثالث عشر

ثواب لعن قتلة الحسين عليه السلام، وتذكّر عطشه عند شرب الماء

جاء في «**كامل الزيارات**» : عن داود الرقّي ، قال : «كنت عند أبي عبدالله عليه السلام إذ استسقى الماء ، فلمّا شربه رأيته قد استعبر ، واغرورقت عيناه بدموعه ، ثمّ قال لي : **يا داود ، لعن الله قاتل الحسين عليه السلام ، فما من عبد شرب الماء فذكر الحسين عليه السلام ، ولعن قاتله إلّا كتب الله له مائة ألف حسنة ، وحطّ عنه مائة ألف سيّئة ، ورفع له مائة ألف درجة ، وكأنّما أعتق مائة ألف نسمة ، وحشره الله تعالى يوم القيامة ثلج الفؤاد** » .

وفيه : حدّثني محمّد بن يعقوب ، عن عليّ بن محمّد ، عن سهل بن زياد ، عن جعفر بن إبراهيم الحضرمي ، عن سعد ، مثله[1] ، انتهى .

لعن الحمام قتلة الحسين عليه السلام

وفي «**كامل الزيارات**» : بسند عن إسماعيل بن زياد السكوني ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : «**اتّخذوا الحمام الراعبيّة في بيوتكم ، فإنّها تلعن قتلة الحسين عليه السلام**»[2] .

---

(١) كامل الزيارات : ٢١٢ .

أقول : ورواه شيخنا الكليني في فروع الكافي : ٢/١٨٨ .

(٢) كامل الزيارات : ١٩٨ .

وفيه أيضاً: عن داود بن فرقد، قال: «كنت جالساً في بيت أبي عبدالله عليه السلام، فنظرت إلى الحمام الراعبي يقرقر طويلاً، فنظر إليَّ أبو عبدالله، فقال: **يا داود، أتدري ما يقول هذا الطير؟**

قلت: لا والله جعلت فداك.

قال: **تدعو على قتلة الحسين بن عليّ، فاتّخذوه في منازلكم**»[١].

وفيه أيضاً: عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام، قال: «**لا تأكلوا القنبرة ولا تسبّوها، ولا تعطوها الصبيان يلعبون بها، فإنّها كثيرة التسبيح لله تعالى، وتسبيحها لعن الله مبغضي آل محمّد عليهم السلام**»[٢]، انتهى.

لعن الأنبياء قتلة الحسين عليه السلام

وفي «**كامل الزيارات**»: عن خالد الربعي، قال: حدّثني من سمع كعباً يقول: «أوّل من لعن قاتل الحسين بن عليّ عليه السلام إبراهيم خليل الرحمان، لعنه وأمر ولده بذلك، وأخذ عليهم العهد والميثاق.

ثمّ لعنه موسى بن عمران، وأمر أُمّته بذلك، ثمّ لعنه داود، وأمر بني إسرائيل بذلك، ثمّ لعنه عيسى وأكثر أن يقال: يا بني إسرائيل، العنوا قاتله، وإن أدركتم أيّامه فلا تجلسوا عنه، فإنّ الشهيد معه كالشهيد مع الأنبياء مقبل غير مدبر، وكأنّي أنظر إلى بقعته وما من نبيّ إلّا وقد زار كربلاء ووقف عليها، وقال: إنّك لبقعة كثيرة الخير فيك يدفن القمر الأزهر»[٣].

---

(١) كامل الزيارات: ١٩٨.

أقول: ورواه شيخنا الكليني قدس سره في فروع الكافي: ٢٣٢.

(٢) الكافي: ٦/٢٢٥.

(٣) كامل الزيارات: ١٤٣.

المطلب الرابع عشر

وظائف الشيعة أيّام محرّم وصفر، وخصوص العشرة الأُولى

اعلم أيّها المسلم الموالي أنّ شهر محرّم الحرام شهر معظّم في الجاهليّة والإسلام، ولكن بني أُميّة هتكوا حرمته بقتل ولد سيّد آدم عليه السلام، ولذلك حرم الهناء وفرض فيه الحزن، وحتم البكاء، فإنّ قتله وسبي حريمه أحرق قلب العالم، وخصوصاً جدّه النبيّ، وأظلم الكون لمصرعه، وخرّت الأكوان لقتله، فيا لها من مصيبة ما أعظمها، ورزيّة ما أجلّها وأفجعها.

واعلم أنّ البكاء والتباكي لا يتحصّل إلّا بقراءة مقتله عليه السلام، وما ورد عليه من المصائب، ويدلّ عليه العمومات الدالّة على إقامة العزاء، وما ورد في فضل وثواب من ذكرنا عنده، أو ذكرنا أو ذكر مصابنا، وغير ذلك ممّا مرّ عليك، فإنّ ذلك لو كان بدعة لما كتبوا الفريقين ذلك، كما يأتي بيانه، فانتظر.

هلَّ المحرّم فاستهلَّ مُبكِّراً	**وانثر به درر الدموع على الثرى**
وانظر بغرّتهِ الهلال إذا انجلى	**مسترجعاً متفجّعاً متفكّرا**
واخلع شِعار الصَّبر منك وزرَّ مِن	**خِلع السقام عليك ثوباً أصفرا**
فثياب ذي الأشجان ألقيها به	**ما كان مِن حمر الثياب مزرّرا**
شهرٌ بحكم الدهر فيه تحكَّمت	**شرُّ الكلاب السُّود في أسد الشّرى**

لله أي مصيبةٍ نزلت به ... بكت السماء لها نجيعاً أحمرا
خطب دهى الإسلام عندَ وقوعهِ ... لِبست عليه حدادها أمُّ القرى
أو ما ترى الحرم الشَّريف يكاد مِن ... زفراتهِ الجمرات أن تتسعرا
وأبا قُبيسٍ في حشاه تصاعدت ... قبساتُ وجدٍ حرّها يَصلي حرا
علمَ الحطيم به فحطّمه الأسى ... ودرى الصَّفا بمصابه فتكدّرا
واستشعرت منه المشاعر بالبلا ... وعفى محسَّرها جوىً وتحسُّرا
قتل الحسين فيا لها من نكبةٍ ... أضحى لها الإسلام مُنهدمَ الذُّرى(١)

وقال السوسي وأجاد كما في «**الدرّ النضيد**»:

محرّم فيه الهنا محرّم ... والحزن فرض والبكا محتّم
شهر به الإيمان شلّ عرشه ... والكفر بالإسلام بان بطشه
هلال قوسه رمى قلب الهدى ... والدين في سهم الحتوف والردى
قدكان عند الكفر والإسلام ... فيه القتال أعظم الآثام
وآل حرب حاربوا ربّ السما ... فيه وحلّلوا الدم المحرّما
وانتهكوا حرمة سادات الحرم ... وارتكبوا ما أمطر السماء دم
يا آل حرب لا لقيتم رب السما ... ولا وقيتم من لسان ذمّا

وقال الكعبي رحمه الله:

ما انتظار الدمع أن لا يستهلّا ... أو ما تنظر عاشوراء هلّا
كيف ما تلبس ثوب الحزن في ... مأتم أحزنَ أملاكاً ورسلا

---

(١) ديوان الشاعر السيّد شهاب الدين بن معتوق: ٢١٣.

كـيف مـا تـحزن فـي شـهر بـه أصـبحت فـاطمة الزهـراء ثكـلى
كـيف مـا تـحزن فـي شـهر بـه أصـبحت آل رسـول الله قـتلى
كـيف مـا تـحزن فـي شـهر بـه ألبس الإسـلام ذلّاً ليس يـبلى
كـيف مـا تـحزن فـي شـهر بـه رأس خير الخلق فـي رمـح مـعلّى

قال السيّد ابن طاووس ﷺ في «**الإقبال**» : «اعلم أنّ المواساة لأئمّة الزمان ، وأصحاب الإحسان في السرور والأحزان ، من مهمّات أهل الصفا وذوي الوفا المخلصين في الولاء ، وفي هذه العشر كان أكثر اجتماع الأعداد على قتل ذرّيّة سيّد الأنبياء (صلوات الله عليه وآله) ، والتهجّم بذلك على كسر حرمة الله جلّ جلاله مالك الدين والآخرة ، وكسر حرمة رسوله عليه السلام صاحب النعم الباطنة والظاهرة ، وكسر حرمة الإسلام والمسلمين ، ولبس أثواب الأحزان على فساد اُمور الدنيا والدين ، فينبغي من أوّل ليلة من هذا أن يظهر على الوجوه والحركات والسكنات شعار آداب أهل المصائب المعظّمات في كلّ ما يتقلّب الإنسان به ، وأن يقصد الإنسان بذلك إظهار موالاة أولياء الله ومعاداة أعاديه ، وتفصيل ذلك موجود في المعقول ، ومشروح في المنقول»(١) ، انتهى محلّ الحاجة .

وفي «**أمالي الصدوق**» : بإسناده عن إبراهيم بن أبي محمود ، قال : «قال الرضا عليه السلام : **إنّ المحرّم شهر كان أهل الجاهليّة يحرّمون فيه القتال ، فاستحلّت فيه دماؤنا ، وهتكت فيه حرمتنا ، وسبي فيه ذرارينا ونساؤنا ، واُضرمت النيران في مضاربنا ، وانتهب ما فيها من ثقلنا ، ولم يرع لرسول الله حرمة في أمرنا . إنّ يوم الحسين أقرح جفوننا ، وأسبل دموعنا ، وأذلّ عزيزنا بأرض كربلاء ، وأورثنا الكرب والبلاء إلى يوم القيامة ، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون ، فإنّ البكاء عليه يحطّ**

(١) إقبال الأعمال : ٢٨/٣ .

الذنوب العظام.

ثمّ قال: **كان أبي صلوات الله عليه إذا دخل شهر المحرّم لا يُرى ضاحكاً، وكانت كآبته تغلب عليه حتّى يمضي عشرة أيّام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه، يقول: هذا اليوم الذي قُتل الحسين صلّى الله عليه**»[١].

وفي «**أمالي الصدوق**»: عن الريّان بن شبيب، قال: «دخلت على الرضا عليه السلام في أوّل يوم من المحرّم فقال لي: **يابن شبيب، أصائم أنت؟**

فقلت: لا.

فقال: **إنّ هذا اليوم هو اليوم الذي دعا فيه زكريّا عليه السلام ربّه عزّ وجلّ فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾**[٢]**، فاستجاب الله له، وأمر الملائكة فنادت زكريا ﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾**[٣]**، فمن صام هذا اليوم ثمّ دعا الله عزّ وجلّ استجاب الله له كما استجاب لزكريّا عليه السلام.**

ثمّ قال: **يابن شبيب، إنّ المحرّم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرّمون فيه الظلم والقتال لحرمته، فما عرفت هذه الأُمّة حرمة شهرها، ولا حرمة نبيّها، لقد قتلوا في هذا الشهر ذرّيّته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله، فلا غفر الله لهم ذلك أبداً.**

يابن شبيب، إن كنت باكياً لشيء فابك للحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فإنّه ذبح كما يُذبح الكبش، وقُتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيه، ولقد بكت السموات السبع والأرضون لقتله، ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره، فوجدوه قد قُتل، فهم عند قبره شعث غبر إلى يوم القائم، فيكونون

---

(١) أمالي الصدوق: ١٩٠.

(٢) آل عمران ٣: ٣٨.

(٣) آل عمران ٣: ٣٩.

من أنصاره وشعارهم يا لثارات الحسين .

يابن شبيب ، لقد حدّثني أبي عن أبيه ، عن جدّه عليه السلام أنّه قال : لمّا قتل جدّي الحسين عليه السلام أمطرت السماء دماً وتراباً أحمر .

يابن شبيب ، إن بكيت على الحسين حتّى تصير دموعك على خدّيك ، غفر الله لك كلّ ذنب أذنبته ، صغيراً كان أو كبيراً ، قليلاً كان أو كثيراً .

يابن شبيب ، إن سرّك أن تلقى الله عزّ وجلّ ولا ذنب عليك ، فزر الحسين .

يابن شبيب ، إن سرّك أن تسكن الغرف المبنيّة في الجنّة مع النبيّ وآله ، فالعن قتلة الحسين .

يابن شبيب ، إن سرّك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين عليه السلام فقل متى ما ذكرته : يا ليتني كنت معكم فأفوز فوزاً عظيماً .

يابن شبيب ، إن سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان فاحزن لحزننا ، وافرح لفرحنا ، وعليك بولايتنا ، فلو أنّ رجلاً تولّى حجراً لحشره الله معه يوم القيامة »[1] ، انتهى .

وأمّا وظائف يوم عاشوراء:

فينبغي على المسلم الموالي أن يشتغل بقرائة مقتله ، أو الاستماع إليه ، والبكاء والعويل عليه ، ويقيم النياحة في داره ، ويزوره من قريب كان أو من بعيد ، ولا يدّخر شيئاً ليومه له ولعياله .

فعن عبدالله بن سنان : « دخل على الصادق عليه السلام يوم عاشوراء فرآه كاسف اللون ظاهر الحزن ، ودموعه تنحدر من عينيه كاللؤلؤ المتساقط ، فقلت : يابن رسول الله ،

---

(١) أمالي الصدوق : ١٩٢ ، الحديث ٢٠٢.

ممّ بكاؤك لا أبكى الله عينيك ؟

فقال لي : **أوَفي غفلة أنت ، أما علمت أنّ الحسين بن عليّ أُصيب في مثل هذا اليوم ؟**

ثمّ أمره أن يكون كهيئة أرباب المصائب ، يحلّل أزراره ، ويكشف عن ذراعيه ، ويكون حاسراً ، ولا يصوم يوماً كاملاً ، وليكن الإفطار بعد العصر بساعة على شربة من ماء ، ففي ذلك الوقت تجلّت الهيجاء عن آل محمّد .

ثمّ قال : **لو كان رسول الله حيّاً لكان هو المعزّى به »**[1] .

وقال الباقر عليه السلام : « **ثمّ ليندب الحسين ويبكيه ، ويأمر من في داره ممّن لا يتّقيه بالبكاء عليه ، ويقيم في داره المصيبة بإظهار الجزع عليه ، وليعزّ فيها بعضهم بعضاً بمصابهم بالحسين** عليه السلام **، وأنا الضامن ذلك بهم**[2] .

قلت : جعلت فداك ، أنت الضامن ذلك لهم والزعيم ؟

قال : **أنا الضامن والزعيم لمن فعل ذلك .**

قلت : فكيف يعزّي بعضنا بعضاً ؟

قال : **تقولون أعظم الله أُجورنا بمصاب الحسين**[3] **، وجعلنا وإيّاكم من الطالبين بثأره مع وليّه الإمام المهدي من آل محمّد** عليهم السلام .

وإن استطعت أن لا تنتشر يومك في حاجة ، فافعل ، فإنّه يوم نحس لا تقضى فيه حاجة مؤمن ، فإن قضيت لم يبارك له[4] **، ولم يرَ فيها رشداً ، ولا يدّخرن أحدكم بمنزله**

---

(١) مصباح المتهجّد : ٧٨٢.

(٢) وفي نسخة : « **وأنا الضامن لهم إذا فعلوا ذلك على الله جميع ذلك** » .

(٣) في نسخة : « **بمصابنا بالحسين** عليه السلام » .

(٤) في نسخة : « **فيها** » .

فيه شيئاً ، فمن ادّخر في ذلك اليوم شيئاً لم يبارك له فيما ادّخره ، ولم يبارك له في أهله ، فإذا فعلوا ذلك كتب الله لهم ثواب(١) **ألف حجّة ، وألف عمرة ، وألف غزوة ، كلّها مع رسول الله** صلى الله عليه وآله .

وكان لهم(٢) **أجر وثواب مصيبة كلّ نبيّ ورسول ووصيّ وصدّيق وشهيد مات أو قتل منذ خلق الله الدنيا إلى أن تقوم الساعة »** الحديث(٣) .

وفي « **أمالي الشيخ** رحمه الله » : بسنده عن الرضا عليه السلام أنّه قال : « **من ترك السعي في حوائجه يوم عاشوراء قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة ، ومن كان يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه وبكائه جعل الله عزّ وجلّ يوم القيامة يوم فرحه وسروره ، وقرّت بنا في الجنان عينه ، ومن سمّى يوم عاشوراء يوم بركة وادّخر فيه لمنزله شيئاً لم يبارك له فيما ادّخر ، وحشر يوم القيامة مع يزيد وعبيدالله بن زياد وعمر بن سعد إلى أسفل درك من النّار** »(٤) .

وفي « **علل الشرائع** » : عن عبدالله بن الفضل الهاشمي ، أنّه قال لأبي عبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام : يابن رسول الله ، كيف صار يوم عاشوراء يوم مصيبة وغمّ وجزع وبكاء دون اليوم الذي قُبض فيه رسول الله صلى الله عليه وآله ، واليوم الذي ماتت فيه فاطمة عليها السلام ، واليوم الذي قُتل فيه أمير المؤمنين عليه السلام ، واليوم الذي قُتل فيه الحسن عليه السلام بالسمّ ؟

فقال : **إنّ يوم الحسين** عليه السلام **أعظم مصيبة من جميع سائر الأيّام ؛ وذلك أنّ أصحاب**

---

(١) في نسخة : « **أجر** » .
(٢) في نسخة : « **له كثواب** » .
(٣) بحار الأنوار : ٣٠٣/٩٨ .
ورواه الشيخ قدس سره في المصباح ، وابن قولويه قدس سره في كامل الزيارات : ١٧٥ .
(٤) أمالي الصدوق : ١٩١ ، الحديث ٢٠١ .

الكساء الذين كانوا أكرم الخلق على الله عزّ جلّ كانوا خمسة.

فلمّا مضى عنهم النبيّ صلى الله عليه وآله بقي أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فكان فيهم للنّاس عزاء وسلوة.

فلمّا مضت فاطمة عليها السلام بقي أمير المؤمنين والحسن والحسين:، فكان فيهم للنّاس عزاء وسلوة.

فلمّا مضى منهم أمير المؤمنين عليه السلام كان للنّاس في الحسن والحسين عزاء وسلوة.

فلمّا مضى الحسن عليه السلام كان للنّاس في الحسين عليه السلام عزاء وسلوة.

فلمّا قُتل الحسين عليه السلام لم يكن بقي من أصحاب الكساء أحد للنّاس فيه بعد عزاء وسلوة، فكان ذهابه كذهاب جميعهم كما كان بقاؤه كبقاء جميعهم، فلذلك صار يومه أعظم الأيّام مصيبة(١).

أقول: ولهذا قالت الصدّيقة الصغرى زينب الكبرى (عليها أفضل الصلاة والسلام) عند ما قتل أخيها سيّد شباب أهل الجنّة الحسين عليه السلام، ونادت: «اليوم مات جدّي المصطفى، اليوم مات أبي المرتضى، اليوم ماتت أُمّي فاطمة، اليوم مات أخي الحسن عليهم السلام».

وهذه العلّة التي ذكرها مولانا الصادق عليه السلام هي إحدى العلل، كما يظهر من عدم حصره بذلك عليه السلام، وعليه فيكون لها علل أُخرى أيضاً.

ولعلّ منها: أنّهم (صلوات الله عليهم) ما حزّت رؤوسهم عن الأبدان، ولا وطأت الخيل صدورهم الشريفة بسنابكها، ولم تسبى نسائهم، ولا قتل أولادهم وأصحابهم وإخوتهم، ولا أُضرمت النار في بيوتهم، وما بقيت أبدانهم ثلاثة أيّام على الرمضاء، ولا تركوا بلا غسل ولا كفن، بل شيّعوا ودفنوا بكمال العزّ والاحترام، والناس في

---

(١) علل الشرائع: ٢٢٦/١، الحديث ١.

عزاء وعويل وبكاء .

ولكنّ جدّنا الحسين ـ بأبي هو وأُمّي ـ شيّعته أسنّة الرماح والسيوف ، وفرحت الأعداء بقتله ، ومنع روحي وأرواح العالمين لتراب نعله الفداء عن شرب الماء حتّى قُتل عطشاناً ، وغير ذلك ممّا تقشعّر من ذكره الجلود ، وتهمل الدموع .

وأنّك لا تجد أحداً إلى يومنا هذا فرح لأجل وفاته إلّا جدّنا الحسين عليه السلام ، فإنّ أعداءه يتّخذون هذا اليوم يوم عيد وسرور وصوم ، كما هو المعروف منهم ذلك ، وصرّح به ابن منير وابن حجر في « **الصواعق المحرقة** » .

قال ابن منير في أبيات له عن فعل القوم في هذا اليوم بنقل المحدّث البحراني والطهراني في « **الكشكول** » و« **شفاء الصدور** » ، والنقل عن الأوّل :

وَحَلَقْتُ في عَشْرِ المُحرّمِ ... ما استطالَ من الشَّعَرْ
والشمرُ ما قتلَ الحسينَ ... ولابنُ سعدٍ ما غدر
وأباحهم ماء الفرات ... وما حماه وما حضر
ونويتُ صومَ نهارهِ ... وصيامَ أيّام أُخر
ولبست فيه أجلّ ثوب ... للملابس يدّخر
وسهرتُ في طبخ الحبوب ... من العشاء إلى السحر
وغديت مكتحلاً أُصافح ... من لقيت من البشر
وأُقلْ لمن صافحته ... هنّئت في عيد الظفر
ووقفت في وسط ... الطريق أقصّ شارب من عبر

قال ابن حجر في « **الصواعق المحرقة** » : « فمن ذكر ذلك اليوم مصابه لم ينبغ أن يشتغل إلّا بالاسترجاع امتثالاً للأمر ، وإحرازاً لما رتّبه تعالى عليه بقوله : ﴿**أُولَٰئِكَ**

عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾[١]، وأن لا يشتغل ذلك اليوم إلّا بذلك ونحوه من عظام الطاعات، كالصوم.

وإيّاه ثمّ إيّاه أن يشتغل ببدع الرافضة ونحوهم من الندب والنياحة والحزن، إذ ليس ذلك من أخلاق المؤمنين، وإلّا لكان يوم وفاته صلى الله عليه وآله أوْلى بذلك وأحرى، أو ببدع الناصبة المتعصّبين على أهل البيت أو الجهّال المقابلين الفاسد بالفاسد، والبدعة بالبدعة، والشرّ بالشرّ، من إظهار غاية الفرح والسرور، واتّخاذه عيداً، وإظهار الزينة، كالخضاب والاكتحال، ولبس جديد الثياب، وتوسيع النفقات، وطبخ الأطعمة والحبوب الخارجة عن العادات، واعتقادهم أنّ ذلك من السنّة والمعتاد، والسنّة ترك ذلك كلّه، فإنّه لم يرد في ذلك شيء يعتمد عليه، ولا أثر صحيح يرجع إليه»[٢]، فراجع كلامه أهبط الله مقامه.

أقول: الغرض من نقل كلامه إثبات أفعال أعدائه عليه السلام في يوم قتله، وهذا الناصبي وإن منع عن ذلك، إلّا أنّه ارتكب ما هو مثلهم في الشناعة والبدعة، والحكم بخلاف ما أنزل الله تبارك وتعالى، ﴿**وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾[٣].

كيف يكون البكاء والنياحة وإقامة العزاء والحزن بدعة وخلاف أخلاق المؤمنين، مع ما عرفت من بكاء النبيّ صلى الله عليه وآله قبل قتله بمجرّد إخبار جبرئيل إيّاه وحزنه، وكذلك والده أمير المؤمنين عليه السلام، كما عرفت ذلك عن طرقهم ونقلهم ذلك.

مضافاً إلى بكاء الأئمّة من ولده الذين هم سادات المؤمنين، وأئمّة الدين، الذين أمرنا الله بالتمسّك بهم، والأخذ عنهم، وأوجب تعالى فرض مودّتهم على جميع المسلمين طرّاً، فإن كان البكاء قبل وقوع الحادثة من النبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام فبعده

---

(١) البقرة ٢: ١٥٧.

(٢) الصواعق المحرقة: ١٨١.

(٣) المائدة ٥: ٤٤.

أوْلى بذلك .

وكذلك يجب على سائر اُمّته متابعته صلى الله عليه وآله لأمره تبارك وتعالى بنصّ الكتاب ، ولو كان الاشتغال بقرائة مصائبه ، والبكاء عليه ، وإقامة العزاء لأجله ، محذوراً ، لوجب حرمة ذكر مقتله ، وما جرى عليه ، وكتابته ، مع ما ترى من تضمّن كتب القوم من بيان ذلك ، ونشر ما هنالك ، كابن أثير في « **الكامل** » ، والطبري في « **تاريخه** » ، وابن حجر نفسه في كتابه ، وغيرهم في غيرها ، لاستلزام قرائته البكاء والتحزّن والجزع بما صدر من أعداء أولياء الله تعالى على سبط أشرف الكائنات صلى الله عليه وآله .

نعم ، يمنعون الناس من ذلك ، لعلّهم يتوصّلون به إلى تبرئة ساحة القوم عمّا ارتكبوه من الجرائم الشنيعة ، والأعمال القبيحة ، التي شهروا بها أنفسم ، وأظهروا للملأكفرهم وإلحادهم ، لأنّ في إقامة مجالس العزاء والبكاء فضيحة آل أبي سفيان ، وأشياخ ابن حجر وأئمّة الكفر والضلال .

كما يدلّك عليه أيّها القارئ العزيز ما حاول ابن حجر من منع لعن يزيد ، وتنزيه ساحته عن قتل سبط النبوّة ، كما سبقه الغزالي في « **إحيائه** » ، ولكن أنّى يتيسّر لهم ذلك مع إقامة المجالس والمحافل المعقودة لأجل عزاء سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام ، وما تتضمّنها من لعن يزيد ومعاوية وبني اُميّة قاطبة ، والبرائة من أعداء آل محمّد صلى الله عليه وآله .

ولأجل ما ذكرناه يحاول بعض سفلة الوهابيّين في عصرنا الحاضر تأكيد ما حاوله ابن حجر ، ولكن بصورة اُخرى يخفيها ، وأظهرها صاحب الصواعق ، ولكن فليعلموا أنّ نور الله لا يطفئ ، وإن سعى الجاهلون بذلك ، ونور الحسين من نور الله تبارك وتعالى .

ومن أعمال يوم عاشوراء:

■ استحباب زيارته عليه السلام استحباباً مؤكّداً: ففي «**كامل الزيارات**»: بسنده عن أبي عبدالله عليه السلام: «**من زار الحسين يوم عاشوراء وجبت له الجنّة**»[١].

«**المصباح**»: عن زيد الشحّام، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «**من زار قبر الحسين بن عليّ عليهما السلام يوم عاشوراء عارفاً بحقّه كان كمن زار الله في عرشه**»[٢].

أقول: قوله عليه السلام: «**عارفاً بحقّه**»، أي مقرّاً بإمامته وعصمته، ومتبرّياً من أعدائه.

وعنهم عليهم السلام: «**من زار الحسين عليه السلام يوم عاشوراء كان كمن تشحّط بدمه، ومن زاره في يوم عاشوراء فكأنّما زار الله فوق عرشه**[٣]»[٤].

وعن الباقر عليه السلام: «**من زار الحسين عليه السلام يوم عاشوراء من المحرّم حتّى يظلّ عنده باكياً لقيَ الله تعالى يوم القيامة بثواب ألفي ألف حجّة، وألفي**[٥] **عمرة، وألفي ألف غزوة، وثواب كلّ حجّة وعمرة وغزوة كثواب من حجّ واعتمر وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وآله، ومع الأئمّة الراشدين صلوات الله عليهم أجمعين**»[٦].

وعن جابر الجعفي، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «**من بات عند قبر الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء لقي الله يوم القيامة متلطّخاً بدمه، كأنّما قتل معه في عرصة كربلاء**».

---

(١) كامل الزيارات: ٣٢٤.

(٢) مصباح المتهجّد: ٧٧١.

(٣) في نسخة: «في عرشه».

(٤) كامل الزيارات: ٣٢٤ ـ ٣٢٥.

(٥) في نسخة: «ألف».

(٦) كامل الزيارات: ٣٢٦.

وقال : « **من زار الحسين عليه السلام يوم عاشوراء وبات عنده كان كمن استشهد بين يديه** »(١).

■ ويستحبّ أيضاً إكثار لعن قتلة الحسين عليه السلام وأصحابه ، والبرائة منهم .

قال شيخنا المفيد رحمه الله في مسارّ الشيعة : « ويستحبّ فيه زيارة المشاهد ، والإكثار فيها من الصلاة على محمّد وآل محمّد ، والابتهال إلى الله سبحانه باللعنة على ظالميهم »(٢) ، انتهى .

■ ويستحبّ أيضاً الإمساك عن الأكل والشرب إلى ساعة بعد العصر(٣) ، والمعروف بين الأصحاب رحمهم الله استحباب صوم يوم عاشوراء حزناً وجزعاً لما حلّ بأهل البيت عليهم السلام ، وما جرى على سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام ، وادّعى عليه الغنية الإجماع ، وفي الرياض بلا خلاف أجده ، وذلك جمعاً بين ما دلّ على الجواز واستحبابه ، وبين ما دلّ على المنع منه في طائفة أُخرى ، ولكنّ هذا الجمع ممّا لا شاهد له كما يأتي بيانه عن قريب إن شاء الله تعالى ، ولا بأس بنقل الأخبار ليتّضح الأمر على كافّة علمائنا الأخيار ، فنقول : أمّا ما دلّ على جوازه واستحبابه :

فمنها : ما رواه الشيخ رحمه الله : عن هارون بن مسلم ، عن مسعدة بن صدقة ، عن أبي عبدالله ، عن أبيه عليهما السلام : « **إنّ عليّاً عليه السلام قال : صوموا العاشوراء التاسع والعاشر ، فإنّه يكفّر ذنوب سنة** »(٤).

وعن أبي همام ، عن الحسن عليه السلام ، قال : « **صام رسول الله صلى الله عليه وآله يوم عاشوراء** »(٥).

وفيه : عن عبدالله بن ميمون القداح ، عن أبي جعفر ، عن أبيه عليهما السلام ، قال : « **صيام يوم عاشوراء كفّارة سنة** » .

---

(١) كامل الزيارات : ٣٢٣.

(٢) مسارّ الشيعة : ٢٤.

(٣) ثمّ يتناول شيئاً يسيراً من التربة ، كما في المصباح ـ منه عفي عنه .

(٤) و (٥) الاستبصار : ١٣٤/٢.

وفيه أيضاً : عن كثير النوّا ، عن أبي جعفر عليه السلام : « **لزقت السفينة يوم عاشوراء على الجودي ، فأمر نوح عليه السلام ومن معه من الجنّ والإنس أن يصوموا ذلك اليوم** » .

وقال أبو جعفر : « **أتدرون ما هذا اليوم الذي تاب الله عزّ وجلّ فيه على آدم وحوّاء عليهما السلام ، وهذا اليوم الذي فلق الله فيه البحر لبني إسرائيل فأغرق فرعون ومن معه ، وهذا اليوم الذي غلب نبيّه موسى عليه السلام فرعون ، وهذا اليوم الذي ولد فيه إبراهيم عليه السلام ، وهذا اليوم الذي تاب الله فيه على قوم يونس عليه السلام ، وهذا اليوم الذي ولد فيه عيسى بن مريم ، وهذا اليوم الذي يقوم فيه القائم عليه السلام** »(١) .

وفي رواية الزهري المرويّة في « **الفقيه** » : عن عليّ بن الحسين عليه السلام : « **وأمّا الصوم الذي يكون صاحبه فيه بالخيار ، فصوم يوم الجمعة ـ إلى أن قال ـ : وصوم يوم عرفة ويوم عاشوراء** »(٢) .

وأمّا ما دلّ على النهي عن الصوم فيه :

فصحيح زرارة ومحمّد بن مسلم المروي في « **الفقيه** » : أنّهما سألا الباقر عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء ، قال : « **كان صومه قبل شهر رمضان ، فلمّا نزل شهر رمضان ترك** »(٣) .

وما رواه الشيخ قدس سره في « **التهذيب** » : عن زرارة ، عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام ، قالا : « **لا تصم يوم عاشوراء ، ولا يوم عرفة بمكّة ، ولا بالمدينة ، ولا في وطنك ، وفي مصر من الأمصار** »(٤) .

وفيه : عن الوشّا ، قال : حدّثني نجية بن الحارث العطّار ، قال : « سألت

---

(١) تهذيب الأحكام : ٤/٣٠٠.

(٢) من لا يحضره الفقيه : ٢/٨٠.

(٣) من لا يحضره الفقيه : ٢/٨٥.

(٤) تهذيب الأحكام : ٤/٣٠٠.

أباجعفر عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء ، فقال : **صوم متروك بنزول شهر رمضان ، والمتروك بدعة .**

قال نحيّة : فسألت أبا عبدالله عليه السلام عن ذلك من بعد أبيه عليه السلام ، فأجاب بمثل جواب أبيه ، ثمّ قال : **إنّه صيام يوم ما نزل به كتاب ، ولا جرت به سنّة ، إلّا سنّة آل زياد بقتل الحسين بن عليّ صلوات الله عليهما** »(١) .

وحديث جعفر بن عيسى ، عن أخيه ، قال : « سألت الرضا عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء وما يقول الناس فيه ، فقال : **عن صوم ابن مرجانة تسألني ، ذلك يوم ما صامه إلّا الأدعياء من آل زياد بقتل الحسين صلوات الله عليه ، وهو يوم تشأم به آل محمّد ، ويتشأم به أهل الإسلام ، واليوم المتشأم به الإسلام وأهله لا يصام ولا يتبرّك به ، ويوم الاثنين يوم نحس ، قبض الله فيه نبيّه صلى الله عليه وآله ، وما أُصيب آل محمّد عليهم السلام إلّا في يوم الاثنين ، فتشأمنا به ، وتبرّك به أعداؤنا ، ويوم عاشوراء قتل الحسين** عليه السلام **، وتبرّك به ابن مرجانة ، وتشأم به آل محمّد عليه وعليهم السلام ، فمن صامهما وتبرّك بهما لقي الله عزّ وجلّ ممسوح القلب ، وكان محشره مع الذين سنّوا صومهما ، وتبرّكوا بهما** »(٢) .

وفيه : عن زيد النرسي ، قال : حدّثنا عبيد بن زرارة ، قال : « سمعت زرارة يسأل أبا عبدالله عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء ، فقال : **من صامه كان حظّه من صيام ذلك اليوم حظّ ابن مرجانة وآل زياد .**

قال : قلت : وما حظّهم من ذلك ؟

فقال : **النار** »(٣) .

وخبر أبان بن عبدالملك عن صوم تاسوعاء وعاشوراء من الشهر المحرّم ، فقال : **تاسوعاء يوم حوصر فيه الحسين** عليه السلام **وأصحابه رضي الله عنهم بكربلاء ، واجتمع عليه**

---

(١) و (٢) تهذيب الأحكام : ٣٠١/٤.

(٣) تهذيب الأحكام : ٣٠٢/٤.

خيل أهل الشام ، وأناخوا عليه ، وفرح ابن مرجانة وعمر بن سعد بتوافر الخيل وكثرتها ، واستضعفوا الحسين عليه السلام وأصحابه كرّم الله وجوههم ، وأيقنوا أن لا يأتي الحسين ناصر ، ولا يمدّه أهل العراق ، بأبي المستضعف الغريب » .

ثمّ قال : « **وأمّا يوم عاشوراء فيوم أُصيب فيه الحسين عليه السلام صريعاً بين أصحابه ، وأصحابه صرعى حوله ، أفصوم يكون ذلك اليوم ، كلّا وربّ البيت الحرام ، ما هو يوم صوم ، وما هو إلّا يوم حزن ومصيبة دخلت على أهل السموات وأهل أرض وجميع المؤمنين ، ويوم فرح وسرور لابن مرجانة ، وأهل الشام غضب الله عليهم وعلى ذرّياتهم ، وذلك يوم بكت فيه جميع بقاع الأرض خلا بقعة الشام ، فمن صام أو تبرّك به حشره الله مع آل زياد ممسوخ القلب ، مسخوطاً عليه ، ومن اذخر فيه ذخيرة أعقبه الله نفاقاً إلى يوم يلقاه ، وانتزع البركة عنه وعن أهل بيته ، وشاركه الشيطان في جميع ذلك** »(١) .

وهذا الذي نقلناه نقله « **الجواهر** » ناسباً إلى صحيحة محمّد بن مسلم وزرارة ، كما هو المحكيّ عنه ، وهو اشتباه .

وخبر أبي غندر المروي عن « **المجالس** » : عن أبي عبدالله عليه السلام ، عن صوم يوم عرفة ، فقال : **عيد من أعياد المسلمين ، ويوم دعاء ومسألة** .

قلت : فصوم يوم عاشوراء ؟

قال : **ذاك يوم قتل فيه الحسين عليه السلام ، فإن كنت شامتاً فصم** .

ثمّ قال : **إنّ آل زياد نذروا نذراً إن قتل الحسين عليه السلام أن يتّخذوا ذلك اليوم عيداً لهم يصومون شكراً ، ويفرحون أولادهم ، فصارت في آل سفيان سنّة إلى اليوم ، فلذلك يصومونه ويدخلون على أهلهم وعيالاتهم الفرح ذلك اليوم** » .

---

(١) الكافي : ٤/١٤٧ .

ثمّ قال : « **إنّ الصوم لايكون للمصيبة ، ولا يكون إلّا شكراً للسلامة ، وأنّ الحسين** عليه السلام **أُصيب يوم عاشوراء ، فإن كنت فيمن أُصيب به فلا تصم ، وإن كنت شامتاً ممّن سرّه سلامة بني أُميّة فصم شكراً لله تعالى** »(١) .

قال الشيخ قدس سره في « **التهذيب** » ـ بعد نقل الروايات ـ ما هذا نصّه : « فالوجه في هذه الأحاديث أنّ من صام يوم عاشوراء على طريق الحزن بمصاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، والجزع لما حلّ بعترته ، فقد أصاب ، ومن صامه على ما يعتقده فيه مخالفونا من الفضل في صومه ، والتبرّك به ، والاعتقاد ببركته وسعادته ، فقد أَثم وأخطأ »(٢) .

ونحوه في **الاستبصار** ، وحكاه عن شيخنا السعيد شيخه المفيد أعلى الله مقامهما(٣) ؛ لأنّ ما هو صريح في النهي عن صومه محمول على وجه التبرّك به لما أُصيب به الحسين عليه السلام وغيره ممّا هو المعهود به عند العامّة ، كما يظهر ذلك منها بقرينة السؤال والجواب .

واستحباب صوم يوم عاشوراء لشرافته حملاً للعام على الخاصّ ، والظاهر على النصّ ، ويطرح ما هو نصّ في شرافته كخبر كثير النوا ، ضعيف ؛ لأنّه فرع جواز الصوم حزناً الذي عرفت في النصّ عدمه ، كما لا يخفى ، وجمع الشيخ قدس سره ـ كما عرفت ـ لا شاهد له كما اعترف به الرياض ، وقال : « ولا شاهد على ذلك الجمع من رواية ، بل في جملة من الأخبار المانعة ما يشيد خلافه ، وأنّ صومه مطلقاً بدعة ليس فيه رخصة »(٤) .

قلت : وهو كذلك لصراحة الأخبار الناهية عن صومه مطلقاً ، ولو على وجه

---

(١) وسائل الشيعة : الباب ٢١ أبواب الصوم المندوب ، الحديث ٧.

(٢) تهذيب الأحكام : ٣٠٢/٤.

(٣) الاستبصار : ١٣٥/٢.

(٤) رياض المسائل : ٤٦٢/٥.

الحزن ؛ لما عرفت من قوله عليه السلام : « **إنّ الصوم لا يكون للمصيبة ، ولا يكون إلّا شكراً للسلام** » ، وقوله عليه السلام : « **كلّا وربّ البيت الحرام ، ما هو يوم صوم ، وما هو إلّا يوم حزن** » .

وقوله عليه السلام : « **صومه متروك ، وكلّ متروك بدعة ، واليوم المتشأم به الإسلام وأهله لا يصام** » حيث يستفاد منها حرمة صومه مطلقاً ، ولو على وجه الحزن، لعدم مشروعيّة الصوم للحزن .

ولهذا ذهب الفقيه المحدّث البحراني قدس سره في « **الحدائق** »[١] إلى حرمة صومه ، وجعل ذلك كصوم يوم العيدين .

ولكن لا يخفى أنّ الأخبار الناهية عن صومه بقرينة جملة منها سؤالاً وجواباً تفيد حرمة صوم يوم عاشوراء لو قصد خصوصيّة يوم عاشوراء لكونه بدعة وتشريعاً محرّماً ، ولو على وجه الحزن المنفي فيه الصوم ، أو بنحو ما عليه أعداء أهل البيت عليهم السلام الموجب لكفر فاعله ، فصومه لا بقصد خصوصيّة يوم عاشوراء ، بل بقصد أنّه يوم من أيّام السنة الذي يجوز الصوم فيه ، فالظاهر لا مانع من التمسّك بالعمومات الدالّة على استحباب الصوم ، وإليه ذهب المحقّق النراقي في محكي المستند ، والعلّامة الفقيه الخوانساري في شرح نجاة العباد ، وغيرهم في غيرها ، لضعف تلك النصوص المرغّبة ، وأنّها محمولة على التقيّة ، ومسعدة بن صدقة عامّي بتري كما نصّ عليه الكشّي والخلاصة وغيرهما ، وهارون بن مسلم فاسد المذهب ، وكثير النوّا تبرّأ الصادق منه ، والزهري وإبليس مقترنان ، وثبوت استحباب صوم يوم عاشوراء عند العامّة وآل أبي سفيان لعنهم الله جميعاً ، وما نقله كثير النوّا تكذّبه رواية ميثم التمّار رضوان الله تعالى عليه المرويّة في مجالس الصدوق ، والمنقولة في هذا الكتاب .

---

(١) الحدائق الناضرة : ٣٦٨/١٣ .

وصحّة كثير من إسناد هذه الروايات الناهية عن صومه .

هذا ، ويمكن أن ينزل كلام الأصحاب قدّس الله أسرارهم من استحباب صوم يوم عاشوراء حزناً على رواية المصباح الآتية ، وإن استبعده جماعة ، لعدم كونه على هذا الوجه صوماً حقيقياً ، بل هو إمساك إلى ساعة بعد العصر .

قال المحقّق الثاني ﰋ في « **جامع المقاصد** » : « قوله : **وعاشوراء حزناً** ، أي صومه ليس صوماً معتبراً شرعاً ، بل هو إمساك بدون نيّة الصوم ؛ لأنّ صومه متروك كما وردت به الرواية ، فيستحبّ الإمساك فيه كذا بعد العصر حزناً ، وصومه شعار بني اُميّة سروراً بقتل الحسين عليه السلام »[١] ، انتهى ، وظاهره حرمة صومه ، وإنّما العمل على رواية المصباح .

وقال المحقّق الخراساني في « **الذخيرة** » ـ بعد نقل رواية المصباح ـ ما هذا نصّه : « والعمل بمضمون هذه الرواية ـ يعني رواية المصباح ـ متّجه ، وكأنّه المقصود كما قاله بعض الأصحاب ، إلّا أنّه خلاف ما صرّح به جماعة منهم »[٢] ، فلاحظ .

وفي محكيّ مجمع الفائدة للمحقّق المقدّس الأردبيلي ﰋ دعوة الشهرة على العمل برواية المصباح[٣] .

وفي « **المدارك** » : « وينبغي العمل بمضمون هذه الرواية ـ يعني رواية المصباح ـ لاعتبار سندها ، إلّا أنّ الإمساك على هذا الوجه لا يسمّى صوماً »[٤] .

وقال شيخنا البهائي ﰋ في « **توضيح المقاصد** » : « العاشر : وهو يوم عاشوراء ، ويستحبّ صومه حزناً ، وليس صومه حقيقياً ، بل هو ترك المفطّرات اشتغالاً عنها

---

(١) جامع المقاصد : ٣/٨٦.

(٢) ذخيرة المعاد : ٣/٥٢٠ .

(٣) مجمع الفائدة والبرهان : ٥/١٩٠ .

(٤) مدارك الأحكام : ٦/٢٦٨ .

بالحزن، ولا بدّ فيه من نيّة القربة؛ لأنّه عبادة، ولكنّ إفطاره بعد العصر».

وقال شيخنا المفيد قدّس الله روحه في «**مسارّ الشيعة**»: «وفي اليوم العاشر مقتل سيّدنا أبو عبدالله الحسين بن عليّ عليهما السلام، وهو يوم يتجدّد فيه أحزان آل محمّد وشيعتهم، وجاءت الرواية عن الصادقين عليهما السلام باجتناب الملاذ فيه، وإقامة سنن المصائب، والإمساك عن الطعام والشراب إلى أن تزول الشمس، والتغذّي بعد ذلك بما يتغذّى به أصحاب أهل المصاب، كالألبان، وما أشبهها دون الملذّ من الطعام والشراب»[(١)].

وقال العلّامة المجلسي رحمه الله على المحكيّ عنه ـ بعد جمع الشيخ في التهذيب ـ ما هذا نصّه: «والأظهر عندي أنّ الأخبار الواردة بفضل صومه محمولة على التقيّة، وإنّما المستحبّ الإمساك على وجه الحزن إلى العصر لا الصوم كما رواه الشيخ في المصباح»[(٢)].

وقال العلّامة أعلى الله مقامه في محكيّ «**التذكرة**» ـ بعد الحكم باستحباب صومه حزناً ـ: «وينبغي أن لا يتمّ صومه ذلك اليوم، بل يفطر بعد العصر لما روي عن الصادق عليه السلام **أنّ صومه متروك بنزول شهر رمضان، والمتروك بدعة**»[(٣)].

وقال في «**التحرير**»: «ويستحبّ صوم العشر بأسره، فإذا كان اليوم العاشر أمسك عن الطعام والشراب إلى بعد العصر، ثمّ يتناول شيئاً من التربة»[(٤)].

وكذا شيخنا الشهيد الأوّل رحمه الله: «الذي عليه منّا المعوّل، يظهر منه في الدروس العمل برواية المصباح، كما وهو المحكيّ عن الشهيد الثاني في المسالك وفهمه

(١) مسارّ الشيعة: ٤٣.

(٢) مرآة العقول: ٣٦١/١٦.

(٣) تذكرة الفقهاء: ١٩٣/٦.

(٤) تحرير الأحكام: ٥٠٧/١.

من كلام المحقّق في الشرائع»[١].

والفيض الكاشاني والفاضل البافقي الذي هو من معاصري العلّامة المجلسي قدّس سرّهما، والعلّامة الكرباسي في «**منهاج الهداية**».

فإنّ ظاهر هؤلاء الأعاظم كراهية صوم يوم عاشوراء كاملاً، بل المستحبّ الإمساك إلى ساعة بعد العصر، كما ولعلّ مراد غيرهم ذلك أيضاً.

فدعوى الرياض بظهور الاتّفاق على عدم المنع فيه ولو على كراهة، وقوله: «إذ لم نعثر على قائل به من الطائفة، بل كلّ من وصل إلينا كلامه مفت بما في العبارة»[٢] عجيب من مثله رحمه الله؛ لأنّ المنافاة بين تأكّد لزوم الإفطار بعد الزوال بساعة، واستحباب إتمام الصوم إلى الليل ظاهر، ولو من غير نيّة الصوم، فكلام هؤلاء الأكابر قدّس الله أرواحهم الذي نقلناه لك من استحباب الإمساك على الوجه المخصوص، والصوم على النحو المشار إليه، صريح في بنائهم على مرجوحيّة صوم يوم عاشوراء بتمامه، وعليه فكيف تستقيم دعوى الاتّفاق على عدم النهي عنه، ولو كراهة، بعنوان الصوم على وجه غير التبرّك أو استحبابه من باب مطلق الصوم والتمسّك بالعمومات الدالّة على استحبابه وأنّه من النار جنّة.

ولعلّه أعلى الله مقامه ذكر في آخر كلامه بعد ترجيح استحباب صوم تمام اليوم، وعدم مقاومة الأخبار الناهية لتخصيص العمومات القطعيّة الدالّة على ذلك، ونظر إلى ظاهر فتوى الأصحاب، قال: «لكن في النفس بعد منه شيء، سيّما مع احتمال تفسير الصوم على وجه الحزن في العبائر بما ذكره جماعة من استحباب الإمساك عن المفطّرات إلى العصر، وذكر رواية المصباح وبنى العمل عليه»[٣].

فتحصّل بما ذكرناه: أنّ القول بكراهة صوم يوم عاشوراء تامّاً، هو المتعيّن

---

(١) الدروس: ٢٨٢/١. مسالك الأفهام: ٧٨/٢.

(٢) و (٣) رياض المسائل: ٤٦٢/٥.

عند الأصحاب، وخالٍ من محذور مخالفتهم، وخصوصاً مع احتمال مراد غير من نقلنا كلامه ذلك أيضاً، وكما عرفت كلام هؤلاء الأجلّاء (أعلى الله مقامهم) فتحصّل من جميع ما ذكرنا إلى هنا حرمة صوم يوم عاشوراء لو قصد خصوصيّة اليوم المذكور، ولو على وجه الحزن المنفي فيه الصوم.

وأمّا صومه على نحو صيام سائر أيّام السنة التي يجوز الصوم فيها غير العيدين وأيّام التشريق لمن كان بمنى، فالظاهر كما عرفت جوازه، لعموم ما دلّ على مشروعيّة الصوم، وأنّه من النار جنّة، السليم عن المعارضة بما ورد في المقام، لاختصاصه بما قصدت فيه الخصوصيّة، كما يظهر من جملة منها سؤالاً وجواباً، وأنّها في مقابل تلك الأخبار المرغّبة، كما لا يخفى.

وهو لا ينافي الكراهة؛ لما فيه من التشبّه بأعداء أولياء الله تعالى، كما عليه الأصحاب، أو لأجل بعض الأخبار الناهية عن صومه المحمولة على الكراهة بعد تعذّر حملها على الحرمة ولو للإجماع، وأنّها مخصّصة لتلك العمومات الدالّة على استحباب الصوم في نفسه في سائر أيّام السنّة بغير هذا اليوم، كما عليه جماعة، وهو الأظهر.

إذ لا منافاة بين ما دلّ على النهي عن الصوم فيه بقصد يوم عاشوراء وبقصد الحزن، وبين ما دلّ على النهي عنه مطلقاً المحمول على الكراهة كما لا يخفى، فلاحظ، كقوله عليه السلام: «**لا تصوم يوم عاشوراء**» و«**اليوم المتشآم به الإسلام وأهله لا يصام**».

وليس هو من باب اجتماع الأمر والنهي، كما ذهب إليه جماعة، كما لا يخفى، وخصوصاً بعد كون العمل على رواية المصباح، كما هو كذلك، وعليها عمل الأصحاب، كما عرفت، وتلخّص من جميع ذلك أُمور:

الأوّل: كفر من صام يوم عاشوراء فرحاً وتيمّناً به.

الثاني: حرمة صومه لو قصد خصوص اليوم المذكور، لكونه بدعة وتشريعاً

محرّماً ، ولو على وجه الحزن ، لما عرفت من عدم تشريع الصوم في أيّام الحزن .

الثالث: كراهته ، ولو لم يقصد كلّ ذلك ، بل على أنّه يوم من أيّام السنة التي يجوز الصوم فيها ، إمّا لحصول المشابهة كما هو المشهور ، أو لأجل الأخبار الناهية المحمولة عليه ، ولو لم تحصل المشابهة ، كما عرفت ، فلاحظ .

وأمّا رواية المصباح التي وعدناك بيانها ، وإن مرّت الإشارة إليها فيكتابنا هذا ، فنقول :

روى الشيخ قدّس الله تربته في «**المصباح**» ، عن عبدالله بن سنان ، قال : «دخلت على سيّدي أبي عبدالله جعفر بن محمّد عليهما السلام في يوم عاشوراء ، فألفيته كاسف اللون ، ظاهر الحزن ، ودموعه تنحدر من عينيه كاللؤلؤ المتساقط ، فقلت : يابن رسول الله ، ممّ بكاؤك لا أبكى الله عينيك ؟

فقال : **أوَ في غفلة أنت ، أما علمت أنّ الحسين بن عليّ اُصيب في مثل هذا اليوم** .

قلت : يا سيّدي ، فما قولك في صومه ؟

فقال لي : **صمه من غير تبييت ، وأفطره من غير تشميت ، ولا تجعله يوم صوم كملاً ، وليكن إفطارك بعد صلاة العصر بساعة على شربة من ماء ، فإنّه في مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلّت الهيجاء عن آل رسول الله وانكشفت الملحمة عنهم ، وفي الأرض منهم ثلاثون صريعاً في مواليهم ، يعزّ على رسول الله صلى الله عليه وآله مصرعهم ، ولو كان في الدنيا يومئذٍ حيّاً لكان صلى الله عليه وآله هو المعزّي بهم .**

إنّ أفضل ما تأتي به في هذا اليوم أن تعمد إلى ثياب طاهرة وتتسلّب .

قلت : وما التسلّب ؟

قال : **تحلّل إزارك ، وتكشف عن ذراعيك كهيئة أصحاب المصائب**»[1] ، فراجع .

---

(١) مصباح المتهجّد : ٧٨٢.

بيان: قوله عليه السلام: «**صمه من غير تبييت**» أي لا تبيّت فيه الصوم من الليل على نحو سائر أيّام الصوم، و«**افطره من غير تشميت**» أي لا تدعو عند الإفطار بما ورد للصائم من الدعاء عند إفطاره، والتشميت: الدعاء، ونحوه التسميت ـ بالسين المهملة ـ.

وقال المحقّق الفقيه القمّي رحمه الله في «**الغنائم**» ـ بعد ترجيح ترك صوم يوم عاشوراء لأجل الأخبار الكثيرة المانعة من صومه والخوف من التشبّه ـ ما هذا نصّه: «تنبيهات:

الأوّل: المعروف من المذهب أنّ عاشوراء هو اليوم العاشر من المحرّم، لأنّه يوم قتل الحسين عليه السلام، ولا خلاف أنّه كان في عاشر محرّم، وعن المنتهى: أنّ المروي عن ابن عبّاس أنّه تاسعه، وليس بمعتمد.

الثاني: الظاهر من الأخبار أنّه كان واجباً قبل نزول شهر رمضان، ثمّ تركت.

الثالث: أنّه إذا وجب صومه بسبب، كقضاء رمضان، سيّما إذا تضيّق وقته فلاكراهة، بل قد يحرم تركه، وكذلك النذر المطلق والنذر المعيّن من غير جهة أنّه عاشوراء، كنذر الخميس إذا وقع فيه، وأمّا النذر المعيّن من جهته موقوف على رجحانه، ويشكل لو نذر صوم محرّم بتمامه غفلة عن حال يوم عاشوراء، والظاهر انعقاده ووجوب الإتيان به، إذ ليس ذلك نذراً لخصوصيّة اليوم حتّى يكون مرجوحاً.

بل لأنّه يوم من أيّام الله، ولازم ذلك أنّه إذا تفحّص الإنسان عن حاله وجزم بأنّ التبرّك والتيمّن ليس في نظره أصلاً، ولا يختلج بخاطره قطعاً، وصام من حيث إنّه يوم من أيّام السنة لا من حيث إنّه هذا اليوم الخاصّ، فلا يكون صومه مرجوحاً بالنسبة إلى إفطاره.

فالذي هو محرّم هو صومه لقصد التيمّن.

والذي هو مندوب صومه من جهة أنّه يوم من أيّام الله تعالى، ومن حيث إنّه

صوم ، أومن حيث إنّه هذا اليوم بقصد التحزّن وترك اللذّة فيه .

والذي هو مكروه لأنّه عاشوراء لا لأجل التبرّك والتيمّن ، ولا لأجل التحزّن ، لأنّه تشبّه بالأعداء ، وأدعياء[1] آل محمّد صلى الله عليه وآله .

ويبقى الإشكال في ترجيح الصوم الشرعي على وجه التحزّن أو الإمساك إلى العصر ، والظاهر أنّ كليهما مرضيّان ، لكنّ الثاني أرجح ، ولذلك لم يذكر الكليني في جوازه رواية أصلاً ، واقتصر على اختيار المنع ، وكذلك كثير من الفقهاء .

ومع ذلك لم يظهر قول بالحرمة من أحدنا إلّا على وجه التيمّن والتبرّك باليوم ، كما يتيمّن به الأعداء »[2] ، انتهى ، فلاحظ .

أقول : لو نذر صوم يوم عاشوراء لم ينعقد ، للزوم رجحان متعلّق النذر ، وأمّا لو نذر صوم يوم الخميس فوقع في يوم عاشوراء ، فلا إشكال في صحّة نذره ووجوب الوفاء به ، لأنّ متعلّق النذر هو يوم الخميس مطلقاً ، لا يوم عاشوراء ، كما لا يخفى ، فافهم .

وأمّا لو نذر صوم شهر محرّم تماماً ، فيمكن الإشكال فيه من جهة لزوم رجحان متعلّقه المنحلّ إلى كلّ يوم بخصوصه ، ويمكن أن يقال بصحّته لرجحان متعلّقه ، وهو يكفي في صحّة انعقاد النذر ولو في الجملة ، وتشمله أدلّة وجوب الوفاء بالنذر لعدم قصد خصوص يوم عاشوراء ، بل قصد المجموع بما هو مجموع ، فتشمله أيضاً أدلّة استحباب الصوم ، وأنّه من النّار جنّة ، فلاحظ وتأمّل .

هذا ، وأمّا صوم يوم عاشوراء على قصد التبرّك ، فلا شكّ في كفر من فعل ذلك .

ويبقى الإشكال في كلامه أعلى الله مقامه : « والذي هو مندوب صومه » للتمسّك

---

(١) في نسخة : « أعداء » .

(٢) غنائم الأيّام : ٧٩/٦.

بالعمومات الدالّة على رجحان الصوم في حدّ نفسه، ولكن قد عرفت أنّ الأخبار المانعة بعد تعذّر حملها على الحرمة، وحملها الكراهة تكون مخصّصة لتلك العمومات بغير هذا اليوم.

وأمّا قوله قدس سره: «أو من حيث إنّه هذا اليوم بقصد التحزّن» فغير صحيح لعدم ثبوت الصوم للحزن، كما عرفت في الأخبار.

وأمّا قوله: «والذي هو مكروه لأنّه عاشوراء» فنقول: إن أراد رحمه الله من كلامه قصد خصوصيّة يوم عاشوراء، ولو على وجه عدم قصد التبرّك أو التحزّن، فغير صحيح أيضاً لكونه بدعة وتشريعاً محرّماً، وهذا ليس مراده.

وإن أراد قدس سره من قوله: «لأنّه صوم يوم عاشوراء» ولو لم يقصده بالخصوص، بل الكراهة لأجل حصول التشبّه بأعداء آل محمّد صلى الله عليه وآله فهو، وإن قال غيره بالكراهة لأجله أيضاً، إلّا أنّ الظاهر من الأخبار كراهية صوم يوم عاشوراء بنفسه ولو لم تحصل المشابهة أصلاً.

وممّا ذكرنا ظهر الإشكال في قوله رحمه الله: «ويبقى الإشكال في ترجيح الصوم الشرعي» لأنّ استحبابه على وجه الحزن فرع ثبوته كما لا يخفى، وليس هذا من باب الاجتماع، كما عرفت، وكما توهّم ذلك جماعة.

وأمّا قوله قدس سره: «ومع ذلك لم يظهر»، ففيه ما عرفت من كلام المحدّث البحراني قدس سره في «**الحدائق**»، ولعلّه المراد به في كلام الرياض، كما ولعلّ بالتتبّع يظهر وجود القائل به قبل صاحب الحدائق، وهذا ممّا يقوّي لزوم المراجعة إلى كتب الأصحاب بلا واسطة، وأن لا يغترّ بادّعاء الإجماع في كلام غير واحد، والتدبّر في أخبار المسألة على وجه التحقيق كما لا يخفى على الفقيه الماهر العارف، فلاحظ.

وقال الشيخ قدس سره أيضاً في «**المصباح**»: «وفي عاشوراء تتجدّد أحزان آل محمّد عليهم السلام

وشيعتهم ، ويستحبّ اجتناب الملاذّ فيه ، وإقامة سنن المصائب إلى بعد العصر عليه على ما قلنا »[١] ، انتهى .

وقال السيّد ابن طاووس قدّس الله سرّه في « **الإقبال** » : « فمن مهمّات يوم عاشوراء عند الأولياء والمشاركة للملائكة والأنبياء والأوصياء في العزاء لأجل ما ذهب من الحرمات الإلهيّة ، ودرس من المقامات النبويّة ، وما دخل على الإسلام بذلك العدوان من الذلّ والهوان ، وظهور دولة إبليس وجنوده على دولة أولياء الله جلّ جلاله ، وخواصّ عبيده ، فيجلس الإنسان في العزاء لقرائة ما جرى على ذرّيّة سيّد الأنبياء (صلوات الله جلّ جلاله عليه وعليهم) ، وذكر المصائب التي تجدّد بسفك دمائهم ، والإسائة إليهم ، ويقرأ كتابنا الذي سمّيناه بكتاب اللهوف على قتل الطفوف »[٢] ، انتهى .

أقول : ويدلّ على استحبابه ما دلّ على ثواب ذكرهم ، وما جرى عليهم ، كما عرفت منّا في هذا الكتاب ، فلاحظ .

■ ويستحبّ أيضاً سقي الماء عند قبره المطهّر (صلوات الله عليه) ، ومن فعل ذلك كان كمن سقى عسكر الحسين عليه السلام ، وشهد معه كما في كامل الزيارات[٣] ، كما تدلّ عليه مضافاً إليه عمومات فضل سقي الماء أيضاً .

■ ويستحبّ إطعام الطعام لأجله عليه السلام ، ويشمله عموم ما دلّ على استحبابه ، وأنّه من تعظيم الشعائر ، وما دلّ على استحباب إقامة العزاء ، وغير ذلك ممّا ينفق في خصوص الأئمّة عليهم السلام .

■ ويستحبّ أيضاً أن يكسو الجدار والأعمدة في البيوت والمساجد والمحافل

---

(١) مصباح المتهجّد : ٧٧١.

(٢) إقبال الأعمال : ٣/٥٦ .

(٣) كامل الزيارات : ٣٢٥.

التي يقام فيه عزاؤه عليه السلام بالسواد ، ونصب الرايات السود ورفعها أمام المواكب الحسينيّة ، لأنّه من إظهار الحزن وإقامة شعائر العزاء .

■ ويستحبّ إغلاق الأسواق والدكاكين ، وعدم البيع والشراء أصلاً في يوم عاشوراء ،كما عرفت .

■ ويستحبّ أيضاً أن يخرج من داره على نحو خروج أرباب المصائب حافي القدمين ، محلول الإزار ، مكشوف الرأس ، ملطّخاً جبهته بالطين ، وغير ذلك ممّا يعدّ في العرف عزاء ، وإظهار حزن كما لا يخفى ، ويأتي كلّ هذا في شهر صفر ، خصوصاً يوم أربعينه ،كما نأتي عليه مفصّلاً إن شاء الله في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

خاتمة

ذمّ بني اُميّة، وبيان ابتلاء أعداء الحسين عليه السلام بآفات في الدنيا قبل عذاب الآخرة

في «**مستدرك الصحيحين**» للحاكم: بسنده عن أبي برزة الأسلمي، قال: «كان أبغض الأحياء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بنو اُميّة وبنو حنيفة وثقيف»(١).

وفي «**حلية الأولياء**»: بسنده عن عمران بن حصين، قال: «توفّي رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم وهو يبغض ثلاث قبائل: بني حنيفة، وبني مخزوم، وبني اُميّة»(٢).

واعلم رحمك الله أيّها القارئ العزيز أنّ حبّ أهل البيت الطاهر الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً سبب للسعادة الأبديّة، والكرامة السرمديّة، فكذلك بغض أهل البيت والردّ عليهم سبب للعذاب والابتلاء في الدنيا بآفات وخزي قبل عذاب الآخرة وخزيها، وهذا ظاهر بالحسّ والعيان، ولا يحتاج إلى إقامة دليل وبرهان لكي يكونوا عبرة للآخرين، وموعظة للغافلين، وتنبيهاً للنائمين الجاهلين.

قال عبدالملك بن عمرو: «سمعت أبا الرجاء يقول: لا تسبّوا عليّاً، ولا أهل هذا البيت، فإن جاراً لنا من بلنجر قدم الكوفة بعد قتل هشام بن عبدالملك زيد بن عليّ عليهما السلام ورآه مصلوباً، فقال: ألا ترون إلى هذا الفاسق كيف قتله الله؟

قال: فرماه الله بقرحتين في عينيه، فطمس الله بهما بصره، فاحذروا أن تتعرّضوا

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ٤/٤٨١.

(٢) حلية الأولياء: ٦/٢٩٤.

لأهل هذا البيت إلّا بخير »[١].

وفي « **المحاسن والمساوئ** » : قال : حدّثنا يعقوب بن سليمان ، قال : « كنت في ضيعتي فصلّينا العتمة وجعلنا نتذكّر قتل الحسين عليه‌السلام ، وقال رجل من القوم : ما أعان أحد عليه إلّا أصابه بلاء قبل أن يموت .

فقال شيخ كبير من القوم : أنا ممّن شهدها ، وما أصابني أمر كرهته إلى ساعتي هذه ، وخبا السراج فقام يصلحه ، فأخذته النار وخرج مبادراً إلى الفرات ، وألقى نفسه فيه ، فاشتعل وصار فحمة »[٢].

قيل : « ودخل سنان بن أنس على الحجّاج بن يوسف فقال : أنت قتلت الحسين ابن عليّ ؟

فقال : نعم .

قال : إنّكما لن تجتمعا في الجنّة ، فذكروا أنّهم رأوه موسوماً يلعب ببوله كما يلعب الصبيان »[٣] ، انتهى .

وفي « **الصواعق المحرقة** » ، قال : وأخرج منصور بن عمّار أنّ بعضهم ـ أي ممّن حضر قتل الحسين ـ ابتلي بالعطش ، وكان يشرب راوية ولا يروى ، ونقل سبط ابن الجوزي عن السدّي أنّه أضافه رجل بكربلاء فتذكّروا أنّه ما تشارك أحد في دم الحسين إلّا مات أقبح موتة ، فكذّب المضيّف بذلك وقال : إنّه ممّن حضر ، فقام آخر الليل يصلح السراج فوثبت النّار في جسده فأحرقته .

وقال السّدي : فأنا والله رأيته كأنّه فحمة .

---

(١) مقتل الحسين عليه‌السلام / الخوارزمي : ٦٢.

(٢) بحار الأنوار : ١٧٨/٤٦.

(٣) المحاسن والمساوئ : ٦٢.

وعن الزهري : لم يبق ممّن قتله إلّا من عوقب في الدنيا ، إمّا بقتل ، أو عمى ، أو سواد الوجه ، أو زوال الملك فى مدّة يسيرة .

وحكى سبط ابن الجوزي عن الواقدي : أنّ شيخاً حضر قتله فقط فعمي ، فسئل عن سببه ، فقال : إنّه رأى النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله حاسراً عن ذراعيه وبيده سيف وبين يده نطع ، ورأى عشرة من قاتلي الحسين مذبوحين بين يديه ، ثمّ لعنه وسبّه بتكثيره سوادهم ، ثمّ أكحله بمرود من دم الحسين فأصبح أعمى .

وأخرج أيضاً : أنّ شخصاً منهم علق في لباب فرسه رأس الحسين بن عليّ ، فرؤي بعد أيّام وجهه أشدّ سواداً من القار ، فقيل له : إنّك أنضر العرب وجهاً .

فقال : ما مرّت علَيَّ ليلة من حين حملت الرأس إلّا واثنان يأخذان بضبعي ثمّ ينتهيان بي إلى نار تأجّج فيدفعاني فيها وأنا أنكص فستعفني كما ترى ، ثمّ مات على أقبح حالة .

نعم ، من يعادي أهل البيت ويسبّهم أو يردّ عليهم كلامهم لا بدّ وأن يبتلى بالخزي والعذاب في الدنيا كي يكون عبرة لغيره ، فإنّ بغضهم يجرّ إلى نار سجّرها جبّار لغضبه ، كما أنّ حبّهم وموالاتهم يجرّ إلى الجنّة ، كما قال مولانا الصادق عليه‌السلام (١) .

ونسأل الله بمنّه وكرمه أن يثبّتنا على ولاية ومحبّة محمّد وآله الأطهار ،

ويميتنا على ذلك ، وأن يرزقنا في الآخرة شفاعتهم ، وفي الدنيا زيارتهم ،

كما ونسأله الثبات على البرائة من أعدائهم من الجنّ والإنس من الأوّلين والآخرين ،

آمين ربّ العالمين .

وليكن هذا آخر ما أردنا بيانه ، ونهاية ما قصدنا إيراده في هذا المجلّد

---

(١) أمالي الشيخ : ١٥٨ .

الشريف ، والتأليف المنيف ، حامدين لله ، ومصلّين على رسوله وآله ، وقد حصل الفراغ منه على يد مؤلّفه الجاني كثير المعاصي ، الراجي رحمة ربّه الغنيّ ، محمّد رضا الحسيني الأعرجي (آل) العلّامة حجّة الإسلام آية الله في الأنام السيّد صادق الفحّام عفى عنه الملك العلّام ، في البلدة الطيّبة ، والمدينة المقدّسة ، والأرض المشرّفة ، حرم الأئمّة الطاهرين ، وعشّ آل محمّد المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) ، قمّ المحميّة بجوار السيّدة الزكيّة ، والطاهرة النقيّة ، عمّة الذرّيّة العلويّة ، فاطمة بنت باب الحوائج موسى بن جعفر ، وشفيع يوم المحشر (عليهم صلوات الملك الأكبر) ، في سنة ١٣٩٩ من الهجرة النبويّة ، على مهاجرها آلاف التحيّة ، في اليوم الرابع من شهر جمادى الأُولى يوم الإثنين ، في داري وخزانة كتبي ، بعدما وضعت الحرب أوزارها ، ورفع الحصار عن أهلها ، وساد الأمن في بلاد إيران ، صانها الله عن الحدثان على ما هو الظاهر المشاهد بالعيان ، ونسأل الله التوفيق لإتمام الجزء الثاني ، كما وفّقنا لإنجاز المجلّد الأوّل منه ، وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين ، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين .

محتويات الكتاب

تقاريض الكتاب .... ٧ ـ ١٢
العلّامة الأعرجي . . جهاد اليراع وصلابة الولاء .... ١٣ ـ ٣٤
كلمة المحقّق .... ٣٥ ـ ٣٦
مقدّمة المؤلّف .... ٣٧ ـ ٣٩

المطلب الأوّل

في بيان الآيات الدالّة على وجوب التمسّك بالأئمّة ،
والأخذ بقولهم دون غيرهم ٤١
الآية الأُولى ٤١
الآية الثانية ٤٩
الآية الثالثة ٦١
الآية الرابعة ٦٣
الآية الخامسة ٦٥
الآية السادسة ٦٧
الآية السابعة ٦٩
الآية الثامنة ٨٣

الآية التاسعة ٨٩
الآية العاشرة ٩٦
الآية الحادية عشر ١١٠
الآية الثانية عشر ١٢٣
الآية الثالثة عشر ١٣٠
الآية الرابعة عشر ١٣٤

المطلب الثاني
بيان الأخبار الدالّة على إمامتهم
ووجوب التمسّك بهم (صلوات الله وسلامه عليهم) ١٤١
الحديث الأوّل: حديث الثقلين ١٤١
الحديث الثاني ١٥٢
الحديث الثالث ١٦٧
الحديث الرابع ١٧٠
الحديث الخامس ١٧١
الحديث السادس ١٧٢
الحديث السابع ١٧٣
الحديث الثامن ١٧٣
الحديث التاسع ١٧٤
الحديث العاشر ١٧٥
الحديث الحادي عشر ١٨٤
الحديث الثاني عشر ١٨٦
الحديث الثالث عشر ١٨٨

الحديث الرابع عشر ١٨٨
تتميم نفعه عميم: في إثبات أنّ الإمامة من أُصول الدين ١٩٠

خاتمة

وجوب البرائة من أعداء أولياء الله تعالى
كتاباً وسنّة وعقلاً وإجماعاً ٢٢٣

المطلب الثالث

تعظيم الشعائر، وحرمة الاستخفاف بها ٢٢٩

المطلب الرابع

استحباب إقامة المآتم ومجالس العزاء على سيّد الشهداء،
وبيان الفوائد المترتّبة عليها ٢٣٩

المطلب الخامس

إخبار الله تعالى الأنبياء بقتل الحسين عليه السلام ٢٧٥
علم آدم عليه السلام بقتل الحسين عليه السلام ٢٧٥
علم نوح عليه السلام بقتل الحسين عليه السلام ٢٧٦
علم إبراهيم عليه السلام بقتل الحسين عليه السلام ٢٧٧
علم إسماعيل عليه السلام بقتل الحسين عليه السلام ٢٧٧
علم موسى عليه السلام بقتل الحسين عليه السلام ٢٧٨
علم عيسى عليه السلام بقتل الحسين عليه السلام ٢٧٨
علم سليمان عليه السلام بقتل سيّد شباب أهل الجنة ٢٧٩

علم زكريا عليه السلام يقتل سليل النبوّة عليه السلام ٢٨١
ما نزل من القرآن في قتل الحسين عليه السلام ٢٨٥
علم النبيّ صلى الله عليه وآله وإخباره بقتل سبطه الحسين ٢٨٦
علم أمير المؤمنين عليه السلام بقتل ولده وإخباره بذلك ٢٩٥
علم فاطمة الزهراء بقتل الحسين عليه السلام ٣٠٠
علم الإمام الحسن عليه السلام بقتل أخيه عليه السلام ٣٠٢
علم الإمام الحسين عليه السلام بقتله ٣٠٢
آية التهلكة وموردها والجواب عنها ٣٠٨
إخبار أبي ذرّ رضوان الله عليه بقتل الحسين عليه السلام ٣١٦
إخبار ميثم التمّار رضوان الله عليه بقتل الحسين عليه السلام ٣١٧

المطلب السادس

بيان جواز البكاء واستحبابه على الحسين عليه السلام ٣١٩
بكاؤه صلى الله عليه وآله على عمّه حمزة رضي الله عنه وأمره بذلك ٣٢١
بكاؤه صلى الله عليه وآله على فاطمة بنت أسد ٣٢٤
بكاؤه صلى الله عليه وآله على ولده إبراهيم ٣٢٥
بكاء النبيّ صلى الله عليه وآله على ابن بنته ٣٢٦
بكاؤه صلى الله عليه وآله على قبر أُمّه آمنة بنت وهب ٣٢٦
بكاء النبيّ صلى الله عليه وآله على مرضعته حليمة السعديّة ٣٢٧
بكاؤه صلى الله عليه وآله على عثمان بن مظعون ٣٢٧
بكاؤه صلى الله عليه وآله على سعد حال مرضه ٣٢٧
بكاؤه صلى الله عليه وآله على ابن عمّه جعفر رضي الله عنه وزيد بن الحارثة ٣٢٨
مناقشة أحاديث: الميّت يعذّب ببكاء أهله عليه ٣٣١

بكاء الأئمّة عليهم السلام على الحسين عليه السلام ٣٣٥
بكاء عليّ بن الحسين عليهما السلام على أبيه ٣٣٥
بكاء الإمام الصادق عليه السلام على جدّه الحسين عليه السلام ٣٣٦
بكاء الإمام الكاظم وابنه الرضا عليهما السلام على جدّهما ٣٣٧
بكاء الإمام الحجّة عجّل الله فرجه على جدّه عليه السلام ٣٣٨
بكاء أهل البيت عليهم السلام عموماً على الحسين عليه السلام ٣٣٩
بكاء الزهراء عليها السلام على ولدها الحسين عليه السلام ٣٣٩
بكاء السموات والأرضين وتفجّرها دماً على الحسين عليه السلام ٣٤١
بكاء الوحوش والطير وكلّ شيء على الحسين عليه السلام ٣٤٩
ثواب البكاء على الحسين عليه السلام ٣٥١

المطلب السابع

استحباب رثاء الحسين وإنشاد الشعر له وللأئمّة عليهم السلام ٣٦٣
رثاء أمير المؤمنين عليه السلام للنبيّ صلى الله عليه وآله ٣٦٣
رثاء الزهراء عليها السلام لأبيها صلى الله عليه وآله ٣٦٤

المطلب الثامن

جواز أخذ الأُجرة على قرائة المصائب ٣٧١

المطلب التاسع

استحباب لبس السواد في عزاء الحسين عليه السلام ٣٧٣

المطلب العاشر

استحباب لطم الصدور وضرب الظهور بالسلاسل
وجرح الرؤوس بالمدى والسيوف ٣٩٣

المطلب الحادي عشر

رجحان التشبيه في عزاء الحسين عليه السلام ٣٩٩

المطلب الثاني عشر

استحباب تحمّل المشقّة والخوف في زيارته عليه السلام ٤٠٣

المطلب الثالث عشر

ثواب لعن قتلة الحسين عليه السلام، وتذكّر عطشه عند شرب الماء ... ٤٠٩
لعن الحمام قتلة الحسين عليه السلام ٤٠٩
لعن الأنبياء قتلة الحسين عليه السلام ٤١٠

المطلب الرابع عشر

وظائف الشيعة أيّام محرّم وصفر، وخصوص العشرة الأُولى ... ٤١١
وظائف يوم عاشوراء ٤١٥
من أعمال يوم عاشوراء ٤٢٢

خاتمة

ذمّ بني أُميّة ، وبيان ابتلاء أعداء الحسين عليه السلام
بآفات في الدنيا قبل عذاب الآخرة ٤٣٩